٢٠١٣
بغداد
عاصمة الثقافة العربية

خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد

السيد محمد سعيد الراوي

تحقيق
عماد عبد السلام رؤوف

طبع هذا الكتاب على نفقة
وزارة الثقافة لمشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية ٢٠١٣

تنفيذ دار الكتب العلمية

اشتريته من مكتبة "الثقافة للجميع" للسيد اسماعيل الجميلي
في ٨/ربيع الآخر/١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠/١١/٢٤م
سرمد حاتم شكر

اسـم الكتاب: خير الزاد في تاريخ مساجد وجوامع بغداد

اسـم المؤلف: السيد محمد سعيد الراوي

كميـة المطبوع: ٢٠٠٠ نسخة

م. سرمد حاتم شكر

رقـم الإيـداع: ١١١٧ لسنة ٢٠١٣م

سـنة الطباعة: ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م

تنفيـذ الطباعة: دار الكتب العلمية - بغداد

من الأمور المؤلمة أن مكتبة "الثقافة للجميع" قد أغلقت بحدود يوم
٨/ربيع الآخر/١٤٤٧هـ
٢٠٢٥/٩/٣٠م
بسبب تردي الحالة الصحية لصاحبها ... نسأل الله تعالى
أن يمتعه بالصحة
وموفور السلامة.

طبع هذا الكتاب على نفقة وزارة الثقافة
لمشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية

٢٠١٣
الطبعة الأولى

٢٠١٣
بغداد
عاصمة الثقافة العربية

مقدمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤلف الكتاب:

مؤلـــف هـــذا الكتاب هو السيد محمد سعيد بن عبد الغني الراوي، سليل أســرة حسينية عراقية قديمة، اشتغل أسلافه بالعلم تأليفاً وتدريساً عدة قرون، وولـــد هو في بلدة عانة على الفرات سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م حيث كان أبوه يعمـــل مدرســـاً هناك، فتلقى معارفه الأولية في كتاتيب تلك المدينة، وحفظ القـــرآن وختمه ولم يكن قد أكمل العاشرة من عمره، حتى إذا ما اضطر أبوه إلـــى مغادرة البلدة الصغيرة إلى بغداد، عرف طريقه إلى المدارس الرسمية التـــي لـــم يكن قد مضى وقت طويل على إنشائها، فأدخله أبوه في (المدرسة الرشدية)، حيث تلقى دروسه بانتظام لأربع سنوات، ولكن أبوه فضّل إخراجه منها، ليتلقى العلوم العربية والدينية، على وفق تقاليد أسرته العلمية، على يد علماء عصره الكبار، وقد تتلمذ بالفعل على أيدي أعلام فضلاء، منهم علماء مـــن أسرته، ومنهم مدرسون في مدارس دينية كانت ملحقة بمساجد مدينته، وحيـــنما لاح لـــه، ولأسرته، ملامح تُمكِّنه من الاستمرار في الدرس، انتقل للدراســـة فـــي المدرســـة القادريـــة، الملحقة بجامع السيد الشيخ عبد القادر الكيلانـــي، وكـــان مدرسها يومذاك العلامة الشيخ يوسف العطا، فأخذ عليه مقـــدمات العلوم اللغوية والدينية، وهي ما يعرف بعلوم الجادة الصغرى، كما أخذ الدرس أيضاً على يد الشيخ محمد سعيد التكريتي، أحد العلماء المعروفين فـــي بعض مدارس الكرخ يومذاك. وبعد مدة، نجده قد التحق بالشيخ عباس

حلمـــي القـــصاب أمين الفتوى يومذاك، فأكمل على يديه المرحلة التالية من الدرس، وهي المسماة (الجادة الصغرى). ثم واصل الدرس، فانتظم طالباً في مدرســـة جامـــع الفـــضل، وكان يتصدر التدريس فيه عهد ذاك العلامة عبد الوهاب النائب، فتتلمذ عليه، وتلقى عنه الفقه الحنفي والمنطق وآداب البحث والمناظـــرة، فمنحه هذا (الإجازة) في هذه العلوم. كما درس أيضاً على يدي الـــشيخ محمـــد سعيد النقشبندي، أخي الشيخ النائب، والمدرس في المدرسة الخاتونية ببغداد.

وكانت نفسه الطمّاحة إلى مزيد من العلم، تدفعه إلى الأخذ عن كل عالم متميـــز، لـــذا نجـــده يغادر بغداد إلى بلدة سامراء، لما بَلَغَه من تعيين شيخه عباس حلمي القصّاب مدرساً في مدرستها الحميدية التي افتتحت هناك، وكان أن أقام في هذه البلدة آخذاً عن شيخه فيها جانباً من علم الفقه، وعلم الوضع.

ثـــم أنـــه عـــاد إلى بغداد، راغباً هذه المرة في الأخذ عن عالمها طائر الـــصيت، الـــسيد محمود شكري الآلوسي، فكان أن قَصَدَه في مدرسة جامع مـــرجان، ليواصل على يديه دراسة الفقه. وفي الوقت نفسه، قصد مسجد بابا كـــور كـــور، فانتظم في حلقة الشيخ عبد الرحمن القره داغي العلمية هناك، دارساً على يديه علم المنطق وغيره، حتى منحه الأخير (الإجازة) بذلك.

وبعـــد أن نال من التعليم أفضل ما يمكن أن يلقاه طالبٌ في زمنه وبيئته، عُـــيِّن بعـــد امتحان اجتازه، مدرساً في مدرسة خضر الياس في الكرخ، ثم خطيـــباً في جامع التكية الخالدية في الجانب الشرقي، وإماماً في جامع الشيخ معروف الكرخي.

عُـرف السيد محمد سعيد الراوي بشجاعته وجرأته في القضايا الوطنية والقومية التي تخص بلاده وأمته، فوقف ضد سياسة جمعية الاتحاد والترقي التـي كانـت ترمي إلى تتريك لغة التعليم والإدارة، ودافع عن هوية وطنه العـربية، واتخـذ مـن منبره مجالاً لشن الحملات العنيفة ضد سياسة هذه الجمعـية، كمـا نشر في الصحف والمجلات العراقية الصادرة آنذاك، مثل (الشرق) و(النوادر) و(صدى بابل) و(الزهور) مقالات وطنية ملتهبة دعا فيها إلى ضرورة الوعي بالمؤامرات التي كانت تحاك ضد بلاده وشعبه. ولم يغير تعـرض البلاد إلى الاحتلال البريطاني في أثناء الحرب العالمية الأولى من تمسكه بمبادئه، بل زاد عليها بأن حَوَّل منبر وعظه إلى منبر خطب سياسية، وقصائد قومية تستنهض الهِمم لمقاومة الاحتلال. فلم يكن من سلطة الاحتلال إلاّ أن داهمَـت بيـته سـنة ١٩١٩م، وصـادرت كتبه، بما فيها من نفائس المخطـوطات، ثـم أبعدتـه إلـى البصرة، ومنها إلى الهند، حيث لبث في (سـمربور) ومعـتقلات أخـرى هناك نحو سنتين كاملتين، بعيداً عن أهله ووطنه.

وفي سنة ١٩٢١م عاد إلى العراق، فوجد أن صفحة الاحتلال البريطاني المباشر قد طُويَت إثر قيام الثورة العراقية الكبرى سـنة ١٩٢٠، وأن مملكة عـراقية فتية قد تكونت، فقرر أن بلاده في حاجة الآن إلى نهضة ثقافية، بل حـضارية، وأن علـى المثقفـين والمفكرين الدور الأساس في هذه النهضة المنـشودة، ومن هنا وجدناه يختار حقل التعليم مجالاً لعمله في هذه المرحلة، فـصار مدرساً للعلوم الدينية والعربية في مدرسة دار المعلمين الابتدائية، ثم تَولَّـى تدريس مجلة الأحكام العدلية في جامعة آل البيت، أول جامعة عراقية

في العصر الحديث، كما عُيِّن مدرساً للعربية في الثانوية المسائية، وبعد تدريسه في الجامعة مدة سنتين، عُيِّن مدرساً للعربية في الثانوية المركزية، واختير ليكون قاضي لواء البصرة فاعتذر، ثم اختير عضواً في مجلس التمييز الشرعي ببغداد فقَبِل.

وتوفي- رحمه الله تعالى- في مساء يوم ٢٣ ذي القعدة سنة ١٣٥٤هـ الموافق ١٥ شباط سنة ١٩٣٦، وشُيِّع جثمانه تشييعاً مهيباً حتى وري الثرى عند قبور أسرته بجوار الشيخ معروف الكرخي في مقبرته ببغداد[١].

وللسيد محمد سعيد الراوي آثار عدة تنوعت موضوعاتها بين الفقه والعقائد والقانون والمواعظ وغير ذلك، ننكر هنا ما هو داخل في نطاق التاريخ فحسب، فقد كتب في هذا العلم كتباً مهمة، منها:

---

(١) تنظر ترجمته في السيرة الذاتية التي كتبها بقلمه في كتابه (تاريخ الأسر العلمية في بغداد) ص٩١- ١٠١، ومحمد صالح السهروري: لب الألباب ج٢ (بغداد ١٣٥١ هـ) ص٣٤٦- ٣٥٣، وروفائيل بطي: في ذكرى محمد سعيد الراوي، جريدة البلاد، بغداد، العدد ٤٥٧٣، السنة ٢٧، ١٤ شباط ١٩٥٦، ومؤرخ (اسم مستعار): ترجمة المرحوم السيد محمد سعيد أفندي الراوي، جريدة البلاد، ثلاث حلقات، من ٣ آذار إلى ١٠ آذار١٩٣٦، وخضر العباسي: شعراء الثورة العراقية أثناء الاحتلال البريطاني في العراق (بغداد ١٩٥٧) ص٧٦- ٧٩، وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام أبي حنيفة (بغداد ١٩٦٤) ج١ ص٢٨٤، ويونس السامرائي: تاريخ علماء بغداد في القرن الرابع عشر الهجري (بغداد ١٩٨٢) ص٢٢١- ٢٢٥، وكتابنا: خطط بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين، بغداد ٢٠٠٢.

١- تـــاريخ بغـــداد حتى المائة السابعة، مفقود، أشار إليه في كتابه عن مساجد بغداد.

٢- تـــاريخ محلات بغداد. مفقود، وقفنا على بعض مسوداته في خزانة كتبه التي لدى ورثته في بغداد.

٣- تاريخ الأسر العلمية في بغداد. وهو كتاب كبير ضم تراجم عدد وافر مـــن العلمـــاء الـــذين نبغوا في بغداد في خلال القرون الأربعة الأخيرة، مع مقدمات عن أسرهم، وتاريخها، وأصولها. وقد حققناه وعلقنا عليه وقدمنا له، ونـــشرناه بـــبغداد (الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩٧، ٤٤٦ ص، ونعد الآن طبعة ثانية منه).

٤- تاريخ جوامع بغداد ومساجدها. وهو هذا الكتاب الذي بين يديك أيها القارئ الكريم.

٥- بحوث تاريخية نشرها مسلسلة في بعض المجلات العراقية، وجميعها يبحث في آثار بغداد العباسية، ونقد لكتبٍ صدرت في تاريخها، ومنها:

أ- دار المُسنّاة. جريدة البلاد- بغداد ١٥ آب و٣ و٢٤ تشرين الأول، و١٥ تشرين الثاني ١٩٣٥.

ب- المدرســـة المستنــصرية. جــريدة البلادـ بغداد ٢٨ كانون الأول ١٩٣٥.

ج - مسجد السِّت زبيدة. جريدة البلاد- بغداد ٢٥ تموز ١٩٣٥م.

د- نقــد فـــي الـــتاريخ. سلـــسلة مقـــالات في نقد كتاب(مناقب بغداد) و(الحوادث الجامعة) و(المسك الأذفر) نشرت في جريدة العراق- بغداد ٣٠

و ٣١ تموز ١٩٣٥، و ١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ١٨ و ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٤ و ٢٧ و ٢٩ آب ١٩٣٥.

الكتاب:

كـــان الاهتمام بتاريخ معالم بغداد، في أواخر عصر الدولة العثمانية في العراق، وبداية عهد الدولة العراقية، يمثل نوعاً من الوعي بتاريخ هذه المدينة وأهميتها، في عصر بدأ يُنذِر بزوال تلك المعالم، أو تغير ملامحها، ثم لكونها عاصـــمة الدولة العراقية الناهضة، ورمزاً لماضي الأمة التليد. وقد عَبَّر هذا الوعـــي عـــن نفـــسه بقيام نفرٍ من الكتاب، لا سيما المؤرخين منهم، بكتابة مـــؤلفات تـــؤرخ لمعالم بغداد، بوصفها ملامح وجه هذه المدينة التي طالما أحبوها وتغنّوا بتراثها، فكتبوا في مساجدها ومدارسها ومشاهدها وتكاياها، بل مـــنهم مـــن مـــضى فأرّخ لمنشآتها العامة، من الخانات والأسواق والقصور والحـــصون والمقابـــر. ومنهم من بَحَثَ في مواقعها القديمة، ومعظمهم عُني بتسجيل ما كُتب عليها من كتابات تذكارية تؤرخ لتأسيسها، أو ما أصابها من تعمير أو ترميم، ومن ثوى عندها من أعلام.

ففـــي سنة ١٣٢١هـ/١٩٠٣م ألّف العالم الأديب البغدادي السيد محمود شكري الآلوسي المتوفى سنة ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م كتاباً كبيراً عن مدينة بغداد وأعمالهـــا ومناطق أخرى، سماه (أخبار بغداد وما جاورها من البلاد) تناول فيه بعض معالم بغداد في عهده، من القصور والمنشآت الرسمية والعسكرية والجـــسور وغيرها، ولم يتطرق إلى مساجدها ومدارسها لأنه فضّل أن يُفرد لهـــا جـــزءً خاصاً من كتابه، فكان أن شَغَلَه هذا الجزء إلى الحد الذي توقف

بسببه عن إكمال كتابه الكبير، ليُنجز مباحث ما اختار أن يكتب عنه من مساجد بغداد في عصره. ولما لم يكن أحدٌ قد سبقه في هذا المجال من الكتابة التاريخية، فإنه اختار أن يكتب كتابه على وفق منهجه الذي ارتضاه لنفسه، ويمكن أن نلحظ أن منهجه هذا كان يتناول موقع المسجد، بحسب ما كان يؤدي إليه من طرق، أو يقرب منه، أو يقابله، من مساجد أخرى، أو منشآت عامة، ثم وصف موجز للمسجد، بما يتضمنه من مصلى، وفناء، وحجرات، ومدرسة، ومتوضأ، وما يضمه من قبور أحياناً، ثم نجده يعرج بعد ذلك إلى أهم ما أصابه هذا المسجد من تعمير، مستقياً معلوماته عنها مما كان يقرأه على جدرانه من كتابات تذكارية، وأبيات شعرية، تحمل تواريخ تلك الأعمال وأسماء من قاموا بها. وربما تناول في منهجه هذا شيئاً عن أوقاف هذا الجامع أو ذاك، أو ما أُلحق به من خزائن مهمة للكتب.

ومثلما ترك الآلوسي كتابه الكبير (أخبار بغداد) دون طبع[1]، فإنه ترك هذا الجزء المهم منه، وهو (مساجد دار السلام بغداد)، وجزءً آخر عن علماء بغداد دون طبع أيضاً[2]، فكان أن نَهَد تلميذه الشيخ محمد بهجة الأثَري إلى نشره في بغداد، بُعيَد وفاته بقليل، وذلك في صيف سنة ١٩٢٤م. على أن نشر الشيخ لكتاب أستاذه لم يكن يلتزم قواعد التحقيق العلمي، فإنه تصرف فيه تصرفاً كبيراً، حذفاً وإضافة، وعَدَّ ذلك كله (تهذيباً) له، وكان عذره في

(١) حققناه كاملاً وعلقنا عليه وهو في سبيله للنشر الآن.

(٢) هو كتاب (المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر)، وقد طبع جزء منه في بغداد سنة ١٣٤٨هـ/١٩٣٠م، ثم نشره كاملاً الدكتور عبد الله الجبوري، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

ذلك أن الآلوسي لم يصل في عمله إلى مرحلته الأخيرة التي تُعِد الكتاب إلى النشر، بيد أن تصرف الشيخ تجاوز ذلك إلى حذف عبارات عديدة، وبخاصة تلك التي تشيد بالولاة والسلاطين الذي أمروا بتعمير تلك المساجد، وعبارات أخرى، وأبيات، تُمجِّد بعض الأولياء من أصحاب الأضرحة التي ضمتها بعض المساجد، ولم يكن الشيخ يرى نفعاً في الترويج لكراماتهم، بل أنه حذف " أكثر الاستطرادات ولا سيما المنظومات، فإن أغلبها جاف لا يستمرئه الذوق والفن، وليس في إبقائه فائدة تُجتَنى"، هذا مع أن تلك الأبيات كانت مثبتة على جدران المساجد نفسها بوصفها كتابات تسجيلية. وبالمقابل، فإن الشيخ الأثري وجد أن الآلوسي سَكَتَ عن تواريخ بعض المساجد، فأضاف معلومات من عنده عن ذلك، أو أنه أضاف آراءه حول أصل هذا المسجد أو ذاك في عصر سابق على تأسيسه أو تجديده. وقد أثارت هذه الإضافات نقاشاً واسعاً في الصحف عند صدوره، على أن الإضافة المهمة، والنافعة، التي ألحقها الأثري بكتاب أستاذه هو رصده لعدد من المساجد مما فات المؤلف ذكره، وقد سماها (الفوائت)، وقد استعان على ذلك بما وجده في سجل الأوقاف فضلاً عن جولات قام بها بصحبة " بعض العارِفين"[١].

ويظهر أن عناية السيد محمود شكري الآلوسي ببغداد وآثارها ومعالمها المختلفة شجَّع تلامذة نابهين له إلى توجيه بعض جهودهم العلمية للكتابة في هذا الموضوع، فكان أن كتب أحد طُلابه، وهو السيد عباس بن رجب بن عبد الله البغدادي الحسني المتوفى سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥م، كتاباً كبيراً سماه (نَيل

---

(١) مساجد بغداد وآثارها ص١٣٨.

المُـــراد في أحوال العراق وبغداد) تناول فيه تاريخ هذه المدينة منذ تأسيسها حتى زمانه، وليس في أكثر الكتاب ما يزيد على المصادر المنقول منها شيئاً، إلاّ أن المهم أن المؤلف أفرد فصلاً كبيراً عن مساجد بغداد ومشاهدها اعتمد فـــي مادتـــه علـــى جـــولاته الميدانية، ومع أن أكثر تلك المعالم لم يحظ إلاّ بإشارات أو عبارات مُبتَسرة، إلاّ أنه تضمن في الغالب إشارات إلى مواقعها، وشيئاً من أوصافها، وما تضمه من أضرحة، وما أُلحق بها من سِقايات، فكان محـــتوى الفصل إذن يشبه أن يكون (جَرْداً) شاملاً لما احتفظت به بغداد من تلـــك المعـــالم حتـــى وقـــت تأليفه، وهو عَشيَّة الحرب العالمية الأولى. وقد استخرجنا هذا الفصل لأهميته الاستثنائية، بين فصول سائر الكتاب، وحققناه، وعلقنا عليه، ونشرناه في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) الذي صدر ببغداد سنة ٢٠٠٦، الصفحات ١٥-٥٨.

وأثـــار تألـــيف الآلوســـي كتابه عن مساجد بغداد وآثارها اهتمام علامة بغدادي، هو الأب أنستاس ماري الكرملي(المتوفى سنة ١٩٤٧)، ورآه يمثل نقطة شروع للعمل على استكمال ما بدأه، فكان أن شجّع صديقاً له، هو السيد محمـــد خلوصي الناصري التكريتي على إكمال ما فات الآلوسي أن يذكره، وكان هذا تربوياً مؤرخاً له تجربة في كتابة التاريخ، وتدريسه، فكتب رسالة بعـــنوان (تكملة مساجد بغداد) تناول فيها، باختصار، عدداً من المساجد التي فـــات الآلوسي الكتابة فيها، ويظهر أنه أراد أن يتناول تلك الفوائت في بغداد وأعمالها عامة، فبدأ بالحديث عن جامع الصحابي سلمان الفارسي (رض) في المـــدائن، لكنه سرعان ما غير خطته، وقصر جهوده على الكتابة في مساجد

أكثرها يقع في الكرخ حيث كان يسكن وأسرته منذ مدة غير يسيرة. وقد نشرنا هذه الرسالة في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) الصفحات ٥٩-٩١.

وفي الوقت نفسه، كان طالبٌ آخر، من طَلَبة السيد الآلوسي، هو عبد الحميد بن بكر صدقي عبادة (المتوفى سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) قد شرع بجمع مواد كتاب موسوعي كبير في المجال ذاته، سماه (العِقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع)، معتمداً على زياراته المستمرة إلى تلك المعالم، وتسجيل ما كان يَجِد عليها من كتاباتٍ مختلفة، وقد تَميَّز عن سابقيه بأنه أفاد من عمله في المحكمة الشرعية ببغداد، فاستقى من سجلات هذه المحكمة معلومات ذات شأن لم تكن لتوجد في كتاب، كما عزَّز ذلك كله بقراءاته الواسعة في المصادر التاريخية، وبخاصة ما كُتب منها باللغة التركية العثمانية التي كان يُتقنها، لذا فقد جاء منهجه أكثر توسعاً، وأفصل قولاً، فإنه وَضَّح موقع كل مسجد، وما يشتمل عليه من مبانٍ، وما رُصد عليه من عقارات موقوفة، وترجم بتوسع لمؤسسه، ومجدديه، كما ترجم لعلمائه، وأئمته أحياناً، وتطرَّق إلى مدرسته، وخِزانة كتبه، وما مرَّ به من أحوال. ويلاحظ أنه لم يقتصر فيما كتب على المساجد والمدارس فحسب، وإنما تناول أيضاً، وبالقدر نفسه من الاهتمام، منشآت بغداد الإدارية والعسكرية والتجارية الأخرى، فتكلم على السراي والقشلات العسكرية والأبواب وبعض الخانات ودائرة البريد ودار الشفاء والأسواق والبارود خانه والمقاهي والمقابر، فجاء كتابه أشبه بموسوعة مصغرة عن معالم مدينة بغداد التراثية في عهده.

حاول عبادة أن يجتهد في معرفة ما كان يحتل المنشآت الحاضرة في عصره من منشآت غابرة، من خلال قراءاته في المصادر التاريخية والأدبية

للعصر العباسي، وقد أصاب في بعض ما توصل إليه، إلاّ أن كثيراً مما ذهب إلـــيه كـــان يعوزه الفهم العام لتطور خطط المدينة عبر عصورها المتعاقبة، وذلـــك في زمن كان علم خطط بغداد ما زال في مراحل تكونه الأولى، ولم يكن ثمة منهج علمي قد استقر له بعد[١].

وكان عالِمٌ، يعمل في مجال التدريس في بعض مساجد بغداد، هو الشيخ محمـــد صالح السهروردي (المتوفى سنة ١٣٧٧هـــ/١٩٥٧م) قد ولع بمعالم مدينـــته هـــو أيضاً، فكتب، وهو لمّا يَزَل شاباً بعد، رسالة في تاريخ مساجد بغـــداد، ســـماها (بُغية الواجِد في الجوامع والمساجد)، وهي على صِغرها، تـــناولت عـــدداً من مساجد بغداد ومدارسها في عصره، وضمنها معلومات وملاحظـــات جديـــدة لـــم يلتفت إليها من سبقه من المؤلفين، فحدد مواقعها، وحـــاول التوصـــل إلى هوية منشئيها من خلال ما قرأه عليها من نصوص، وتـــناول تاريخ ما جرى عليها من تعميرات بالأسلوب نفسه؛ واستعان، كما فعـــل عبادة، بعدد من الوقفيات التي أفادته في تعيين ما وقفه المنشئون عليها مـــن عقار، بل تكلم عن مساجد خارج مدينته بغداد، في الفَلُّوجة واليوسفية، وحـــاول، مثل عبادة أيضاً، أن يجتهد في التوصل إلى هوية بعض المنشآت مـــن خـــلال قراءاته في خِطَط بغداد، ولكن أغلب اجتهاداته، جاء يفتقر إلى الدراسة الخططية المستوعبة، ومع ذلك فإنه نبّه الأذهان إلى شؤون مختلفة في مجال علم الخِطَط، أثارت نقاشاً في الصحف آنذاك. وقد نشرنا هذه الرسالة هي أيضاً في كتابنا (مساجد بغداد في كتابات الأجداد) الصفحات ٩٤-١٣٣.

---

(١) كتابنا: خطط بغداد في دراسات المؤرخين المحدثين، بغداد ٢٠٠٢، ص٣٢.

وكـــنا قد وقفنا، بتوفيق منه تعالى، سنة ١٩٨٨ على مخطوطة مهمة تقع فـــي ١٥٤ ورقة كبيرة، كتبها السيد محمد سعيد الراوي بعد الحرب العالمية الأولى، وبالتحديد بعد سنة ١٩٢٤، وتتناول مساجد بغداد القديمة. ولما قابلنا الكـــتاب على تلك المؤلفات التي عرضناها، وجدناه يتميز عنها بمزايا جديدة يمكن أن ندرجها على النحو الآتي:

١- مع أن المؤلف استند في كثير مما كتب على كتاب الآلوسي، إلاّ أنه أضاف إليه في أكثر الأحيان معلومات جديدة، وتفصيلات لا نجدها في غيره، وهـــي معلـــومات وتفصيلات استقاها من واقع خبرته الشخصية، ومشاهداته العيانـــية، بحكم عمله إماماً وخطيباً في عدد من مساجد بغداد، وما سمعه من المعنيـــين غيـــره، ومـــا وقف عليه في الكتب الخطية التي كان يحوزها في مكتبته العامرة(١).

٢- تـــناول عـــدداً مـــن المساجد التي سكت عنها السيد محمود شكري الآلوسي، وهو عدد غير قليل، فجاء كتابه كالمستدرك على ذلك الكتاب.

٣- تابـــع ما جرى على المساجد التي تكلم عليها الآلوسي من تعميرات وتـــرميمات ونقض وتوسعة، وما تعرض إليه وقفها من تغيير، أو تبديل، أو تجـــاوز، بما يمكن، معه، تكوين صورة شاملة لما جرى على كل مسجد من أحوال.

---

(١) وضعنا فهرســاً وصفياً لمحتويات هـــذه المكتبة المهمة، نشـــرناه فـــي كتاب بعنوان (فهـــرس مخطـــوطات السيد محمد سعيد الراوي) ، بغداد، إصدارات مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، ٢٠٠٢، ٢٧٦ ص.

٤- أعاد قراءة ما سبق أن سجله المؤلفون الآخرون من كتابات، وأبيات، علـــى جـــدران المساجد والمدارس والتكايا التي زارها، ولما كان بعض تلك الكتابات قد زال، أو زالت المساجد التي كتبت عليها، فإنه تبقى لقراءاته تلك أهمية أثرية كبيرة.

٥- اجتهد على نحو جاد، لم يسبقه إليه أحد، في تحديد مواقع تلك المعالم بحسب خطط بغداد في العصر العباسي، مستعيناً بدراسات سابقة له عن هذه الخطـــط. ولم يكن منهج الراوي فيما توصل إليه يقوم على الحزر، كما فعل غيره، أو القراءة المبتسرة لنصٍ ما، وإنما كان يقوم أولاً على تصور خريطة بغـــداد في العصر العباسي، بما فيها من مجاري الأنهار القديمة التي كانت تـــروي جانبـــي هذه المدينة، بوصفها تمثل الأساس الأول في فهم المساحات المأهـــولة وتطـــورها في ذلك العصر، ومستقرئاً العدد الوافر من النصوص الخططـــية التـــي وجـــدها في خلال قراءاته الواسعة، ومحاولاً أن يتخذ من المعالم الشاخصة دليلاً للتوصل إلى ما هو داثر منها، وقد كان رائداً فعلاً في جملة من الاكتشافات العلمية التي تعين هوية معالم لم تكن معروفة قبله، كما مـــثلت تلـــك الاستطرادات الخططية الكثيرة، إضافة جديدة إلى علم الخطط الـــبغدادية، ســـاعدت باحثـــين تالين على المضي في هذا العلم في خطوات أخرى[١].

٦- وإذا كـــان لنا من تحفظ على بعض اجتهاداته، فهو تصوره أن دار الخلافة العباسية، وهي قلب بغداد، كانت تقع في أعلاها، باتصال سور بغداد

---

(١) كتابنا: خطط بغداد ص٣٣-٣٧.

الشمالي، وبالتحديد في الأرض التي احتلتها قلعة بغداد، ثم وزارة الدفاع فيما بعد، وليس في وسط بغداد . وقد قاده هذا التصور إلى استنتاجات حول تعيين مواقـــع عديـــدة في غير ما دلّت عليه النصوص والشواخص والقرائن، وقد انسحب هذا على مساجد بغداد، موضوع كتابه، فعين مواقع بعضها، وأكثرها كـــان يقـــع فـــي الجانب الشرقي، في ضوء ذلك الفهم. وربما قاده ذلك إلى التمـــسك بهـــذه الفكـــرة، أو النظـــرية، جِـــدالٌ كان دائراً بينه وبين بعض الخطّطيـــين، على صفحات الصحف، أو في المجالس الأدبية، حولها. وعلى أيـــة حال، فإن تلك الآراء والمناقشات كان من شأنها إثراء البحث الخططي، وخلـــق وعـــي عـــام بأهمية معالم بغداد ليس بوصفها شواخص باقية، وإنما بوصفها (إحداثيات) يمكن التوصل من خلالها إلى معرفة ما هو مخبوء تحت الأرض من معالم بائدة.

ونظـــراً لأهمية مخطوطة (تاريخ جوامع بغداد ومساجدها)، وجِدَّة الكثير مـــن معلـــوماتها، وما تتضمنه من آراء خططية، فقد استأذنا ورثة مؤلفها الـــشرعيين بتحقيقها ونشرها، إعماماً لفوائدها الجمة، فأذنوا بذلك مشكورين، بـــل أنهـــم وضعوا تحت تصرفنا نسخة منها مصورة لهذا الغرض، فكان أن عكفنا على تحقيقها، متبعين الخطوات الآتية:

١- أبقينا على لفظ المؤلف دونما تغيير.

٢- كـــان المؤلـــف قد ترك مساحات بيضاء دونما كتابة، فاجتهدنا في وضـــع الألفاظ التي تُناسب تلك البياضات، توافقاً مع سياق الكلام، أو سياق المعلومات، وأثبتنا ذلك كله في هوامش مناسبة.

٣- تابعـنا المؤلـف فيما ساقه من أسماء أعلام المؤسسين والمجددين والمدرسـين والأئمة، فعَرَّفنا بهم باختصار، كما عَرَّفنا بأسماء أعلام المواقع التاريخية والجغرافية، وذَيَّلنا كل ذلك بمصادره.

٤- أثبتـنا التواريخ الميلادية، الموافقة للتواريخ الهجرية التي أثبتها في المتن، في هوامش مناسبة.

٥- أعـدنا حساب أشطر التاريخ في الأبيات التي نظمت لهذا الغرض، وأثبتنا ذلك حيثما وجدنا ضرورة إلى ذلك.

٦- قابلـنا المعلـومات التاريخية، ولا سيما ذات الطبيعة الآثارية، التي أوردهـا المؤلـف، بما أورده المؤلفون الآخرون في موضوعه، ونبهنا إلى أوجه الاختلاف، والإضافة، وبينا أسبابها، حيثما اقتضى الأمر ذلك.

٧- أحلـنا القـارئ، إلـى المصادر والدراسات الأخرى التي تناولت المساجد موضوعة البحث.

٨- رأيـنا من الضرورة بمكان أن نتابع اجتهادات المؤلف واستنتاجاته وآراءه الخططية في تعيين هذا الموقع أو ذاك، فناقشناها بحسب مُعطَيات علم الخطـط الـبغدادية، مُوثِّقـين تلك المُعطَيات بالنصوص التاريخية والشواهد الأثرية، وأجملنا ذلك كله في تعليقات مناسبة.

٩- تابعـنا أكثر ما تكلم عليه المؤلف من المساجد في وضعها الراهن، فأثبتـنا مـا أصـابها من تغيير بعده، ووجدنا أن منها ما وسع، وهو الأقل، وأكثـرها أزيل لأسباب مختلفة، أما لشق الطرق الحديثة التي خططت دون تقديـر لأهمـية ما يعترضها من منشآت تراثية ذات شأن، وأما للإفادة من أرضـها فـي بـناء منشآت أخرى، ذات نفع مادي، مثل العمارات الحديثة،

والأسواق، والدكاكين، وأما لإهمالها من قبل المتولِّين حتى تَحَوَّل بعضها إلى بـيوت يسكنها الناس، أو خرائب يُرثى لها، هذا على الرغم مما وقفه عليها الواقفون من أوقاف غنية. وكثير مما تبقى نقض تماماً وأعيد بناؤه على هيئة جديدة لا علاقة لها بما كان عليه المسجد في حالته الأولى، فأفقده ذلك قيمته التراثية والأثرية تماماً.

١٠- لـم يضع المؤلف رحمه الله لكتابه عنواناً فاضطررنا إلى تسميته باسم يميزه عن غيره من الكتب المؤلفة في مثل موضوعه.

١١- قَـسَّمنا الكـتاب إلـى فصلين مستقلين، الأول في مساجد الجانب الشرقي، والآخر في مساجد الجانب الغربي.

١٢- وإكمالاً للفائدة، وإدراكاً منا لأهمية الصورة بوصفها وثيقة تاريخية بحد ذاتها، ألحقنا الكتاب بصور فوتوغرافية مما صورناه للمساجد التي تحدث عنها المؤلف، أو اجتمعت لدينا من مصادر مختلفة.

وأخيـراً، فهـذا آخر ما وفقنا للعثور عليه من مخطوطات تؤرخ لمعالم بغداد، ومساجدها خاصة، وهو المخطوط السادس الذي نحققه وننشره في هذا الموضوع المهم، في خلال السنتين الأخيرتين، عسى أن نوفق إلى مزيد من هذه المؤلفات النافعة في قابل الأيام إن شاء الله.

ولا يسعنا في ختام هذه المقدمة إلاّ أن نتقدم بالشكر والعِرفان إلى السيدين الفاضـلين جمـيل وجمال الراويين، ولدي المؤلف، لتفضلهما بالموافقة على نـشر هـذا الكـتاب، كما نتقدم بالشكر الوافر إلى الصديق السيد زين أحمد النقـشبندي لما قدمه من عون كريم في أثناء عملنا في تحقيقه، وصحبته إيانا في تفقدنا المساجد التي وصفها المؤلف في كتابه، وتصويره لها، جزاهم الله

جمـــيعاً كل خير. ونحن نبتهل إلى الله العلي القدير أن يسبغ على مؤلف هذا الكتاب شآبيب رحمته، وأن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع إنه سميع مجيب. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عماد عبد السلام رؤوف

بغداد في ١٨ نيسان سنة ٢٠٠٦

النص المحقق

[مقدمة المؤلف]

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعــدُ، فهذه عُجالة كتبتها في بيان جوامع بغداد ومساجدها بعد الحرب العامــة[1] مــع مــا هنالك من المدارس والرُّبُط (التكايا) والقبور، أردتُ بها تسجيل ذلك لينتفع بها الخَلَف، فقد رأينا ما حَصَل من الاضطراب في مواقع الجوامــع والمــساجد بــسبب عدم إيضاح مواقعها فيما مضى، فغدا الجامع الفلانــي مــثلا يوصــف بأنه الجامع الفلاني، مضافاً أو موصوفاً إلى غير صاحبه، وبغير صفته، سائلاً منه تعالى التوفيق، وقد ابتدأتُ من أعلى دجلة، أعنــي من الأعظمية، التي كانت محلة من محلات جانب الرصافة لوقوعها فــوق محلة الرصافة، لا يفصل بينهما فاصل، منحدراً حتى الباب الشرقي، [وهو] باب البَصَلية أو باب كُلواذى. كما أني ابتدأتُ من جانب الكرخ، أعني الجانب الغربي من الكاظمية-مقبرة قريش إحدى مقابر دار السلام- منحدراً حتــى الكريمات-أي محلة النجمي[2]- راجياً من المُطَّلِع عليها أن يعفو عن الــزلل، وإذا رأى خطــأ وأراد نقداً فإني من المرحبين به، وأرجو أن يكون نزيهاً مُدَلِّلاً، وبالله التوفيق.

(١) يريد: الحرب العالمية الأولى.

(٢) سيأتي التعريف بهذه المحال في مواضعه من هذا الكتاب.

الفصل الأول

[الجانب الشرقي]

جامع الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله تعالى

هو جامع كبير واسع(١)، مشتمل على مُصلّى رَحِب، ورواقين من الشمال والشرق للمُصلَّى، يحيط بهما صحن من الشمال والشرق، وفي جنوبيه مقبرة اتخذت أخيراً مدرسة ليلية تُدرَّس فيها العلوم العصرية، مسماة بالكلية الأعظمية . وأمام المصلى متصلاً به، قبر الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى، يوصله به باب نافذ من المصلى، واقع على يسار المحراب، وله باب آخر أيضاً من الرواق الشرقي.

وعلى المُصلّى قبة عظيمة قائمة على أعمدة من رخام، [و] زينت تلك القبة بالكتابة البديعة والألواح المعلقة على رؤوس تلك الأعمدة بخط ياوَر

---

(١) ينظر عن هذا الجامع ومدرسته التاريخية الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها ص٢٠-٢٥ ، وعبادة: العقد اللامع ص٢٨-٤٧ ، ومصطفى جواد: أول مدرسة في العراق، مدرسة الإمام أبي حنيفة، مجلة المعلم الجديد، العدد ٦ (بغداد ١٩٤٠) ص٢٣- ٤٤ وهاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم ومساجد الأعظمية، بغداد ص١٩٦٤، ج ١ ص١٩- ٥٦، ووليد الأعظمي: مدرسة الإمام أبي حنيفة، بغداد ١٩٨٥، وكتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص٣٢-٤٣.

أفندي[1] أحد الخطاطين، وقد ورد صحبة الحاج حسن باشا[2]، وكان من مواليه[3].

وفوق المحراب لوحةٌ كُتب عليها (رأسُ الحكمةِ مَخافةُ الله)، أما تلك الألواح ففي أولاها مكتوب (الله جَلَّ جَلاله) بخط بديع نفيس المثيل، وفي الثانية (محمد صلى الله عليه وسلم)، وفي الثالثة (أبو بكر الصديق رضي الله عنه)، وفي الرابعة (عمر بن الخطاب رضي الله عنه)، وفي الخامسة (عثمان بن عفان رضي الله عنه)، وفي السادسة (علي بن ابي طالب رضي الله عنه)، وهي بخط الخطاط الشهير علي ياوَر أفندي الذي وَرَد صحبة والى بغداد حسن باشا سنة [4] ١٣٠٨[5].

وأرض مشهد الإمام منخفضة عن أرض المُصلَّى قدر السُّرَّة[6]، أي قدر متر، وهو أكبر من الذراع بربع ذراع. وفي وسط الحجرة المرقد، وعليه صندوق خشب يحيط به شباك من الفضة، وعلى الصندوق ستار نُقشت فيه بعض الآيات الكريمة، وفوقه قناديل ذهبية وفضية معلقة، وفي زوايا الحجرة شمعدانات من الفضة كانت والدة السلطان المرحوم عبد المجيد خان أهدت

---

(١) هو الخطاط عثمان ياور، وكان حسن باشا قد استقدمه من استانبول ليزين بخطه الجميل ما تجدد من جوامع بغداد في زمن ولايته.

(٢) هو الحاج حسن رفيق باشا، والي بغداد من ١٣٠٩ إلى ١٣١٤هـ/١٨٩١- ١٨٩٦م.

(٣) يريد: من مماليكه كما سيأتي ذلك في موضع قادم من هذا الكتاب.

(٤) سبق أن ذكر هذه العبارة.

(٥) إن تاريخ مجيء حسن باشا هو سنة ١٣٠٩ على ما تقدم.

(٦) هذا ما كان عليه في عهد المؤلف، وقد سويت بمستوى سائر الجامع فيما بعد.

اثنتـــين مـــنهما للحـــضرة المذكـــورة، واثنين أهدتهما إلى حضرة معروف الكرخي[١] فسرقتا من هناك، فلما استرجعتهما الحكومة العثمانية من السُّرَّاق وضـــعتهما دائـــرة الأوقـــاف هنا أيضاً، فصارت أربعة، فهي موضوعة في حجرة الإمام عليه الرحمة، وظاهر القبة التي على الضريح معقودة بالكاشاني الملون البديع.

وهذه المحلة التي فيها القبر كانت في الدور العباسي محلة تعرف بمحلة أبـــي حنـــيفة، مُسَوَّرة بسور محكم، مشتملة على حمامات وقصور ومساجد أيـــضاً، وكـــان القبر وما يحيط به مقبرة تعرف بمقبرة الخيزران، نسبة إلى الخيـــزران أم هارون الرشيد، لدفنها فيها، و[في] هذه المقبرة مراقد كثير من أكابـــر العلمـــاء العاملين والعباد الصالحين. وأول من دفن فيها البانوقة بنت المهدي[٢]، وقد دفن فيها الحسن بن زيد، ومحمد بن اسحاق بن يسار صاحب الـــسيرة، وهشام بن عُروة بن الزبير، ولما توفي الإمام أبو حنيفة سنة ١٥٠ دفن فيها، رحمة الله عليهم أجمعين[٣].

---

(١) سيفرد المؤلف له مبحثاً فيما يأتي.

(٢) ينظر الطبري: تاريخ ج١٠ ص٢١ وابن قتيبة: المعارف ص١٦٦.

(٣) كانت مقبرة الخيزران، في أصلها مقبرة قديمة، قيل أنها كانت للمجوس، والغالب أنها كانـــت ترقى إلى العصر الفرثي، مثلها في ذلك مثل مقابر قريش المجاورة، فقد عثر العمال في أثناء توسيع جامع الإمام الأعظم سنة ١٩٧٢م، وعند حفر السرداب العميق تحـــت بـــناية المـــصلى الجديـــد، على قبور مصنوعة على الطريقة المتبعة في ذلك العصر، ويظهر أن تجمعاً بشرياً كان في هذه الناحية استدعى ظهور هذه المقبرة في تلـــك العهود، إلاّ أننا لا المعلومات التاريخية والأثرية عن وجود مثل تلك التجمعات=

ولم يزل القبر كسائر قبور المسلمين[1]، حتى ورد مُستَوفِي مملكة السلطان ملكشاه السلجوقي المعروف بشرف الملك أبو سعد محمد بن منصور

=غير كافية، وعلى اية حال، فإن وجود المقبرة في منتصف القرن الثاني للهجرة، يدل على عدم انقطاع الدفن فيها، ومن الراجح أن المقبرة تحولت في السنين التي أعقبت الفتح الإسلامي، وحتى تأسيس مدينة السلام في منتصف القرن الثاني للهجرة، إلى مقبرة إسلامية خالصة، حتى إذا ما استقر العمران في الرصافة القريبة (الأعظمية حالياً وليست الجانب الشرقي كما عم الاسم في القرون الأخيرة) أصبحت مدفناً لأعلام المسلمين، ممن ذكرهم المؤلف هنا، وغيرهم، ولم تكن تعرف في العهد المبكر من تلك المرحلة من تاريخها إلاّ بمقبرة الجانب الشرقي، وأبرز من دفن فيها الإمام أبي حنيفة النعمان سنة ١٥٠هـ، وإن لم يكن أولهم، فقد سبقه هشام بن عروة بن الزبير سنة ١٤٦هـ، ثم سرعان ما سميت مقبرة الخيزران، نسبة إلى الخيزران أم الخليفة هارون الرشيد، المتوفاة سنة ١٧٣هـ كما سميت المقبرة الخيزرانية، وتسارع الناس لدفن موتاهم حول قبر الإمام أبي حنيفة، حتى صار هذا القبر مركزاً رئيساً في المقبرة، وفي القرن الخامس غلب اسم مقبرة الإمام أبي حنيفة على أسمائها السابقة، وفي القرون التالية صارت تعرف بمقبرة الإمام الأعظم مطلقاً، ثم عرفت في العصر الحديث بالمقبرة الأعظمية. وكانت لهذه المقبرة امتدادات واسعة حولها، إلاّ أن اضطرار الناس للتجمع حول مركزها، وهو قبر أبي حنيفة ومشهده، أدى إلى إنشاء المساكن والدروب على أجزاء منها، فتقلصت مساحتها، مع استمرار الدفن فيها، حتى اكتضت بالقبور. وقد أفرد الخطاط وليد الأعظمي كتاباً في تاريخ هذه المقبرة ومن ضمتهم من الأعلام بعنوان (أعيان الزمان وجيران النعمان في مقبرة الخيزران)، بغداد ٢٠٠١م.

(١) كان أول أساس لمسجد عند قبر الإمام أبي حنيفة ثد وضع بالكلس والنورة وما أشبه، ثم جمع سنة ٤٣٦هـ أيام البويهيين، وأقيم على الضريح سقف ومسجد بنفقة بعض=

الخوارزمي سنة ٤٥٩، المتوفى سنة ٤٦٤، بغداد اثر تركه الاستيفاء المذكور، بعـد أن بذل لأجل التَرك مائة ألف دينار؛ فلما وردها بنى على القبر مشهداً، وبنـى عـدة مـدارس للحنفـية[١] وافتتحها باحتفال عظيم حضره الأشراف والأعيان، فقد رُوي أنه لما فرغ من عمارة المدرسة[٢]، ركب شرف الملك في جماعـة من الأعيان لمشاهدتها، فلما حضروا دخل عليهم مسعود المعروف بالبياضي[٣] الشاعر فأنشده:

ألم تَـرَ أن العلـم كـان مـشتتاً فجمعه هـذا المُغَيَّبُ في اللَّحـدِ

كـذلك كانـت هـذه الأرض ميـتةً فأنـشرها فعـل العمـيد أبـي سـعد

=أمراء التركمان، وقد شاهد المقدسي قبره هذا في سنة ٣٧٥هـ وجاء فيه أنه كان فيه صُـفَّة (رواق) أضافه إليه أحد علماء عصره وهو أبو جعفر الزمام، وقد سبق ذلك كله مـا قام به أبو سعد العميد الخوارزمي على ما سيذكر المؤلف. المقدسي: أحسن التقاسيم فـي معـرفة الأقاليم ص١٣٠ والتقي الفاسي: منتخب المختار ص٥٠ وابن الجوزي: المنتظم ج٨ ص٢٤٧.

(١) قـال ابـن خلكان في ترجمة مستوفي الدولة" ولهذا أبي سعد مدرسة بمدينة مرو وله عدة ربط وخانات في المفاوز، وكان كثير الخير وعمل المعروف" وفيات الأعيان .

(٢) كان الابتداء في تأسيس هذه المدرسة والمشهد في ١٨ صفر سنة ٤٥٩، وافتتاحها في ٢٧ جمادى الآخر في السنة نفسها، أي بعد أربعة شهور ونصف تقريباً.

(٣) هـو مـسعود بـن عبد العزيز بن المحسن بن الحسن، الشريف أبو جعفر البياضي الـشاعر. مـن الـشعراء المجيدين، توفي ببغداد سنة ٤٦٨هـ ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٥ ص١٩٧.

فأجـــازه جائزة سَنية، وقد كتب البيتان المذكوران على القبة حسبما يقول ابن الأثير في العاشر من كامله[١]، وقد اتخذت هذه المدرسة جامعاً بعد وفاة أبي سعد المشار إليه[٢]. ولا تزال جامعاً حتى الآن. ولم يزل القبر موضع حُرمة وتَعَهُّــد السلاطين والأمراء الأتراك في العِمارة والجِرايات[٣]. وإن المرحوم الـــسلطان مراد خان الرابع العثماني حينما ورد بغداد لطرد الفرس المتغلبين عليها، وذلك سنة ١٠٤٧[٤]، فنصره الله عليهم وطردهم، رأى منهم قد أعملوا في الجامع والحضرة معاول التخريب والتدمير، فشمَّر عن ساعد همته، وجدد مبانـــي الجامع والمشهد، وأصلح كل ما كان من خلل، وشيد أيضاً المدرسة الواقعة شمالي المُصلَّى، ومحلاً لإقامة الغرباء والمترددين في شرقي المُصلَّى وأذن بإقامة الجمعة والأعياد في الجامع، وداوم على الصلاة في الجامع عدة أوقات تبركاً، وقرأ الحاضرون في يوم الافتتاح عدة ختمات أُهدي ثوابها إلى الإمام عليه الرحمة، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً. ثم أنه -رحمه الله تعالى-

---

(١) ج ١٠ ص١٢١.

(٢) ظلــت المدرسة محتفظة بوظيفتها، وفية لرسالتها، حتى ما بعد العصر العباسي، ولم تنقطع فيها التدريسات قط خلال تلك المدة، ويظهر أنه كان في (مشهد الإمام) مصلى، أو مـــسجد، حـــيث وردت إشارات عدة إلى أن زوار هذا المشهد كانوا يصلون فيه، ولـــيس من الواضح طبيعة ذلك المسجد، إلاّ أن إشارة ابن بطوطة سنة ٧٢٧هـــ تفيد بوجود " قبة عظيمة" على القبر، إلاّ أنها تسكت عما إذا كانت ثمة قبة أخرى على ذلك المسجد،

(٣) جمع جراية، وهي ما يجري على المدرسين والطلبة وغيرهم من رواتب.

(٤) دخل السلطان مراد بغداد سنة ١٠٤٨هــ/١٦٣٨م.

وقـف علـى المـسجد أوقافـا عظـيمة، وجعل للأئمة والمدرسين وظائف ومُشاهَرات[1]، وأجرى على الخدم والفراشين والطلبة والمجاورين والمؤذنين والقائمـين بشؤون المسجد الجِرايات. ولم يزل الأمر على ذلك إلى أن ذهبت الحكـومة العثمانـية، ووليتها الحكومة الحاضرة، فتسلمت هذه الحكومة هذه الجهـة أيـضاً، وجعلت تقوم فيها أحسن قيام، بل بأوسع مما كان سابقاً، فقد جَعَلـتْ تَصرف على المدرسة التي كان الطالب يتقاضى فيها أربعين قرشاً صحيحاً في الشهر، أوخمس رُبِّيات بحساب الوقت الحاضر[2] [أي] ما يقارب مائـة ألف رُبِّية في السنة[3]، وهذا ما يعادل ثلاثة أرباع مليون قرش، بينما كان الطلبة أيام الحكومة العثمانية خمسين طالباً، يتقاضون مائة مجيدي[4]، أو مائتين وخمسين رُبِّية في الشهر، التي تعمل في السنة ثلاثة آلاف رُبِّية.

ونـرجع إلى بحثنا فنقول: إن المدرسة والجامع ما زالا على حالهما منذ جـددهما السلطان مراد خان[5] حتى سنة ١٢١٧، أيام المرحوم سليمان باشا

---

(١) جمع مشاهرة، وهي الراتب الشهري.

(٢) عملة هندية عُوِملت، عند إنشاء النقد الوطني العراقي، بخمسة وسبعين فلساً.

(٣) كـذا فـي الأصل، فإذا كان يقصد أن يكون راتب الطالب خمسة ربيات شهرياً فإن مجمـوع مـا يتقاضـاه سنوياً هو (٥×١٢= ٦٠) ربية، وهذا العدد لا يستقيم مع ما سيذكره المؤلف فيما يلي.

(٤) كان المجيدي يعادل ٢٠ قرشاً صحيحاً. عباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، بغداد ١٩٥٨، ص١٦٣.

(٥) أجريت عدة تعميرات وترميمات على هذه المدرسة والجامع بين عهد السلطان مراد وتعميرسليمان باشا المذكور، منها ما قام به محمد بك الدفتري، أخو والي بغداد قره=

بانـــي المدرســـة الـــسليمانية[1]، فإنه في أيامه حصل في الجامع بعض خلل تداركه أو أصلحه، وزَيَّن المئذنة بالكاشاني، وحلَّى رأسها بالذهب، ولا تزال على حالها حتى الآن[2]. ثم لما حلت سنة ١٢٥٥ أمر المرحوم السلطان عبد المجـيد خان بن السلطان محمود خان[3] بإصلاح ما يلزم إصلاحه في القبة والـضريح والجامـع، وأن يزين المرقد والمشهد. وأرسل قطعة من الستار

=مـصطفى باشا، حيث عمر الجامع ووسعه، وأصلح الطاق الكائن في الجامع، وما اضـطلع به الوزير حسين باشا السلاحدار سنة ١٠٨٥هـ/ وقد شملت أعماله ترميم بعض الدور المتهدمة حوالي المشهد، وإنشاء بعض الحدائق، وإحاطة البلدة بسد قوى لحفظهـا مـن خطر الفيضان، وتعمير الوزير عمر باشا سنة ١٠٨٩هـ، وقد شمل ترميم المرقد والقبة والساحة والحديقة. ينظر مرتضى آل نظمي: كلشن خلفا، ترجمة موسـى كـاظم نورس، النجف ١٩٧١، ص٢٧٣ و٢٧٨ و٢٨٣، ومنها تعمير والي بغـداد سليمان باشا أبو ليلة، فقد عمر القبة فوق الضريح، وكساها بالكاشي المورد، وأحاطها بسطر من خط الثلث، يتضمن آية الكرسي، وتاريخ التعمير وهو سنة ١١٧١ هــ/١٧٥٧م، وقد رفع هذا السطر سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. وليد الأعظمي: تاريخ الأعظمية، بيروت ١٩٩٩، ص١١٦.

(١) هو والي بغداد سليمان باشا الكبير، وستأتي ترجمته عند الكلام على مدرسته هذه.

(٢) ذكر رسول حاوي الكركوكلي أنه أصلح جامع الإمام الأعظم، وطلى منارته بالذهب مـن أعلاهـا" (دوحة الوزراء في وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بغـداد ١٩٦١، ص٢١٩). وقـال عـثمان بـن سند أنه "زوق منارة جامع الإمام الأعظم"(مطالع السعود، بتحقيقنا، بغداد ١٩٩٠، ص٢٤٤).

(٣) ذكر عبد الحميد عبادة أن الذي أرسل ستاراً للمرقد هو السلطان محمود خان (١٢٢٣ – ١٢٥٥هـ/١٨٠٨– ١٨٣٩م) لا ابنه عبد المجيد.

النـــبوي – علـــى صـــاحبه أفضل الصلاة وأكمل السلام– ليُسَجَّى به القبر، فاستقبل الستر استقبالا باهراً، وأُنشدت في ذلك القصائد، منها قصيرة أنشدها عبد الباقي أفندي العمري، وهي موجودة في ديوانه مستهلها[١]:

يا مَن علا في الاجتهادِ مَنارُه وبدرُ مذهَبِهِ غلا مِقدارُه[٢]

ثـــم لمـــا حلَّـــت ســـنة ١٢٨٨ تداعت أركان الجامع فأصبح محكوم الاندثار، فأمرت والدة السلطان عبد العزيز خان بن السلطان محمود خان[٣] بـــتجديده وتوســيعه، فهُــدمت الأبنـــية عموماً ما خلا القبة التي على القبر والمئذنة، وبُني على أحسن طرز وألطف وضع وأتقنه، وعُقدِت قبة المُصلَّى على أعمدة رخامية، وأُحيط المُصلَّى من الشمال والشرق برواق واسع، في وســـطه ســـواري من الرخام، عقدت عليها قبابه، ووُسِّع فناء الجامع توسعة جعلـــته كأنه محاط بفضاء، وبُنيت مدرسة في شمالي المُصلَّى ذات طبقتين، رتـــب فـــيها مدرسان لتدريس العلوم النقلية والعقلية. وبُنيت أيضاً حجرة في جنوبي المُصلَّى لطلبة العلوم والفقراء، وأُجريت للجميع جرايات، وخصص مبلغ لإطعام الطعام، وكانت تمام ذلك سنة ١٢٩٣[٤]، أي أيام جلوس السلطان

---

(١) ديوان الأخرس ص٢١٣.

(٢) في العقد اللامع: غلام فداره، وهو من الغلط الطباعي.

(٣) فـــي العقد اللامع ص٣٣ أن الذي أمر بتجديد الجامع هو السلطان عبد العزيز نفسه، وقد تولى السلطنة من ١٢٧٧ إلى ١٢٩٣هـ/١٨٦١– ١٨٧٦م. وقصيدة عبد الغفار الأخرس التي قالها في افتتاحه تشير إلى والدة السلطان كما سيأتي.

(٤) ويوفق أولها ٢٨ كانون الثاني سنة ١٨٧٦م.

عبد الحميد خان رحمه الله تعالى. ولما تم هذا أُجري افتتاح له حافل، أُنشدت فيه القصائد، منها ما قاله عبد الغفار الأخرس الشاعر المشهور، وهي:

لله والدة المليكِ ومابَنَتْ — من جامعٍ رحبِ الفناء مُتمّمِ[1]
إذ غَيَّرته وقَدَّرته بحكمةٍ — وكذا يُراد من البناء المُحكمِ
أخذت بتوسعة له وأعانها — نظر الرديف وخِدمة المُستخدم
قد عَمَّرته وشيَّدته وجدَّدتْ — تاريخ مسجد للإمام الأعظم[2]

وقد كتبت على الباب الشمالي أبيات نظمها طه أفندي الشوّاف[3]، وهي:

ذا مـــسجدٌ قـــد أشـــرقت — أنـــوار بهجـــته اللطـــيفة
بجـــوار مـــرقد مـــن تَـــســ — ـنَّم غُـرفة[4] الـشَّرَف المُنـيفة
عَلَـم الهُـدى الـنعمان مَـن — كـان التقـى أبـداً حلـيفه
لـــو رامَ تالِـــدَ فـــضله الـــ — ـعلمـــاءُ طُـــرّاً أو طـــريفة
وتأنّقـــوا في الجـــد واجـــ — تهـدوا لمـا بلغـوا نـصيفه

---

(١) في العقد اللامع: منمنم، وهو من الغلط الطباعي.

(٢) حساب الشطر: ١٢٨٨

(٣) هـو طـه بـن عبد الرزاق الشواف، عالم بغدادي، ولد سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م، واشـتغل بالتدريس، وتعين مفتياً للبصرة، وتوفي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ، وله شعر ونثـر. الآلوسـي: المسك الأنفر ص٢٣٢ والدروبي: البغداديون ص٣٨ والعزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٨ ص٢٠٦.

(٤) في العقد اللامع: ذروة.

قــــد شَـــيَّدَتْ بُنـــيانه ... لله والـــــدةُ الخلــــيفة

سُــلطانُ أهــل الأرض حــا ... مــي حــوزة الـدين الرصــيفة

ملـــــكٌ يبــيت عــــدوه ... وَجــلاً ويــصبح مــنه خــيفة

غَمَـــرَ الـــرَّعية كلــنها ... بــنوال رحمــته الــشريفة

لُطفـــاً وأمَّـــر بالعـــرا ... قِ علـــى رعيــته رديفــه[1]

لمـــا رأى أعـــناقه في ... نُـــصحه ورأى وجـــيفه

ورأى مخايـــل هِمَّـــةٍ ... ليـــست بوانـــيةٍ ضـــعيفة

فــشفى العـــراق بعدلـــه ... وبـــيمن وطأتـــه الخفـــيفة

فــبهمةٍ مـــنه بَـــنَتْ ... تلــك المطهــرة العفــيفة

تــرجو رضــا ملــك الملــو ... ك غـدا لـدى نـشر الـصحيفة

ذا المـــسجد الزاكـــي ومــذ ... أبــصرت صــنعته الظــريفة

أرَّخـــته: قـــد شـــيَّدت ... أركانــه لأبــي حنــيفة[2]

وكـــان تمـــام التعمير أيام ولاية الوالي رديفه باشا وهو المشار إليه في هذه القصيدة.

---

(١) إشارة إلى والي بغداد رديف باشا (١٢٩٠- ١٢٩٢هـ/١٨٧٢- ١٨٧٣م)

(٢) مجموع حساب الشطر ١٢٩١، ولعله تاريخ انتهاء البناء. تاريخ الأعظمية ص١١٧.

ثم في سنة ١٣١٩[١] هجرية حصل للسِجاف[٢] الخشبي المحيط بجدار الـــرواق خلـــل وتَشَعُّث بسبب الأمطار وحر الشمس، وبواسطة ذلك أصاب جدار الرواق بعض الخلل، فأجرت دائرة الأوقاف تجديد ذلك، وكتبت سورة الفتح على الجدار، وختمت ذلك بقولها:

(تجدد إنشاؤها في زمن خلافة أمير المؤمنين، وحامي الـــدين المُبـــين، كثير الخيرات والمبرَّات، السلطان بن الـــسلطان، والخاقان بن الخاقان، السلطان عبد الحميد الثانـــي، أدامـــه الله تعالى مدى الأوان، وكان ذلك في الألـــف وثلـــثمائة وإحدى وعشرون (كذا) من الهجرة النبوية).

ثـــم بعد حلول زمن الاتحاديين، ومجيء الفريق ناظم باشا[٣]، قامت فكـــرة تشييد مدرسة تُضاهي جامع الأزهر الموجود في مصر، وقرر إذ ذاك المُـــنورون أن يكـــون إنشاؤها في جامع أبي حنيفة، أي اعتبار مدرسة أبي حنيفة هي المدرسة المطلوب إصلاحها وإفراغها في هذا القالب، لأنها مدرسة المذهب المُقَلَّد من أكثر المسلمين، ولأنه مذهب الخليفة والسلاطين، وكان إذ ذاك مجلـــة (تنويـــر أفكار) تنشر، بتحرير جماعة من طلبة العلوم، ورئيس

---

(١) ويوافق أولها ٢٠ نيسان ١٩٠١م.

(٢) السجاف: ما يركب على حواشي الثوب، أو هو الستر والحجاب مطلقاً.

(٣) والي بغداد من ١٣٢٨ إلى ١٣٢٩هـ/١٩١٠- ١٩١١م.

تحريـرها نعمــان أفــندي الأعظمــي[1] الذي كان إذ ذاك المعلم الثالث في المدرسة الرشدية في جانب الكرخ، فقدموا طلباً بذلك إلى الفريق ناظم باشا، فأيــد الباشا المشار إليه هذا الطلب، وكتب إلى نظارة الأوقاف مُلحقاً به، ثم نــشر في المجلة المذكورة كتاباً على لسان أبي حنيفة مُوجَّهاً إلى نواب الأمة فــي مجلس الأمة المجتمع في الآستانة، ولا سيما العراقيين، يطلب فيه منهم إصــلاح مدرسته؛ فرفع مندوبو العراق ذلك الكتاب إلى السلطان محمد رشاد خــان[2]، وقرأه على مسامعه مصطفى أفندي الواعظ[3] أحد مندوبي العراق، فبكــى -رحمــه الله- وأصدر إرادته بتخصيص ما يقتضي للمدرسة، فبُني الطابــق العلوي فــوق الحجر الواقعــة جنــوبي المُصلَّى عنــد المقبــرة، والتـــي كانت مُعــدّة للطلبة والفقــراء، وذلك أيــام ولايــة جمال باشا[4]

---

(١) هــو نعمــان بن أحمد بن إسماعيل العبيدي الأعظمي، ولد في الأعظمية سنة ١٢٩٣ هـ/١٨٧٤م ونشأ بها، واشتغل بالتدريس، وأصبح من علماء عصره، وأصدر مجلة (تنوير الأفكار) له مؤلفات عديدة، وتوفي سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م.

(٢) تولى السلطنة من ١٣٢٧ إلى ١٣٣٦هـ/١٩٠٩ - ١٩١٧م.

(٣) هــو السيد مصطفى بن محمد أمين الأدهمي الواعظ، ولد سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٨م ، ونــبه في العلوم، فألف عدداً من الرسائل، وتولى وكالات بعض القائمقامين والقضاة، وبعــد اعلان المشروطية انتخب مندوباً عن ولاية بغداد سنة ١٣٢٧هـ/، فذهب إلى اســتانبول ليمكث فيها مدة أربع سنين، وبعد عقدته إلى بغداد توفي سنة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م. وقــد تــرجم لـــه المؤلف في تاريخ الأسر العلمية ص٢٧٨- ٢٧٩ وينظر الــواعظ: الروض الأزهر ص١٥٨ والسهروردي: لب الألباب ج٢ ص٢٣٣- ٢٣٩ وكتابنا: التاريخ والمؤرخون في العصر العثماني ص٢٦٠.

(٤) والي بغداد من ١٣٢٩ إلى ١٣٣٠هـ/ ١٩١١- ١٩١٢م.

سنة ١٣٢٩ [١]، وبلغ عدد الطلبة الذين كانوا إلى مائة طالب، وفتحت المدرسة[٢]، وخصص للطلبة حتى زوال الحكومة العثمانية راتب لكل طالب مجيدي، أي خمس ربيات في الشهر، فلما حلت الحكومة الأخيرة جعلت الطلبة قسمان ليلي ونهاري، وجُعل للطالب الليلى طعام وراتب حسب صنِّفه من خمسة رُبِّيات إلى ستة عشرة ربية، وللنهاري كذلك، من ست عشرة ربية إلى ست وثلاثين، لكونه ليس له طعام. ولا يزال الشيخ نوري أفندي[٣]،

---

(١) ويوافق أولها ٢ كانون الثاني ١٩١١م.

(٢) سميت (الكلية الأعظمية)، وجرى افتتاحها في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣٢٩هـ/١٦ أيار ١٩١١م، وكان والي بغداد وكالة آنذاك يوسف باشا آكاه (تولاها في تلك السنة)، وأعيد افتتاحها في عهد الوالي التالي جمال باشا في أول سنة ١٣٣٠هـ/١٩١٢م، بمناسبة توسعتها بإضافة طابق ثان إليها، وتأثيثها. ثم أنها سميت بكلية الإمام الأعظم، ولم يكن مفهوم (كلية) الحديث منطبقاً عليها لأنها كان أقرب في طريقة تدريسها إلى المدارس الإسلامية القديمة، باستثناء إضافة بعض المواد العلمية، الحساب والهندسة، ولقد تعطل التدريس فيها في أثناء الحرب العالمية الأولى بسبب اتخاذ مبناها مقراً لمستشفى عسكري، وأعيد افتتاحها مرة أخرى في ١٧ آذار سنة ١٩١٧، أي بعد شهر واحد من دخول البريطانيين بغداد، هاشم الأعظمي: تاريخ جامع الإمام الأعظم ج١ ص١٣٦.

(٣) هو نوري الشيرواني، ولد في شيروان من أعمال إربل، وأخذ العلم على علماء مدينته، ثم جاء إلى بغداد فعين مديراً للمدرسة الحميدية، فمديراً لدار المعلمين، ثم مديراً لكلية الإمام الأعظم سنة ١٩٢٠، فلبث غيها حتى نقله مدرسة الرحمانية الرحمانية التابعة لمديرية الأوقاف في البصرة، وتوفي سنة ١٣٦١هـ/١٩٤٢م، وله مؤلفات عدة.

ونعمـــان أفندي الأعظمي أحد مدرسيها، يواصلان السعي لاعتبارها بمنزلة الـــثانوية، وقـــد شـــاهدتهما عند مدير المعارف العام ساطع بك الحصري[1] يطلـــبان منه أن تعترف المعارف بكونها بمنزلة الثانوية، وهم يُطبّقون منهج الدراســـة الثانوية، فأجابهم بأنه يرى أن تبقى مدرسة دينية، يُدرس فيها الدين واللغة العربية بصورة مفيدة، وإن المعارف محتاجة إلى مدرسين في العربية والدين، وبالأخير أفهمهم أن من يُعطى امتحان الدراسة الثانوية في الامتحان العـــام للمدارس الثانوية، يُعطى شهادة ثانوية. وقد سألني بعد خروجهما عن رأيـــي فـــيما يطلبان، مع أنه لا يوجد عندهما من يستطيع التدريس الثانوي، فأجبـــته: إن الـــذي يتـــراءى لـــي أنهما يسعيان بهذا ليقولا لدائرة الأوقاف خصِّـــصي للمدير مخصصات مدير المدرسة الثانوية، وللمعلمين كذلك، فهو ســـعي وراء المنفعة الشخصية. وبالأخير فقد تحققت كِهانتي، فإنهما بعد أن أخذا من المعارف تصريحاً بما ذكرته طلب الشيخ نوري زيادة الراتب، ولم يـــرض بـــأن يكون راتبه ثلثمائة وخمسين رُبِّية، وبالأخير استقال، وتقلّدها

---

(١) تـــربوي ومـــؤرخ، ولد في اليمن من أصل سوري، وشغل عدة وظائف في الإدارة العثمانـــية، ثم التحق بحكومة الأمير فيصل بدمشق، ورافق الملك فيصل إلى العراق، حيث أشرف على تنظيم التعليم هناك، أُبعد عن العراق بعد فشل ثورة ١٩٤١، وأسس معهد الدراسات العربية في القاهرة، ووضع عدداً من الدراسات القومية حول القومية العربية والوحدة العربية، توفي ببغداد سنة ١٩٧٠م.

نعمـــان الأعظمـــي، ثم جعل يزيد في الراتب شيئاً فشيئاً، ولكن المدرسة لم تستفد من هذه العملية سوى الاسم[١]، فإنّا لله[٢].

والمحلـــة التـــي كانـــت تُدعى بمحلة أبي حنيفة سابقاً، والتي كانت محدودة بمحلة الرصافة من الجنوب، وبمحلة الخُضَريين من الشمال، وبمحلة

---

(١) لم يقتصر الأمر على التسمية فحسب، وإنما اشترطت وزارة المعارف (وزارة التربية فـــيما بعـــد) جملة من التعديلات التي تخص مناهج الدروس وعدد ساعات التدريس وغيـــر ذلك، ولما جرى الأخذ بذلك، جعلت شهادتها معادلة لشهادة الدراسة الثانوية، وأبـــدل اســـمها إلى (دار العلوم)، وكان ذلك في سنة ١٣٥٢هـ/ ١٩٣٣م. وفي سنة ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، رفع مستوى هذه المدرسة لتكون كلية، بالمعنى الحديث، وسميت بكلـــية الـــشريعة، وكان أول عميد لها الحاج حمدي الأعظمي، لكن الكلية ألغيت سنة ١٩٦٠م، وألحقـــت بقسم الدين في كلية الآداب بجامعة بغداد، ثم أعيد استقلالها، باسم كلية الإمام الأعظم سنة ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م، وفي سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، أعيد لها اسم (كلية الشريعة).

(٢) شـــهد الجامع ومدرسته في العهود التالية، بعد عهد المؤلف، تعميرات عدة، منها سنة ١٣٥٨هـــ/١٩٣٩، إذ رفع البابان الشمالي والشرقي، ورفع السور المحيط بالجامع مـــن هاتين الجهتين، وأنشيء بابان جديدان مكانهما، وجدد بناء السور، وسنة ١٣٦٥ هـ/١٩٤٩م، وفيها جرى إنشاء الطارمة التي حول الرواق المعقود، وفي سنة ١٣٧٩ هـــ/١٩٦٠م، جـــرى تعمير واسع للجامع، وزين داخله بالزخرفة الأندلسية على يد عمـــال فنيـــين مغاربة، وفي سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م، جرت توسعته الكبرى، حيث ضوعفت مساحة بنائه، وأنشئ له سرداب كبير، وملحقات عدة. تاريخ الأعظمية ص ١١٩- ١٢٠.

دار الــروم من الشرق، هي اليوم ناحية، أو بُلَيدة، تسمى الأعظمية[1]، أهلها سُنّة على مذهب أبي حنيفة، وأغلب ساكنيها من عشيرة العبيد، ويقولون عن أنفــسهم أن السلطان مراد جاء بهم وأسكنهم هنا ليكونوا حُماة قبر أبي حنيفة مــن تعــدّي الفرس، وهو قول غير منطقي لأن الفرس لا يمكنهم أن يدخلوا ويــتعدوا على القبر إلاّ إذا استولوا على بغداد، ومن يستولي على بغداد قهراً وحــرباً لا يمكــن لأفــراد قلائل منعه مما يريد إجراءه في قبر أبي حنيفة وغيره.

وفي هذه الناحية مساجد، فيها مسجد يدعي أهل الأعظمية أنه مسجد الشِّبلي، وفيه قبر يزعمون أنه قبر الشبلي[2]، مع أن الشِّبلي رحمه الله تعالى مدفون في مقبرة باب حرب[3]، وهذه المقبرة هي في الجانب الغربي، شرقي

---

(١) الأعظمــية اسم حديث، يرقى إلى القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م)، اشتق من لقب عرف به الإمام أبي حنيفة النعمان، وكانت تعرف قبل ذلك بالمعظم، نسبة إلى الإمام المذكــور أيــضاً، وهــو أول اســم عرفت به في العصر الحديث. كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد، بغداد ٢٠٠٤، ص٧١.

(٢) له مسجد وصفه عبادة بأنه قريب من جامع الإمام الأعظم، فيه تصلى بعض الأوقات، وفيه إمام خصص له راتب من دائرة الأوقاف، وأن خراباً أصاب هذا المسجد فعمّره الميــرآلاي شريف بك وبنى على قبر الشبلي قبة عقدت بالحجارة والجص، وحررت كتابة على رخامة وضعت على باب المرقد تضمنت عبارة تذكارية بالتركية، وتاريخ التعمير سنة ١٣١٩هـــ. العقد اللامع ص٥٠.

(٣) في مصادر ترجمته أنه دفن في مقبرة الخيزران، وهي مقبرة الأعظمية الحالية. ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢ ص٢٧٦.

مقابـــر قـــريش، أعني الكاظمية، وأعلى محلة الحربية التى هي خارج مدينة المنصور، كما يعرفها معجم البلدان[١] وغيره.

وهـــناك قبر أحمد بن حنبل وبِشر الحافي رحمهما الله. ولكن الجَهَلَة يتوهمون- كما زعمه أمثالهم- أن بِشر في الأعظمية أيضاً، ويَدَّعون أن القبر الـــذي يزعمونه قبره هو قبره حقيقة[٢]، وإن كانوا يقولون بأن قبر أحمد بن حنبل استولى عليه ماء دجلة[٣].

وفـــيها مسجد الحاجة هيْبَتَ خاتون[٤]، وهو واقع أول القرية للداخل إليها من بغداد، على يسار المار، وقد جعلت فيه مدرسة عَيَّنت فيها من أهل

---

(١) معجم البلدان ج٢ ص٢٣٧

(٢) دفن بشر الحافي في مقبرة باب حرب (ياقوت: معجم الأدباء ج٧ ص٦٠)، فليس هذا قبـــره بكل تأكيد. ومن المحتمل أن يكون صاحب القبر هو بشر بن الوليد بن خالد بن الوليد الكندي، تلميذ الإمام أبي يوسف، وقاضي محلة الإمام أبي حنيفة، وكانت وفاته سنة ٢٣٨، أي بعد وفاة بشر الحافي، ولكن سمعة الأخير غلبت عليه فيما بعد لشهرته الواسعة (القرشي: الجواهر المضية في تراجم الحنفية ج٢ ص١٦٦- ١٦٧).

(٣) دفـــن الإمام أحمد بن حنبل في مقابر باب حرب، وبقيتها اليوم مقبرة الهينة في شمال غربـــي قـــصبة الكاظمـــية، أما القبر الذي جرفته دجلة فهو قبر عبد الله بن أحمد بن حنـــبل، وكـــان قد دفن في مقبرة باب التبن شرقي المشهد الكاظمي، على دجلة، وقد جـــرفت دجلة شطراً من هذه المقبرة، فأصبح القبر أقرب إلى الأعظمية منها، ويقدر موقعه عن يسار جسر الأئمة اليوم.

(٤) هي السيدة المحسنة الحاجة هيبت خاتون بنت عبد الرحيم، سكنت الأعظمية بعد سنة ١٨٥٠م، واشـــتهرت بكثرة منشآتها الخيرية، منها مدرستها المعروفة بمدرسة هيبت خاتون، في الأعظمية، وسقاية الماء التي أنشأتها عندها، وخزانة الكتب الحافلة التي=

العمـــائم رجـــلاً يسمى عبد الرحمن أفندي[1]، ويلقبه الناس بحمورابي لكونه أحمر الوجه أحمر اللحية طويلها. وفيها مسجد...[2].

جامع الأزْبَك

هو الجامع الواقع على يمين الداخل إلى بغداد من باب المعظم، وهو متصل بالباب المذكور من الشمال، ومتصل بالقلعة من الجنوب، وعلى يمين الجامع زاوية معدة لغرباء الأزبك[3]، عندها سقاية، بنى كل هذا شيخ الوزراء

=وقفـــتها علـــى مدرســـتها، هـــذا فضلاً عن العقارات الكثيرة التي وقفتها على هذه المنـــشآت، وأعمـــال خيـــر أخـــرى، وتوفيت سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م. ينظر: هاشم الأعظمـــي: تاريخ جامع الإمام الأعظم ج١ ص٦٨، ووليد الأعظمي: أعيان الزمان وجيران النعمان ص١٢٨– ١٢٩، وكتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة ص٣٤٨.

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن نعمة الله الأعظمي، وكان إماماً ومدرساً في المدرسة.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) يـــشغل هذا الجامع الأرض ذات التسلسل٢٥٥، ويرتقي بناؤه، بوصفه زاوية أو تكية، إلـــى أواخر القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م)، إذ أنشأها أمير الأزبك عبد العزيز خـــان (تولى الإمارة من ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م– إلى ١٠٩١هـ/ ١٦٨٠م) بن نادر(أو نذر) بن محمد بن دين محمد، وهو من خانات أستراخان في بخارى، في أثناء وروده بغـــداد في طريقه إلى الحج سنة ١٠٩٢هـ/ ١٦٨١م، عند قبر عمه الأمير إمام قُلي خـــان بـــن دين محمد بن جان، المتوفى ببغداد سنة ١٠٦٠هـ/١٦٥٠م، وقد اتخذها الغرباء القادمون من بلاد الأزبك دار إقامة وعبادة، فعرفت باسمهم، ولا تعرف هوية المكان الذي أنشئت فيه هذه الزاوية، وسبب دفن الأمير المذكور فيه، لا سيما وأنه يقع ملاصقاً لسور بغداد الشمالي، بينه وبين القلعة الداخلية (وزارة الدفاع فيما بعد)، حيث كانـــت تقـــع ربية عسكرية، عرفت باسم طابية ذي الفقار، كما أنه من غير المحدد=

داود باشـــا رحمه الله[١]، لأنه كان قبل هذا بناءً مندثراً، وجامعاً خَرِباً، فجدده وبنى الزاوية، وخصص لها من أوقافه من الجرايات ما يقوم بحاجة الغرباء الفقـــراء، كمـــا خصص للإمام والخطيب رواتب من أوقافه، وبني مدرسة، وعَيَّن فيها مدرساً، وخصص للمدرس أيضاً راتباً[٢]. وبني فوق سطح الجامع مـئذنة صغيرة مطلة على الشارع العام[٣]، إيذاناً بأنه جامع، لأن الداخل إلى

=تاريخ إضافة الجامع إليها، إن كان قد حدث هذا في عهد إنشاء الزاوية، أو بعد ذلك، فقـد غيـر تعميـر داود باشـا معالم تلك العمارة القديمة، فجعلت التكية تحتل القسم الـشمالي، الملاصق لسور بغداد، بينما يشغل مصلى الجامع قسمها الجنوبي، القريب من باب وزارة الدفاع اليوم. ينظر: عباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٥ ص٢٥ وعـبد الحمـيد عـبادة: العقـد اللامع ص١١٤- ١١١٦، ومحمود شكري الآلوســي: مـساجد بغـداد وآثارهـا ص٢٧-٢٨، وكتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة، ص١٠٨-١٠٩.

(١) تولى بغداد والبصرة وشهرزور من سنة ١٢٣٢ إلى سنة ١٢٤٧هـ/١٨١٦- ١٨٣١ م، وسيترجم له المؤلف فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٢) ومن مشاهير مدرسيه الشيخ محمد طه الشيرواني المتوفى سنة ١٣٥٠هـ/ ١٩٢١م. السهروردي: لب الألباب ج٢ ص٢٤١.

(٣) كـان الـداخل إلى الجامع يجد على يسراه مصلى متسع تعلوه قبة كبيرة لا رقبة لها، وتـنفذ باب المصلى إلى ساحة، أو فناء، بينما توجد على يمين الداخل حجرات اتخذ بعـضها زاويـة لفقـراء الأزبـك وغيـرهم، ولها شيخ معلوم، وجرايات من المال مخصصة لإطعام الفقراء، وتعلو هذه الحجرات غرف أعدت للتدريس، فهي المدرسة التي أنشأها داود باشا، ويتلقى العلم فيها خمسة طلاب، وكانت غرف المدرسة بارزة علـى الطريق، تطل عليه، وكان جدار تلك الحجرات، وتمثل جدار الجامع الخارجي أيضاً، خالية من الزخارف، لكنها تتخذ شكل سبعة أواوين، أو أقواس، معقودة، في=

البلد لا يمكنه تمييزه من كونه جامعاً أو داراً، وفيه سقاية مطلة على الشارع العام يشرب منها المارة(١).

=إحداها سقاية داود باشا، مطلة على الطريق، عليها شباك من حديد. أما باب الجامع، فهو على شكل إيوان عال، تعلوه ظلة، وعلى كتفه الأيمن تقع المئذنة، وهي بالغة الصغر، كما رأيتها في حينه، على أنها كانت أنيقة المظهر، لها حوض يستند إلى دلايات، وقبة محززة صفراء اللون، وبدن قد زين بقطع من الحلي البنائية المزججة على الأسلوب الشائع في تزيين المآذن البغدادية في العصر العثماني. وكان في حرم الجامع قبر أحد الصوفية من أتباع الطريقة النقشبندية، يدعى (شيخ برهان أبدين بن مير كلال)، ومن أبرز مدرسي مدرسة جامع الأزبك محمد سعيد المتوفى سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م، وقد دفن في الجامع نفسه، ولبث قبره ظاهراً حتى نقض الجامع وأعادة بنائه كما سيأتي، وآخرهم الشيخ سالم بن مصطفى المتوفى سنة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م، وقد رممت دائرة الأوقاف هذا الجامع سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢١م، وحين أزيلت المباني التي كانت تفصل وزارة الدفاع عن الشارع العام سنة ١٩٦١، واستبدلتها بسياج من حديد، محصور بعمد من الآجر، نقض جامع الأزبك مع ما نقض من مبان، ومنها مقهى تلاصقه من جنوبه ودكاكين ثلاثة، ثم أعيد بناؤه على هيئة جديدة لا صلة لها بطراز الجامع القديم، كما نقضت مئذنته الصغيرة المميزة، وأنشئت له مئذنة عالية على يمين مصلاه، ورفعت على مصلاه قبة جديدة عالية، مزينة بالآجر المزجج، وأزيلت سقايته، وأحيط الجامع بسياج من حديد يفصله عن وزارة الدفاع، وعن الشارع.

(١) كتب على هذه السقاية تاريخها، وهو سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٨م، وقد جددت سنة ١٣٢٢ هـ/١٩٠٤م، وسنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥م. ينظر عبادة: العقد اللامع ص١١٦، وكتابنا: تاريخ مشاريع الشرب القديمة في بغداد، بغداد ٢٠٠٢، ص١١٦.

ولما تم تعميره أرخه التميمي الشاعر الشهور الشيخ صالح[1] بقوله[2]:

وذي قوةٍ لله أسدى صنائعا مطاعاً أتى إذ كان لله طائعا
حمى بيضةَ الإسلام من كلِّ ناكثٍ على ثقةٍ في روضة البغي راتِعا
وشيَّد بيتاً لا تزال ترى به فتىً ساجداً من خشية الله راكِعا
هو البيت لو أن المحصب أو مِنى بجنبه لم تقطع إلى البيت شاسعا
إذا حلَّ جبارٌ قرارة صحنه غدا قلبه من خشية الله خاشعا[3]
إذا جئتَ للزوراء قِفْ عند بابها ترى جامعاً من غفلة الجهل مانعا
لعَمري بداود استقامت قواعدٌ من الدين لم يُبصِر لها الشِّرك دا[فعا]

---

(١) صالح بن درويش بن زيني بن محمد حسين بن زين العابدين التميمي البغدادي (١١٩٠- ١٢٦١هـ/ ١٧٧٦- ١٨٤٥م)، أديب، شاعر، مؤرخ، ولد ببغداد ونشأ فيها، وتنقل بينها وبين الحلة، ومدح عدداً من الأمراء والولاة المعاصرين، كان أبرزهم والي بغداد داود باشا حتى اختص به، فعينه كاتباً للعربية في ديوان إنشائه. عُرف باطلاعه الواسع على اللغة وآدابها، وبوفرة شعره وجودته، فضلاً عن عنايته بالتاريخ والسير والتراجم. وكانت له صلات أدبية بعدد من أدباء عصره ومثقفيه. علي علاء الدين الالوسي: الدر المنتثر ١٢٢-١٥٠ ومحمود شكري الالوسي: المسك الأذفر ٢٤١- ٢٤٦ وحرز الدين: معارف الرجال ٣٧٨/١ والعزاوي: تاريخ الأدب العربي ٢٢١/٢ والخاقاني: شعراء الحلة ٢٥٤/٣ ومقدمة ديوانه (جمعه ولده محمد كاظم، وطبع بتحقيق محمد رضا السيد سلمان وعلي الخاقاني، مطبعة الزهراء في النجف ١٩٤٨).

(٢) ديوان محمد صالح التميمي ص٧٩.

(٣) كذا في الديوان، وفي مساجد بغداد للآلوسي، والذي في العقد اللامع (طائعا).

وحيث الهدى أقصى الفساد مؤرخاً   مليكٌ لذكرِ الله جدَّد جامعا

وهو من الجوامع القائمة بأوقاف المرحوم الباشا المشار إليه، مفروش بأحسن الفرش، يتقاضى موظفوه رواتبهم شهرياً من الأوقاف، وتُصلّى فيه الأوقات الخمسة والجمع والأعياد[1]. وهو مُشاد بموضع رباط شيخ الشيوخ أبي سعد الصوفي النيسابوري[2]، ويسمى أيضاً رباط العميد، لكون أبي نصر عميد العراق تولى بناءه، وقد دفن فيه أبو نصر شيخ الشيوخ المذكور، وهذا

(١) وفي وثيقة تاريخها غرة شعبان سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م أن قاضي بغداد يومئذ عين فيه خطيباً هو عبد الحميد بن عبد الرزاق.

(٢) هو شيخ الشيوخ أبو سعد أحمد بن محمد بن دوست النيسابوري الصوفي المتوفى سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م ولا نعلم وجه هذا الاستدلال، إلاّ أن يكون مبنياً على تصور المؤلف أن دار الخلافة العباسية كانت تشغل أرض القلعة، أي وزارة الدفاع، وهي نظريته التي بنى عليها أكثر استدلالاته الخططية، ونحن لا نتفق وهذه النظرية، لما سنوضحه فيما يلي من هذا الكتاب، فضلاً عن أن أحداً لم يذكر أن رباط شيخ الشيوخ كان يقع بلصق سور بغداد، أو جواره، وإنما هو يقع على شاطئ دجلة، مجاوراً لدرب السلسلة، وهو درب الزنجيل الحالي، من الدروب المتفرعة من سوق الخفافين، المسمى بسوق الهرج أيضاً، قرب المدرسة المستنصرية. ذكر مؤلف كتاب الحوادث في حوادث سنة ٦٤٦هـ أن الماء" خرج من باب الغربة، فرمى ما بين يديه من الحيطان والخانات، وغشي رباط شيخ الشيوخ وما يجاوره، ودخل درب السلسلة.."(كتاب الحوادث بتحقيقنا وبشار عواد معروف، بيروت ١٩٩٧، ص٢٧٦). وكان يقع في نطاق نهر المعلى، وكان هذا النهر يصب في أسفل المستنصرية، فرباط شيخ الشيوخ إذن هناك.

الـــشيخ هو الذي بنى وقوف المدرسة النظامية، وجدد تربة معروف الكرخي عليه الرحمة

جامع المُرادية

هو الجامع الذي بناه والي بغداد مراد باشا عليه الرحمة عند ولايته، وذلك سنة ٩٧٨[١]، وهو واقع على يسار الداخل [إلى] بغداد من باب المعظم، يبعد عن جامع الأزبك قدر مائتي خطوة[٢]. وقيل هو من بناء السلطان مراد علـــيه الرحمة، ولكن تم بناؤه أيام ولاية مراد باشا الوالي المشار إليه[٣]. وقد لعـــبت بـــه أيدي الحوادث فآل إلى الخراب[٤]، فتداركه السلطان عبد الحميد

---

(١) توفي مراد باشا سنة ٩٧٩هـ/١٥٧١م كما في محمد ثريا: سجل عثماني ص ٥٠٠، وأشـــار إلى إنشائه لهذا الجامع مرتضى نظمي زاده في كتابه (كلشن خلفا) ص٢٠٨، تـــرجمة موســـى كـــاظم نورس. وينظر عنه: عبادة: العقد اللامع ص١٢١-١٢٦، والآلوسي: مساجد بغداد ص١١٧.

(٢) يقابل جامع المرادية اليوم البوابة الرئيسة لوزارة الدفاع، وثمة زقاق في يسراه يفصله عن محلة الطوب القديمة، حيث أقيمت على أرضها دار الكتب والوثائق سنة ١٩٧٧.

(٣) لا يـــصح هـــذا، فالوالي مراد باشا متقدم على دخول السلطان مراد الرابع بغداد، لا متأخـــر عنه، فالأول تولى بغداد من سنة ٩٧٧ إلى ٩٧٨هـ/١٥٦٩- ١٥٧٠م، بينما دخل مراد الرابع بغداد سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م.

(٤) وقـــف مـــراد باشا على جامعه هذا أرضاً في قرب البقلعة الداخلية، فأنشأ والي بغداد أحمـــد باشا البوشناق خاناً ومنشآت أخرى على هذه الأرض، وقفها ايضاً على جامع مراد باشا وسقايته، وذلك بموجب وقفيته المؤرخة في ٢٣ ذي القعدة سنة ١٠٩٩هـ/ ١٦٨٧م ، وفي وقفية خيري خاتون بنت مرتضى جلبي أنها وقفت " الأرض المتصلة بـــدولاب وقـــف مراد باشا قرب شريعة الميدان على وجوه البر" في ٢ ربيع الأول=

خـــان، علـــيه رحمـــة الملك الديّان، فأصدر أمره بعمارته مجدداً وذلك سنة ١٣١٩ هجـــرية، فحُفرت قواعده، وأُحكم أساسه، ووُضِع على أحسن وضع، فـــرُفعت قبة مُصلاه على أعمدة الرخام، وجعل أمام المُصلّى رواق بطوله، يختـــرقه المُـــصلّي عـــند دخـــوله إلى المُصلّى(١). وبنى عند القبة(٢) مئذنة

=ســنة ١١٥٨هــ/١٧٣٥م. وبقيت من أوقافه عدة دكاكين في سوق مرجان "لا نفي بإدارتـــه"علـــى ما ذكر عبادة، وكان إهمال هذه الأوقاف سبباً فيما أصاب الجامع من تـــصدع وخراب، على ما يشير إليه المؤلف. وذكر الرحالة التركي أوليا جابي الذي زار بغـــداد ســـنة ١٠٥٨هــ/١٦٤٨م وسنة ١٠٦٦هــ/١٦٥٥م، أن للجامع مئذنتين وقـــبة، ممـــا يـــدل على سعته (أوليا جلبي سياحتنامه سي، ج٤ ص٤١٩). وهذا هو الوصـــف الوحيد للجامع نملكه قبل تعمير نامق باشا الآتي، وعلى أية حال فإن الشيخ سلطان بن ناصر الجبوري (المتوفى سنة ١١٣٨هــ/١٧٢٥م) أشار إلى سقوط إحدى المئذنتـــين ســـنة١١١٧هــ/١٧٠٥م، في تعليقة له مؤرخة في تلك السنة. كتابنا: شيخ الإسلام سلطان بن ناصر الجبوري ص١٧).

(١) يقع المصلى في الجهة القبلية من الجامع، وهو مستطيل تام يبلغ طوله من الداخل ٤٠ متراً، وعرضه ٢١ متراً، وارتفاعه ١٦متراً.

(٢) يـــبلغ محـــيط القبة الخارجي ٢٣ متراً، وهي تستند إلى أربعة عمد ضخمة أسطوانية الشكل، يبلغ محيط العمود الواحد مترين و٤٥سم، وتقسم هذه العمد المصلى إلى ثلاثة أقـــسام مـــتحاذية، ويقع على جانبي القبة الرئيسة صفان من القباب الصغيرة، في كل صـــف قـــبة متوسطة الحجم، وقبتان أصغر منها، فيشكل السقف بذلك مجموعة من القباب المختلفة الأحجام، تقوم على عدد من العقود المتصلة ببعضها، المكستندة على تلـــك العمد المذكورة من جهة، وعلى جدران المصلى المتينة من جهة أخرى. وهذا الـــنمط من العمارة شائع في أكثر مساجد بغداد المتأخرة، مثل جامع السراي، وجامع الأحمدية وغيرهما.

بالكاشاني تحكي في زينتها وحسن نقشها روضة نمقتها يد القدرة، وعند تمام بنائها حصل فيها مَيْل إلى جهة الشرق، فنُقض القسم الأعلى الذي حصل فيه المَيل، وأُعيد بناؤها بأحسن مما كانت، وأحلى مما وضعت أولاً، حتّى غدت تحكــي فــي حُسنها عروساً تميس بثياب الدِمَقس المختلفة الألوان(١)، وتمت العمــارة ســنة ١٣٢١هجــرية، في نهاية شعبان، وفرش بأحسن الزلالي-

---

(١) يــبلغ ارتفاع المئذنة ١٧ متراً تقريباً، وهي تقع في الركن الشمالي من الجامع، مقابل الــداخل إلــيه من جهة محلة الطوب، ويرقى إليها من سطح الجامع. وتتكون الحلية الزخــرفية للجــزء السفلي من المئذنة من شريط عريض ذي وحدات نباتية متكررة، متشكلة من زهور متفتحة ملونة تحيط بها عدة أغصان متشابكة، ثم يعلو هذا الشريط كــساء قاشــاني آخر، متكون من نطاقات زخرفية متوالية تلف المئذنة، ويتشكل كل نطــاق مــن وحــدات نباتية أخرى، تمثل كل منها زهرية مخروطية الشكل، تزدحم بمجمــوعة من الزهور المتفتحة زاهية الألوان، أما الحوض فتبرز فيه من العناصر الفنــية والألــوان المتناسقة ما لا يوجد في غيره، وهو محمول على عدة صفوف من المتدلــيات المزينة بالقاشاني، وفي كل منها زخرفة نباتية ملونة، ولا تختلف زخارف القــسم العلــوي مــن المئذنة عن سائر زخارف سفليها، سوى بوجود شريط أبيض عــريض قــد كتب عليه بخط مذهب سورة الإخلاص، وهي الكتابة الوحيدة عليها، وللمئذنة قبة خضراء محززة على النط البغدادي الشائع. ومن المؤسف أن تقوم دائرة الأوقــاف فــي أواخر الثمانينات من القرن العشرين بإزالة هذه الكسوة القاشانية عند قــيامها بــبعض أعمال الصيانة والتجديد، ووضعت بدلها زينة أخرى بالآجر وبعض قطع القاشاني.

الزوالـــي-. وأجرى له افتتاح باهر حضره الوالي إذ ذاك، وهو نامق باشا[١] صهر الآلوسيين، الذي تزوج بنت نعمان أفندي الالوسي[٢]، والمشير والعلماء والأشـــراف والأعيان والموظفون، وكان يوماً مشهوداً. وقد أنشد ذلك اليوم الأديب معروف أفندي الرصافي في قصيدته التي نظمها[٣]، وهي:

قِـفْ عـند مُـرتَفع البـناء مُـشيَّد　　　وأعـــد لـــرؤيته اللِّحـــاظ وردِد

تجـد الـبدائع قـد نُظِمـنَ قلائـداً　　　نُـــضدت بلُـــبَّة جامـــعٍ مـــتجدد

---

(١) هــو والي بغداد نامق باشا الصغير (حكم من ٨ محرم ١٣١٧هـ/ ١٨٩٩م إلى ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠١م) ولما عزل استمرت أعمال البناء، حتى انتهت ســـنة ١٣٣١هـ/١٩٠٣، وثمة كتابة على المحراب، وفي الشريط الكتابي تشير إلى سنة ١٣٢٠م.

(٢) نعمـــان بـــن محمود بن عبد الله بن محمود الالوسي البغدادي، خير الدين (١٢٥٢-١٣١٧هـ/ ١٨٣٦- ١٨٩٩م)، ولد ببغداد، وأخذ علومه على والده المفسر والمؤرخ أبـــي الثـــناء محمود الالوسي، وتأثر به. تولى في شبابه القضاء في بلاد متعددة، ثم قصد مكة للحج سنة ١٢٩٥هـ/ ١٨٧٨م ماراً بالقاهرة حيث طبع تفسير والده (روح المعانـــي)، وقـــام بـــرحلة أخرى إلى القسطنطينية اجتمع في أثنائها إلى علماء الشام والأناضـــول، وعين بأمر السلطان عبد الحميد الثاني رئيساً لمدرسي بغداد، فوفر له منصبه هذا فرصة للبحث والتدريس والقراءة. ترك مؤلفات عديدة في العقائد والردود والمواعظ واللغة والأدب والسير. حديقة الورود، الورقة ٣٣، الالوسي: المسك الأذفر ١١٠-١١٦، والأثـــري: اعلام العراق ٥٧-٦٧، والبغدادي: هدية العارفين ٢/٤٩٦، ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية ٢٢٠- ٢٢٣. وابنته التي تزوج بها نامق باشا هي عاتكة خاتون.

(٣) ليست في ديوانه، وأوردها عبادة: العقد اللامع ص١٢٢- ١٢٣.

في وجـــنة الـــزوراء لاح كأنـــه خـال يلـوح علـى خـدود الخُـرّد
أضـحت عـيون الـدين فـيه قريـرة مـذ جـددوه وسُـرَّ كـل مُـوحِّد
وغدت تقام به الصلاة فكم ترى للمؤمـــنين بـــه قـــيام تعـــبد
بنـى المـصلَّى مـنه أبـدع بنـية جمـع الـبهاء بـصُنعِها المتفـرد
يـبدو لـك المِحـراب فـيه كرصعة في خـــد أغـــيد باســـمٍ مـــتورد
نحـــتت ســـواريه المتيـــنة مرمـــراً تحـت الدُّمـى صـفةً بغـير تـردد
عقـدوا مـن الآجـر فـوق رؤوسـها عقـــداً فقـــام ومـــثله لم يُعقـــد
تعطـــي الرصـــافة مُـــشمَخِرّ بـــنائه ثقـــةً بـــأن يبقـــى بقـــاء مـــؤبّد
وتـــروق فـــيه الناظـــرين مـــنارةً خـــضراء تحـــسبَها عمـــود زبـــرجَد
رفعـــت إلى جـــو الـــسماء كأنهـــا كـــفٌّ تـــشير الى احـــتقار الفـــرقد
أمـر المليـك بـأن يجـدد بعـد أن قـد كـاد يـنقضّ انقـضاض تـبدد
عـبد الحمـيد خليفة الـرحمن في ملـــك إلى أبـــد الـــزمان مخلّـــد

وكـــان الـــذي اهتم بتعميره هذا التعمير، وأخذ على عاتقه القيام به، والوقـــوف علـــيه، محاسب دائرة الأوقاف إذ ذاك، ويسمى (أوقاف محاسبه جيسي)، وهو واصف بك، رحمه الله تعالى.

وقــد كــان على باب كَتيبته[1] بالكاشاني بأحسن خط وأجلاه، وهي أبــيات مــن نظم الشاعر التركي المعروف بفضولي، وهو محمد بن سليمان الــبغدادي[2]، صاحب الكليات الموسومة بكُلِّيات فضولي، وهي ديوان شعره بالتركية. تشير هذه الأبيات إلى تاريخ بنائه وبانيه معاً، وهي :

سلطان جوان بخت سليم أول شه عادل	كم دركاهنك خادميدر جرخ معلى
اول سرو، اسلام خداوند ممالك	داراى عبادتكه دين وملجأ دنيا
بغداده برأهل كرسى ايلدي والي	كم قلدى انك همتى بو مسجد انشا
باشاى فلك قدر مراد أول كه ازلدن	لطفه ايتمش اكا عز وعلى، حضرة مولى

---

(١) الكتيبة هي الكتابة التي تنقش على لوح من آجر أو رخام لتوضع فوق باب مسجد أو نافــذة فــيه. وهي مما يستدرك على المعجم، والآن تطلق في العراق على مشبك من الحديد يوضع على النوافذ لحمايتها.

(٢) شــاعر عراقي، أتقن النظم بلغات عصره الثلاث، العربية والفارسية والتركية، وطار صــيته حتى عد مجدد الأدب التركي، ولد ببغداد، واتصل بالسلطان سليمان القانوني عند فتحه العراق سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م فأكرمه هذا، وعين له راتباً من أوقاف بغداد، ثــم اعتكف في مدينة كربلاء إلى أن توفي، وكانت وفاته في سنة ٩٦٣ أو ٩٦٨ أو ٩٧٠ أو ٩٧١هــ/١٥٥٥، ١٥٦٠، ١٥٦٢، ١٥٦٣م، والتاريخ الأخير هو الراجح. ينظر: حسين مجيب المصري: فضولي البغدادي، القاهرة، وحسين محفوظ: فضولي الــبغدادي، بغداد ١٣٧٨هــ. ونقول: أن هذه الأبيات لإبن فضولي، واسمه (فضلي)، فقد ذكر اسمه هذا صراحة في أول البيت الأخير كما سيأتي.

فضلي ديدي بومسجد ايجون صدق ايله تاريخ كل مسجده اي باك رلا مراد ايله تمنى[1]

وصـــــاحب هـــذه الأبيـــات فضـــولي مدفـــون فـــي كربـــلاء[2]، وقبـــرة معـــروف هنـــاك[3].

ويوافـــق موقـــع الجامـــع الآن محـــل المـــدرســـة المجاهـــدية، التـــي كانـــت فـــي العصر الســـابع موجـــودة، وهـــي التـــي بناهـــا

---

(١) هكذا في الأصل، والصواب أن تكتب (تمنا) بالألف الممدودة، على الرغم من مخالفته قواعد الإملاء، وذلك لأن حساب الجمل للشطر هو (٩٧٨)، وبقصر الألف يختل هذا الحساب.

(٢) يظهر أن المؤلف نقل نسبة هذه الأبيات إلى فضولي الشاعر من كتاب (مساجد بغداد) المطـبوع، بـتهذيب الشيخ محمد بهجة الأثري ص٦٥، حيث قال" وقد أرخ الشاعر الـشهير بالفضولي صاحب الديوان التركي بقوله.. (الأبيات التركية المذكورة)"، ولم نجد هذا القول في نسخة الكتاب الخطية (المركز الوطني للمخطوطات برقم ١٠٦٤)، فلعله من زيادات الأثري ناشر الكتاب ومهذبه، لا سيما وأن فضولي توفي قبل تاريخ افتـتاح الجامـع بسبع سنوات في أقل تقدير. ولم يكن فضلي يقل عن أبيه في البيان والفصاحة، وقد وصفه عهدي البغدادي بقوله" أخذ بنواصي الشعر في اللغات الثلاث، ولـه مهـارة في المعمى، وقدرة معجزة في التواريخ" (العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٤ ص١٠٣) ووصفه مرتضى نظمي زاده بـ" أفصح الشعراء"، وقد لبث حياً إلى ما بعد وفاة عهدي سنة ١٠١٤هـ/١٦٠٥م.

(٣) دفـن الشاعر فضولي البغدادي في مقبرة الدرويش عبد المؤمن دده الكائنة في الجهة الأمامية من باب قبلة الحسين (ع) في شارع الحائر. سلمان هادي آل طعمة: شعراء من كربلاء، النجف ١٩٦٦، ج١ ص٢٣.

مجاهد الدين آيبك الدويدار للحنابلة[1]، ولكن لم يوقف لها وقفاً، وقد بناها في جوار دار الوزارة[2].

---

(١) أنشأها مجاهد الدين الدويدار الصغير سنة ٦٣٧هـ. مجهول: كتاب الحوادث ص ١٥٧. وذكر ابن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ: منتخب المختار ص١٣٥، أن هذه المدرسة كانت تعد في زمانه، أكبر مدارس بغداد. وكان موقعها تجاه دار علاء الدين الطبرس الدويدار الكبير الشاطئية بجوار رباط دار الفلك، وهذه المواضع في جنوبي دار الخلافة العباسية، في أسفل قصر التاج، أي في منطقة راس القرية أو المربعة. ينظر: مدارس بغداد في العصر العباسي ص١٩٦- ١٩٧. وكان الشيخ محمد صالح السهروردي قد ذهب في مقال نشره في جريدة البلاد البغدادية في ٥ كانون الأول ١٩٣٠ إلى هذه المدرسة" آلت اليوم لأن تكون عبارة عن محل شركة البنزين بباب البصلية(الباب الشرقي)".ثم قال" ولا شك في أن القنصلخانة [البريطانية] هي قائمة على أنقاض المدرسة المجاهدية" مستلاً على ذلك من نص لجده عبد المحسن السهروردي، والقنصلية البريطانية هي التي كانت تشغل المبنى التراثي الشاطئي المجاور لجسر السنك اليوم، من أعلاه، القريب من قصر عبد الرحمن النقيب.

(٢) رجح هذا على أساس تصوره أن دار الخلافة كانت تشغل أرض وزارة الدفاع، كما مر بنا من قبل، والمعلومات التي بين أيدينا عن موقع هذه المدرسة تفيد أنها كانت في دار الخلافة العباسية، تجاه دار علاء الدين الطبرس الدويدار الكبير الشاطئية، بجوار دار الفلك، ويصعب تحديد مواقع هذه الأماكن بجملتها، والظاهر أنها كانت في جنوبي دار الخلافة المذكورة، في أسفل قصر التاج. وهذا القصر كان يتوسط دار الخلافة، على دجلة، وسيرد تعيين مكانه، ومكان دار الخلافة، بحسب خطط بغداد، وعلى أية حال فإن جامع المرادية لا يقع على شاطئ دجلة، ولا قريباً منه. ينظر مجهول:=

جامع الأحمدية أو جامع الميدان

هـو الجامع الواقع شرقي ساحة الميدان، قرب جامع المرادية، واقعاً إلى شرقيه، يبعد عنه قدر مائتي خطوة، بناه أحمد باشا[1] كتخدا سليمان باشا الصغير[2]، وكان قد تولى إمارة البصرة وغيرها من البلاد العراقية[3]، فبعد

=كتاب الحوادث ص١٥٧ وابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة ج٢ ص٤٢٨ وكتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص١٩٦.

(١) من ضباط المماليك الجيورجيين الذين استجلبهم ولاة بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م)، قربه والي بغداد سليمان باشا الكبير إليه، واتخذه مستشاراً له، وعينه بمنصب (مهردار) أي حامل أختام الوالي، ومنحه لقب (بك) ثم اختاره ليكون (كتخدا) له، وهو اسم منصب لمعاون الوالي ونائبه، فكان أن حاز لقب (باشا)، وقد أثار هذا الاختيار حسد عدد من منافسيه، وأبرزهم سليمان الشاوي، المقرب أيضاً من سراي بغداد، ولم تجد محاولته صرف سليمان باشا عن تعيينه في هذا المنصب نفعاً، مما أثار شعوراً من الكراهية لديه، وزاد من حدة هذا الشعور أن سليمان باشا كان يميل إلى كتخداه الجديد، فمنحه رتبة (مير ميران) تقديراً وترفيعاً، ونفى الشاوي من بغداد من أجله، ولم تؤد وفاة الشاوي إلى تخلص أحمد باشا من أعدائه، إذ دبر له هؤلاء المؤامرة التي أدت إلى اغتياله، على ما سيأتي. ينظر رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص١٧١ وسليمان فائق : مرآة الزوراء، نشر بعنوان تاريخ بغداد، وترجمه عن التركية موسى كاظم نورس، بغداد ١٩٦٢، ص٢٠-٢٧.

(٢) الصحيح أنه سليمان باشا الكبير، الذي تولى حكم بغداد والبصرة وشهرزور من ١١٩٤ إلى ١٢١٧هـ/١٧٨٠- ١٨٠٢م. وفي عهده قتل أحمد باشا كما سيأتي، أما سليمان باشا الصغير فقد حكم من ١٢٢٢ إلى ١٢٢٥هـ/١٨٠٧- ١٨١٠م.

(٣) ليس في مصادر ترجمته أنه ولي البصرة أو غيرها من البلدان العراقية.

وروده من البصرة بنى هذا الجامع، وقد استحضر لبنائه الأساتذة المشهورين فـــي عصره، وصرف عليه المبالغ الوفيرة، فخرج أبهى جامعٍ وأحسنه، غير أنه لم يكمل في أيام الباشا المشار إليه، لأنه عندما كان قائماً ببنائه قتله بعض الموالي (الكوله مَندِية)[١] غيلة عند دخوله دار الحكومة لزيارة الوالي حسب المراســم المعتادة[٢]، فقام أخوه عبد الله بك بإكماله، وكان تمامه سنة ١٢١١ حسبما ينطق التاريخ المكتوب بالكاشاني على الباب الغربي[٣].

---

(١) لفــظ تركي يعني المماليك مطلقاً، ويقصد بهم اصطلاحاً المماليك البيض. وكان والي بغــداد حسن باشا (١١١٦- ١١٣٦هــ/١٧٠٤- ١٧٢٣م) وابنه أحمد باشا (١١٣٦-١١٤٧هــ/١٧٢٣- ١٧٣٤م) قد استجلبا هؤلاء، صبياناً، من النخاسين في جورجيا، وأدخلــوهم مــدارس عسكرية خاصة أنشآها في بغداد، فخرجوا منها ضباطاً أكفاء، وزوج أحمــد باشـــا ابنته الكبرى من أحدهم، وهو سليمان باشا أبو ليلة وقربه إليه، فتولـــى هـــذا ولايـــة بغداد سنة ١١٦٢هــ/١٧٤٨م، ابيدأ عهد جديد فيها استأثر فيه المماليـــك بالـــسلطة كاملـــة حتى سقوط نظامهـــم فـــي آخـــر عهـــد داود باشا سنة ١٢٤٧هــ/ ١٨٣١م.

(٢) ينظر سليمان فائق: مرآة الزوراء ص٢٤.

(٣) توضـــح وقفـــية عـــبد الله بـــك ضخامة الأوقاف التي خصصها للإنفاق على جامع الأحمدية، كما توضح طبيعة ما كان يحيط به من منشآت موقوفة، فمن تلك المنشآت " العلوة الواقعة في المدينة المذكورة على خندق القلعة الداخلية والمعلوم الحدود، وكذلك العلـــوة الـــواقعة فـــي المـــيدان المتصلة بدار لقمان أفندي، والمعلوم الحدود، وكذلك المقهيين المنشأين من الأخشاب الواقعين في الميدان، والمحدودين في جهتين بالميدان، ومـــن جهـــة بالخـــان الملاصق والمتصلين بالآخر، وكذلك المقهى الملاصقة لجامع الأحمديـــة الشريف في الميدان، وكذلك المقهى الملاصقة لمسجد بابا كور كور عليه=

وقـد كان الباني المشار إليه من أصحاب الرأي والتدبير، لذلك كان سليمان باشــا يميل إليه، وقد دُفن في المقبرة السهروردية سنة ١٢١٠، وهي المسماة بالمقبرة الوردية[١].

أمــا الجامــع فانــه مشتمل على رحبة واسعة، ومُصلّى مرتفع عن الأرض أكثر من نصف قامة. وأمامه رواق، وعلى يسار الداخل إلى الجامع دكّــة الصلاة في الصيف، وفي أطرافه حُجَر متصلة بالسور، ما خلا السور

=الرحمة الشريفة، على رأس سوق الأنجيلي(كذا) وكذلك المقهى المنشأة من الأخشاب الملاصــقة مــن جهة لملك إسماعيل أندروني، والملتصقة من جهة بالدار الأميرية، الواقعة مقابل جامع الإمام محمد الفضل عليه الرحمة الشريفة، وكذلك المقهى المقابلة لمقهــى دودي المحدودة من جهتين بدار قهرمان جاوش وس جهتين بالطريق العام، وكذلك الدكاكين التي عددها تسعة وستون الملاصقة والمتصلة بعضها ببعض الواقعة على الأطراف الأربعة لجامع الأحمدية الشريف، وكذلك دكان الكبابجي المقابل للمقهى ذات المــياه، وكــذلك الخــان الصغير لباب جامع الأحمدية الشريف، وكذلك الخانين الواقعين في الميدان جوار المقهى السالفة الذكر المنشأة من الأخشاب"، هذا فضلاً عن عقارات كثيرة ومنها بساتين، في الحلة ومندليجين وقرية كشك من مضافات كركوك. وقـد جعــل المتولــي على الوقف بعد وفاته شقيقه محمود بك، ثم لأولاديهما الأرشد والأتقــى، وذلك للأنفاق على" أرباب الوظائف في جامع الأحمدية الشريف ومدرسته الــواقعة في المدينة المذكورة في الميدان، والذي أنشأه وبناه شقيقي المرحوم ساكن الجــنان الكــتخدا أحمد باشا..الخ". قلنا: وقد أجريت عدة تعميرات على هذا الجامع، أهمهــا ما قامت به الأوقاف في السنوات ١٣٩١- ١٣٩٦هـ/١٩٧١- ١٩٧٦م، إذ شمل تجديد قبابه وواجهته الأمامية وغير ذلك.

(١) ينظر الآلوسي: مساجد بغداد ص٧٤.

الملاصق للسوق، فليس هناك حُجَر. وعلى يمين الداخل من الباب القبلي من الــسوق مدرســـة منفردة عن الجامع بباب[1]، مشتملة على طبقتين عليا فيها حجرة المدرس[2]، وحجرة أخرى للطلبة، وثالثة لخزانة الكتب، وسُفلى مُعدَّة لسَكن الغرباء والفقراء.

وللجامـــع أربعة أبواب، باب في قِبليه يؤدي إلى سوق الميدان[3] المار مـــن أمـــام الجامع، ويقابله باب يؤدي إلى السوق المار من أمام أملاك بيت

---

(١) كانـــت هذه المدرسة تقع خلف الجدار القبلي للمصلى، وتتألف من عدة حجرات ذات أواوين معقودة، وقد لبثت أطلالها ماثلة حتى أوائل الثمانينات من القرن العشرين.

(٢) إن آخر من تولى التدريس في هذه المدرسة العلامة السيد يحيى أفندي بن السيد أحمد الوتري، وقد توفي سنة ١٢٤١هــ/١٩٢٢م. العقد اللامع ص١٦٨.

(٣) عــرف سوق الميدان، ويتصل به سوق الهرج، في العصر العباسي بسوق السلطان، وقـــد أطلـــق اســـمه على المحلة المحيطة به فعرفت باسم محلة سوق السلطان، بينما عرف سوق الميدان نفسه، وهو الممتد من ساحة الميدان الحالية، وحتى ساحة مديرية الشرطة سابقاً ، في ذلك العصر، بدرب العميد. وكان هذا الدرب يتصل بمسجد سوق الـــسلطان، وهو الذي عرف في العصر العثماني بجامع السراي أو جامع جديد حسن باشـــا. وقد لبث اسم سوق السلطان معروفاً حتى القرن الثاني عشر للهجرة، وعرف أيضاً بالسوق الطويل، ثم عرف بسوق الميدان(وقفية الحاج فياض بن عبد الله المؤرخة في سنة ١١٤٠هــ)، وفي صورة لجامع الأحمدية رسمها وليم فوك يظهر سوق الميدان يمـــتد ملاصقاً للجانب الأيمن للجامع، وقد علاه صف طويل من القباب، وله باب عال، يتخذ شكل عقد مدبب.

المُدلَّل[١] التي هي في الأصل دار منصور باشا المُنتفِقي[٢]، وباب ثالث على يسار الجامع يؤدي الى سوق الهراج[٣]، وباب رابع على يمين الجامع، وراء دكَّــة الصلاة الصيفية، يؤدي الى نفس الميدان الذي اصبح الآن سوقاً ايضاً تباع فيها الفواكة والخُضَر.

ويقال أن مدحت باشا حينما كان والياً في بغداد هدم قسماً من حجره، وأضافها إلى الطريق توسعةً له، وذلك في سنة ١٢٨٥[٤].

وقد اشتمل الجامع المذكور على بناء فخم يقل نظيره في بغداد، إن لم نَقُل في بقــية البلاد الإسلامية، فإن فيه قبة على المُصلَّى، شامخة في الفضاء، بديعة الشكل، ملونة باتقن وأحسن أنواع الأصباغ المنقوشة على الكاشاني، تكتنفها قبــتان صــغيرتان على شكلها، منقوشتان بنقشٍ يعجز الآن أهل الفن عن أن

---

(١) وهــو الخــان الكبيــر المعروف بخان المدلل، وقد جددته أمانة بغداد في الثمانينات، ويشغله اليوم باعة التحف القديمة، وقد أشغله في الثلاثينات من القرن العشرين ملهى مــشهور عــرف بملهى الهلال، وهو الذي صدحت به السيدة أم كلثوم بأغانيها حين وافت بغداد آنذاك.

(٢) هــو منــصور بــن راشد بن ثامر بن سعدون، ، وقد تولى إمارة قبائل المنتفق سنة ١٢٦٧هــ/١٨٥٠م. ينظر كتابنا: الأسر الحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة، بغداد ١٩٩١، ص٤٢٥.

(٣) كــذا يكتبه المؤلف، والمشهور : الهرج، حكاية لما يسمع فيه من الصخب الناتج عن نداءات الباعة،

(٤) تولــى مــدحت باشا ولاية بغداد في ١٨ محرم سنة ١٢٨٦هــ وعزل عنها في أول ربيع الأول سنة ١٢٨٩هــ(١٨٦٨- ١٨٧٢م).

يأتـــوا بمثله، وهذا ما يحمل كل مُدّقِّق على القول بأن الفن المعماري والنقش تَدَنَّيا عما كانا عليه فيما مضى.

وممـــا يُبهِر الناظر ذلك الطَّوق البديع الذي طُوِّقت به القبة الكبرى في وســـطها، فغـــدا كالمنطقة في قوام الخَوْد الفاتنة، قد اشتمل فوق حُسنه البديع على بعض الآيات القرآنية بخط جميل قلَّ نظيره.

وعلـــى طـــرف المُـــصلَّى من جهة الجامع مئذنة تناطح السحاب في ارتفاعهـــا، ملونة بأنواع الألوان الكاشانية، تخالَها مرصعة بزبرجد وياقوت. رحم الله تلك الأرواح التي لم تفتأ عن عمل ما يقربها إلى الله زُلفى.

وقد جُعل جامعاً تُصلَّى فيه الأوقات الخمسة والجمع والأعياد، وعُيِّن فيه مـــدرس وخطيب وإمامان[1] وخدم ومؤذنون، ولا يزال الأمر كذلك، وادارته من أوقافه الجسيمة التي تتولاها متوليته الآن وهي ....[2] خاتون زوجة مـــراد بـــك بـــن سلطان بك بن أحمد كهية، وهي عقارات بحذائه ومقابله، وبـــساتين فـــي خراســـان وغير ذلك. والظاهر أن الجامع المذكور مُشاد في

---

(١) مـــن خطباء جامع الأحمدية الشيخ صالح بن الملا طه القرغولي، وابنه الشيخ سعيد أفندي، والأخير هو والد رئيس الوزراء الأسبق نوري السعيد (ولد سنة ١٨٨٥ وقتل سنة ١٩٥٨م) محمد صالح السهروردي: لب الألباب ج٢ ص٢٨٢ وعبد الرزاق أحمد النصيري: نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية، بغداد ١٩٨٧، ص١٧.

(٢) بـــياض فـــي الأصل. وسيذكر فيما يأتي أن سفيان أفندي الخطاط المشهور، هو جد زوجة مراد بك بن سليمان بك متولية جامع الأحمدية [في] الميدان.

المحل الذي فيه دار الوزير الواقعة في درب الدواب جنب دار الأمير جمال الدين قشتمر[١].

مسجد عثمان بن سعيد

هــو المسجد الواقع جنوبي جامع الأحمدية إلى الشرق، مقابل حمام الباشا[٢] الواقع على سوق الميدان الذي يمر من أمام المسجد المذكور للسالك

---

(١) اســتمد هــذا مــن نص أورده صاحب كتاب الحوادث ص١٩٢ قال" فنهض الوزير وخــرج والجماعة في خدمته، واستصحب حاجب باب النوبي تاج الدين ابن الدوامي إلى داره خوفاً عليه من العوام.. وتقدم بإنفاذ الأمير فلك الدين محمد بن سنقر الطويل لحراسة داره بدرب الدواب"، ومن نص آخر في ص ١٦١ يفيد بأنه" أنعم عليه بالدار المجــاورة لدار الوزارة"، وبما أن المؤلف يرى أن دار الخلافة العباسية كانت تشغل أرض وزارة الدفاع الحالية، وهي نظريته التي بنى عليها معظم استدلالاته الخططية، فقد ذهب إلى أن دار الوزارة كانت قريبة من هذه الأرض، ومن ثم جعل دار الوزير فــي موقــع جامــع الأحمدية. وقد ذكرنا أن سوق الميدان لم يكن إلاّ سوق السلطان، بدلالــة النــصوص الوقفية والقرائن الخططية، ومحلته هي المنطقة الممتدة من باب الــسلطان (باب المعظم الحالي) حتى بداية سوق الثلاثاء (أرض القشلة الحالية وسوق الخفافين، وبضمنها المدرستان المستنصرية والنظامية)، فوزارة الدفاع كانت داخلة في ضــمن نطاق هذه المحلة، أما دار الوزارة فكانت قريبة من حريم دار الخلافة، كتاب الحوادث ص١٢٢، وسيرد تحديد دار الخلافة وحريمها فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٢) كــان هــذا الحمام يقع في آخر سوق الهرج في الميدان، مجاوراً لجامع بابا كر كر، أشير إليه في وقفية أسماء خاتون بنت الوزير يوسف باشا وزوجة علي رضا باشا في ١٢٨٥هــــ/١٨٤٢م، وقد نقض وشيدت في أرضه عمارة المصرف العقاري السابق (الخزينة المركزية فيما بعد) المطلة على ساحة السراي.

مـــن محل سراى الحكومة إلى جامع الأحمدية؛ وهو واقع على يسار السالك بين السوق وبين الرحبة الملاصقة لدائرة البرق والبريد(١).

وهـــذا المـــسجد فـــيه قبر يقال أنه قبر عثمان، هكذا هو المشهور، والـــشيعة تتـــردد إلـــى زيارته، وتقول أنه قبر عثمان بن سعيد، أحد نُوّاب المهدي، المنصوص عليهم من قبل الإمام الحسن العسكري. وفي كتاب الغَيبة للـــشيخ الطوسي الفقيه عندهم أن عثمان بن سعيد المذكور مدفون في شارع المـــيدان، في الدرب الواقع بالجانب الغربي من مدينة السلام، وهو الوصف ينطبق على القبر الموجود فيه(٢).

---

(١) كانـــت دائرة البرق والبريد تشغل مبنى أنشئ سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م، وما زال هذا المبنـــى قائمـــاً مقابـــل الإعداديـــة المركزية، وقد قامت الهيئة العامة للآثار والتراث بصيانته في منتصف العقد الأخير من القرن العشرين، ويذكر عبادة (العقد اللامع ص ١٤٦) أن هذه البناية أقيمت في أرض كانت تشغلها بناية سابقة للبرق والبريد.

(٢) جـــاء فـــي كـــتاب الغيبة لشيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي " أن قبر عثمان بن سعيد بالجانـــب الغربـــي من بغداد، في شارع الميدان، وهو إلى يومنا هذا، وذلك سنة سبع وأربعين وأربعين على ما هو عليه". وقال الدكتور مصطفى جواد في تعليقه على هذا النص " ورواية الطوسي أن قبر عثمان هذا كان بالجانب الغربي من مدينة السلام في شارع الميدان، يعني شارع ميدان الأشنان.. تدل على أن القبر الحالي في سوق ميدان القلعـــة (يـــريد ســـوق الميدان الحالي) هو لرجل آخر، وإنما الشبهة جاءت من ذكر المـــيدان، مـــع أن مـــيادين بغداد كانت كثيرة في الجانبين الغربي والشرقي" . دليل خارطة بغداد المفصل، بغداد ١٩٥٨، ص٣٠٦. وذكر عبادة أن المسجد كانت بنظارة الأوقاف في عهده، وأن من أوقافه دكاكين ثلاثة متصلة به، وأنه في سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢١م وضـــع شباك من النحاس الكاشاني حول قبر صاحب الإمام عثمان بن سعيد=

مسجد القلعة

هـو مـسجد واقع على يسار الداخل إلى القلعة من بابها الشرقي(١)، الواقـع علـى مَـشرَعة مدرسة الصنائع(٢) المُعَدَّة للأيتام المسلمين، متصل بالـسجن المُلكي(٣)، تؤدَّى فيه الأوقات الخمسة والجمعة. وفيه إمام وخطيب

=العـسكري. العقـد اللامع ص١٦١. قلنا: وقد وسع المسجد في السنتين الأخيرتين، وزيـد فيه، وبنيت عليه قبة، وأدخلت " الرحبة الملاصقة لدائرة البرق والبريد" التي يشير إليها المؤلف، في أرضه، فأضحى ملاصقاً لمبنى الدائرة المذكورة، مقابلاً لجامع النعمانية (المسمى بمسجد السليمانية خطأ).

(١) وهو اليوم الباب النافذ من وزارة الدفاع إلى مدخل شريعة الميدان.

(٢) يقصد بهذه المشرعة، ما كان يعرف بمشرعة الميدان أيضاً، وهو الطريق النافذ من سـاحة الميدان إلى شاطئ دجلة، المحاذي لسور القلعة القديم، الذي شيد مكانه سور الضلع الجنوبي الشرقي لوزارة الدفاع، ومدرسة الصنائع هي أول مدرسة صناعية في العراق، وقد شغلت مبنى المدرسة العلية التي أنشاها والي بغداد علي باشا سنة ١١٧٥ هـ/١٧٦١م، وفي سنة ١٢٤٧هـ/١٩٢٨م أتخذت داراً لسكنى الملك فيصل الأول، ثم زيد فيها بعض القاعات واتخذت محلاً لمجلس الأمة، فمحكمة عسكرية خاصة، ثم متحفاً حربياً، ثم جددت تجديداً بديعاً، واتخذت قصراً للثقافة والفنون، وفي سنة ١٩٩٥ اتخـذ القصر مقراً لبيت الحكمة، وهي مؤسسة معنية بالثقافة والنشر، وما زال كذلك. وقـد فـصلنا القـول في هذه المدرسة، تاريخاً وعمارة، في كتابنا: المدرسة العلية في بغداد، بغداد١٩٨٦، ٦٢ ص.

(٣) الملكـي، بضم الميم، يعني: المدني، وذكر عبد الكريم العلاف أن هذا السجن كان يـضم المجـرمين الأهليـين الذين يحكم عليهم [illegible] العشرين سنة. بغداد القديمة ص١٢٩.

وخـــادم، هـــو بعين الوقت مؤذن، وهو من بقايا جامع القصر المعروف في الـــتاريخ[1]، لأنـــه واقع عند القصر الحَسَني المسمى بقصر المأمون، والذي

---

(١) يقــصد جامـــع القلعة، وهو جامع قديم كان يقع في داخل سور قلعة بغداد الداخلية (وزارة الـــدفاع الـــيوم)، ولا يعلم زمن إنشائه، ولكن تشير وقفيته المؤرخة في ١١ رمـــضان من سنة ١٠٤٨هـــ/١٦٣٨م إلى أن من إنشاء جلال الدين ابن بهاء الدين، ولا يـــستبعد أن جدده، أو أعاد إنشائه، وإن الجامع أقدم عهداً من هذا التاريخ. وتذكر الوقفـــية أنه يقع في محلة تسمى (السكة خانه) وواضح أنها داخلة في القلعة، وأشار الـــرحالة التـــركية أوليا جلبي الذي زار بغداد بعد هذا التاريخ بنحو عقد تقريباً، إلى وجـــود جامـــع في القلعة يسمى جامع السلطان مراد، وإن كان بانيه الأول السلطان سليمان القانوني (أوليا جلبي سياحتنامه سي ج٤ ص٤١٩). وأشير إلى وجود مدرسة فيه في حجة برفع يد محمد سعيد التكرلي عن الأوقاف القادرية المؤرخة في ١٢٦٠ هـــــ/١٨٤٤م، حيث ورد فيها من الشهود: محمد أفندي مدرس [جامع] القلعة. ومن مدرســـيه ومتولـــيه السيد محمود بن مصطفى القلعة لي المعروف بثنائي، وكان من أفاضـــل علمـــاء عصره، وتوفي سنة ١٢٩٤هـــ/١٨٧٧م. ووصفه الأثري في فوائته على مساجد الآلوسي ص١٣٩ بأنه " جامع كبير في وسط القلعة(الثكنة العسكرية) فيه مـــنارة بيضاء، وما زالت تقام الجمعة فيه". وقد نقض هذا الجامع، عند توسعة وزارة الـــدفاع سنة ١٩٦٠، وأعيد بناؤه على هيئة جديدة، وما زال قائماً عند الباب الجنوبية الـــشرقية لـــوزارة الدفاع. . ينظر محمد صالح السهروردي: بغية الواجد، مخطوط حققناه ونشرناه ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد، ص١١١، وعبد الحميد عـــبادة: العقد اللامع، ص١٣٦. ومن أجل الآثار التي كانت موقوفة على هذا الجامع مـــصحف أثري نفيس من القطع الكبير، بخط الخطاط محمد بن كاظم البغدادي، فرغ من نسخها في ٢٠ محرم سنة ١١٠١هـــ/١٦٨٩م، نوه به عباس العزاوي. ينظر وليد الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين ج٢ ص٥٧٨.

بعض آثاره لا تزال قائمة[١]، ويؤيد هذا وجود بعض المطامير حتى الآن في جواره، وإن جامع القصر قد بني في القصر الحسني بموضع المطامير، بناه المكتفي بالله بن المعتضد سنة ٢٩٠. انظر الخطيب البغدادي وابن الأثير.

---

(١) يـــريد بقايا القصر المسمى حديثاً بالقصر العباسي، وكان يظن في عهد المؤلف أنه القـــصر الحسني، الذي أنشأه أول مرة جعفر البرمكي، فعرف بالقصر الجعفري، ثم انـــتقل إلى المأمون سنة ثمان وتسعين ومائة، فعرَف بالمأموني، ثم بالحسني نسبة إلى الحسن بن سهل، ، ثم استولاه المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن الموفق الناصر لدين الله أبـــي أحمد بن المتوكل، فاستضاف إلى القصر الحسني ما جاوره، فوسَّعه وكَبَّره، وأدار عليه سوراً ثم مات المعتضد بالله في سنة ٢٨٩، وتولى ابنه المكتفي بالله ، فأتم عمـــارة قـــصر التاج الذي كان المعتضد قد بدأ بإنشائه، وكانت صفة هذا القصر أنه مبنـــي علـــى خمسة عقود، كل عقد على عشرة أساطين، كل اسطوانة خمسة أذرع. ووقعت في أيام المقتفي سنة تسع وأربعين وخمسمائة صاعقة، فتأججّت فيه النار وفي قبـــته، ثـــم أعاد المقتفي بناء القبة على الصورة الأولى، ولكن بالجص والأجر دون الأســـاطين الـــرخام، وأهمـــل اتمامه حتى مات، وبقي كذلك إلى سنة أربع وسبعين وخمـــسمائة، فتقدم المستضيئ بنقضه وابراز المُسنّاة التي بين يديه، إلى أن تحاذي به مُـــسنّاة الـــتاج، فـــشقَّ أساســـها ووضع البناء فيه على خط مستقيم من مسناه التاج، واســـتعملت أنقـــاض التاج مع ما كان أعدَّ من الآلات من عمل هذه المسناة، ووضع موضـــع الـــصحن الـــذي تجلس فيه الأئمة للمبايعة. وهو الذي كان يُدعى على عهد ياقـــوت الحمـــوي بالـــتاج. وكان السيد محمود شكري الآلوسي قد رجح أن القصر العباســـي، الواقع على شاطئ دجلة، في وزارة الدفاع، إن هو إلاّ قصر التاج نفسه، (أخبار بغداد بتحقيقنا، تحت الطبع)، فقال: ولعل هذا القصر هو المحل المعروف اليوم بالقلعة، وفيه الى اليوم بعض مباني العباسيين، يسكنه قسم من العسكر والجنود، وفيه أســـلحة وكثيـــر مـــن الآلات الحـــربية، وفيه دار للسجن يُسجن فيها أهل الأجرام=

جامع النعمانية

هــو جامع صغير واقع تجاه دائرة البرق والبريد[١]، وخلف المدرسة السليمانية في غربي الجامع المعروف بجامع جديد حسن باشا[٢]، فيه مُصلّى صــغير بمنبر صغير، وعليه قبة. وأمام المُصلّى رواق، وفيه بعض القبور. إذا دخــل المُصلِّي بابه الخارجي أطَّل على دَكّة فيها محراب للصلاة صيفاً. وعلــى يمــين الدكّــة درج يرقــى فــيها إلى غرفة في الطبقة العليا، مُعدَّة

=العظــيمة، وفــيه مسجد كبير. يريد جامع القلعة. ولا صلة لقصر التاج، أو القصر الحــسني، بالقلعة التي تتصل أرضها بسور بغداد الخارجي مباشرة، والتي كانت تعد جــزءً مــن محلــة سوق السلطان. وتظهر شكل الأزقة التي تتفرع من شارع النهر الحالــي، والتــي تأخذ شكلاً شعاعياً تقريباً، أن قصر التاج كان يقع في منتصف هذا الشارع، عند دائرة الإطفاء النهري حالياً. ويظهر ان الذي حدا بالمؤلف إلى أن يرى هذا الرأي، نص المؤرخين على أنه كان للتاج مسناة في دجلة، وما لاحظه من وجود مــسناة عند القصر الذي عرف في التاريخ باسم دار المسناة، وهي من أبنية الناصر لــدين الله، مع أن وجود مسنيات على دجلة كان أمراً لم يختص به قصر بعينه، فقد وجد غيرها في طول الشاطئ.

(١) ولمقابلته دائرة البريد والبرق هذه عرف أيضاً بجامع التيلخانة.

(٢) تقــع أرض هــذا الجامع اليوم بلصق مبنى الإعدادية المركزية، وهي ذات التسلسل ٨٤٦ ويتصل جدارها القبلي بالمدرسة السليمانية ذات التسلسل ١٧٨، وتتصل الأخيرة بمسجد الشيخ أبي النجيب السهروردي وفيه قبره، وهو ذو التسلسل ٨٤٧، وكان ثمة حمــام بــين الــسليمانية ومسجد السهروردي، برقم ٧٩٥/١ وهو اليوم بناء مهجور تماماً، وسيرد الكلام على هذه المواضع فيما يأتي من هذا الكتاب.

للمـــدرس[1]. وفي مقابل الغرفة على الجدار الممتد مع الشارع مئذنة صغيرة مطلة على الشارع، وعلى يسار المُصلّى غُرف للطلبة والفقراء[2].

بنـــتـــه الحـــاجـــة فـــاطمـــة خاتـــون بنت السيـــد بكتـــاش [بـــن الـــسيـــد ولـــي][3]، ووقفـــت عليـــه عقـــارات كثيـــرة[4]، منهـــا ما هـــو

---

(١) مـــن أوائـــل مدرســـي هذه المدرسة الحافظ الشيخ أحمد المدرس، وكان من فضلاء العلمـــاء، ومن الخطاطين المشهورين، وقد كتب كثيراً من المخطوطات بخطه البديع، ومـــن آثاره الفنية (مجمع البحرين) للشيخ عبد اللطيف بن عبد العزيز، فرغ منه سنة ١١٨٩هـــ/١٧٧٥م، وتوفي سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م. ومن مشاهير مدرسيها أيضاً عبد المحسن بن الشيخ بكتاش. لب الألباب ج٢ ص٣٢٦.

(٢) شـــيدته سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م، وألحقت به مدرسة استمر التدريس فيها إلى أوائل الـــستينات مـــن القرن العشرين، ثم نقض بيت الصلاة (المُصلّى) في هذا الجامع نحو سنة ١٩٦٦، ولم يبق منه سوى جدرانه الخارجية، وفيها بابه القديمة، وشباك سقايته، والمئذنة الصغيرة التي يشير إليها المؤلف هنا، وبقيت ساحة الجامع خالية، ولما جرى تـــرميم المدرسة السليمانية المجاورة، أدمجت أرض جامع النعمانية بأرضها، وأزيل الـــسور الفاصـــل بين المنشأتين، وكتب على باب الجامع، المقابل لدائرة البريد، أنه (جامـــع السليمانية)، مع أنه لا يوجد جامع بهذا الاسم أصلاً، وإنما هو جامع النعمانية نفـــسه، وهكـــذا طمست معالم هذا الجامع تماماً على الرغم من جسامة ما وقفته عليه مؤســـسته المحـــسنة فاطمـــة خاتون من عقارات في بغداد ومندلي والخالص. ينظر: عـــبادة: العقـــد اللامـــع ص١٤٦-١٥٠، والآلوسي: مساجد بغداد ص٧٥ وإبراهيم الدروبي: البغداديون ص ٣٠١

(٣) الزيادة من نص وقفية الجامع.

(٤) وذلك بموجب وقفيتها المؤرخة في ٢٧ شعبان سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م.

عـــند ســـن[1] الجـــسر القـــديم، أي الشمالي[2]، وفيها أراضي وبساتين في خراســـان[3] وغيـــره. وشرَطت وجود إمام فيه ومدرس[4] وخطيب ومؤذن وخُـــدّام وسِقاية (سبليخانة)[5]. وجعلت التولية لزوجها الحاج نعمان آغا بن

---

(١) يريد بالسن هنا: المسناة.

(٢) يـــريد ما كان يعرف بالجسر العتيق، وهو جسر بغداد الوحيد طيلة العصر العثماني، والـــذي أنـــشئ مكانه جسر المأمون الذي عرف باسم جسر الشهداء، وقوله الشمالي تمييزاً عن جسر مود الذي أقيم بعده، ، وأنشئ مكانه جسر الملك فيصل، وهو الذي ســـمي بعـــد ١٤ تموز ١٩٥٨ بجسر الأحرار. وتوضح وقفية الجامع طبيعة عقاراته الموقوفة عليه، ومنها في بغداد خان صاغرجيلر في رأس الجسر، ومقهى كبيرة تقابل الخان، ودكاكين تتصل به، ومخبز مقابل محل إيقاد حمام كيجه جيلر(في مكان سوق الأمانـــة في شارع الرشيد، قرب ساحة الأمين- الرصافي) ودكان متصل به، ودكان آخـــر مقابل المغازة الملاصقة للمدرسة الوفائية، ودار الحرم قرب الجامع المذكور، ودار ملاصقة له، هذا فضلاً عن أوقاف أخرى في بندنيجين (مندلي) وغير ذلك.

(٣) يقصد نواحي مقاطعة خريسان في ديالى.

(٤) وكانـــت في مدرسة الجامع خزانة كتب وقف عليها بعضهم بعض المخطوطات سنة ١٢٢٧هـــ/١٨١٢م. ينظـــر كتابـــنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ج٣، بغداد ١٩٧٨، ص١٤٤.

(٥) تقـــع هذه السقاية في الجهة اليسرى من باب الجامع، قرب مئذنته، وكانت الواقفة قد رصدت شيئاً من المال، في وقفيتها، للإنفاق على مصارف هذه السقاية، ولما أهملت واندثـــرت، جـــدد بناءها وأحدثها مجدداً سنة ١٣٣٦هـــ/١٩١٧م) متوليه عبد الحميد أفندي (توفي سنة ١٣٣٩هـــ/١٩٢٠م)، وحرر على لوحة من الرخام بخط بارز ستة أبـــيات دالية، تؤرخ تاريخ ذلك وتنوه باسم مجدد السقاية، ومن المؤسف أن يداً قلعت هـــذه اللوحة الأثرية الجميلة من موضعها وذلك في ثمانينات القرن العشرين، فلبث=

إبـــراهيم آغا ثم لأولاده، بطناً بعد بطن. ويقال أن ذريته هم بيت آل رئيس الكُتّاب المعروف ببيت عبد الغني آغا[١].

وبـــين الرواق والدكّة قبرُ زوجها الحاج نعمان المذكور، ويقال أنها مدفـــونة هـــناك أيضاً. وتولية الجامع الآن بيد عثمان أفندي بن عبد الحميد افندي آل عبد الغني آغا[٢].

جامع حسن باشا

هـــو من الجوامع الشهيرة في بغداد، ويعرف بجامع جديد حسن باشا تمييزاً له عن جامع الوزير[٣]، لأن بانيه أيضا الوزير حسن باشا[٤]، وقد كان

=مكانهـــا خالـــياً، أمـــا السقاية نفسها فقد أهملت وأغلقت منذ عهد بعيد. وتنظر هذه الأبيات في عبادة: العقد اللامع ص١٤٩.

(١) ومـــن أعـــلام هذه الأسرة عبد القادر أفندي بن الحاج عبد الله آغا آل رئيس الكتاب، وكـــان من كبار الخطاطين ببغداد، وقد دفن في جامع النعمانية نفسه. ينظر الدروبي: البغداديون ص٢٦٤ ووليد الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين ج٢ ص٦٨٣.

(٢) ويعرفون بباش كاتب زاده، أو آل رئيس الكتاب.

(٣) وســـمي أيضاً (مسجد دار الإمارة)، ويراد بهذه الدار سراي بغداد. عباس بن رجب الـــبغدادي: فـــصل من مخطوطة نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٤٦.

(٤) إن مؤســـس جامـــع الوزير هو غير مؤسس جامع السراي، وإن اتفقا بالاسم، فالأول تولـــى بغداد من ١٠٠٦ إلى ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠- ١٦٠٤م، وأنشأ جامعه سنة ١٠٠٨ هــــ، بيـــنما تولاها الأخير من ١١١٦ إلى ١١٣٦هـ/ ١٧٠٤ - ١٧٢٣م، وعمر=

فـــي الأصل مسجداً صغيراً[1]، ولوقوعه أمام دار الحكومة[2]، وكانت الدور المجـــاورة له كثيراً ما يملكها الأمراء وموظفو الحكومة، شَمَّر والي بغداد إذ ذاك حـــسن باشـــا المعروف بأبي المعالي، أيام ولايته على بغداد، عن ساعد جـــده، فزاد فيه ما جاوره، وأنفق عليه من المال ما جعله جامعاً حسناً، غير أنه لم يُدخل في بنائه شيئاً من الزخرفة ولا من الكاشاني، بل اقتصر على أن

=الجامع الذي نسب إليه سنة ١١٣٣هـ/١٧٢٠م، ولذا عرف بجديد حسن باشا تمييزاً عن سميه المتقدم.

(١) كنا قد توصلنا إلى أن هذا المسجد كان من إنشاء الخليفة الناصر لدين الله العباسي في نهاية القرن السادس للهجرة، وقد عرف بمسجد سوق السلطان، نسبة إلى المحلة التي أنشئ فيها، ثم قام عبد الله آغا بن وانه أمير بغداد بأمر من السلطان سليمان القانوني بـــتجديده وإضـــافة مكتب لتعليم الصبيان سنة ٩٦٣هـــ/١٥٥٦م، كما صرحت بذلك كـــتابة على رخامة عثر عليها في المسجد الصغير الملحق بقصر الوالي في السراي، فعرف بالجامع السليماني، ثم عمره أو جدده والي بغداد إبراهيم باشا سنة ١٠٥٦هـــ/ ١٦٤٦م ووقـــف علـــيه عدة عقارات في العوينات والمزرفة والتاجي، وهذا قبل أن يتولـــى حـــسن باشـــا إعادة بنائه، ومن الواضح بحسب عمارة الجامع، والنصوص المتوفـــرة، أن حسن باشا أزال عمارة المسجد القديمة، وأنشأ جامعاً جديداً تماماً، وهو الجامع الذي ما زال عامراً حتى اليوم.

(٢) يـــريد مبنى سراي بغداد، وقد شغلت هذا المبنى، بعد تأسيس الدولة العراقية، مديرية الـــشرطة العامة، ومعاونية شرطة السراي، وقد أخلته هذه الدوائر في مطلع ثمانينات القـــرن العشرين، ولبث المبنى قائماً خالياً حتى اليوم، وتلوح في هيكله، وتحت طلائه الجصي، ملامح فخامة ظاهرة، يوم كان مقراً لولاة بغداد طيلة الأربعة قرون الأخيرة من تاريخها الحديث.

يكون بناؤه مُحكَماً رصيناً، فبناه بالجص والآجر لا غير، فجاء مُحكَم البناء، مـشيد الأركـان، متين القواعد، مشتملاً على مُصلًّى مستطيل كبير، بقباب مـتعددة معقودة بالآجر فقط؛ وفي شرقيها مئذنة شامخة(١)، وقد استثناها من الجامع، فإنه لا يوجد شئ فيه مُزَيَّن بالكاشاني إلاّ هي.

وبنـى أمام المُصلَّى رواقاً، وفي فنائه من جهة اليمين دكَّة للصلاة صيفاً، وبنى فيه حُجَراً للفقراء والغرباء، ومدرسة فيها مدرس.

وله خمسة أبواب: بابان على الشارع العام، وثالث من شرقيه يؤدي إلـى درب نافـذ إلـى الـدور الواقعة في شرقيه، وكان هناك بيت المفتى الـزهاوي، وباب من الشمال الشرقي للجامع واقعة تجاه الباب الواقعة على الشارع من شرقي المُصلّى، والباب الخامسة هي في جهة الغرب مقابل الباب المـؤدي إلـى الـدرب الـنافذ إلى الدور الشرقية، أعني دار متولي سلمان الفارسي محمود أفندي.

وهـو جامع قائم فيه الصلاة في الأوقات الخمسة والجمع والأعياد، وقـد اتخذ الآن جامعاً لصلاة الملك المعظم(٢)، وبنيت فيه مقصورة له. كما بنيت قبل هذا حجرة مطلة على الشارع لتكون محلاً لإقامة المُوقِّت، ووضع الساعات فيها(٣).

---

(١) لا تزال هذه المئذنة شامخة بهيئتها السابقة لم يمسها وهن أو تغيير.

(٢) يريد الملك فيصل الأول.

(٣) كانـت هذه حجرة منفردة، خارج مصلى الجامع، أخرجت من باحته، لها نافذة مطلة علـى الطـريق، وقـد وضعت في داخلها ساعة كبيرة دقاقة، حتى يتمكن الموظفون وغيرهم من ضبط ساعاتهم على وقتها.

والظاهر أن هذا المسجد الصغير هو المسجد الذي كان يُدرِّس فيه أبو إسحاق الشيرازي[1] في باب المَراتِب[2]، قبل أن تُبنى له المدرسة النظامية (انظر طبقات الشافعية جزء٣[3]).

وكان بناء الجامع المذكور سنة ١١٣١ هجرية[4]، ومنذ ذلك التاريخ لم يطرأ عليه شئ من التبديل، ولكن منذ الحرب العامة، لما هُدمت مدرسته التي كانت في غربيه، وجُعل موضعها حديقة غُرس فيها بعض النبات، أصبحت أيدي الحِدْثان تتلاعب به، وغير بعيد أن يخني عليه الدهر فيُقتَطع منه ما اقتطع من جامع الوزير، وسنرى ما يأتي به الزمان. وقد أنشأ الباني على يمين الباب القديم الذي أصبح الآن موقعه حديقة سقاية لسقي

---

(١) هو أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزآبادي، من كبار علماء الشافعية في بغداد، وله المؤلفات الجمة في الفقه وأصوله، توفي سنة ٤٧٦هـ. وسيذكر المؤلف خبر تدريسه في المدرسة النظامية فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٢) باب المراتب هو الباب الجنوبي، القريب من دجلة، من أبواب دار الخلافة العباسية، وقد بنى المؤلف قوله هذا على أساس ما ذهب إليه من شغل هذه الدار مبنى القلعة (وزارة الدفاع فيما بعد) وسيأتي تعليقنا عن تعيين موقع دار الخلافة، وأبوابها، فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٣ ص٨٩- ١١١.

(٤) الموافق أولها ٢٤ تشرين الثاني سنة ١٧١٨م.وفي العقد اللامع أنه عمره سنة ١١٣٣ هـ/١٧٢٠م.

العطاشـــي[1]، وقـــد هُدمت ومُحيت بمحو السوق وهدمه، وكان مكتوباً على حجر من المرمر موضوع فوق شباكها مایاتي: ....[2].

جامع الوزير

هــو الجامع المُطِل على دجلة[3]، شرقي دار المحاكم التي كانت في الدَور العثماني مدرسة الاعدادية العسكرية، وهو واقع في غربي المحل المُعَد

---

(١) الذي نعرفه أن هذه السقاية أنشأها محمد فخري بك بن لطف الله بك سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، ووقـف على لوازمها بستاناً في قضاء خراسان(خريسان من أعمال ديالى)، وخـصص راتـباً لقارئين يقرآن القرآن الكريم فيها، مما دل على وجود حجرة، أو غـرفة علـوية، فـيها تصلح لجلوس القارئ، وقد لبثت هذه السقاية قائمة حتى سنة ١٣٢٨هـــ/١٩١٩م، إذ نقـض مبـناها مع السوق المجاور، وأضيفت أرضها إلى الـشارع، الذي سمي شارع جديد حسن باشا. وقول المؤلف أن هذه السقاية كانت تقع علـى يمـين الباب القديم، في أرض المدرسة القديمة، يؤكد أن باب الجامع الحالي، الـنافذ إلـى الشارع المذكور، والملاصق لمبنى أمانة العاصمة القديم (مجمع الأدباء حالياً) هو باب حديث، لم يكن من أصل البناء. كما أن المؤلف انفرد في الإشارة إلى سـوق كـان موجوداً عند الباب، لم تعرفه المصادر التي بين أيدينا، وقد لبث حوض الـسقاية، وهـو مـن حجر الحِلان المتوفر في الموصل، موجوداً في ظهر الجامع، المحـادد للـزقاق النافذ إلى مبنى متصرفية (محافظة) بغداد القديم، وله ثلاث فتحات لصب الماء، ولكنه أزيل في تعمير للجامع جرى سنة ١٩٧٥، وكسر، فلم يبق للسقاية أي أثر. كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص١١٤.

(٢) بياض في الأصل. وهي في العقد اللامع(جديد حسن باشا سبيلخانه سي).

(٣) أنـشئ هـذا الجامع على أرض كانت تشغلها في العصر العباسي المدرسة التتشية، إحـدى مـدارس الحنفية في بغداد، أنشأها الأمير خمارتكين بن عبد الله من مماليك=

لسكنى مأمور الجسور الآن، يسلك اليه طالِبه من الجسر، السوق المؤدي الى دار الحكــومة، فإذا ما توسَّط السوق المذكورة المعروفة بسوق السراى رأى علـــى يـــساره درباً واسعاً بعرض خمسة أذرع، وبطول سبعة أذرع، في منـــتهاها باب كبير هو باب الجامع، وقد أصبح بهذه الصورة بسبب اقتطاع قـــسمٍ من رحبته وجعله سوقاً ثانياً وراء السوق الأصلية النافذة إلى السراي باســتقامته(١). وبيـــنه وبين جامع جديد حسن باشا الواقع في الغرب منه قدر ثلثمائة خطوة.

=الـــسلطان تتش السلجوقي فنسبت إلى سيده، وذلك في حدود سنة ٥٠٠هـــ/١١٠٦م، وكانـــت تقع في مشرعة درب دينار الكبير، بين محلة الحظائر التي أنشئت فيها فيما بعـــد المدرسة المستنصرية ودار قرآنها (التي هي اليوم جامع الآصفية) وبين مدرسة الأمير سعادة الرسائلي ورباطه (في المبنى الذي شغلته المحاكم المدنية حيناً من الدهر فـــي الجنوب من القِشلة، وكانت قبل ذلك داراً للدفترخانة، أي الدائرة الموكلة بضبط ســجلات الأراضي في الولاية)، وكان السوق التتشي (يمثل القسم الشمالي منه سوق السراجين الحالي، المحاذي لسوق السراي)، يمتد بموازاة شاطئ دجلة ليتصل بدرب ديـــنار الـــصغير ومنه إلى عقار المدرسة النظامية، في آخر سوق الثلاثاء، أي سوق الخفافين ماراً بمحلة الحظائر المذكورة آنفاً (المنتظم ج٩ ص٢٤٠ ومدارس بغداد في العصر العباسي ص٤٨- ٤٩).

(١) إن هذا السوق الذي يقصده المؤلف هو سوق السراجين، وقد أنشأه والي بغداد سليمان باشـــا(١١٩٤- ١٢١٧هـــــ/١٧٨٠- ١٨٠٢م). كمـــا صـــرح بذلك عثمان بن سند البـــصري: مطالع السعود، بتحقيقنا، الموصل ١٩٩١، ص٢٤٤. فاقتطاع هذا الجزء من باحة الجامع لم يكن في عهد قريب من المؤلف كما توحي عبارته.

وهـو جامع رحب الفناء، واسع المصلى، بقباب ثلاث مُجرَّدة عن الأعمـدة، وقد كان في الأصل ذا قبة واحدة كبيرة قدر قبة جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، ولكن بإهماله تهدم قسم منها(١)، ثم هدمتها الحكومة، فتركت قسماً منها للصحن، وبنت الباقي على نحو ماذكرنا، وبنَت على يسار المُصلّى

---

(١) رسـم السائح Hubbard جانباً من شاطئ دجلة الشرقي (نشرت الصورة في كتاب " بغـداد" الذي أصدرته نقابة المهندسين العراقيين، بغداد ١٩٦٨، ص٢٢٢) فظهر في الـصورة جامـع الوزيـر كما كان يبدو من جهة النهر، فإذا به يقف على مسناة تقع شـاطئه مباشـرة، ويـتألف مصلاه من بناء مربع، فيما يبدو، ضخم، عالٍ، له ثلاثة صفوف من النوافذ التي تطل على النهر، في كل صف ستة منها، وتقوم على أكتاف هـذا البـناء قـبة كبيرة، ذات رقبة عالية. وتظهر في الصورة مئذنة الجامع، وهي رشـيقة، ذات حوض واحد، ورأس محزز على الأسلوب البغدادي الشائع في عمارة المـآذن. هذا بينما ذكر الرحالة أوليا جلبي الذي زار بغداد في أواسط القرن الحادي عـشر (الـسابع عشر للميلاد) أن له قبة ومنارتين لا واحدة. وتكشف صورة رسمها سـائح متأخر تهدم هذا الجامع، بحيث سلخت واجهته النهرية في دجلة تماماً، ومن ثم سـقط النصف المواجه للنهر من قبته، فإذا بها تتألف من قبتين مزدوجتين، أي تعلو إحـداهما الأخـرى، وبينهما فراغ. ومن غير المحدد تاريخ إزالة هذه القبة الشامخة نهائـياً، ولكـن يظهـر في صورة جوية لبغداد التقطت من طائرة سنة ١٩١٧ جامع الوزير وقد علته ثلاثة قباب متجاورات، هي التي أشار إليها المؤلف أعلاه.

قاعة شامخة، ولكن من دون نقش وتزيين يُعتد به. وعلى يمينه مدرسة ذات طبقتين، مُطِلَّة على دجلة أيضاً[١]. وأمام المُصلّى رواق مستطيل[٢].

وكان بناؤه سنة ١٠٠٨ من الهجرة، بناه الوزير المعظم حسن باشا بن الوزير محمد باشا[٣] زمن ولايته بغداد في أيام السلطان محمد خان[٤] ابن السلطان مراد خان. وكانت على صدر باب المُصلّى كتابة تشير إلى بانيه وزمن بنائه وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾

عَمَّـر هـذا المـسجد فـي أيام خلافة خليفة الرحمن، السلطان ابن السلطان، السلطان محمد خان بن السلطان مراد خان، خلَّد الله مُلكه وسلطانه.

---

(١) أنـشأها المشير أحمد توفيق باشا سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م، وعين للتدريس فيها الشيخ طه بن أحمد السنوي المتوفى في الموصل سنة ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م. العقد اللامع ص ٢٧٢. وألحق بها خزانة حافلة بالمخطوطات النفيسة ضاعت منذ زمن.

(٢) نقـض هذا الجامع بمرافقه وأضيفت بعض مساحته إلى مدخل جسر المأمون (جسر الـشهداء حالـيا) سنة ١٩٣٩م. ثم أنشئ على قسم من أرضه مُصلّى جديد، بهيئة لا صلة لها بما كان عليه سابقاً، وما زال عامراً.

(٣) ويلقب بصوقللي، تولى والده منصب (الصدر الأعظم) في الدولة العثمانية، ونال هو المناصـب الـرفيعة، فعين والياً على ديار بكر سنة ٩٧٨هـ/١٥٧٠م، ثم تولى عدة ولايات أخرى، في الشام، والبوسنة، وأرضروم، وطمشوار، وبلغراد، حتى عين والياً علـى بغـداد سنة ١٠٠٦هـ/١٥٩٦م، وفي تاريخ عزله عنها اختلاف يسير، ينظر مرتضى آل نظمي: كلشن خلفا ص٢١٠ ومحمد ثريا: سجل عثمانيْ ج٢ ص١٢٧.

(٤) هو محمد الثالث، تولى السلطنة من ١٠٠٣ إلى ١٠١٢هـ/١٥٩٤ إلى ١٦٠٣م.

صـــاحب البـــناء والانشاء والمغازي[1] الوزير حسن باشا بن الوزير المعظم المـــرحوم محمد باشا في سنة ثمان وألف من الهجرة النبوية، على صاحبها أفضل الصلاة والتحية.

ولا تـــزال الكتيـــبة بارزة للعيان، ولم يزل الجامع المذكور تقام فيه الجماعة والجمعة والأعياد والوعظ في شهر رمضان.

وقـــد حدثت بسبب الوعظ فيه حادثة قيامٍ على الاتحاديين، وهو إنه بيـــنما واعظه الشيخ محمد بن الشيخ داود متهيئاً لقراءة الوعظ، ينتظر فراغ المـــصلين مـــن التـــسبيح والتحميد بعد الصلاة وقراءة شيء من القرآن قبل وعظـــه، حـــسب العادة المتخذة في الوعظ، طلب من قارئ القرآن ألاَّ يقرأ شـــيئاً، كما طلب من الواعظ أن يتأخر عن الوعظ لأن الجمعية تريد أن تقرأ خُطـــبة للحاضرين، وكان حامل الراية التي كان الجماعة يمشون تحتها هو شـــكري أفـــندي الالوســـي[2]، فسكت القارئ فرقى التخت الذي جيئ به من

---

(١) في مساجد الآلوسي ص٧٧ والعقد اللامع ص٢٧٠ : الغازي.

(٢) يـــريد العلامة السيد محمود شكري الآلوسي، ولد ببغداد من الأسرة الآلوسية الشهيرة بـــالعلم في القرن الثالث عشر للهجرة (التاسع عشر للميلاد) ونال أحسن أنواع التعليم آنذاك في مدارس بغداد وعلى مشايخها، وتلقى علومه أيضاً على والده، ثم عمه نعمان خيـــر الـــدين الآلوســـي، وكانا من أشهر علماء بغداد، كما تتلمذ على غيرهما أيضاً. وواصل دراسة التاريخ والسير واللغة وتمهر بفنون الكتابة والتأليف. عين مدرساً في عـــدد من مدارس بغداد ومساجدها المهمة حتى نال رتبة (رئيس المدرسين)، وتولى انـــشاء القـــسم العربي من جريدة الزوراء (أول جريدة عراقية)، وكتب فيها مقالات علمـــية وادبـــية عديـــدة. وفـــي أثنـــاء الحرب العالمية الأولى أوفد- بتكليف من=

القهــوة معروف الرصافي وبيده ورقة، فجعل يقرأها، فتضَجَّر الناس لذلك، وخــرجوا متأثــرين. فلم يُمسِ المساء حتى قامت ثورة الأهلين على جمعية الاتحاد، وطالبوا بحبس معروف وشكري وغيرهما، وكان ما كان مما سجلته الجرائد من فرارهم، وحُبس معروف، وعُزل المكتوبي، وعُزل الوالي إذ ذاك وهــو نــاظم باشا رئيس الاصلاحات، الذي قتل في ثورة الجمعية المحمدية

=الدولة العثمانية- للتحالف مع آل سعود على البريطانيين، ولكن السفارة فشلت، فعاد إلـــى بغـــداد ليعيش بقية حياته فيها مؤثراً حياة العزلة منصرفاً الى التدريس والتأليف حتى وفاته. تناولت مؤلفاته الموضوعات الدينية المتشربة روح السلفية واللغة والأدب والعروض والتاريخ والمنطق والهيئة. محمد بهجة الأثري: اعلام العراق ٨٦- ٢٤١، والأثري أيضاً: محمود شكري الآلوسي، حياته وآراؤه اللغوية، القاهرة ١٩٥٨، ٢١٢ ، وخيري العمري: شخصيات عراقية ١/٧- ١٢ والسهروردي: لب الالباب ٢/٢١٨ - ٢٢٤ عــبد الله الجبوري: مقدمة كتاب المسك الأذفر ١٣- ٤٥، وقد انفرد المؤلف بهــذه الرواية، ونحن نُجِل السيد الآلوسي، وهو الذي عرف بعلمه وورعه وتقاه، أن يحرض القوم على مثل هذا العمل.

والجيش[1]، وهجومهم على مجلس الأمة، تلك الثورة التي أنتجت إسقاط السلطان عبد الحميد -رحمه الله- عن العرش[2].

جامع الآصفية أو المَولَويخانه

هو الجامع المطل على الجسر العتيق، وكان في الأصل مسجداً قديماً مُطِل على الجسر[3]، لأن الجسر لم يزل منذ القدم هذا محله بين مشرعة

---

(١) يريد الحركة التي قام بها، أو أيدها، السلطان عبد الحميد الثاني، وتزعمها علماء الدين والجيش، وقد نتج عنها إلغاء الدستور(المشروطية)، وإسقاط الحكومة القائمة آنذاك، وفض مجلس المبعوثان، ويسميها خصوم هذه الحركة بـ(الإرتجاعية) أي الرجعية، بينما يسميها مؤيدوها بالثورة المحمدية، كما كتب المؤلف. وسماها آخرون بثورة ٣١ مارت، لأنها قامت في نهاية آذار (مارس) من سنة ١٣٢٥ رومية، الموافقة لسنة ١٩٠٩م(٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٢٧هـ)

(٢) عزل السلطان عبد الحميد الثاني في ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧هـ، الموافق ١٤ نيسان ١٣٢٥ رومية ٢٧ نيسان من سنة ١٩٠٩م، وتوفي منفياً سنة ١٩١٨م.

(٣) كان هذا المسجد في أصله الدار التي انشأها الخليفة المستنصر بالله باتصال مدرسته المستنصرية، من أعلاها، وعرفت بدار القرآن المستنصرية.فقد جاء في وقفية هذه المدرسة أن الخليفة" شرط أن يكون في الدار المتصلة بالمدرسة، ثلاثون صبياً أيتاماً يتلقنون القرآن المجيد من مقرئ متقن صالح، ويحفظهم معيد معه..". كتاب الحوادث ص٨٥. وقد كشفت الحفريات الحديثة اتصال أسس هذه الدار بالمدرسة المذكورة اتصالاً كاملاً، يدل على تبعيتها إليها بوصفها من مرافقها. وينظر العقد اللامع ص ٣٢٧ وكتابنا مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٤٤- ٤٥. والجامع لما يزل عامراً حتى اليوم، وقد جددت وزارة الأوقاف قبابه سنة ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ثم قامت=

الروايا[1] ومشرعة الحطّابين[2]، وبتكرر الليالي والأيام تضعضع بنيانه وزلزلت أركانه، كما يقول محمود أفندي الآلوسي[3]، فغدا مجمع أقذار ومهبط كُناسات[4]، فاتخذته المولوية[5] زاوية

=بتجديد واجهته الأمامية بالآجر المنجور المطعم بقطع الآجر المزجج بالأزرق في السنوات ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م- ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

(١) تقع مشرعة الروايا، وقوله أن الجسر هو بمكانه القديم بين هذين الموضعين، أراد به التوصل إلى أن مشرعة الروايا هي محلة راس الجسر في الكرخ، وأن ما يقابلها من الجهة الشرقية، هي مشرعة الحطابين، وأن هذه المشرعة كانت جزءً من محلة الحظائر، أي حظائر الشوك، منتهياً بذلك إلى تقرير أن جامع الآصفية هو نفسه جامع الحظائر العباسي، على ما سيأتي، هذا مع أن مشرعة الروايا كانت تقع عند باب خراسان، وهو الباب الشرقي المؤدي إلى دجلة، من أبواب مدينة السلام التي أنشأها الخليفة المنصور في منتصف القرن الثاني للهجرة، وقد ثبت الآن أن مركز هذه المدينة كان يقع إلى الشمال قليلاً من جسر الأعظمية الحديث، في منطقة العطيفية الحالية، وأن الشطر الشرقي من هذه المدينة قد جرفته دجلة حينما أخذت تغير مجراها في القرون التالية، فلا صلة لهذه المواضع بالكرخ الحديث.

(٢) سيأتي تعليقنا على هذين الموضعين فيما يأتي.

(٣) مساجد بغداد وآثارها ص٢٨.

(٤) الكناسة: الزبالة التي تكنس.

(٥) أتباع الطريقة المولوية المنسوبة إلى (مولانا جلال الدين الرومي) المتوفى سنة ٦٧٢ هـ/١٢٧٣م، وقد وجدت هذه الطريقة بعض الإنتشار في بغداد في أول عهد الدولة العثمانية في العراق، ولكنها انحسرت فيما بعد، وتميزت عن غيرها من الطرق بالأذكار المنغمة التي كانت تؤدى على أصوات الآلات الموسيقية. وقد خرجت هذه التكية أجيالاً من النابهين، منهم الخطاط قوسي البغدادي (توفي بعد ١٠٣٩هـ/=

لهم (تكية)[1]، يغنون فيها، ويضربون بطنبورهم ومزمارهم، ويتواجدون؛ ثم اتخذ مخزناً توضع فيه أثقال الجند[2]، فلما تولى بغداد شيخ الوزراء المرحوم داود باشا، صاحب الخيرات العميمة، رفع عنه تلك الأثقال، وطهره من هاتيك الأفعال، وشاد أركانه، ورفع قواعده، وصَيَّره جامعاً وحيداً في مثاله[3]، لم ينسج في بغداد على منواله، [و] جعل فيه مصلى واسعاً عليه قبتان، تكتنفهما مئذنتان على الجانبين، مبنيتان بالكاشاني[4]، وجعل باب

=١٦٢٩م)، أحد نوابغ خطاطي عصره، والخطاط المتفنن محمد عارف المولوي (المتوفى سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م)، والمؤرخ يوسف بن عزيز المولوي (المتوفى سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)، مؤلف كتاب (قويم الفرج بعد الشدة)، وغيرهم.

(١) القوسان وما بينهما للمؤلف.

(٢) هذا مستمد من مما ورد في الأبيات الآتية التي سيذكرها المؤلف.

(٣) عرف الجامع بالآصفية نسبة للقب (آصف الزمان) الذي كان يتلقب به، أو كان محبوه يسموه به، و(آصف) هو اسم الجني الذي كان في خدمة النبي سليمان عليه السلام، فيما يزعمون. وقد سماه عثمان بن سند، وقد عاصر افتتاحه، بجامع المولى خانه. مطالع السعود ص٣٧٣.

(٤) عصفت ريح عاتية، في أوائل الحرب العالمية الأولى، بإحدى هاتين المئنتين، وهي الأقرب إلى الجسر، فأودت بالقسم العلوي منها، وكان فيها بعض ميل أظهرته الصور الفتغرافية التي ألتقطت للجامع في أواخر عصر الدولة العثمانية في العراق، فنقض ما تبقى منها، ورفع للمئذنة الأخرى حوض ثان، فهي أول مئذنة ببغداد لها حوضان، وتعد أنموذجاً حسناً للمآذن البغدادية المشيدة في ذلك العصر، فقد ضمت في أقسامها حلى بنائية إسلامية هندسية زينت بقطع الآجر المزجج (القاشاني)، ونطاقات عدة=

محـــرابه ومنبره من المرمر البديع، وبنى في جنباته الثلاثة حُجَراً بطابقين، ونَـــصَب فـــيه مُدرِّسَين، وخطيب، وإمامين للحنفية والشافعية، وجماعة من المؤذنـــين والخـــدم. وكـــان تمام عمارته حسبما أرّخه الشيخ صالح التميمي الـــشاعر المـــشهور سنة ١٢٤١هـ[1]. أي قبل اكمال جامع الحيدرخانة، فقد أرَّخه الشيخ المذكور بقوله:

وجامعُ جسر جرَّد الدهر جيشه ... علــى رَبعــه كــرها وسَــلَّ حُــسامه
وغــادَرَه بــين الجوامــع ثــاكلاً ... ومفـــــتقداً مأمـــــومه وإمامـــــه
وكــم مــن وزيــرٍ عــالمٍ بحقــوقه ... مكــان إداء الفَــرْض حَــطَّ خِــيامه
إلى أن تولَّـــى الأمـــر داود رَدَّه ... إلى شَــرَف قــدماً أراش سِــهامه
جدار هُدى مُذ كاد يُنقض أرخو ... تــصدَّى لــه داود ثــم أقامـــه
١٢٤١

وقد كان مكتوباً بالكاشاني على بابه الشرقي المقابل لسوق الهراج[2]، الأبيات الآتــية، وهـــي أيــضاً من نظم الشيخ التميمي، فقد كان آية في نظم التاريخ وسرعته:

ذا جامعٌ كـان قـدماً لا شـبيه لـه ... في حُــسنِ بُنــيانه والدهــر بَعْثَــرَه
وكـم وزيـرٍ أتـى الـزوراء ثـم مضى ... ولا لغــير خِــيام الجُــندِ صَــيَّرَه

=مـــن الكـــتابات الكوفية الجميلة تحت كل حوض منها، وأسماء الجلالة على شرفتي الحوضين، والزينات المزججة في المثلثات التي تحملهما.

(١) أكمل جامع الحيدرخانة سنة ١٢٤٢ كما سيأتي في موضعه من هذا الكتاب.

(٢) هكذا يكتبه المؤلف، على الحكاية، والصحيح: الهرج، ويسمى أيضاً سوق الخفافين.

حتى أتى ذو العُلى داود آصِفُنا مَنْ حَلَّ بالسبعة الأفلاك مَفْخَرَه
فشاد أركانه من بعد ما انهدمت للعابدين ووشَّاه وصَوَّرَه
ومُذ تَمَّ غدا الداعي يؤرخه ذا جامعٌ بالندا داود عَمَّرَه

ولتاريخ المئذنتين أبياتٌ من نظم الشيخ المذكور، كانت مكتوبة فوق المحراب الخارجي الموضوع للصلاة في الصيف، أي في المُصلَّى الصيفي أمام الرواق بين الطاقين المعقودتين لأجل الرواق، وهي:

جامعٌ داود قد عَمَّرَه فَغَدَتْ تَحكِيه فِردَوس الجِنان
واستقامت بالتُقى أركانُه بعدما بَعثَره طُول الزمان
سُمكُه عَلا ومِن هِمَّتِه قد بدا في طَرَفَيهِ عَلَمان
جعلوا تاريخه الخيرات مُذ شَيَّد فيه أرخوا (مأذنتان)(1)

وقد فُتح هذا الجامع عند إكماله باحتفال عظيم حضرة العلماء وأكابر البلد. وفي سجلات الأوقاف السلطانية ما يشهد أن الوزير المشار إليه طَلَب منه العلماء والأكابر ألاّ يقتصر على طريق واحد إلى الجسر، وهو الطريق الواقع شرقي هذا الجامع(2)، بل راعوا أن يجعل طريق آخر من غربي

---

(1) إن حساب اللفظ ١٢٤٢.

(2) هو الزقاق الذي يفصل بين الجامع والمدرسة المستنصرية، ومنه ينفذ إلى مشرعة الجسر، وكانت هذه المشرعة تقابل جامع الآصفية تماماً، فيعترض الجامع من ثم طريق القادم من المشرعة المذكورة، ويضطره إلى سلوك ذلك الزقاق، وبعد أن فتح داود باشا طريقاً آخراً، يقع في الجهة المقابلة لجامع الآصفية، أي بين الجامع وجسر=

الجامـــع، ولما كان في ذلك تجاوز على بيت الله، استحصل منهم الفتاوى في ذلـــك، ففتح الباب الغربي الذي كان يؤدي الى باب الجامع الغربي[1]، وكان مكتوباً عليه بالكاشاني أبيات أيضاً، هي من نظم التميمي، وهي:

آثـــار داود آثـــار بهـــا لبـــست	بغـداد حـسناً يـروق العـين واضـحه
تشكو الرصافة قدما ضيـق مسلكهـا	ويكـــره الـــضيق غاديـــه ورائحـــه
فامـنحت بطـريق لا زحـام بــه	وبـاب جـسر حبـى بالنـصر مانحـه
يخاطـب الفلـك الأعلـى كـأن بـه	شـوقاً الى المـشتري يبغـي يـصافحه
أعيا أبـا جعفـر المنـصور حـين بنـى	خطـا أبـو يوسـف المنـصور رابحـه
داود مـن أيـدت بالنـصر دولـته	وعـن لـسان الثنـا سـارت مدائحـه
لازِلـتَ تـسمع خـيراً مـن مـؤرخه:	بـــابٌ وداود درب الفـــتح فاتحـــه

وقد كانت على يمين الرواق درج يصعد بها إلى منظرة تشرف على الجامـــع والـــرواق، وحجرة عندها فيها شبابيك تطل على السوق الذي كان ممـــتداً حتـــى الجـــسر، فلما هُدم السوق، وأُدخلت الدكاكين العائدة للجامع،

=الـــشهداء الحالـــي، صـــار يمكن للقادم من مشرعة الجسر أن يسلكه منحرفاً حول الزاوية الشمالية للجامع، ثم يمضي شرقاً في طريق تكون الأخيرة على يمينه وجامع الوزير على شماله.

(١) ذكـــر عبادة أنه الباب الشرقي، (العقد اللامع ص٣٢٩)، والراجح أنه الغربي على ما ذكـــر المؤلـــف، لقوله أن شبابيك بعض حجر الجامع هناك كانت تطل على السوق الممتد إلى الجسر.

والحجر الموجودة فوقها، أدخلت هذه في الشارع، أسوة بتلك[١]. وعلى يسار الـــرواق حجرة كبيرة فيها قبر تحته سِرب[٢]، عقدت عليه قبة، وضع فوقها صندوق إيذانا بأن هناك قبراً، يقول بعض أهل العلم من [أهل] السُّنَّة: إنه قبر العالم الزاهد أبو الحارث المُحاسبي[٣]، ويقول بعض الشيعة: إنه الكُلَيني أحد علماء الإمامية الكِبار ورواة الحديث عندهم[٤]. وقد سمعتُ من شكري أفندي

---

(١) ثـــم أضيفت دكاكين أخرى بدلها، عند إعادة بناء جدار الجامع، إلاّ أن الباب الغربي التـــي كتــبت فوقها أبيات الشيخ صالح التميمي، قلعت، وأعيد بناء باب أخرى، كتب علـــيها قـــوله تعالـــى (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا.... سنة ١٣٤١) ووفـــوق هذه الكتابة الآية (في بيوت إذن الله أن ترفع) إلى قوله (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله).

(٢) يريد بالسرب: السرداب.

(٣) هـــو أبـــو عـــبد الله الحارث بن أسد المُحاسِبي، البصري الأصل، أحد كبار الزهاد الـــصالحين، توفـــي سنة ٢٤٣هـــ، وقد سكتت المصادر عن تحديد مكان دفنه، ولكن الـــرحالة مـــصطفى الصديقي الدمشقي الذي زار بغداد سنة ١١٣٩ هـــ/١٧٢٦م نوه بقبر ينسب إليه في التكية المولوية، كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاهـــا من البلدان، الورقة ٧٠، نسخة كمبردج المصورة في المجمع العلمي ببغداد، وأشار إليه بعده كتاب آخرون.

(٤) هو أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني، صاحب كتاب (الكافي) ، المتوفى سنة ٣٢٩ هـــــ، والوارد في ترجمته الواردة في كتاب رجال لأحمد بن علي النجاشي المتوفى ســـنة ٤٥٠هـــــ ص٢٦٧ أنـــه دفن بباب الكوفة، وهو أحد أبواب مدينة أبي جعفر المنـــصور، فـــي الجانب الغربي ، وأن قبره هناك درس في القرن الخامس للهجرة. ولكن بعض الكتاب، من أهل القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م) أشار إلى قبر ينسب=

الآلوســـي أنه قبر المستنصر العباسي باني المستنصرية، لأنه يقول إن سرِباً يُحفر ويبنى هذا البناء المحكم بقبة يسامت رأسها سطح الأرض، وحجرة بهذه الــصنعة والإتقـــان، لا يمكن أن يبنى كل ذلك إلاّ لرجل رفيع المنزلة، غني مقــتدر على هذا البناء، والمُحاسِبي أو الكُلَيني لا يمكن أن يُبنى لأجلهما مثل هــذا، لما يعرف من فقرهما وحالهما، ولم يَرْوِ أحد من المؤرخين بناء مثل هذه التُربة لهما، ويرى أن مقبرة الخلفاء العباسيين هي بهذه الجهة إلى آخر مــا يراه[1]. والذي أراه أنا إنه واهمٌ في ظنه، فإن مقبرة الخلفاء هي بظاهر

=إلــيه فـــي تكية المولوية" عليه شباك من الخارج إلى يسار العابر من الجسر". أبو علي: الرجال ص٢٩٧.

(١) وهـــذا الرأي هو الذي أثبته في كتابه مساجد بغداد وآثارها ص ٣١ حيث قال" الذي يفهـــم مـــن كلام بعض المؤرخين أنه قبر أبي جعفر المستنصر بالله الخليفة العباسي، باني المدرسة المستنصرية، وبناء القبر على هذا الوضع ينبئ أنه مشهد لأحد الخلفاء، إذ كان هذا مقبرة لبني العباس كما ذكر بعض المؤرخين ... ومن البعيد أن يدفن في مـــثل هذا الكليني أو ذلك الرجل الصالح الذي لا يملك ديناراً ولا درهماً، وكان أهل العلم والورع في ذلك العصر يتجنبون عن زخرفة القبور ومخالفة السنة النبوية فيها، ومـــن البعـــيد أن يصرف غيره على عمارة مرقده نحو عشرة آلاف دينار، فلابد أن يكـــون ذلك لأحد الخلفاء". قلنا: توفي المستنصر في بكرة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٦٤٠هـــ، ودفن أولاً في الدر المثمنة، من قصور الخلفاء في دار الخلافة العباســـية، وكان موقعها تحت قصر التاج (سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ص ١١٣)، ثم نقل، بموكب نهري، في ليلة السبت ١٢ من شعبان إلى مدفن كان قد أعده لنفـــسه فـــي تـــرب الرصافة (كتاب الحوادث ص ١٨٥ و ٢٠٠) ، والرصافة هي=

محلة الرصافة، ومحلة الرصافة تلاصق محلة أبي حنيفة التي فيها قبره- أي الأعظمية- وأين الرصافة من هذا المكان؟ ثم أن هذا المحل هو مقابلٌ لمشرعة الروايا[١]، ومشرعة الروايا هي في القُرَيَّة[٢]، والقُرَيَّة في شرقي محلة باب البصرة، ومحلة باب البصرة هي في شرقي باب مدينة السلام الشرقي، والرصافة هي في مقابلة باب خراسان الواقع غربي قصر الخلد[٣] الذي هو غربي محلة الخلد، ومحلة باب البصرة، فأين هذا من هذا. والظاهر انه قبر.....[٤].

=الأعظمية حصراً، كما ذكر المؤلف، فلا علاقه للقبر الذي قرب الآصفية به بأي حال من الأحوال.

(١) سبق أن ذكرنا أن مشرعة الروايا هذه كانت عند باب خراسان، من أبواب مدينة المنصور المدورة، الواقعة في منطقة العطيفية الحالية، ومنها كان يستقي السقاؤون الماء ليدخلوا به هذه المدينة. كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص ١٨، فهذه المشرعة لم تكن تقابل جامع الآصفية بأية حال.

(٢) القرية بالتصغير، محلة كانت ببغداد الغربية، يقدر موقعها في محلة السيف، عند عمارة وقف داود باشا المتخذة دائرة للتقاعد اليوم، ولم تكن مشرعة الروايا جزءً منها.

(٣) كان هذا القصر يقع عند مصب نهر الصراة بدجلة، وكان هذا النهر يمر قبل مصبه بمشهد العتيقة (براثا حالياً)، فهو في أرض مقتربات جسر الصرافية الحديدي الحديث.

(٤) بياض في الأصل. ومن المرجح جداً أن يكون القبر لأحد كبار علماء المدرسة المستنصرية، وقاضي القضاة، وهو عز الدين أبي محمد الحسن بن القاسم بن هبة الله النيلي، المتوفى سنة ٧١٢هـ، فإنه كان معظماً لدى سلطان عصره، محمود غازان بن أرغون بن أباقا بن هولاكو، فلما توفي دفن بدار القرآن المستنصرية"، وقد ذكرنا=

وإن موقـــع هــذا الجامع يوافق مسجد الحظائر الذي بنته أم الناصر لـــدين الله[١]، وهـــي زمرد خاتون صاحبة القبر المعروف بقبر السِّت زبيدة قـــرب معـــروف[٢]، فقد كانت الأحطاب تُباع عنده حتى أيام صِغَري[٣]، فقد

=أن هـــذه الـــدار هي أصل تكية المولوية، التي حولها داود باشا إلى جامع الآصفية. ينظر أحمد سوسة ومصطفى جواد: دليل خارطة بغداد ص٣١٣.

(١) لا نعرف وجه هذا الاستدلال، مع أن جامع الحظائر كان يقع في جنوبي المستنصرية لا فـــي شـــمالها، بيـــنه وبينها مسافة شغلها دار الأمير سنقرجاه أمير خوزستان، قال صـــاحب كتاب الحوادث ص، في حوادث سنة ٦٤٦هـــ " ونبع الماء من اساس حائط المستنـــصرية، ومـــن دار سنقرجا زعيم بلاد خوزستان المجاورة للمستنصرية، ومن مـــسجد الحظائر المعروف بأم الناصر المجاورة لهذه الدار، وامتنع الناس من الجواز هـــناك، من باب سوق المدرسة إلى مشرعة الإبريين" ، والمدرسة هنا هي النظامية، وكانت في آخر سوق الثلاثاء، ومشرعة الإبريين بعدها، فتكون هذه هي شريعة شارع السموأل. وأم الناصر هي السيدة زمرد خاتون زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله وأم الخلـــيفة الناصر لدين الله، وقد أنشأت مسجد الحظائر في سنة ٥٩٨هـــ عند مشرعة عـــرفت يـــومذاك بمشرعة المزملات، وقد نسب أولاً إلى حظائر الشوك التي كانت قـــريبة مـــنه، ثم عرف في العهود المتأخرة بجامع الصاغة بسبب انتقال الصاغة إلى السوق الذي عند بابه، ثم عرف بجامع الخفافين لتكاثر صناع الخفاف في هذا السوق في العهود التالية، وما زال عامراً.

(٢) يريد: قرب جامع الشيخ معروف الكرخي.

(٣) يريد أن حظائر الشوك، هي نفسها مشرعة الحطابين، بدلالة أن الحطب ظل يباع فيها إلـــى عهـــده، مـــع لأنه لا صلة بين الموضعين البتة، فمشرعة الحطابين كانت تقابل مـــشرعة الـــروايا من الجانب الغربي، وقد سبق أن وضحنا أن الأخيرة كانت قرب مدينة السلام التي أنشأها المنصور في العطيفية اليوم.

رأيـــتُها تُباع، وموضعها على الشاطئ تحت القهوة المعروفة بقهوة المُمَيِّز، التي جعلت من أوقاف العادلية[١].

وفي هذا الجامع سِقاية يشرب فيها العطاشى، ولها خادم يقوم بخدمتها بـــراتب يتقاضـــاه، وإداره الجامع من قِبَل الدائرة الوقفية ببغداد، وكان محل السقاية على يسار الداخل الى الجامع بشُبَّاك على السوق[٢].

جامع القبلانية أو جامع سوق الهرج

هو الجامع الواقع على يسار المار في السوق من الجسر إلى الشرق، واقـــع شمالي [الـــ]مدرسة المستنصرية، يفصل بينهما السوق الذي هو واقع علـــيه[٣]، وسوق ثانٍ يقال له سوق الهَرَج، عليه المدرسة المستنصرية؛ وبين السوقين أربعة منافذ فيها دكاكين، أي بين السوقين كُتَل من دكاكين، قسم منها متجه إلى جهة الجامع، والقسم الذي في ظهرها متجه الى جهة المدرسة[٤].

---

(١) سيفَصِّل المؤلف القول في هذا المقهى عند حديثه عن المدرسة المستنصرية.

(٢) يفهم مما ذكره عبادة (العقد اللامع ص٣٣٢) أن هذه السقاية لم تكن من أصل عمارة داود باشـــا، وإنما هي أنشئت عند بناء سور الجامع مجدداً بعد أن هدم لتوسيع طريق الجسر قبل الحرب العالمية الأولى، وقد كتب على شباكها قوله تعالى(وجعلنا من الماء كل شيء).

(٣) ويسمى سوق القبلانية نسبة إليه.

(٤) أزيلـــت هـــذه الكتل من الدكاكين بوصفها تحجب مدخل المدرسة المستنصرية، سنة ١٩٧٤م، فاتحد سوق الهرج وسوق البزازين في سوق عريض واحد.

وهو جامع واسع الفناء، رصين البناء[1]، شاده المرحوم والي بغداد مـــصطفى باشــا الشهير بقبلان سنة ألف وتسعين، حسبما ينطق به التاريخ المكــتوب على جداره، وذلك بعد انفصاله من الولاية لأن ولايته كانت سنة ١٠٨٧[2] ولهذه يسميه الناس جامع القبلانية نسبة له، وقد كان الباشا المشار الـــيه والـــياً في بغداد سنة ١٠٨٧ كما تحكيه السالنامة العثمانية. وولِّي بعده

---

(١) كـــان مُـــصلَّى الجامــع يتخذ شكلاً مستطيلاً، له قبة مرتفعة تقوم على أربعة أواوين معقــودة، يــستند الإيــوان الخلفي منها على جدار القبلة، بينما تستند الأواوين الثلاثة الأخرى على عمودين ضخمين مربعي الشكل من الآجر، وللمصلى منبر أنيق مزين بقطــع الرخام، تعلوه قبة مضلعة مخروطة، على الطراز التركي، وهو نمط نادر في منابــر بغداد، وللجامع مصلى صيفي، له محراب مزين بالآجر الزجج، وعلى الرغم مـــن متانة بناء هذا الجامع، وكونه يمثل أنموذجاً لريازة المساجد البغدادية في القرن الحـــادي عشر للهجرة (١٧م) إلاّ أن من المؤسف أن تقوم الأوقاف بنقضه تماماً سنة ١٣٩٥هـــــ/١٩٧٥م، لتشيد في أرضه سوقاً، وأنشأت في الطابق الأعلى من السوق مـــسجداً صغيراً سنة ١٣٩٦هـــ/١٩٧٦م سمته باسم الجامع القديم، إلاّ أنه لا صلة له بتاريخه، ولم يتبق من عمارة ذلك الجامع إلاّ مئذنته، وهي جميلة رشيقة، مزينة بحلى بنائـــية مـــزججة، وتعلوها قبة بغدادية محززة، على أن شيئاً من أعلاها قد تخرب، فغدت آيلة للسقوط.

(٢) لاحـــظ المؤلف هنا الاختلاف الظاهر بين تاريخ ولاية مؤسس الجامع، ومنطوق هذه الكـــتابة، ففسر الأمر بأنها كتبت بعد عزله، وقد تولى قبلان مصطفى باشا بغداد في ٢٧ صـــفر ســـنة ١٠٨٧هـــــ، وعـــزل عنها في ٣ رمضان سنة ١٠٨٨هـــ. ينظر مرتضى آل نظمي: كلشن خلفا ص٢٨٢ وكتابنا: الأسر الحاكمة ص٥٩.

سِلَحْدار عمر باشا باني المدرسة العمرية[1] سنة ١٠٨٨ إلى سنة ١٠٩٣ [2]، والتاريخ المكتوب فيه هو:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾

قـد أمَرَنا من أمره مطاع في العراق، نادر المثيل في الآفاق، وارث المكـارمِ عن آباءٍ كرام، وأسلاف أعِزَّةٍ فِخام، والي الخطة العراقية، ومتولي مـا فـيها مـن الأمور الكلية والجزئية، من عَظُمَت حَسَناته، وعَمَّت بركاته ومبـراته، مـصطفى باشـا والي إيالة بغداد، الشهير بقبلان - تقبل الله منه صنائعه الحِسان- بإقامة هذا المسجد العديم النظير، وعِمارته بأحسن تعمير، فمَـنَّ الله تعالى بالختام، حسب المطلو ب والمرام، وذلك سنة التسعين بعد الألف من هجرة خير الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام.

وقـد كانـت علـى جدرانـه كتابات كثيرة اندرست بسبب التبديل والتعمير، وقد أصابه الوَهَن والخلل سنة ١٢٠٥ في زمن ولاية سليمان باشا الـصغير[3]، فجـدد عمارته حسبما ينطق الحجر المكتوب على باب مُصلاّه الوسطاني، وهو:

---

(١) سيتناول المؤلف بالبحث تاريخ هذه المدرسة فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٢) وفي كلش خلفا ص ٢٨٣ أنه ولي بغداد في ٣٠ رمضان سنة ١٠٨٨ وعزل عنها في ١ جمادى الأولى سنة ١٠٩٢هـ.

٣) فـي مساجد الآلوسي: سليمان باشا الكبير، وهو الصواب، لأن تاريخ التعمير يقع في ضـمن سني ولايته بين سنتي ١١٩٣ و١٢١٧هـ/١٧٧٩- ١٨٠٢م. كما أشار إلى=

بنى الجامع الأعلى سليمان ذو العُلى فأضحى بحمد الله أزهر ساطعا
تقوم رجالٌ فيه لله أخلصوا فلم تَلْقَ إلاّ ساجداً فيه راكعا
ولما أُعِدَّت للصلاة صُفوفه وقام بأُولاها الإمام مُسارِعا
هناك دعا الداعي الفلاح مؤرخاً: سليمان قد شَيَّدتَ للوحي جامعا

وكانت فيه مدرسة، وخزانة كتب(1)، ولكن دائرة الأوقاف اقتطعت المدرسة وجعلتها قيصرية تستغلها، والمكتبة اسم بلا جسم، إذ لا كتاب ولا خزانة ولا مكتبة، وأخيراً أيام الحكومة العربية، أي بعد خروج العثمانيين وتأليف الحكومة العربية، عَمَّرت الأوقاف المدرسة، وأمرت المدرس الذي كان مُعيَّناً زمن الحكومة العثمانية، وهو يوسف أفندي المشهور بعَطا(2)

=عميره إياه كل من رسول حاوي الكركوكلي في دوحة الوزراء ص٢١٩ وعثمان بن سند في مطالع السعود ص٢٤٤. وكنا قد عثرنا في أثناء زيارتنا للجامع سنة ١٩٦٩، على قطعة من الآجر المزجج، كتب عليها تاريخ تعمير أجري سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٥م، ويقع هذا التاريخ ضمن ولاية سعيد باشا بن سليمان باشا الكبير، إلاّ أن أحداً من المؤرخين لم يشر إلى هذا التعمير.

(١) أورد السيد نعمان خير الدين الآلوسي المتوفى سنة ١٣١٧هـ/١٨٩٩م فهرساً لكتب هذه الخزانة في كتابه (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة) الذي نشرناه بالرونيو، وصدر عن مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد سنة ١٩٨٥، ص٩٦- ١٠٢، ويبلغ عدد الكتب فيها ٢٠٥ كتاباً مخطوطاً، منها كتب نادرة في التفسير والفقه والأدب ودواوين الشعر والتاريخ وغير ذلك، وقد بادت تلك الكتب منذ زمن بعيد.

(٢) هو العلامة السيد يوسف صلاح الدين بن محمد نجيب بن أحمد آل عطا، ولد ببغداد سنة ١٢٨٦هـ، وأخذ العلم على كبار علمائها في عهده، منهم الشيخ عبد السلام=

بالدوام فيها، وأخذت له بعض الكتب، فجعل يأوي إليها، ويتردد عليها. وكان خلف الجامع من جنوبيه دارٌ مُعدَّة لسكنى الإمام، فأخذتها الحكومة الآن وجعلتها مُستَغلاً للوقف[1].

أما الجامع الآن فتُقام فيه الصلوات الخمس والجمع والأعياد، ويجري فيه الوعظ أيام رمضان، وواعظه ملا مصطفى أفندي المعروف بملا مصطفى الطويل[2]. ويوجد في قِبلة الجامع، أي في جهة المُصلَّى، قبور يقال أن أحدهما قبر أبى الحسين أحمد بن محمد القُدوري الفقيه الحنفي، المتوفى يوم الأحد رجب ٤٢٨، الذي دفن في بيته أولاً، ثم نقل منها إلى جوار الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي في شارع المنصور بجانب

=الشهير بالشواف، والشيخ عبد الوهاب النائب، والشيخ غلام رسول الهندي، وصار عضواً في مجلس المعارف الذي كان برآسة الوالي ناظم باشا، ثم مدرساً في مدرسة الحقوق، وفي مدرسة جامع القبلانية، ثم اختير مفتياً لبغداد، كما تولى التدريس في المدرسة القادرية أمداً من الدهر، حتى وفاته سنة ١٣٧١هـ/١٩٥١م. محمد صالح السهروردي: لب الألباب ج٢ ص٢٢٥.

(١) رأيت هذه الدار، وهي مستقلة تماماً عن المصلى، قائمة، حتى نقضت بنقض الجامع نفسه سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، وكانت تسمى بدار الإفتاء العراقية، لإقامة الشيخ يوسف العطا فيها، وكان قد أختير مفتياً لبغداد سنة ١٣٥١هـ. السهروردي: لب الألباب ج٢ ص٢٢٩.

(٢) وأشهر من وعظ فيه أيضاً واعظ العراق الشيخ نعمان الأعظمي (المتوفى سنة ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩م). ينظر الدروبي: البغداديون ص١٧٦.

الرصـــافة، ومعه قبور بعض الصالحين[1]. ويقول الشيعة ن هذه القبور هي قبر.....[2].

وعندي أن كلا القولين غير صحيح، لأن إيوان المستنصرية المحتوي علـــى صورة الفَلَك، والساعات، ومدرسة الطب، ومستشفى، وصُفَّة الطبيب وغير ذلك، هو في محل الجامع المذكور، لأن الإيوان وما يتبعه من الأشياء المذكورة هو في مقابل المستنصرية على ما هو منكور في كتب التاريخ، من خلاصـــة الـــذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلِّي، وتاريخ بني العباس لابن

---

(١) هذا الكلام للآلوسي (مساجد بغداد ص٥٩) نقله المؤلف لينقده كما هو أت.

(٢) بياض في الأصل. وربما أراد: علي بن محمد السمري، أحد السفراء الأربعة للإمام الثانـــي عشر، صاحب الزمان، وهو الأخير، وفي هذا يذكر المجلسي (توفي ١١١٠ هـــ/١٦٩٨م) " أخبرني الحسين بن إبراهيم عن أبي العباس بن نوح عن أبي نصر هـــبة الله محمد الكاتب أن قبر أبي الحسن السيمري(أو السمري) رضي الله عنه في الـــشارع المعروف بشارع الخلنجي من ربع باب المحول قريب من شاطئ نهر أبي عتاب، وذكر أنه مات رضي الله عنه سنة ٣٢٩" . بحار الأنوار ج٣١ ص٩٨ (حجر إيـــران) واليزدي الحائري: إلزام الناصب في إثبات الحجة الغائب ص٤٢٧ (النجف ١٣٨٣هـــ/١٩٦٣م)، ولطف الله الصافي الكلباكاني: منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر ص٣٩٩- ٤٠٠ (مط. الحيدري ١٣٧٣هـــ) وكلهم ينقل عن البحار. وفي تحديد موقـــع باب المحول يذكر صاحب العيون والحدائق ج٤ ص٢٦٦" فبنى الناس الكرخ وبـــاب الـــشام وبـــاب الشعير وباب المحول، فكان الجماعة يسمون الكرخ ولزم هذا الأمـــر"، أمـــا نهر أبي عتاب فكان الفرع الأول من فروع نهر كرخايا الأربعة، الذي كـــان يختـــرق ربض الكرخ منذ القرون الأولى من تاريخ بغداد. ليسترنج: بغداد في عهد الخلافة العباسية ص٦٠ ودليل خارطة بغداد المفصل ص٨٠.

الساعي، والصلاح الصفدي[1]؛ ولم يُنقل أن أحمد القُدوري أو الخوارزمي أو غيرهما ممن يُقال أن قبره هنا قد دفن في إيوان المستنصرية، أو في صفته، أو في مستشفاه. نعم! نَقَل صاحب الوفيات دفن القُدوري في داره بدرب أبي خَلَـف[2]، ثـم نقله إلى تربة في شارع المنصور، فدفن فيها بجنب أبي بكر الخوارزمي، ولكن لم يُنقل أن هذا المكان هو شارع المنصور، ولا أن التربة هـي هـذه، فالقـول على هذا مجرد حزر وتخمين يُكذِّبه التاريخ على ماذ كرناه[3]. على أن درب أبي خَلَف واقع في الجانب الغربي في قطيعة الربيع

---

(١) كـنا قـد توصـلنا إلـى أن أصـل جامع القبلانية هو أيوان الطب التابع للمدرسة المستنصرية، وهو مدرسة لتعليم الطبابة، وصيدلية لحفظ الأدوية والعقاقير، فضلاً عن ضمه الساعة العجيبة التي سينوه بها المؤلف في حديثه عن المستنصرية فيما يأتي من هذ الكتاب، وذلك في بحث نشرناه في مجلة الرسالة الإسلامية العدد ٢٣ شباط ١٩٧١ ص٥٨ ولم نكن قد اطلعنا على رأي المؤلف هذا.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص٦٠، الترجمة ٢٩.

(٣) إن أول مـن أشار إلى هذا القبر هو الرحالة التركي نصوح السلاحي المطراقي زاده الـذي قدم إلى العراق ضمن حملة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٨م، وقـد ورد اسـمه في هذه الرحلة بلفظ (محمد الفتاوي)، إشارة إلى كونه مفتياً فقيهاً، (رحلـة مطراقـي زاده، بتحقيقنا، أبو ظبي ٢٠٠٣، ص٨٧) وورد في نسخة خطية كانـت لدينا(والآن هي في المركز الوطني للمخطوطات) من القصائد الوترية، وهي مـنظومة للـشيخ محمد الوتري التي اشتهر بها ونسب إليها- وهي ترقى إلى القرن الحـادي عشر للهجرة (١٧م) إضافة من عند الناسخ مدخلة في آخر المقدمة، ركيكة الأسـلوب، أشـير فيها إلى ثلاثة قبور في المكان نفسه، أحدها للشيخ محمد الوتري، والثانـي لمحمـد القبوري، والثالث للشيخ برهان الدين، إذ جاء في هذه الإضافة ما=

[انظر الخطيب جزء ٦] فإذا نُقل فإنه يُنقل إلى المقابر في الجانب الغربي لا الجانـب الشرقي، كما أن كون شارع المنصور هذا لا دليل عليه عند القائل،

=نصه " وعند الشيخ محمد الوتري مدفون مألف (كذا) كتاب القدوري أبو حسن محمد بـن محمـد القدوري البغدادي و.. عند الشيخ محمد الوتري والشيخ محمد القدوري قـريب ضريح الشيخ برهان الدين معلم لشيخ المشايخ محمد ابن الشيخ محمود قطب الأقطـاب، وخليفة سلطان الأولياء، الشيخ عبد القادر الكيلاني، والشيخ محمد الوتري والـشيخ القدوري والشيخ برهان الدين ببغداد دار السلام عند مدرسة المستنصر بالله والدجلة قدس الله سرهم". فهذا النص يكشف عن أن نسبة هذه القبور ترقى إلى القرن الحـادي عـشر للهجـرة في أقل تقدير، وذكر مرتضى آل نظمي قبر الشيخ محمد الوتري بأن" مزاره ببغداد في سوق السراجخانة قرب الشيخ محمد القدوري" ومثله ما ذكره ياسين العمري المتوفى في الثلث الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م) إذ قـال" مرقد محمد الوتري في سوق السراجين في بغداد". ومن المؤكد أن الشيخ أحمد (لا محمد) القدوري، مدفون بدرب أبي خلف من نواحب المدينة المدورة، وأن الشيخ محمـد الوتري توفي في دمشق سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م، ونسب عبادة قبر الأخير إلى السيد محمد بن أحمد الوتري الموصلي، وقال أنه توفي سنة ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م (العقد اللامـع ص٣٢٦) مـع أن نسخة القصائد الوتريات تشير صراحة إلى أن الدفين هو ناظمهـا المذكـور، أمـا الشيخ برهان الدين فلا تعرف له ترجمة، ولكن ذكر الشيخ عـباس بـن رجب البغدادي أن قبره كان مما يلي جامع القبلانية من جهة الصفارين (سـوق الصفافير) في مسجد ينسب إليه. كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص ٣٧.

فـــإن شـــارع المنـــصور، أو درب المنصور، واقع في الكرخ في محلة بين السورين. انظر ص٣٥٩ معجم الادباء جزء ٦[١].

جامع الصاغة أو جامع الخفافين

هو الجامع الواقع على دجلة[٢]، جنوبي المدرسة المستنصرية، قريباً مـــنها، يفـــصل بيـــنهما المحـــل الـــذي كان في السابق محل إدارة المكوس (الكمـــرك)، والـــذي هـــو في الأصل حمّام المستنصرية[٣]. ويقال له جامع

(١) جاء في ترجمة محمد بن أحمد بن طاهر، الواردة في هذا الموضع من معجم الأدباء لياقوت، أنه كان" من ساكني درب منصور بالكرخ" وأنه كان خازناً لدار الكتب التي بين السورين".

(٢) هـــو أقـــدم مسجد عامر ببغداد اليوم، احتفظ بهيئته الأصلية، ومئذنته الأثرية، دونما تغييـــر يذكـــر، منذ أن أنشأته سنة ٥٩٨/١٢٠١م السيدة زمرد خاتون(المتوفاة سنة ٥٩٩هـــ/١٢٠٢م) زوجة الخليفة المستضيئ ، وأم الناصر لدين الله، وهو يقع على شـــاطئ دجلة، على مقربة من المدرسة المستنصرية، وكان الوالي جغاله زاده سنان باشـــا قد جدد هذا المسجد سنة ٩٩٩هـــ/١٥٩٠م، وما تزال في المسجد من آثار هذا الـــتجديد لـــوحة بخط الخطاط الشهير عبد الباقي المعروف بقوسي البغدادي. وتحمل الأرض التي يشغلها هذا الجامع التسلسل ١٣٤٤.

(٣) ســـبق أن نقلـــنا مـــن كتاب الحوادث نصاً صريحاً فيه أن مما يلي المستنصرية دار الـــزعيم سنقرجا، ويلي هذه الدار مسجد الحظائر. وقد تقلبت الأحوال بهذه الدار حتى آلـــت إلـــى أن تكون قهوة خانه (مقهى) شيدها والي بغداد جغاله زاده سنان باشا في نهايـــة القرن العاشر للهجرة، وقد ظن نيبور الذي نزل بغداد سنة ١١٨٠هــ/١٧٦٦م أن أصـــل هـــذا المقهى هو مطبخ المدرسة المستنصرية، وأنه تحول إلى مقر لدائرة المكـــوس (الكمـــرك)، في حين تحولت المستنصرية نفسها إلى خان للقوافل، ولبث=

الخفافــين أيــضاً، لوقوعه قريباً من سوقهم، والخفّافون هم صانعو الخِفاف الحُمر (اليَمَنيّات)[1].

وهو جامع وَسَط في السِّعة والكِبر، له مصلى كبير مطل على نهر دجلــة، يفــصل بــين جداره القِبلي وبين دجلة الرصيف الذي بنته الحكومة العثمانــية لــيكون محلاً لوضع التجار أموالهم عند إرادة تحميلها في السفن البخارية، وعند اخراجها منها. وعلى يمين هذا المُصلّى مُصلًّى صغير بباب منفــرد، وفيه باب يؤدي إلى المصلى الكبير، وهو مُعَد للشافعية، وفيه مئذنة

=الأمر على حاله حتى عهد المؤلف، وحينما أخلتها هذه الدائرة، صارت خاناً للملح، ثم نقضت في السبعينات، وبقيت أرضها خالية حتى اليوم. وهي القطعة المسجلة برقم ٨/٣٧ وتسلسل ٧٦.

(١) كان يعرف بجامع الصاغة، أو جامع الصياغ، بسبب اتخاذ الصاغة من السوق الذي عــند بابه أماكن لعملهم، وقد يعرف بجامع القيومجية، وهو لفظ تركي يعني الصاغة أيضاً، ثم أنهم انتقلوا بعد ذلك إلى خان جغان (المنسوب إلى مؤسسه جغاله زاده سنان باشــا ســنة ٩٩٩هــــ) فحــل محلهم صانعو الخفاف الحمر، فعرف حينذاك بجامع الخفافــين. ينظر عبادة: العقد اللامع ص٣٤١-٣٤٤ والآلوسي: مساجد بغداد ص٤٢ وقال عباس بن رجب البغدادي أنه كان يسمى قديماً جامع الإسماعيلية، كتابنا: مساجد بغــداد في كتابات الأجداد ص٣٦، وآخر تعمير أجري لهذا الجامع جرى سنة ١٣٩٣ هــ/١٩٧٣م، وقد شمل المصلى والواجهة الأمامية، وهو لما يزل معموراً بالمصلين.

واقعة غربي المُصلَّى[1]. وعلى يسار الداخل إلى صحن الجامع غُرف تحتية إحداها مدرسة[2].

فــيه مــدرس[3] وخطيب وإمام ومؤذن وخادم. ولا تزال الصلوات الخمــس والجمع والأعياد تقام فيه، وفيه وعظ يجري في رمضان، وقد كان فــيما مضى يعظ فيه جعفر أفندي الشهر بابن الواعظ[4]، في الأسبوع مرتين

---

(١) تعــد هــذه المئذنة أقدم مئذنة عباسية قائمة في بغداد اليوم، وتتميز بقطع الآجر التي تزين قمتها، على شكل هندسي منتظم، وبرشاقتها الظاهرة.

(٢) وكانــت تعــرف بالمدرسة الإسماعيلية، وأول إشارة إليها وردت في مخطوطة كتبها الــشيخ سلطان بن ناصر الجبوري المتوفى حيث جاء في آخرها" وقد وقع الفراغ من تــسويد هذه الرسالة المباركة على يد الفقير إلى الله المنان القادر، سلطان بن ناصر الجــبوري قبيلة، الخابوري أصلاً، البغدادي مسكناً، في مدرسة الإسماعيلية في بغداد على ساحل الدجلة، في يوم الاثنين بعد صلاة العصر في اليوم السادس والعشرين من شــهر صــفر الخير في سنة ثماني عشرة ومائة بعد الألف بعد الهجرة النبوية على فاعلها أفضل الصلاة وأكمل التحية". ويظهر أن هذه المدرسة أهملت تماماً واندثرت، لأننا نقرأ في وقفية الحاجة حَوّى بنت الحاج عثمان أفندي وزينب بنت الحاج مصطفى وعائــشة بنت عمر الباجه جي ولطيفة بنت عمر الباجه جي أنهن أنشأن مدرسة في جامــع الــصياغ، ووقفــن عليها عقارات جمة في بغداد والبصرة والنجف وذلك في وقفيتهن المؤرخة في ٤ ذي الحجة سنة ١٢١١هــ/١٧٩٦م.

(٣) ذكر عبادة من مدرسيها العلامة الشيخ إسماعيل أفندي الموصلي المتوفى سنة ١٣٢١ هــ/١٨٩٤م، ومن تلامذته العلامة السيد محمود شكري الآلوسي.

(٤) هو السيد جعفر بن محمد أمين الواعظ، من آل الأدهمي، الأسرة الحسينية التي نزحت بعض فروعها من هيت على الفرات إلى بغداد في القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م)، لــد هــو ســنة ١٢٦٠هــــ/١٨٤٤م، وتلقى العلم على كبار علماء مدينته، وتولى=

ماعــدا رمــضان، وكان –رحمه الله –من الواعظين الممتازين، ويكاد يعد بالنظــر لواعظــي زمانه ابن الجوزي. وفي الجامع خزانة كتب، فيها كتب خَطِّــية قديمــة، ولكن أكثرها ضاع بتداول الأيدي عليها[١]، شأن سائر كتب مدارس بغداد.

وهــو من منشات الحاج علي والحاج بكر والحاج عبد الرحمن آل الــباجه جي، ووقف عليه الحاج بكر المذكور[٢]، كما وقف عليه أيضاً الحاج

=الــتدريس في المدرسة الخاتونية ببغداد، اشتهر ببليغ وعظه، وبإتقانه علم القراءات القــرآنية، وبالــتجويد فــي التلاوة، وتوفي سنة ١٣٢٠هــ/ ١٩٠٣. ينظر الروض الأزهــر فــي تراجم آل السيد جعفر ص١٤٣- ١٥٧ ، وترجم له المؤلف في كتابه (تاريخ الأسر العلمية في بغداد ص٢٨٠).

(١) رصــد الــسيد نعمان خير الدين الآلوسي من كتبها ٤٩ كتاباً خطياً، أكثرها مما كان يعــرف بكــتب الجادة، أي الكتب الدراسية، مع بعض الكتب الأدبية. فهرست مكاتب بغــداد الموقــوفة ص٨٤. وقال إبراهيم الدروبي: وفي هذه المدرسة كانت مكتبة قيمة تــضم نــوادر المخطوطات، ومن بقاياها محفوظ لدى المتولي جواد جلبي كتاب شرح مــسلم للــنووي بخــط بديــع محلــى بالذهب مخطوط سنة ٩٠٠هــ، وبظهره وقفية المخطوط". البغداديون، ص٣٢١.

(٢) وقــف عليه منشآت عدة، هي: حمام شامي، ومخزن تحت قبة باب الجامع المذكور، ودكاكــين عند بابه، ودكان خارج سوق الصياغ، ودكان آخر عند باب الجامع شمالاً، وأوقاف أخرى كما في وقفيتيه المؤرختين في شعبان سنة ١٢١٢هــ/ ١٧٩٧م وفي ٢١ رمضان سنة ١٢٢٣هــ/١٨٠٨م.

علـــي الـــباجه جي في البصرة وكربلاء وبغداد، من ذلك حمام شامي[1] في الكـــرخ، [و] بـــستان في البصرة، نصفها وقف للجامع، ونصفها وقف على مملوكهما الحاج سليم بن عبد الله[2] وذريته، والعقارات القريبة من الجامع من الخـــان والدكاكين، وكذلك المدابس الموجودة في كربلاء وبعض دور هناك. وقد جعلا تولية الأوقاف والجامع إلى المملوك المذكور الذي أعتقاه من الرِّق، ولأولاده من بعده، الأرشد فالأرشد. وإن ادارة هذا الجامع وأوقافه هي الآن بيد إبراهيم جلبيآل مصطفى سليم[3] ، والحق يقال أن ادارته خير من إدارة كثيـــر من الجوامع التي تعطي أوقافها أربعة أضعاف غِلَّة هذا الجامع، والتي هي تحت إدارة الأوقاف، دَعْ الجوامع التي هي تحت ادارة المتولين، والظاهر أن الجامع المذكور قد بني بموضع الدار المُستَجِّدة الملاصقة للمستنصرية[4]. وكان بناء الجامع والمدرسة سنة ١٢٠٠[5] والوقف بتواريخ مختلفة من سنة

---

(١) كـــان هذا الحمام يقع في علاوي الشيخ صندل، في الطريق المؤدي إلى الفحامة من ناحية محلة الفلاحات، وقد نقض وهو اليوم داخل في أرض شارع حيفا الحديث.

(٢) توفي سليم سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م.

(٣) توفى مصطفى بن سليم في سنة ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م.

(٤) يقـــصد الـــدار المـــستجدة التي سكنها زعيم خوزستان سنقرجا، وصحيح أنها كانت ملاصقة للمستنصرية، ولكن مسجد الحظائر لم يكن كذلك، كما بينا من قبل.

(٥) من الواضح أن تاريخ إنشاء الجامع ومدرسته أقدم من هذا التاريخ بقرون عدة، وإذا كان المؤلف يقصد بهذا التاريخ سنة تجديده على يد أبي بكر الباجه جي فهو مما انفرد بـــه، لأن مـــصادر أخرى تشير إلى أن تجديده جرى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، وأن تاريخ أول وقفياته هو سنة ١٢١٢هـ، العقد اللامع ص٣٤١.

١٢٠٦ وســـنة١٢١٢ وسنة ١٢٢٣، كما تحكي ذلك الوقفيات المحفوظة عند المتولين[١].

جامع الإسماعيلية [أو][٢] جامع الكبابجية

هــو مسجد واقع شرقي جامع الصاغة، بينهما قدر سبعين أو ثمانين خطــوة، واقع في السوق النازل من الشارع العام غربي جامع مرجان حتى دجلة شمالي قهوة المصبغة[٣]، وعنده السوق الذي يعمل فيه الشواء (الكباب)، ولــذا يسمى بجامع الكبابجية نسبة إلى باعة الكباب، وبهذا الاسم مشهور عند العامــة، وســمى بمــسجد الإســماعيلية لا لكونه منسوباً إلى الفرقة المعروفة بالإسماعيلية[٤]، بل لأن والى بغداد المرحوم إسماعيل باشا بناه حينما كان والياً،

---

(١) ينظر عن هذه الوقفيات عبادة: العقد اللامع ص٣٤٢- ٣٤٣ وكتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة ص١٢٩- ١٣٠.

(٢) الزيادة يقتضيها السياق.

(٣) قهــوة (مقهــى) قديمة تقع في نهاية شارع السموأل، على شاطئ النهر، وقد عرفت أيضاً بقهوة الشط، وسيأتي الحديث عن أصل هذا الموضع فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٤) وســمي أيضاً بجامع السررجية، لقربه من دكاكين عاملي الأسرة من جريد النخل. ولكــن اشتهر باسم جامع الوفائية، وهو الاسم الذي ظل معروفاً حتى وقتنا الحاضر، نــسبة إلى منشئته وفا خاتون عمة السلطان احمد الجلائري، المتوفاة سنة ٨٠١هــ وقــد ادعــى بعضهم أنهم من ذريتها، واختلقوا لها أباً سموه أحمد أفندي، وكأنها من نساء العصر العثماني! وسماها السيد عباس بن رجب البغدادي " السيدة وفية العباسية" رجماً بالغيب. العقد اللامع ص٣٤٨، ومساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٣٦.

وذلــك سنة ١١١٠ هجرية[١]، ومن الصدَف أنه أصابه خلل فأعاد عمارته والي بغداد أيضاً، وكان اسمه إسماعيل باشا، وذلك سنة ١١٤٧[٢].

وهذا المسجد من المساجد القديمة، مشتمل على مصلى صغير، أمامه رواق مــسقف بالخشب، وفيه فناء واسع، وبعض حجر، وتقام فيه الجماعات فــي الصلوات النهارية فقط، وله إمام ومؤذن وخادم، ويُدار هو وأوقافه من قبل المتولي، واسمه الآن.....[٣]

---

(١) تولى بغداد من سنة ١١٠٩ إلى سنة ١١١١هــ . مرتضى آل نظمي: كلشن خلفا ص ٣٠٤، وكتابنا: الأسر الحاكمة ص٦٠.

(٢) تولــى بغداد من سنة ١١٤٧ إلى سنة ١١٤٨هــ . رسول حاوي الكركوكلي: دوحة الوزراء ص١٩٦٣ ، والأسر الحاكمة ص٦٠.

(٣) ســكت المؤلف عن ذكر هذا المتولي، لأمر لا نعرفه. وقال عباس بن رجب واصفاً هــذا المــسجد، عاداً إياه مدرسة " وفيها تقام الجماعات، لكنها معطلة عن التدريس، ولــيس لهــا مدرسون، وما نعلم سبب ذلك". ومن أوقافه "الدكاكين الواقعة في سوق الكبيجية قرب قهاوي المصبغة المرقمة ٣٩-١٢، ٤١-١٢، ١٦- ١٢، والدكان الواقع فــي سوق الخفافين المرقم ١٩-٣-٧" (جريدة الوقائع العراقية، العدد ٤١٥، في ١٩ حزيــران ١٩٢٥). وممن دفن في هذا المسجد الملا علي البقال والحاج سعيد البقال، وهما من وجوه بغداد، وقد توفيا على التعاقب سنة ١٢٥٧هــ/١٨٤١م.

جامع العادلية الكبير

هــو الجامع الواقع على شارع النهر، تجاه دار المحكمة الشرعية[١]، يــبعد عن جامع الصاغة قدر ربع ميل، فلو سار الإنسان من جامع الصاغة مُشَرِّقاً إلى المحكمة الشرعية رأى[٢] على يساره، تجاه المحكمة الشرعية.

وهو جامع مشتمل على مُصلَّى، واقع على يمين الداخل إليه، ومنارة عالــية واقعة على الركن الغربي للمُصلَّى. وعلى يمين باب المصلى رواق صــغير لصلاة من فاتته صلاة الجماعة، فيُصلِّي هناك منفرداً، وعلى يسار الداخل إلى الجامع درج يصعد بها إلى المدرسة المُطِلَّة على الشارع. ويوجد بعض حجر في الجهة الشمالية الشرقية للجامع مُعدَّة لسكنى الفقراء.

أنــشــأت هـــذا الجامــــع صاحبــة الخيــرات والمبرات عادلة خاتــون[٣] بــنت أحمد باشا، المعروف بفاتح همدان، والملقب بوشناق أحمد

---

(١) يشغل قطعة الأرض المرقمة ٩/١٥ ذات التسلسل ٨٨٥.

(٢) لعله يريد: رآه.

(٣) من أبرز سيدات بغداد في العصر العثماني، ومن أكثرهن تأثيراً على مجرى حوادث عصرها، حكماً ومآثر، ولدت في حدود سنة ١١٣٠هــ/١٧١٧م تقديراً، ونالت تعليماً جيداً في قصر أبيها، ثم زوجها أبوها من سليمان باشا، كتخداه (نائبه ومساعده) ونائبه فــي حكــم البــصرة، وحيــنما ولي الأخير بغداد ١١٦٣هــم١٧٥٠م، صارت هي الشخــصية القوية المتنفذة التي تحكم من وراء ستار قصرها، وتفرغت بعد وفاته سنة ١١٧٥هــ/١٧٦١م، إلى أعمال البر، فأنشأت جامعاً غي محلة الدنكجية عرف بجامع العادلية الصغير، تمييزاً عن الجامع الكبير الذي يتناوله المؤلف بالبحث في أعلاه، كما أنشأت بيتاً لسكنى قضاة بغداد، قرب المحكمة الشرعية (محكمة الأحوال الشخصية=

باشـــا[١]، لأنـــه من أهالي البوشناق، وهم الإسلام[٢] المتوطنون في البُوسْنَة والهرسِـــك، وقـــد أصـــبحوا الآن تحـــت حكم الملَّة الصِّربية، او الحكومة اليوغسلافية. وهذا الباشا تولى ولاية بغداد بعد أبيه، وذلك سنة ست وثلاثين بعد المائة والألف[٣]، وقد كان حينما توفي أبوه سنة ١١٣٥[٤] متسلم البصرة، وبقـــى في الولاية حتى سنة ١١٤٧[٥] ، فعُزل عنها وأرسل إلى ولاية حلب وأُرفه، ثم أعيد إلى ولاية بغداد حينما نَكَثَ نادرشاه العهد[٦]، وبقي والياً عليها إلـــى ســـنة ألـــف ومائـــة وإحـــدى وستين، كما تحكى ذلك حديقة الزوراء للسويدي[٧].

=الرصافة)، قبالة جامعها الكبير، وأنشأت سقاية تعمل بالدواليب (الكرود)، وعدداً من الخانـــات الـــتجارية فـــي بغـــداد وخارجها، واشتهرت بأعمال خير كثيرة غير ذلك. وتوفـــيت سنة ١١٨٢هـــ/١٧٦٨م. وقد أفردنا في سيرتها كتاباً مستقلاً بعنوان (عادلة خاتون، صفحة من تاريخ العراق) بغداد ١٩٩٧.

(١) التـــبس الأمر على المؤلف رحمه الله، فأحمد باشا البوشناق وال آخر، غير المقصود هنا، وقد تولى بغداد من ٣ ذي القعدة سنة ١٠٩٨ إلى ١٤ ذي القعدة سنة ١٠٩٩هـــ/ ١٦٨٦- ١٦٨٧م. كلشن خلفا ص٥٩.

(٢) يريد: أهل الإسلام، أو المسلمون.

(٣) ويوافق أولها ١ تشرين الأول ١٧٢٣م.

(٤) ويوافق أولها١٢ تشرين الأول ١٧٢٢م

(٥) ويوافق أولها ٣ حزيران ١٧٣٤م.

(٦) وكان ذلك في سنة ١١٥٦هـــ/١٧٤٣م.

(٧) حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، بتحقيقنا، بغداد ٢٠٠٣، ص٢٢٣-٢٠٤.

وهـذه الخاتون هي زوجة سليمان باشا الذي تولى ولاية بغداد بعد أبيها، أي من سنة ١١٦٣ إلى سنة ١١٧٥[١]، وقد كانت هذه الخاتون المرحومة في الصلاح والتقوى على جانب عظيم، كثيرة الصدقات، محبة لأهل العلم والصلاح، كما أن أباها -رحمه الله -كان كذلك، وهو الذي له الأيادي المشكورة والمساعي المبرورة، فقد حافظ على بغداد، ووقاها من أيادي الاعاجم عند مهاجمتهم العراق أيام نادرشاه، الذي صار شاه الفرس بعد خلعه طِهماسب شاه بن شاه حسين[٢]، وهو الذي كان يعتمد في مكاتباته وفي مسائله العلمة والدينية على مفتي الأوردو[٣] الشيخ حسين أفندي الراوي[٤]، الذي كانت له الكلمة النافذة والرأي المسموع أيام ولاية والده المرحوم حسن باشا الوزير، باني جامع الوزير[٥]، وهو الذي عَيَّن الشيخ عبد الله افندي السويدي مُفتياً في النجف الأشرف باشارة الشيخ حسين افندي المذكور. وقد

---

(١) ١٧٤٩- ١٧٦١م.

(٢) هو (طهماسب ميرزا) آخر سلاطين الدولة الصفوية، تولى العرش سنة ١١٤٢هـ/ ١٧٢٧م، وقتله نادرشاه سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٠م.

(٣) الأوردو: لفظة تركية بمعنى الجيش.

(٤) هو الشيخ حسين بن عمر الراوي، من العلماء والشعراء ببغداد، سماه عبد الله السويدي" العالم الفاضل والمحقق الكامل" وأخذ عنه بعض أثبات علماء الحديث، وهو الذي نحت اسم (السويدي) لقباً لعبد الله المذكور فعرفت أسرته به. كتابنا: عبد الله السويدي، سيرته ورحلته، بغداد ١٩٨٨، ص٣٩.

(٥) سبق أن نوهنا من قبل، بأن حسن باشا منشئ جامع الوزير هو غير سميه منشئ جامع السراي، المسمى جامع جديد حسن باشا تمييزاً له عن سابقه، والأخير هو أبو أحمد باشا، أبو عادلة خاتون، منشئة جامع العادلية موضوع هذا المبحث.

حـضر الشيخ عبد الله افندي المناظرة التي وقعت بين علماء الشيعة وعلماء الأفغـان السُّنيين، كما يحكي ذلك حديقة الزوراء، لولده العالم الفاضل الشيخ عبد الرحمن افندي السويدي[١]. والقول بأن الشيخ ذهَبَ للمناظرة مع الشيعة قـول اصطُنع بعد ذلك، وإن المدقق لتلك المشاحنة التي وقعت لا يرى فيها للـسويدي جَـدَلاً ولا مباحـثة، وإنما المباحثة والجدال من الأفغان وعلماء الشيعة، وقد حضرها الشيخ كمُشرف عليها بأمر نادرشاه[٢].

وبالخلاصـة أن الباشا المشار اليه- رحمه الله تعالى عليه- كان من حسنات الدهـر، وفلـتات الـزمان، له مزايا تتزين بها كتب التاريخ (انظر الحديقة للـسويدي). وقـد كـان الفراغ من بناء الجامع المذكور كما تحكيه الكتابة الموجودة على بابه المنقوشة في المرمر سنة ١١٦٨ وهذا نص المكتوب:

ألا لله مِـن بـيتٍ مُعلَّـى　　مُعـدٌّ للإقامـةِ والـصلاة
بـناءٌ أُسُـسُه تقـوى وديـن　　بنيت على الخورنق من جهات
فَـنِعم الجامـع الوضَّـاح يـزهو　　كَـبدرٍ في الليالـي الحالكـات

---

(١) حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، ص٥٢٦- ٥٥٢.

(٢) لم يكن لنادرشاه ولاية على الشيخ عبد الله السويدي ليأمره، وإنما هو طلب من والي بغداد "عالما يبحث مع علماء العجم في شأن مذهب الشيعة"، فكان أن كلف الأخير عبد الله السويدي بالمناظرة، ففعل، وقول السويدي أن أحمد باشا سأل الله أن يقوي حجته، وأن أحمـد باشـا خيره " بين المباحثة وعدمها"، يدل على أنه لم يكن دوره الإشراف علـى المناظـرة بين علماء الأفغان والشيعة، وإنما المناظرة مع علماء الشيعة رأساً، ومجـريات الحـوادث التي أوردها السويدي في رحلته المسماة النفحة المسكية تؤكد ذلك.

تَــنَوَّرَ بالعــبادةِ فهــو يــزري بأنــوار الــنجوم الزاهــرات

بَنَــتهُ بمالِهــا أم المعالـــي عقيلة قومها بنت السُّراة[1]

سَــليلة أحمــد المــرحوم رَبِّ المحامد والعلى مولى الكفاة

وزوجــة مفخــر الــوزراء حــتف العِدى فَلاّق هاماتِ الكُماة

(سـليمان) الـزَّمانِ الآصـف القـرم فتى الفتيان ممدوح السِّمات

ألا يـا دهـرُ فافخـر أنـتَ حقـاً بعادلــة الرِّضـا أم الــصِّلات

كــريمة قــومها في كــل مجــد وغُــرَّة دهــرها ذات الهــبات

ومُطعمــة اليتامــى والــبرايا وكاسِــية الأرامــل والعُــراة

تُجَـدِّد كـل يـوم فعـل خيــرٍ ومـن حـسنى صنيع الـصالحات

وتُعَمِّــر مــسجدا لله تبغــي جـزاء الخـير في يـوم الـنجاة

وهــذا الجامــع الأســنى بَنَــتهُ تـروم بـه ثـواب المُحـسِنات

وقـد جعلـت ثـواباً كـان مـنه لـوالدها الرِّضـا ذي المكـرمات

ليحـيا ذكـرها في الدهـر دومـاً وتُذكر في الحياةِ وفي الممات

حماهـا ربُـنا مـن كـلِّ سـوءٍ بعِــزٍّ دائــمٍ طــول الحــياة

وضاعف أجرها في دار خُلدٍ ووفّاهــا جــزاء القانِــتات

ولما أن تَكَمَّل فيـه أرِّخ ألا يـا تم حـيَّ علـى الـصلاة

---

(١) في الأصل: السرات.

وكذلك كان على باب المُصلَّى المتجه نحو الغرب كتابة هي:

ذا جامـــــــعٌ مؤســــــــسٌ	علــى تُقــى الــرب المــتين[1]
بِـــــنتُ الوزيــــر أحمـــــد	بَنَـــته للـــدين المـــتين
(عادلـــــــــة) كـــــريمة	مخدومــــــة للمؤمــــنين
دامـــــت بعــــزٍّ دائـــــمٍ	في حفـــظ رب العـــالمين
تاريخــــــه جـــــاء الهَـــــنا	فـــنِعم دار المـــــتقين

ومكتوب على الباب القِبلي أبيات بهذا المعنى ولكنها في التركية.

أمـــا المنبـــر فإن على صدره كتابة، وهي (قال النبي صلى الله عليه وسـلم: لاعِـز إلاّ بطاعـــة الله). ومكتوب على المحراب (بسم الله الرحمن الــرحيم. فـــي بيوت أذن الله أن تُرفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالحمد والآصال رجال. إلى قوله تعالى: والله يرزق من يشاء بغير حساب).

ولا يـــزال الجامـــع هذا مُشيَّد الأركان، قائم البنيان، غير أنه أصبح مُنحَطّاً عن الطريق أكثر من نصف قامة، بسبب تعديل الطريق وتعبيده، وقد اعتـــنت به دائرة الأوقاف بعد وضعها يدها عليه وعلى أوقافه، بسبب طول الــشحناء والشكايات المتوالية من المرتزقة الذين لهم ما يفضل من غلَّة هذا الجامـــع وجامعهـــا الآخـــر الـــصغير الذي سنذكره فيما بعد، فكثرة التشكّي والمراجعات منهم سَبَّبَت رفع يد المتولي، وهو عبد الجبار بن إبراهيم افندي

---

(١) في الأصل: المبين، وما أثبتناه من العقد اللامع ص٣٥٢ ومساجد الآلوسي ص٤٤

المميز[١]، عن الجامعين وأوقافهما، وقد كانا يُداران من قبل المتولين إبراهيم افندي المذكور[٢]، ثم ابن أخيه عبد الوهاب[٣]، ثم ولده[٤]، ثم وثم.

وفـــيه من الموظفين مدرس وإمام وخطيب ومؤذن وخادم[٥]، وهو مفـــروش بأحسن البُسُط. وأوقافه كثيرة[٦]، حتى أن المتولي وضع يده على

---

(١) توفي سنة ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م.

(٢) تولى وقف عادلة خاتون من سنة ١٨٨٠ إلى ١٩٠٥م إذ أغتيل في قضاء الشامية، ودفن في الساحة المجاورة لمرقد الإمام علي (ع) في النجف الأشرف.

(٣) هو عبد الوهاب بك بن عبد القادر بك بن صالح بك، توفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م.

(٤) تولى الوقف بعده عبد القادر بك بالمشاركة مع عبد الستار بك بن عبد الجبار بك بن إبراهيم بك وولده الثاني محيي الدين بك، ثم أعقبه فيها أخوه الحاج أمين بك . إبراهيم الدروبي: البغداديون ص١٢١.

(٥) توضح وقفية عادلة خاتون طبيعة الوظائف التي أحدثتها هذه السيدة في جامعها الكبير هـــذا، والجامع الصغير الذي أنشأته من قبل، والرواتب التي رصدتها لأصحاب تلك الوظائـــف، فقـــد جـــاء فـــي تلك الوظائف أنها شرطت" أن يبدأ بصرف الموقوفات المذكـــورة علـــى تعمير الجامعين، الكبير والصغير، والمدرسة، إدامة لهما، ثم على لوازم الجامعين، ودفع رواتب المدرس والإمام في الجامع الكبير، والإمام في الجامع الصغير، ودفع رواتب المؤذنين وقراء الدور والخطباء والممجدين والخدم وجميع ما يقتضي الجامعين ، ودفع مخصصات الواعظ في شهر رمضان المبارك، وأجور الماء والفـــرش والحـــصران والأباريق وتنوير الجامعين في ليالي رمضان وسائر الأيام". كتابنا: عادلة خاتون ص٥٣.

(٦) تنظـــر تفاصـــيل تلـــك الأوقاف في وقفية عادلة خاتون المؤرخة في ١١٧١هـــ وقد أوردهـــا إبراهيم الدروبي في كتابه (بداية الوقف ونهايته)، وهو مخطوط في مكتبة=

الـــركن الغربـــي مـــن المستنـــصرية[1]، وهـــو الـــرواق المعـــد لجلـــوس مـــدرس...........[2] مدعـــياً أنه من أوقاف الجامع المذكور، فأعطاه رجب باشا المشير في بغداد إياه، وباع المدرسة إلى دائرة المكوس (الكمرك) بسبعة آلاف ليـــرة عثمانية بحجة أن المَبيع خان الموصليين- وهكذا كانوا يسمونها حتـــى اشتهر هذا الاسم- مع أن الكتابة الموجودة على باب المدرسة وعلى جدار هذا القسم ينطق بأنه المستنصرية.

ومـــن جملـــة أوقاف الخاتون رحمها الله الدار الواقعة في المحكمة الشرعية، فقد وقفتها على القضاة الشرعيين لسكناهم، وقد كانت دارها[3]. أما المحكمـــة الشرعية فليست من أوقافها كما يقوله بعض الناس ظناً، لان وقفية الجامـــع تـــنطق بالمحكمة الشرعية، وتعتبرها حدا من حدود ما وقفته، وقد كانت المحكمة قبل وجود الجامع المذكور وأوقافه[4].

=الأوقاف ببغداد، ونقلنا هذه الوقفية بحروفها إلى ملاحق كتاب عادلة خاتون ص٥٢-٥٥.

(١) ينظر ما يأتي في مبحث المدرسة المستنصرية.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) انفـــرد المؤلف بهذه المعلومة، وإلاّ فإن من المعروف أن أسر المماليك كانت تقيم في قـــصور شغلت الأرض الشاطئية التي شيدت مبنى القِشلة، في منتصف القرن الثالث عشر (١٩م) ، والتي ضمت فيما بعد دوائر الدولة العراقية الناشئة.

(٤) ذكر عبادة أن عادلة خاتون وقفت المحكمة وشرطت أن تكون محلاً للقضاء ولسكنى القـــضاة (العقـــد اللامـــع ص٣٥٥) وما ذكره المؤلف هنا أكثر دقة، فالمحكمة يرقى وجـــودها إلى عصر سابق على الواقفة عادلة خاتون، إذ أشير إليها في وقفية حسين أفندي المؤرخة سنة ١٠٩٨هـــ/١٦٨٦م، وفي وقفيته المؤرخة فـــي سنة ١١٠٠هـــ=

وقــد كان على ما يقال في المدرسة[1] خزانة كتب عظيمة، ولكن لم نــر لهـــا أثراً، والظاهر على هذا أن الأيدي تلاعبت بها فمزقتها، على أن المـــروي أيــضاً أن فـــي بيت المتولّي إبراهيم أفندي بعض كتب، ولهجرها وتـــركها لعبت بها الأرضة حتى تَركَتها لا تُجدي نفعاً، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

ومـــوقــــــع هـــــذا الجــامــــــع علـــى ما يُظــن هـــو موضــع المـــسجد الواقـــع فـــي محلة المأمونية في أخريات الدولة العباسية المعروف

=١٦٨٨م، وذكـــر الشيخ عبد الله السويدي أنه كان يتلقى العلم، في أوان شبيبته، في أوائـــل القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م) في المدرسة الأحسائية(جامع التكية الخالدية فيما بعد) على شاطئ دجلة " على يسار محكمة القاضي" النفحة المسكية في الرحلة المكـــية، بتحقيقـــنا ص٧٠. فما وقفته عادلة خاتون كان الدار التي خصصت لإقامة القضاة، وكلهم كان يقدم إلى بغداد من مدن أخرى.

(١) بلـــغ من عناية عادلة خاتون بالمدرسة التي أنشأتها، أنها شرطت أن تكون " مدرسة لـــتدريس العلـــوم فـــي المعقول والمنقول، واشترطت تعيين مدرس لهذه المدرسة.. وشـــرطت أن يكون في هذه المدرسة خمسة عشر طالباً في كل سنة، وخصصت لكل طالـــب مخصـــصات يومية، وجعلت لكل طالب علم إشارة خاصة يحمله في صدره (طلـــبة مدرسة العادلية ببغداد)" (الدروبي: البغداديون ص٣٢٢)، وقد تولى التدريس فـــي هـــذه المدرسة نخبة من أفاضل العلماء المدرسين، منهم السيد محمود الآلوسي، مفتي بغداد، والسيد صبغة الله الحيدري، ونجم الدين الواعظ، ثم محمد بن الحاج حمد العسافي.

بمسجد......[١] لأن محلة المأمونية تمتد من عند السيد سلطان علي[٢] إلى هذا الموضع فصاعداً[٣].

التكية الخالدية أو المدرسة الاحسائية

هو جامع صغير مطل على دجلة[٤]، مشتمل على منبر يصعد إليه من درج مخفية في شباك المصلى الغربي الواقع في قبلته، ومصلى سعته ثمانية أذرع في عشرة، أي قدر ثمانين أو مائة ذراع مربع تقريباً[٥]. وأمام

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) سيرد الكلام على موقع هذا الجامع فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٣) قال ياقوت في تحديده مكان المأمونية، أنها تمثل " الشارع الأعظم فيما بين عقدي المصطنع والزرادين" (معجم البلدان، مادة التاج) وعقد المصطنع هو مسجد قاضي الحاجات في الشورجة، والزرادين هي محلة كانت قريبة من باب الأزج، التي هي محلة الشيخ عبد القادر حالياً، فتكون إذن قد شغلت الأرض التي يشقها اليوم شارع الخلفاء، بين مدخل الشورجة، وساحة الخلاني تقريباً، وهذه المواضع كانت خارج دار الخلافة العباسية، بينما كانت الأرض التي يصفها المؤلف تمثل محلة (القرية) إحدى أبرز المحلات داخل دار الخلافة تلك.

(٤) يقع مدخلها في نهاية زقاق ضيق ينفذ إليه من شارع النهر (شارع المستنصر).

(٥) تشغل التكية الخالدية أرضاً مستطيلة مساحتها ٢١،٥×٣٠ متراً، ويحتل المصلى منها مربعاً أبعاده ٨،٨٠×٨،٩٠ متراً، تنظر الجوانب الفنية لهذه التكية في أحمد محمد الدراجي: الربط والتكايا البغدادية في العهد العثماني، بغداد ٢٠٠١، ص٨٦-٩٣.

المصلى صُفَّة مسقفة بالخشب، أما المصلى فإنه عليه قبة واحدة معقودة بالجص والآجر[1].

وتحيط بصحن هذا الجامع الصغير حُجر من جهاته الثلاث. وعلى يمين الداخل إليه عند الباب الخارجي حنفيات الوضوء، وعلى يساره غرفة كبيرة منخفضة يُجلس فيها عند القائلة. أما في الطبقة العليا فعلى الباب الخارجي صفة على يمينها ويسارها حجر، وبجانبي المصلى الغربي والشرقي في الطبقة العليا حجرتان كبيرتان إحداهما للمدرس، والأخرى لشيخ التكية النقشبندي أياً كان، وهاتان الغرفتان تطلان على دجلة.

وكان هذا الجامع الصغير قبل أن يُسمَّى بهذا الاسم معروفاً بمسجد الأحسائي[2]، وهو مجمع العُبَّاد والزهاد، ولذا نزله الشيخ خالد النقشبندي قدس سره عند مجيئه من كردستان وذلك سنة ١٢٣١ هجرية، ولما علم بحاله والي بغداد إذ ذاك داود باشا أراد تعميره له، فأبى وطلب أن يسمح له

---

(١) نقضت هذه القبة وأعيد بناؤها مجدداً بالحجم والمواصفات نفسها في أثناء التعمير الذي قامت به وزارة الأوقاف سنة ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م.

(٢) ذكر الشيخ عبد الله السويدي في رحلته أنه كان طالباً " بالمدرسة الأصفهانية المسماة اليوم بالمدرسة الأحسائية"، ولا نملك معلومات عن هذه المدرسة في تلك المرحلة المبكرة من تاريخها، ولا هوية ذلك الأصفهاني الذي نسبت إليه. وقد عرفت بالمدرسة الأحسائية نسبة إلى الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الأحسائي الحنفي المتوفى سنة ١٠٨٣ هـ/١٦٧٢م المدفون في فيها كما سيذكر المؤلف فيما يأتي، وكان هذا عالماً فاضلاً مصنفاً، له مؤلفات كثيرة في الفقه والنحو والمنطق. ترجم له المحبي في خلاصة الأثر ج٤ ص٣١٣، وينظر: عبادة: العقد اللامع ص٣٦٠.

بتعميره مما عثر عليه في خرابته من القارورة التي وجد فيها شئ من الدراهم، فوافق وبناه الشيخ المشار إليه من ذلك المال الذي قام بجميع ما يحتاجه(١). ومنذ ذلك الحين سُمِّي الجامع بالتكية الخالدية، لانه جعله تكية للمريدين يقومون فيها بالأذكار والصلاة وسائر العبادات، وبقي مقيماً فيها يرشد الناس إلى طريقته التي رآها موصلة إلى المولى، فسَلك طريقه، وأخذ عليه ولي الله بلا نزاع الشيخ موسى الجُبوري(٢)، والسيد عبد الغفور المَشهداني(٣)، والسيد أسعد افندي الحيدري(٤) مفتي بغداد وغيرهم من العلماء الأفاضل والأتقياء، فلما سافر إلى الشام صارت محل اقامة خليفته عليها، وهو السيد عبد الغفور، ولم يزل الخلفاء يتعاقبون على المقام بها.

---

(١) عثور الشيخ خالد النقشبندي على كنز في هذه التكية مما انفرد به المؤلف.

(٢) هو الشيخ موسى بن سائر الجبوري البغدادي النقشبندي، من خلفاء الشيخ خالد النقشبندي، توفي سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣١م. وستأتي ترجمته عند الكلام على مسجده فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٣) هو السيد عبد الغفور بن جابر المشاهدي النقشبندي، توفي نحو سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٥م. عباس العزاوي: خلفاء مولانا خالد، مجلة المجمع العلمي الكردي، بغداد ١٩٧٤، ص١٨٩.

(٤) هو أسعد صدر الدين بن عبد الله الحيدري، اشتغل بالتدريس بالتأليف مدة أربعين سنة، وأخذ عنه كثير من العلماء، ومنهم والي بغداد داود باشا، إذ لازمه مدة سبع عشر سنة قبل أن يلي بغداد، وغيره ، وله مؤلفات عدة، وتوفي سنة ١٢٣٨هـ/١٨٢٣م، وقيل: في طاعون بغداد سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م. ترجم له المؤلف في كتابه: تاريخ الأسر العلمية في بغداد ص١١٣ وينظر عبد القادر الشهراباني: شعراء بغداد وكتابها، بتحقيق أنستاس الكرملي، ص٥٩.

وفـــي هـــذه التكية تقام الصلوات الخمس والجمع والأعياد، كما تقام الأذكـــار النقـــشندية، وهـــي الختم. وفيها خزانة كتب مؤلفة من كتب العالم الفاضـــل إبـــراهيم فصيح أفندي الحيدري[١]، وكتب السيد أحمد أفندي السيد إبـــراهيم المشهداني بن أخي السيد عبد الغفور. وفيها عدة قبور في الحجرة الـــواقعة على يسار الداخل وراء الدرج الشرقية، فقبر الشيخ محمد بن أحمد الأحـــسائي الحنفـــي صاحب (التعريفات) و(شرح ألفيّة السيوطي) و(تهذيب المنطق)، المتوفى سنة ١٠٨٣[٢]، وقبر السيد أحمد المشهداني المذكور الذي توفي سنة ١٣٣٧[٣] وقبر....[٤]

---

(١) إبراهيم فصيح بن صبغة الله بن محمد اسعد الحيدري البغدادي (١٢٣٥-١٣٠٠هـ/ ١٨٢٠-١٨٨٢م) أديب بغدادي، من الأسرة الحيدرية المعروفة بالتدريس والتأليف في العـــراق فـــي العـــصر العثماني. درس على أيدي علماء بارزين معظمهم من أفراد أســـرته. وتولى نيابة القضاء في البصرة وفي بغداد، وسافر إلى استانبول، وكان له دور سياســـي هـــناك، وشمل اهتمامه عدداً من الفنون، منها الأدب والتفسير والعقائد والتـــصوف والحديث والفلك وأنساب الخيل، فضلاً عن التاريخ والأنساب. وألّف في ذلـــك أكثـــر من ٣٠ كتاباً ورسالة. ترجم لنفسه في كتابه (عنوان المجد) والبغدادي: هديـــة العارفين ١/٤٢، ٤٣ وايضاح المكنون ، ٥٠، ١٢٦، ٤٨٨، ٥٤٦، ٨٠٧، ٢/ ٢٩، ٩٤، ١٢٨، ١٩٥، ٢٠٠، ٢٦٠، ٢٩٠، ٤٣١، ٥٣٦، ٦٨٠، ٦٩٢ والـــراوي: تـــاريـــخ الأســـــر العلمـــية ١٢٢ والزركلـــي: الاعلام ١/٣٧-٣٨ وكحالة: معجم المؤلفين ١/٤٠.

(٢) يوافق أولها ٢٩ نيسان ١٦٧٢م.

(٣) يوافق أولها ٧ تشرين الأول ١٩١٨م.

(٤) بياض في الأصل.

وقد كتب على صدر باب المُصلَّى، في لوحة من الخشب، هذان البيتان[1]:

لله مـــأوى الـــسالكين معاهـــد ... للناســـكين معاقـــل ومعاقـــد
كملـت محاسـنها فقلـتُ مـؤرخاً ... للـشيخ زاويـة بهاهـا خالـد

ولمـــا أصابها بعض الخلل بسبب الطُغيان[2] الذي أصاب بغداد أيام محاصرة علي رضا باشا[3] لها لأجل أخذها من داود باشا، رممها والي بغداد المرحوم نجـيب باشـــا[4]، وذلك سنة ١٢٦٣[5]، فأرّخ ذلك السيد شهاب الموصلي[6] بقوله:

ذا جامـــعٌ جـــدَّده ذو الـــرأفةِ ... الحاكم المُنصِف حاوي الحكمة
محمـد المـولى الوزيـر ذو العُلـى ... يُدعـى نجيباً بين أهل الدولة

---

(١) هـــذا مـــا فـــي مساجد الآلوسي ص٢٧، بيد أن عبادة يذكر ستة أبيات أخرى بين هذين البيتـــين، ويقول أنها " حررت على رخامة وضعت على باب المصلى". العقد اللامع ص ٣٥٦.

(٢) يريد طغيان نهر دجلة الذي داهم بغداد وأغرقها سنة ١٢٤٧هـــ/١٨٣١م.

(٣) والي بغداد ١٣ ربيع الأول ١٢٤٧ إلى ربيع الأول ١٢٥٨هـــ/١٨٣١- ١٨٤٢م.

(٤) والي بغداد من ربيع الأول ١٢٥٨ إلى ٢٢ شعبان ١٢٦٥هـــ/١٨٤٢- ١٨٤٨م.

(٥) ويوافق أولها ٢٠ كانون الأول سنة ١٨٤٦م.

(٦) هـــو السيد شهاب الدين الموصلي المليسي، من عشيرة ألبو مليس الحسينية، ولد في الموصـــل، وانـــتقل إلـــى بغـــداد، حيث اتصل بأشرافها فمدحهم، ثم تنقل بينها وبين الموصـــل غيـــر مرة، حتى توفي في الموصل سنة ١٣٢٥هـــ/١٣٢٥هـــ/١٩٠٧م. محمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ص٣٥٤

مـن بعـد ضـيقٍ كـان في تاريخـه   وَسَّـعتَ أبقـى جامـع للأمـة

وأرخ ذلـك أيـضاً عـبد الباقـي أفندي العمري بأبيات نذكر فيها المقصود، وهو شطر التاريخ، وهو قوله :(أجد جامع مولانا ببغداد).

وهـذه التكـية أو جامع الأحسائي تُدار من حيث التعمير والمفروش بـواردات الأوقاف التي تعود لها، وهي كثيرة في النجف الأشرف وكربلاء وبغداد وبعقوبا(١)، وقد كان لها من المال في دائرة البانق الانكليزي محفوظاً مائة ألف وخمس وسبعون ألف ربية، أي إثنا عشر ألف دينار وثمانمائة دينار تقـريباً، فأخـذها عـبد الوهاب أفندي النائب الذي كان وكيلاً عن المتولي المزعوم أن له حق التولية، وهو الشيخ أسعد افندي الصاحب المقيم بالشام(٢)، فاشـترى مـنها نصف خان يعود إلى صالح الحاج على المعروف بصالح أفـندي الملِّى، وبعض عقار في بعقوبا، يعود إلى كامل بك بن الحاج حسن بك، وذهب الباقي.

---

(١) من تلك الأوقاف ثلاثة بساتين في خارج الباب الشرقي، ودار " في محلة النقاشين في بغـداد"، وقفـتها خديجـة بنت عبد الله زوجة الحاج محمد جلبي الرواف على جامع الأحـسائي، وجوامـع أخـرى ببغداد والزبير، بموجب وقفيتها المؤرخة في ١٥ ذي الحجة سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م.

(٢) لـم نفهم المراد بهذه الفقرة الخاصة بالتولية على الجامع، ويفهم مما ذكره عبادة أنه بعـد وفاة أحمد أفندي، وكان متولياً عليه، نصبت الهيئة العلمية في الأوقاف في سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م الشيخ محمد سعيد أفندي المعروف بالنقشبندي، ولما توفي تولى ولده الشيخ بهاء الدين النقشبندي تلك المهمة. العقد اللامع ص٣٦١.

أمـا رواتب الموظفيـن مـن مـدرس وإمـام وخطيب، وكـذلك إطعـام الطعـام للفقـراء والغـربـاء، فـإنهـا مـن الأوقـاف الأميـريـة، أي مـن أوقـاف المـرحـوم داود بـاشـا، لأنـه شَـرَط فـي وقفيتـه لهـم ذلك، ولأن فـي الأوقـاف لهـم بعض المخصصـات، غيـر أن الإدارة بجمـيعهـا الآن هـي بيـد دائـرة الأوقـاف التـي وضـعـت يـدها علـى التكية المذكورة وأوقافها بعد موت النائب المومى إليه.

جامع الخاصَّه كِي

إذا سِـرت مـن بـاب الـدرب الـذي يـؤدي إلـى جامـع الأحـسـائي مُشَرِّقاً قـدر أربعيـن خطـوة، وصلـت إلـى درب علـى يسـارك يـؤدي إلـى الشـارع العـام[1]، فـإذا سَلَكتَـه وسـرت قـدر ثـلاثـيـن خطـوة، رأيـتَ علـى يمينـك دربـاً، إذا سـرت فيـه وصلـت إلـى فُسحـة علـى يسـارهـا هـذا الجـامـع[2].

وهـو جامـع كبيـر، فيـه مصلـى رحـب[3]، عليـه قبـة

---

(١) هو شارع الرشيد كما سمي فيما بعد.

(٢) ورقمه، بحسب الترقيم الجديد، ٧ من الزقاق ١٩ من المحلة ١١٠.

(٣) إن مخطـط الجامع القديم (قبل التعمير الذي أجري سنة ١٩٢٥هـ) يكشف أن شكل الجامـع كان مربعاً تاماً، وأن جدار المصلى منه كان يبلغ ١٥م، وجوفه ١٣م، وكان إلـى اليمين منه مصلى آخر خصص للشوافع، بعداه ٣×١٣م، وهو يتصل بالمصلى الكبير عن طريق بابين، وكانت ثمة حجرتان صغيرتان متقابلتها، تطل أبوابهما على=

عالية[١]، في جنبها مئذنة رصينة[٢]، وله رحبة واسعة فيها نُخَيلات، وقد كان مركز العلماء الأفاضل حيث أن الدور الواقعة في أكناف تلك الساحة كانــت مــأوى العلماء وملجأ الفضلاء لاشتمالها على العلماء الحيدريين من أحمد بن حيدر وإبراهيم وأولادهم.

وهــذا الجامــع مــن آثــار والي ولايــة بغــداد الشهيــر بمحمد باشـــا الخاصَّــه كــي[٣]، الــذي تولــى إيالة بغــداد في سنة ١٠٦٧ إلى

=دهليــز ضيق ذي باب ينفذ منه إلى المصلى الكبير، تضم الحجرة الأولى قبر الشيخ محمــد الأزهــري، ولها نافذتان على الطريق، ويشغل الحجرة الأخرى إمام الجامع وفــيها كــان يعقد مجلسه. ويلاحظ أن جميع جدران الجامع تتصف بالثخن المفرط، حــيث يــبلغ ثخــنها نحو مترين. وفي أثناء إحدى التعميرات المتأخرة أدمج مصلى الشوافع بالمصلى الكبير، وأجريت تغييرات أخرى.

(١) اتــسمت هذه القبة بالسعة، حيث كان قطرها يساوي طول جوف المصلى تماماً، وقد طلــيت من خارجها وداخلها بالجص الأبيض، ولها أربعة نوافذ في أعلاها، على أن القبة أزيلت في بعض التعميرات المتأخرة.

(٢) تــرتفع المئذنة من سطح الجامع، في الركن الجنوبي منه، ويصعد إلى السطح الذي تقــوم علــيه بسلم ضيق عال من داخل القاعدة، بينما يصعد إلى المئذنة نفسها بسلم يــتألف مــن ٣٣ درجة، أما حوضها فقد استعمل الخشب بدل الحديد في شدها، فهي بــذلك تعد أنموذجاً للمآذن القديمة التي استعمل الخشب في بنائها، وبدن المئذنة مزين بحلــية بنائية من الآجر المزجج، على هيئة بالغة الجمال، ويزين أعلاها قبة محززة خضراء، تحتها شريط من الكتابة الكوفية.

(٣) يعــود السبب في إنشاء هذا الجامع، إلى وجود قبر في هذا البقعة من الأرض، لأحد أولــياء المــسلمين وهو الشيخ محمد الأزهري، أحد تلامذة السيد الشيخ عبد القادر=

=الكيلانـــي، وفـــي ســـنة ١٠٣٦هـ/١٦٢٨م، وكان العراق يومذاك تحت الاحتلال الـــصفوي، اســـتطاع ثلاثة من الرهبان الكبوشيين الفرنسيين، هم الأب جبرائيل دي بارس Gabriel de Paris والأب باسفيك دي بروفنس Pacifique de Provins والأب جست دي بوفي Just de Beauvais الحصول على موافقة الشاه صفي قولي خان على إنشاء مقر لهم في بغداد، فلم يكن من الراهبين باسفيك وجست إلاّ أن اشتريا ســنة ١٠٤١هـــ/١٦٣١م داراً فـــي محلة راس القرية واتخذاها ديراً وكنيسة لأبناء رهبانيتهم، سموها دير القديس يوسف، وشرعوا يزاولون فيها تدريس اللاتينية، وإقامة القداس، والأناشيد الكنسية، وتقديم بعض الخدمات الطبية، وفي سنة ١٠٤٧هـ/١٦٣٧م سجلت تلك الدار (الكنيسة والدير) باسم لويس الثالث عشر ملك فرنسا، وذلك بمساع بذلها الكاردينال ريشيليو، وقد أثار ذلك حفيظة المسلمين الذي رأوا أنه لا يجوز شرعاً إقامـــة مـــصلى النصارى قرب مسجد أو تربة أحد الأولياء، فلما دخل السلطان مراد الـــرابع بغداد فاتحاً سنة ١٠٤٨هـ/١٦٣٨م، قدموا إليه التماساً بإخراج الرهبان من ذلك المكان، ففعل، ولكنه ما لبث أن أعادهم إليها بمساعي ميخائيل آغا طوبجي باشي مدير المدفعية في جيش السلطان، بل منحهم امتيازات جديدة بتوسط ميخائيل المذكور، وبـــنفوذ الكـــردينال مـــازارين الوزير الأول لملك فرنسا لويس الرابع عشر، وزادت احـــتجاجات المـــسلمين بعد أن زاد الكبوشيون من نشاطاتهم، وشاركهم في الاحتجاج أتباع الكنيسة النسطورية الذين سعى الرهبان إلى نشر الكثلكة بينهم، فأمر والي بغداد بأخـــذ الديـــر والكنيسة منهم، ونقضهما تماماً، وأنشأ على أرضهما جامعاً نسب إليه، فـــصار قبـــر الشيخ الأزهري في حجرة خاصة على يسار المصلى، وجعل له شباكاً على الطريق. ثم أنه عوض الرهبان بأرض أخرى . ينظر نرسيس صائغيان: تاريخ الأرمـــن الكاثولـــيك ص٥، وصائغيان: مجلة النور، المجلد ١٢ السنة ١٩٥٠ ص٥ ورفائـــيل بابو إسحاق: كنائس النصارى، مجلة سومر المجلد ٢٠ السنة ١٩٦٤، ص ٢٨٩ وكتابه: تاريخ نصارى العراق ص١٢٩ ورزوق عيسى: نشرة الأحد، المجلد=

سـنة ١٠٦٩[1]، وقـد كان رحمه الله تعالى في التقوى والصلاح، كما يُنقل، على جانب عظيم، فلما استولى على تلك الدور النصارى، وخلت تلك الربوع مـن أولئك المسلمين الذين كانوا يأوون إليه في أوقات العبادة، غدا مهجوراً مـن قبل دائرة الأوقاف التي لا تعرف من أمره إلاّ تأدية الراتب للموظفين، حتـى آل أمـره إلى الخراب[2]، فعطفت عليه عواطف السلطان عبد الحميد

=٤ص٦٧٧. وقـد شهد الجامع تعميرات عدة، منها ما قام به الوالي أوزون إبراهيم باشـا سـنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٨م، وقـره مـصطفى باشا سنة ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م، والسلاحشور محمد بك، من أتباع محمد باشا الخاصكي، سنة ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م.

(١) الخاصـه كـي: اسـم لوظـيفة عسكرية، وقال نيبور أنه لقب بهذا الاسم لأنه خدم باسـتانبول في الفرقة التي وكل إليها القضاء على العصابات. بغداد في رحلة نيبور، ترجمة مصطفى جواد، مجلة سومر المجلد ٢٠، السنة ١٩٦٤، ص٥٨، ومن أعماله العمـرانية الأخـرى فـي بغـداد إعـادة تـشييد تابـية الفتح والسور في الجانب الشرقي،والسداد والقناطر التي تقي بغداد من خطر الفيضان في الجانب الغربي، كما أنـه شيد مئذنتين في مشهد الإمام علي (ع) في النجف، وأرسل من يقوم بعمارة قبة عـثمان(رض) في البقيع، وعمر مسجداً وزاوية لتعليم الأطفال وسبيلاً للماء ومساكن في القاهرة، و تنظر ترجمته في محمد ثريا: سجل عثماني ج٤ ص١٧٢ والعقد اللامع ص٣٦٤ ومرتـضى آل نظمي: كلشن خلفا، الورقة ٨٨، بالتركية، وعباس العزاوي: تـاريخ العراق بين احتلالين ج٥ ص٦٣ وأحمد سوسة: فيضانات بغداد ج٢ ص٣٦٢ وحسن عبد الوهاب: تاريخ المساجد الأثرية ج١ ص٣١٦.

(٢) ذكـر الـسائح الإنكليزي بكنكهام الذي زار بغداد سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م أن جامع الخاصكي" لم يتبق من صرحه القديم إلاّ القليل"، وإن كان قد نوه بوجود كتابات عربية في داخل الجامع. رحلة بكنكهام، ترجمة محمد علي حلاوي، مجلة سومر، المجلد ١٠ ، ١٩٥٤، ص٢٧١.

رحمـــه الله، فأصدر أمره بتعميره، فعمرته الأوقاف السلطانية، وأرجعته إلى ما كان عليه، وذلك سنة ١٣٠٩هجرية[١].

إن الـــزائـــر لــــه لا يَـــرى فيه من الكتابات ولا من الزينة شيئاً[٢]،

---

(١) وذلـــك فـــي ولاية حسن رفيق باشا (١٣٠٩- ١٣١٤م/ ١٨٩١-١٨٩٦م، وبإشراف محاسب الأوقاف واصف بك. وقد وضعت على قاعدة مئذنة الجامع لوحة من الآجر المـــزجج كتبت عليها أبيات تركية لتسجيل ذلك التعمير. وقد أضيف إلى الجامع، في هذه العمارة، مدرسة كان من أبرز مدرسيها الشيخ عبد المجيد بن عبد الملك، الشهير بملوكـــي، المتوفى سنة ١٣٢٠هـــ/١٩٠٢م، والشيخ محمد أمين جلبي ملوكي المتوفى ســـنة ١٣٤٨هــــ/١٩٢٩م، والـــشيخ عبد الوهاب بن محمد أمين ملوكي، وهو آخر مدرسيها.

(٢) نستغرب قول المؤلف هذا، لأنه كانت توجد خمسة أبيات بالتركية القديمة كتبت على رخامـــة فـــوق مصلى الجامع، بخط تعليق جميل، ملخصها أن محمد باشا حينما كان والياً في دار السلام سعى بإخلاص فابتنى هذا الجامع لكن عمره لم يمتد ليتمه، فجاء محمـــد بك سلاحشور السلطان الذي هو صنيعة الباشا فأحيا خيراته، وشطر التاريخ (جامع النور أبو النور محمد باشا)، وقد ذكرنا آنفاً أن سبب عدم إكمال الخاصكي بناء جامعـــه هـــو عزله عن بغداد وليس وفاته. كما ضم الجامع شباكين خشبيين يمثلان" نـــوعاً من الصناعات والريازات العراقية التي اندثرت" على قول مدير الآثار القديمة في حينه(كتاب إلى مديرية الأوقاف العامة- بغداد تحت العدد ٢٤/٦/٤٥٢ في ٣/١٥ / ١٩٣٩)، وقـــد قلعا مع الأنقاض في أثناء تعمير أجري سنة ١٣٥٨هـــ/١٩٣٩م، ثم اســـتعملت فـــي بـــناء مسجد القطار في البصرة، ولكن الآثار استطاعت استعادتهما وضمهما إلى مقتنياتها.

غيـــر أن هـــناك محراباً من أبدع ما أخرجته يد الفن[١]، لأنه قطعة واحـــدة من الرخام، متقن، وقد سعى بعض الغربيين لإغراء خادم الجامع على ســـرقته، فلم يتمكن، وبالأخير طَلَب من الأوقاف بيعه فلم يُوفَّق، وقد بقي قائماً في محله[٢].

---

(١) محـــراب قـــديم يـــتألف من قطعة واحدة من الرخام البلوري الضارب إلى الصفرة، يتـــرواح وزنه بين ٥٠٠ و ٦٠٠ كيلوغرام، ويتألف هيكله من تجويف غير عميق ذي غطاء على هيئة صدفة مستقر على زوج من الأعمدة المبرومة، ولكل تاج صفان من أوراق الأكاتس الكبيرة، والمراوح النخيلية، ويبلغ ارتفاعه نحو مترين، وعرضه متر واحـــد، ولمـــا كان هذا النوع من المحاريب غير معروف في المساجد العراقية، وأنه يمـــت إلى الطراز السوري الأموي، فقد ذهب بعض الآثاريين، بعد دراسة دقيقة، إلى القـــول بأنـــه محراب جامع المنصور في المدينة المدورة، وأنه يرقى إلى زمن سابق على تأسيسها، وإن المنصور يمكن أن يكون قد جلبه من بعض المدن السورية، حيث تـــبدو عليه مؤثرات الفنون الهلنستية السابقة للإسلام، وأن محمد باشا الخاصكي نقله ليكون محراب الجامع الذي أنشأه، . ينظر:

Herzfeld, Die Genesis der Islamchen Kunst das Mashatta- Problem (Der Islam, ١٩١٠, P. ٤٣).

Creswell, Early Muslim Architecture, Vol II. P. ٣٥

(٢) في أثناء تجديد الأوقاف لمبنى الجامع، جرى حفظ المحراب في صندوق خشب أودع فـــي بـــناية دائـــرة الأوقاف الكائنة يومذاك في مسجد البدوي في محلة راس القرية، وثـــارت فيأثناء ذلك إشاعات تقول بأن في نية الإنكليز، وعلى رأسهم كوك، مستشار الأوقاف، نقل المحراب إلى لندن، ونشرت مقالات عديدة حول الأمر، بما أثار الرأي العـــام بـــشأن هـــذا المحـــراب، وقد أدى ذلك إلى حفظ المحراب في متحف القصر العباسي، لحفظه وعرضه على المشاهدين، وكانت الأوقاف قد طالبت بإعادته إليها=

وفي هذا الجامع خطيب وإمام ومؤذن وخادم، وهو مفروش بأحسن الفرش، تقام فيه الجمع والأعياد والصلوات النهارية فقط، وتقوم بإدارته دائرة الاوقاف[1].

مسجد راس القرية

إذا سار الإنسان من باب الدرب المؤدي إلى التكية الخالدية مُشرِّقاً باستقامة، قابلَه باب مسجد، ذلك هو جامع رأس القُرَيَّة[2]، فإذا دخلتَه رأيتَ على يمينك مُصلًّى مستطيلاً، أمامه صُفَّة، وفوقه غرفة مطلة على الطريق

=في كتب رسمية عدة (منها ذو العدد ٨٩٧٧ في ١٩٢٧/٦/٢٠) إلاّ أنه بقي في المتحف المذكور إلى سنة ١٩٦١م ثم نقل إلى المتحف العراقي الجديد في الصالحية لعرضه بين آثار القاعة الإسلامية، ولما يزل هناك.

(١) تشير وقفية محفوظة في ديوان الأوقاف إلى محمد باشا وقف على جامعه ثمانية وثلاثين دكاناً وثلاثة دكات في سوق الخفافين، وداراً في الجانب الغربي قرب رأس الجسر، وهي مؤرخة في ٧ صفر سنة ١٠٧٦هـ/ ١٦٦٥م، ويظهر أن خطأ ما تسرب إلى هذه الوقفية، لأن من المفروض أن هذا الوالي قضى نحبه في استانبول مقتولاً سنة ١٠٧١هـ/١٦٦٠م. ومن وأوقافه أيضاً باشجة (جنينة) في قرية الجديدة على نهر الخالص وقفها عليه حسين بن صالح تشريبابة في ٥ ربيع الآخر سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م.

(٢) ويعرف أيضاً بجامع محمد أمين الباجه جي. ويشغل قطعة الأرض ذات التسلسل ٤٨٩، وبحسب الترقيم الجديد فهو يقع في أول زقاق ١٥ من المحلة ١١٠ حي الرشيد. وقد زرنا، محقق الكتاب والسيد زين النقشبندي، هذا الجامع في ١٧ أيار ٢٠٠٦ فوجدناه مغلقاً، قد كتب عليه أنه أغلق لأنه آيل السقوط، ولم نعلم ما سيكون مصيره بعد هذا.

بعقد، أُعدت لجلوس المدرس، ولها مدرس يؤدي وظيفة التدريس[1]، كما أن للجامـــع إمامـــاً يـــصلى في الجماعة الأوقات الخمسة. وقد عمَّر هذا الجامع صـــاحب الخيـــرات والمبرات ذو الصلاح والتقى الحاج محمد أمين الباجه جـــي[2]، أيـــام وزارة المرحوم داود باشا، وذلك سنة١٢٤٠ [3]، وطلب من الوالـــي المشار إليه تعيين محمود افندي الآلوسي[4] مدرساً في هذه المدرسة،

---

(١) كانـــت فـــي هذه المدرسة خزانة كتب حافلة بنفائس الكتب الخطية انتقل معظمها إلى مكتبة الأوقاف ببغداد، وورد في الورقة الأولى من حاشية على شرح آداب البحث في المكتـــبة القادرية (ضمن مجموعة برقم ١٤٨٤) كتبها بكر بن مصطفى أفندي علقبند زاده سنة ١٢٤٥هـ أنه قرأها على يد شيخه السيد محمود أفندي الآلوسي في مدرسة الأمينية، وهي مدرسة الحاج أمين الباجه جي. ومن كبار مدرسي هذه المدرسة الشيخ عـــبد المجـــيد ملوكي، وكان خطاطاً متقنناً تخرج على يديه عدد من خطاطي بغداد. وتوفـــي ســـنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م. عبد الكريم العلاف: بغداد القديمة ص١٠٠ ووليد الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين ج٢ ص٧٠٠.

(٢) هـــو الحاج أمين جلبي بن عثمان جلبي الباجه جي، وصفه الدروبي بأنه " كان قدوة التجار ببغداد" وأن له مجلس في محلة راس القرية يختلف إليه " أكابر البلد والعلماء والـــوزراء، يبحث فيه أمر التجارة والزراعة وما يخص البلد من مصالح عامة"، وقد توفـــي ســـنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، ودفن في مقبرة الحضرة الكيلانية. البغداديون ص ١٠٠. وذكـــر عبادة أن مما وقفه على جامعه هذا " أحد عشر دكاناً بقربه واتصاله، وقهوة صغيرة وبستان في طريق الكاظمية". العقد اللامع ص٣٩١.

(٣) في العقد اللامع أنه أنشأه في سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٦م، وفي البغداديون للدروبي ص ١٠٠ ورد سنة ١٢٣٣ وفي ص٣٢٥ ورد سنة ١٢٣٧هـ/١٨٢١م.

(٤) محمـــود بـــن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي، أبو الثناء، شهاب الدين (١٢١٧-١٢٧٠هـ/١٨٠٢-١٨٥٤م) ولد ببغداد، ونال تعليماً عالياً على يدي والده الذي=

فأصـــدر الوالي أمره بذلك، وسبب طلبه هذا ما رأى من إصرار مفتي بغداد والحيدري على عزل الآلوسي من التدريس في مدرسة أخيه الحاج سعد الدين الـــباجه جـــي[1] فعــزل، وإن أردت تفــصيل ذلك فعليك بمقامات الآلوسي المذكور[2].

=كـــان عالمـــاً معروفاً، ثم أخذ العلم على غيره من علماء بغداد، وأتقن علوماً شتى، وعُـــيّن مدرســـاً في عدد من مساجد بغداد ومدارسها، وواعظاً في جامع الشيخ عبد القـــادر الكيلاني ببغداد، ثم مدرساً في مدرسة جامع مرجان، ومفتياً لبغداد. وتعرض لوشـــاية بعض معاصريه فعُزل عن الإفتاء، وسافر إلى القسطنطينية سنة ١٢٦٧هـ/ ١٨٥٠م حيث نال تقدير المسؤولين فيها، وعاد إلى بغداد ليقضي بقية حياته فيها. ألف رســـائل عديدة ومؤلفات مهمة، ولكن أشهرها تفسيره للقرآن المسمى (روح المعاني). كـــتابه: غرائب الإغتراب، ومحمود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ٦٤- ٨٤ وعبد الفتاح الشواف ونعمان خير الدين الآلوسي: حديقة الورود في أخبار أبي الثناء محمود (مخطـــوط)، ومجهول: أريج الند والعود في ترجمة شيخنا أبي عبد الله شهاب الدين محمـــود (نشرت في أول ج٢ من تفسيره روح المعاني)، وعلي علاء الدين الآلوسي: الـــدر المنتثر ١٥- ٣٣ وقاسم بن محمد العاني: الجواهر والعقود في ترجمة شهاب الـــدين محمـــود (مخطوط) ومحمد سعيد الراوي: تاريخ الأسر العلمية ١٨١- ٢٠٣، والأثري: أعلام العراق ٢١- ٤٣، وعباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء، ومحسن عبد الحميد: الآلوسي مفسراً، بغداد ١٩٦٩، وغير ذلك.

(١) وهي مدرسة الحاج نعمان الباجه جي، وسيفرد لها المؤلف مبحثاً فيما يأتي.

(٢) فـــصل المؤلف القول في هذه الحادثة في كتابه (تاريخ الأسر العلمية في بغداد) ص ١٨١-٢١٣.

ويقوم بإدارة هذا الجامع المتولي المنصوب على أوقافه حسب اشتراط الواقف، فإنه شرط التوليه لأرشد الذرية على أن تكون الفَضْلَة له، كما هو جار الآن من قبل المتولى داود جلبي الباجه جي(١).

مسجد الحاج نعمان الباجه جي

إذا شَرّق الإنسان من مسجد رأس القرية نحو دور بيت الباجه جي(٢)، فإذا وصلها ومالَ إلى يساره، في الطريق الذي قبل طريق جسر مود(٣)، رأى على بعد خمس عشرة خطوة مسجداً

---

(١) جدد عمارته المتولي خليل الباجه جي سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ومن أعلام هذا الجامع المتأخرين الشيخ عبد المجيد ملوكي، وكان خطاطاً مشهوراً، وقد تولى التدريس في مدرسته، وتوفي سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م. ومنهم مدرسه وإمامه وخطيبه الشيخ رشيد بن حسن آغا الكردي المتوفى سنة ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

(٢) يقصد قصر الحاج نعمان جلبي الباجه جي، المعروف بقصر التماثيل، وموقعه على شاطئ دجلة، وكان هذا القصر يعترض شارع النهر(شارع المستنصر حالياً) متصلاً بالجهة المقابلة لهذا الشارع، مما يضطر السالك إلى الانحراف يساراً، سالكاً زقاقاً ضيقاً، يقع مسجد نعمان الباجه جي في جهته اليمنى، ثم نقض جزء من هذا القصر، وأدخل في أرض شارع النهر المذكور، بينما شيدت على جزء آخر بعض العمائر الحديثة، أما سائر القصر فقد شغله بعض أصحاب الحرف، وإن تغيرت ملامحه، ثم نقض وأزيلت بقاياه، في سنة ١٩٩٥م، ولبثت منه غرفة عالية مزين سقفها بالمرايا والزخارف المتقنة، مطلة على النهر رأساً، ولا نعلم ما سيكون مصيرها.

(٣) جسر مود كان في مكان جسر الملك فيصل الثاني (جسر الأحرار حالياً)، وهذا الطريق داخل اليوم في مقتربات جسر الأحرار الحالي.

صـــغيـــراً على يمينه[١]، وفي أعلاه غرفة أعدَّت لتكون مدرسة، وهذه هي المدرســـة التـــي عُيِّن فيها السيد محمود افندي الآلوسي[٢] بعد مفارقته جانب الكـــرخ بـــسبب مغاضبته أخوال أحد الذين يُعبِّر عنهم بأنهم أخواله[٣]، وهم الحـــاج عبد الفتاح افندي الراوي[٤] مدرس....[٥]، والحاج عبد الحافظ أفندي الـــراوي مدرس....[٦] أنجال فخر المدرسين الشيخ عبد الله افندي الراوي[٧]

---

(١) كـــان هـــذا المسجد في أصله مدرسة دينية صغيرة، فيها سرداب قديم ضم عدداً من قبور آل الباجه جي، منها قبر السيدة فاطمة خاتون المتوفاة سنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، ثـــم أن الحاج نعمان جلبي الباجه جي حولها، أو أنشأ فيها، مسجداً نسب إليه، ثم دفن فيه، ويقع القبر حالياً في حجرة من المسجد، قريبة من الزقاق المجاور، لكنها أحيطت بالجدران من كل جانب. ويقع المسجد على الجهة اليسرى، للقادم من شارع الرشيد، من الزقاق ١ من المحلة ١١٠ حي الرشيد.

(٢) هو السيد أبو الثناء محمود شهاب الدين الآلوسي، وقد تقدم.

(٣) قال في تاريخ الأسر العلمية ص١٩٠ أنهم أخوال أمه.

(٤) هو الشيخ عبد الفتاح أفندي بن الشيخ عبد الله أفندي، ولد سنة ١١٨٠هـ/١٧٦٦م، وتوفي سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م. ترجم له المؤلف في (تاريخ الأسر العلمية في بغداد) ص٧٦.

(٥) بـــياض فـــي الأصـــل، وفـــي تاريخ الأسر العلمية أنها: مدرسة شهاب الدين عمر السهروردي في بغداد.

(٦) بياض في الأصل. وفي تاريخ الأسر العلمية أنها: المدرسة السليمانية في بغداد.

(٧) ولد سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م وتوفي بعد سنة ١٢٣٠هـ/١٨١٤م وترجم له المؤلف في كتابه تاريخ الأسر العلمية ص٥٨-٦٠.

مـــدرس المدرســـة الـــسليمانية وخطيب الحضرة الكيلانية صاحب سليمان باشا[١].

وقد شاد هذا المسجد والمدرسة صاحب الخيرات الحاج نعمان الباجه جـــي ســـنة ١٢٣٠ هجـــرية[٢]، وجعل الآلوسي مدرساً فيها، ولكن مُغاضَبَة أخـــواله وأصهارهم الحيدرية سببت عزله من المدرسة، وقد أراد داود باشا وقايـــته وابقاءه فيها، إلاّ أن مركز المفتي لديه قوي متين، وله عنده منزلة، لذلك لم يجد بُدّاً من الإغضاء، فعُزل.

---

(١) قال في تاريخ الأسر العلمية ص ٥٨ " أصبح جعبة الوزير سليمان باشا الكبير، فكان مـــوئل استـــشارته، كما أنه ممتثل رأيه وإشارته، ولكونه في العلوم ذا القدم الأقوم، نصبه مدرس حضرة الإمام الأعظم".

(٢) الـــذي على الرخامة التي فوق باب المسجد أنه أنشأه سنة ١٢٣٥هـــ/١٨١٩م، وفي العقد اللامع أن تاريخ إنشائه سنة ١٢٣٠هـــ/١٨١٤م. ومنشئه هو الحاج نعمان جلبي بـــن عـــثمان بك الباجه جي، من أكابر تجار بغداد في الثلث الأول من القرن الثالث عـــشر للهجـــرة (١٩م). تولـــى منـــصب شابندر التجار، أي رئيسهم، وقربه الولاة، وبخاصـــة والي بغداد سعيد باشا، فلما قضى داود باشا على حكم الأخير، وقتله سنة ١٢٣٢هـــ/١٨١٦م، قبض على الحاج نعمان، وسجن، ولم يطلقه الوالي الجديد إلاّ بعد أن أدى خمـــسة آلاف بدرة من المال سجلت إيراداً لخزينة الدولة، وكانت وفاته سنة ١٢٥٠هـــــ/١٨٣٤م، ودفن في مقبرة الحضرة الكيلانية. ينظر سليمان فائق: تاريخ بغداد ص٦١.

وهذا الجامع والمدرسة[1] يُداران من قبل المتولي الذي هو من أولاد الواقـــف المومى إليه، وما فَضَل من غِلَّة الوقف يوزع على فقراء الذرية حسب شــرط الواقف، هذا ما علِمتُه في شأن الباقي من الغِلَّة حسبما هو جار الآن من قبل المتولى نعمان جلبي[2] بن الحاج عبد الرحمن جلبي الباجه جي.

جامع السيد سلطان علي

إذا خــرجتَ مــن درب مسجد الحاج نعمان الباجه جي إلى الشارع، وسِرتَ شرقاً قدر مائة خطوة، وصلتَ إلى جامع كبير واقع على يمينك، ذلك هو مسجد السيد سلطان علي.

وهــو جامــع كبير، واقع على دجلة[3]، ومن الجوامع القديمة، ولا يزال تُصلَّى فيه الجماعة والجمعة والأعياد، ويقصده المصلون وأهل الطريقة الرفاعية لحضور الذكر الذي يقام فيه أيام الجمع بعد صلاة الجمعة. وقد كان

---

(١) تميــزت هذه المدرسة، على صغرها، بكثرة من تخرج فيها من العلماء الكبار، منهم العلامة الشيخ غلام رسول الهندي، والعلامة الملا مصطفى إمام وخطيب جامع السيد ســلطان علي، والشيخ عمر مولود الدبيه كي الكردي، وكانت فيها خزانة كتب تضم نــوادر المخطوطات. البغداديون ص٣٢٦. وقد ألحق بها كتاب لتعليم الصغار، تولى تعليم الخط فيه الملا داود بن عارف، وهو من الخطاطين البارزين، وقد تخرج عليه كثيــرون. ولــم يبق للمدرسة أو خزانتها وجود، إلاّ أن المسجد ظل عامراً بالمصلين حتى يومنا هذا.

(٢) توفي سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م ودفن في المسجد نفسه.

(٣) تطل واجهته اليوم على شارع الرشيد، وهو يشغل الأرض المرقمة ٢١٣/١.

قبل الثلثمائة والألف من الهجرة[١] مندثراً أخنى عليه الدهر لا يوجد من آثاره إلاّ مُـصلّى خَرِب، فلما تقدم المرحوم أبو الهُدى أفندي[٢] الذي يدعي أنه من السادة الرفاعية، أي من ذرية السيد أحمد بن الرفاعي دفين أُم عبيدة، الزاهد التقـي، لدى حضرة خليفة المسلمين السلطان الغازي عبد الحميد خان، عليه رحمـه الرحيم الرحمان، تَوصَّل لإصدار إرادته بإعماره وتجديد بنائه، لأنه مـشتمل علـى مـا يقـول[٣] علـى ضريـح السيـد علـي بـن

---

(١) ويوافق أولها ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٨٢م.

(٢) هـو شيخ الإسلام في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ولد سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩، وتولـى نقابة الأشراف في حلب، ثم مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية، ونفي- بعد عـزل الـسلطان عبد الحميد- إلى بعض الجزر، حيث توفي هناك سنة ١٣٢٨هـ/ ١٩٠٩م. الزركلي: الأعلام ج٦ ص٣٢٤ وكحالة: معجم المؤلفين ج٩ ص٢٢٦.

(٣) لـم يكـن هذا ادعاءً منه كما هو واضح من عبارة المؤلف- رحمه الله- وإنما هي حقيقة تاريخية أكدتها المصادر القديمة، التي سبقت أبا الهدى بعدة قرون، منها ما نص علـيه العلامـة محمـد بن ابي بكر بن حماد دكين المتوفى سنة ٧٥٠هـ في كتابه (روضـة الأعـيان في أخبار مشاهير الزمان) حيث جاء في ترجمة أبي السيد أحمد الرفاعـي، وهو السيد علي بن يحيى بن ثابت بن حازم بن أحمد بن علي بن الحسن الرفاعـي المكـي، المتوفى ببغداد سنة ٥١٩هـ ما نصه " فتوجه لبغداد ونزل بيت الأمير مالك المسيب برأس القرية محلة ببغداد، وبعد مضي أسبوع من مرضه توفي، فعمـل له الأمير مشهداً برأس القرية، وهو إلى الآن يزار ويتبرك به، وله منزلة في قلوب العامة"، وفي هذه الترجمة تفاصيل مهمة أخرى في سيرته. ومن الكتاب نسخة خطية قديمة لدى السيد جمال الدين بن إسماعيل بن إبراهيم الرفاعي الراوي (توفى=

الرفـــاعـــــي[1] والـــد الـــسيد أحمد المشار إليه، مع أن النَّسَّابة يقولون أن صــــاحب القبر الموجود في الجامع هو علي بن اسماعيل بن جعفر الصادق

=سنة ٢٠٠٣م) اطلعنا عليها في داره في محلة السيد سلطان علي سنة ١٩٦٥، ومنه نسختان أخريان في دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٨٩٣ تاريخ، و٨٩٤ تاريخ.

(١) ولـــد الـــسيد علي، والد السيد أحمد الرفاعي، في البصرة سنة ٤٥٩هـــ وتوفي أبوه الـــسيد يحيـــى نقيب السادة الطالبيين في البصرة والبطائح وله من العمر سنة واحدة، فكفلــــه إخـــوانه وبنو خالته آل الصيرفي الأمراء المشهورون في البصرة، وشب هو علـــى الـــتقوى، وأخذ العلم على جده لأمه موسى أبي سعيد النجاري الأنصاري شيخ البطائحيين، وفي سنة ٤٩٧هـــ سكن البطائح، في قرية من قراها تسمى (قرية حسن)، وفـــيها تزوج الصالحة فاطمة الأنصارية، فأعقب منها أولاداً مباركين، أعظمهم السيد أحمد الرفاعي الكبير. وطار صيته في تلك النواحي، إلى أدت الفتن التي عمت الدولة العباســـية ســـنة ٥١٩هـــ إلى أن يخرج من قريته إلى بغداد لكي ينصح الخليفة فيها، وكـــان يـــومذاك المسترشد بالله، وقد قادته قدماه إلى هذا الجزء من بغداد، الذي كان يومذاك داخلاً في نطاق دار الخلافة العباسية، حيث تقوم قصور الخلافة ومؤسساتها، وتـــتوزع الحدائـــق والبـــساتين بين أفيائها، فنزل ضيفاً مكرماً في قصر أحد أمراء العباســـيين، وهـــو الأمير مالك المسيب، الذي كان يحتل الأرض التي يحتلها الجامع الـــذي نراه الآن، ولم يكد يمضي غير أسبوع واحد، حتى أدركت الوفاة السيد علي، ومـــثلما كان معتاداً في مثل هذه المناسبات، فقد فضل القوم أن يدفن في المكان الذي نـــزل فيه، وبعد دفنه، أمر الأمير مالك ببناء (مشهد) على قبره، وفي الغالب فإنه فتح لحجرة قبره باباً وشباكاً على الطريق، يراه منها الزائرون الذين أخذوا يتوافدون عليه للتبـــرك به. وشيئاً فشيئاً توسع المكان بما أضيف إليه من مساحات جديدة، ثم ما لبث أن اختفـــى ذكـــر قصر الأمير المسيب نفسه، ليحتل أرضه مرقد السيد سلطان عليه، برواقاته، وحجراته، وساحته. لبث هذا المرقد مهاباً يزوره الناس، بل صار " مأوى=

رضـــي الله تعالى عنهم، فهو أخو محمد الفضل[١]، فصدرت الإرادة الملكية بـــتجديده فجـــدد، وأُنشئت فيه مدرستان وزاوية لأتباع الرفاعي. ولما تمت عمارتـــه حـــسب الأمـــر السلطاني عُيِّن مدرســـاً فـــي مدرســـة الأولـــى شـــاكر أفـــندي الآلوســـي[٢]، وفـــي الثانيـــة مدرســـاً ثانيـــاً شكـــري

=الغرباء ومجمع الفقراء" على حد تعبير المؤرخ البغدادي مرتضى آل نظمي، ثم أن مسجداً أقيم عنده فيما يلي من عهود، ويظهر أن هذا المسجد تحول، في القرن الثامن للهجـــرة، إلـــى جامع كبير تقام فيه الصلوات الخمس وصلاة الجمعة، ففي نهاية هذا القـــرن شـــيدت عـــنده مـــئذنة عالـــية، على النمط الذي شيدت عليه مئذنة المدرسة المـــرجانية، المعروفة اليوم بجامع مرجان، ومن المؤسف أن هذه المئذنة أزيلت عند تعديل اتجاه شارع الرشيد سنة ١٩٣٤م، ففقدت بغداد واحدة من المآذن الأثرية الجميلة التي زهت بها، وقد شيدت في الجامع، بدلاً منها، مئذنة جديدة هي التي يراها الزائر للجامع اليوم.

(١) لـــم يقـــل أحـــد مـــن النسابة هذا مطلقاً، وإنما هي رواية ترددت في بعض كتابات المتأخـــرين من خصوم السيد أبي الهدى الصيادي، ومنهم محمود شكري الآلوسي في مـــساجد بغداد ص٥٧ وأيده في ذلك محمد بهجة الأثري (أعلام العراق ص١١)، ولا صـــحة لهذه الرواية البتة، لأن من الثابت لدى فرق الإسماعيلية، وفي كتب الأنساب المعـــتمدة، أنـــه لـــم يكن لإسماعيل بن جعفر الصادق عقب غير ابنه محمد، بل ثمة شـــكوك حـــول حقيقة الأخير أيضاً، أنظر الشهرستاني: الملل والنحل ج١ ص١٩١ (القاهرة ١٩٦١) وابن عنبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص١٩٥ (النجف ١٩٦١) وبـــرنارد لويس: أصول الإسماعيلية، ترجمة خليل جلو وجاسم الرجب ص ١١٢-١١٣.

(٢) ولد سنة ١٢٦٤هـــ / ١٢٤٨م وأخذ العوم على علماء عصره، وتولى قضاء كربلاء والبـــصرة، ثـــم ســـافر إلى استانبول، وعين مدرساً في مدرسة السيد سلطان علي=

أفنــدي الآلوســـي[1] مكافأة له على شرحه....[2]، وعُيِّن شيخاً للزاوية الشيخ إبراهيم افندي بن الشيخ محمد الراوي[3]:

وقد كُتب على بابه بالكاشاني الأبيات الاتية:

الحمـــدُ لله الكـــريم الـــذي	بالفـضلِ والإحـسان عَـمَّ العبـيد
أظهـــر مــــن مُــضمَر ألطافــــه	لحـــوزة الإســلام رُكــناً شَــديد
مــن آل عــثمان نجــوم الــوَرى	فخـر ملـوك الأرض عـبد الحمـيد
أصــبح مــصداقاً لــنصٍ أتـــى	يُتلـى جَهـاراً في الكـتاب المجـيد

=الأولـــى، وانتخب عضواً في مجلس إدارة الولاية، وسافر إلى استانبول حيث عين عـــضواً في مجلس المعارف الكبير، ولبث هناك حتى توفي في استانبول سنة ١٣٣٠ هــــ/ ١٩١١م. تـــرجم له المؤلف في تاريخ الأسر العلمية ص٢٢٦- ٢٢٨، وينظر محمـــود شكري الآلوسي: المسك الأذفر ص١١٨، وعلي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص١٩٥ ومحمد بهجة الأثري: أعلام العراق ص٨٣.

(١) يريد السيد محمود شكري الآلوسي، وقد تقدم التعريف به.

(٢) بـــياض فـــي الأصـــل. وهـــو كـــتاب (الأسرار الإلهية في شرح القصيدة الرفاعية) والقصيدة للشيخ أبي الهدى الصيادي الرفاعي، في مدح السيد أحمد الرفاعي المتوفى سنة ٥٧٨هـ، وقد طبع في القاهرة سنة ١٣٠٥هـــ.

(٣) هـــو الـــسيد إبـــراهيم بن محمد بن عبد الله الراوي الرفاعي، ولد في بلدة راوة سنة ١٢٧٦هــــ/١٨٥٩م، وعنـــي بالـــوعظ والإرشاد، وإقامة مجالس الذكر، وعد شيخاً للـــسجادة الـــرفاعية، وألف عدة كتب، منها (شرح الصلوات) و(رد النصارى) وغير ذلك، وجمع مكتبة حافلة، وتوفي سنة ١٣٦٧هــ/١٩٤٧م. محمد صالح السهروردي: لـــب الألباب ج١ ص٣٠٦ والواعظ: الروض الأزهر ص٣٧٦ والدروبي: البغداديون ص٤٧-٤٩.

قـد شـاد أسـنى أمـره جامعـاً	وتكـيـةً للطالـب المـستفيد
وحـوله مدرسـتان ابتنـى	والمرقد السامي الشريف السعيد
لحضرة السلطان ذخرى (علي)	فخـر بـني الزهـراء ذاك الفـريد
وعـندما أبـدع تكمـيله	وصـار في الـزوراء عـيدٌ جديـد
أرِّخ وقُـل: جـدد تعمـيره	إمامـنا العـادل عـبد الحمـيد

١٣١٠

وعُـيِّن أيـضاً إمام وخطيب وحامل المفاتيح وخادم تربة السيد سلطان علي ومؤذن وخادم.

أما مصلاه فهو قبة كبيرة معقودة على أعمدة من الرخام، متوسطة لقـبب صغار تحيط بها، وهو مصلى كبير، فيه شبابيك مطلة على دجلة من جهاتـه الثلاث. وأمام المصلى رواق صغير بينه وبين الصحن شباكان فيهما بابان لدخول المصلين، وعلى يسار الرواق القبر الذي يقال عنه أنه قبر السيد سلطان علي، وهو في قبة أمامها رواق صغير أيضاً، فيه باب يدخل منه إلى القبـر، كمـا أن في نفس المصلى من جهة الشرق باب أيضاً يدخل منه إلى القبـر. وأمـام المصلى من جهة الشمال، أي في غربي الرواق الواقع أمام المصلى حديقة المدرسة المشهورة بمدرسة قَرَه علي (أي علي الاسود)[1] لأن

(١) ذكـر عـبادة أن هـذه المدرسـة أنشأها قره علي بن خليل، الذي قيل أنه من أتباع السلطان مراد الرابع، وذكر عبادة أنها كانت تقع باتصال جامع السيد سلطان علي، وأن لهـا أوقـاف معلومة، وهي دكاكين في سوق الصفافير، استبدل أحدها بالخان=

مــصلى الجامــع دخل خلف المدرسة، فأصبح قسم من المدرسة واقعاً أمام الجامع.

وقد فُرش الجامع المذكور بالزلالي المعتبرة، كما فرشت المدرستان والــزاوية بالفرش الحسنة. وكان حين البناء بني في الجهة الشرقية لصحن الجامــع، والجهـــة الواقعة على الشارع، غرف وسرداب، ولكن بعد مضى ســنوات بنى فوق تلك الغرف الشرقية طبقة عليها فيها غرف أيضاً، أعدت لسكنى المترددين من الغرباء(١).

=والدكاكين الواقعة في محلة خان لاوند، وقهوة كان يملكها الشيخ عبد الوهاب النائب. العقــد اللامع ص٤٠٤. وورد اسم هذه المدرسة محرفاً في قائمة معالم بغداد لفيلكس جونز إلى (قزره علي) ووصفت بأنها تكية. دليل خارطة بغداد ص٢٥٧. وفي وقفية الحــاج حــسين أفــندي بن عبد الله الروزنامه جي المعروف بالغرابي، المؤرخة في أواخر ربيع الأول سنة ١١٠٠ أنه وقف أوقافاً عديدة في بغداد وقرية سراجق وهور عقــرقوف وقــصبة منديليجين وشفتة قرب بعقوبا على المدرسة المتصلة بجامع السيد سلطان علي، وفي وقفية أخرى لهذا الواقف تاريخها ٢٠ ربيع الآخر سنة ١١٠٤ نقرأ أنـــه أنــشأ سقاية في جامع السيد سلطان علي ووقف عليها أوقافاً أخرى وعلى تلك المدرسة التي أنشأها، والتي حددت الوقفية موقعها بأنها كانت على شاطئ دجلة.

(١) ذكــرنا أنـــه في سنة ١٩٣٤م جرى هدم بعض مرافق الجامع، ومنها مئذنته القديمة، وفي هذه المناسبة جرت أعمال تعمير مختلفة في هذا الجامع، وأضيف إليه جناح كان يفــصل ساحته عن شارع الرشيد، وكان ها الجناح تشغله عدة محلات تجارية لتشكل مــستغلات تــستثمر لصالح أوقاف الجامع. وفي سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م أعيد تعمير الجامــع وصيانته وتحديثه على نحو يتناسب وأهميته وكثرة من يقصده من المصلين. وفي سنة ٢٠٠٠ جرت توسعة شاملة للجامع، فازيلت هذه المستغلات تماماً، وأبدلت=

أمـا القائم بإدارته، مع رواتب الموظفين، واطعام الزوار والغرباء، فهي دائرة الأوقاف، وقد خصص للإطعام أيضاً مقدار غير يسير من خزينة الدولة يتقاضاه الشيخ إبراهيم أفندي الراوي لقيامه بهذه المهمة.

وموقـع هـذا الجامـع هو في نهاية المحلة المعروفة بالمأمونية(١)، والمقبرة التي هي فيها القبر مقبرة الزرّادين، فقد كانت عند القبر.

=بـسياج يكشف للمارين جمال ساحته وقبته، وأضيف للسياج باب شيدت على طراز تراثـي جمـيل، فـإذا ما دلف الزائر إلى الداخل، وجد ثمة ساحة فسيحة هي رحبة الجامـع، فـإذا مـا خطى خطوات، وصل إلى المبنى الرئيس، وهو يضم المصلى، وحجرة المرقد. فأما المصلى فتعلوه قبة واسعة المساحة، تستند إلى من جهاتها الثلاث على أربعة أعمدة ضخمة من الرخام الأخضر الجميل، بينما تستند من الجهة الرابعة على جدار القبلة نفسه. وقد وسع هذا المصلى بأن أضيف إليه مصلى جديد كبير يفوق الأول مـساحة، يطـل على نهر دجلة مباشرة، وينفذ إلى هذا المصلى من فتحات في جـدار القبلة للمصلى الأول، كانت في الأصل فتحات نوافذه المطلة على نهر دجلة. وتعلـو المصلى الجدي قبة مرتفعة واسعة المساحة، تفوق القبة الأولى فخامة وسعة، فـي جـدار قبلـتها محـراب حديث في غاية الروعة، تعلوه آيات بينات، وزخارف إسلامية بديعة، في غاية التناسب والتناسق، هذا بينما أبقي المحراب القديم في موضعه فـي جـدار القبلة للمصلى القديم الأول. كما أبقي على محفل الجامع، وهي الشرفة المعـدة لجلـوس قارئ القرآن الكريم، وبخاصة في أيام الجمع. وإلى يسار المصلى، تـوجد الحجـرة التـي تضم مرقد الإمام السيد سلطان علي، وقد شيد هذا المرقد من الـرُّخام الجـيد، وزين بزخارف إسلامية بديعة، وكتابات تمثل آيات قرآنية كريمة، وكتابات أثرية بخطوط بديعة.

(١) سـبق أن نقلـنا من ياقوت أن هذه المحلة كانت بعيدة عن دجلة، بينهما دار الخلافة العباسية.

وأمام الجامع قبور كثيرة شاهدتها بعيني قبل بناء الجامع وبعده حينما كنتُ طفلاً.

جامع النُعماني

إذا سِـرتَ مـن جامـع السيد سلطان علي مُشرِّقاً، ثم توجهتَ إلى الطـريق المـؤدي إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وسِرتَ قدر مائتي خطـوة[1]، صادفت على يمينك جامعاً على بابه مئذنة تُخبِركَ بأنه جامعٌ لا مـسجد، وهي بيضاء ليس فيها شئ من التزيين ولا الكاشاني[2]. ويظهر أنه من المساجد القديمة[3] التي عبثت بها أيدي الحوادث لأن هنالك أبياتاً تخبرك

---

(١) يقـع فـي محلة السنك، في شارع الكيلاني، قرب رأس الساقية، ورقمه ١٧ من هذا الشارع.

(٢) كانت هذه المئذنة شبيهة بمئذنتي المدرسة المرجانية (جامع مرجان) وجامع العاقولي، والـراجح أن هـذه المئذنة ترقى إلى القرن الثامن (١٤م)، وقد هدمت الأوقاف هذه المئذنة، سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م قبل أن تشرع بتجديد الجامع، سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

(٣) إن أول إشـارة وردت إلـى النعمانـي هذا ذكرها الرحالى التركي نصوح السلاحي المطراقـي زاده، سـنة ٩٤١هــ/ ١٥٣٤م، إذ وصفه بـ" مفسر الكلام الرحماني، وصـاحب العلـم والمعاني، ومظهر اللطف السبحاني، الشيخ محمد النعماني" (رحلة المطراقي زاده، بتحقيقنا ص٨٦) وكان عباس العزاوي قد رجح أنه من منشآت العالم حـسام الدين بن أبي الفرج أحمد بن عمر بن محمد بن ثابت النعماني (وينتهي نسبه إلى الإمام أبي حنيفة النعمان) مع أنه توفي بدمشق سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م، لا ببغداد، تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص١٦٤. وثمة رجل آخر من أسرته اشتغل بالعلم،=

بهذا[1]، وإنه قد جُدد بناؤه من قبل المرحوم داود باشا في سنة ١٢٣٩، وبيت التاريخ المكتوب على جداره[2]:

داود دُمتَ مؤيدا ما أرخوا — جددت بنية جامع النعماني

١٢٣٩

والجامــع المذكــور مشتمل على مُصلَّى واقع على يمين الداخل إلى الجامــع، وأمــام المُصلَّى صُفَّة مستطيلة باستطالة المصلى، وبمقابلة الصُفَّة

=فــدرس وصــنف، هو محمد بن أحمد بن محمد النعماني، المتوفى سنة ٨٦٨هـ/ ١٤٦٢م، إلاّ أنــه مدفــون بدمــشق أيضاً، (المصدر نفسه ج٣ ص١٦٦). قلنا: وفي الجامــع ضــريح يقال أنه مؤسسه، ولا تعلم هويته على وجه التحقيق. وقد جدد هذا الجامع سنة ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م وكتب فوق بابه عبارة بالآجر المزجج فيها ما يأتي " أنــشئ فــي عهد صاحب الجلالة الملك غازي الأول، وأشرف على تشييده المخلص للعــرش رؤوف الكبيسي سنة ١٣٥٥"، ثم هدم وأعيد بناؤه على هيئة مختلفة، وعلى مساحة أصغر من ذي قبل، سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م. وهو لما يزل عامراً بالمصلين.

(١) ذكــر عــبادة أن مسجد النعماني " قديم وبسبب الغرق تهدم مراراً" وأشار عباس بن رجــب الــبغدادي إلى غرقه سنة ١٩١٤ (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص١٨) ويفهم من وقفية خديجة بنت عبد الله، زوجة الحاج محمد جلبي الرواف المؤرخة في ســنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م ، أنها جعلته ضمن المساجد التي وقفت عليها عقاراتها في بغــداد وخارجهــا. ثم أن الأوقاف أنجزت تعميره، عدا الضريح والمئذنة، في تموز ١٩٢٠بعد أن " تخرب بالمياه التي أغرقت بغداد قبل الاحتلال، وقد صرف عليه مبلغ قدره ٢٥٠٠ ربية" جريدة العراق ، العدد ٥٣، ٢ آب ١٩٢٠.

(٢) هذا هو البيت الأخير من ثلاثة أبيات أوردها عبادة. العقد اللامع ص٤١٤.

حديقة فيها نُخَيلات وبعض الأشجار غير المثمرة كالدُفلى وضعت للزينة لحُسن زهرها القاني، وفي مقابلة الباب حجرة يجلس فيها الإمام والخطيب، وهاتان الوظيفتان هما في عهدة شخص واحد، وكان حين كتابتي هذا السيد أسعد أفندي الأدهمي، وتقوم بادارة هذا الجامع دائرة الأوقاف الاسلامية.

ومن المحزن المؤسف أن أمامه عَرَصة، وكانت من أوقافه، فاغتصبها بعض من لا يخاف الله أيام الحكومة العثمانية زمن الحرب العالمية، ولما احتلت الحكومة الانكليزية بغداد سجّلها باسمه، ثم باعها لجمعية نصرانية شادت عليها كنيسة باسم الرهبان الكرمليين المُرسلين، على مرأى من الإسلام(١) ومَسمَع(٢)، ومن المؤسف أن يفعل ذلك المسلمون وتُصدِر المحاكم الشرعية الإسلامية أمثال هذه الأحكام، مع شهادة المسلمين على أنها وقف للجامع؛ كما أن من المحزن أن تأذن الحكومة، وهي مسلمة، بإشادة كنيسة لا بد وأن يعلو الناقوس على سطحها، وأن يضرب به على رؤوس المسلمين إبان عبادتهم، مع أن القانون العثماني الذي ينص دستور البلاد وقانونها الأساسي على احترام وإنفاذ القوانين العثمانية التي كانت مرعية ومعتبرة قبل الاحتلال، أقول: مع أن القانون العثماني يصرح بعدم جواز ذلك، فلا الحكومة وهي الحكومة الإسلامية بنص دستورها راعت دينها

---

(١) يريد: من أهل الإسلام، أو من المسلمين.

(٢) أقيم هذا الدير على أرض كان يشغلها مسجد العلامة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الرحبي مفتي الشافعية ببغداد (كان حياً سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م)، وكان مقابلاً لجامع النعماني. قال إبراهيم الدروبي" ومسجد الرحبي المذكور شيد على أطلاله كنيسة للنصارى". البغداديون ص٨١.

وملتها وعواطف المسلمين، ولا هي راعت القانون وطبقته، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله. فاين القوانين؟

مسجد العَيْدَروسي أو الأندلسي

إذا سِرتَ في الدرب الصاعد من الشارع العام الذي فيه جامع النعماني، وذهبت فيه قدر مئة خطوة، وصلت إلى مسجد واقع على يمينك يسميه العامة مسجد العيدروسي[1]، هو الشيخ محمد العيدروسي على زعمهم، وبعضهم يقول أنه الشيخ محمد الأندلسي، فصحف بالعيدروسي[2].

والعيدروسي هذا رجل من المتصوفة[3] يعتقد فيه العامة الكرامات، حتى أن مما يُحكى عنه أنه بنى له زاوية، وهي التي يُقال لها تكية العيدروسي في جانب الكرخ في محلة سوق الجديد، فلما أراد وضع خشب

---

(١) مسجد صغير، يقع اليوم في مدخل الشارع المسمى شارع عبد الرحمن النقيب (طريق ساقية الشيخ عبد القادر الكيلاني سابقاً)، المتفرع من شارع الخلفاء، مقابلاً لمبنى أمانة بغداد.

(٢) نستبعد حدوث هذا التصحيف، فالطريقة العيدروسية القادمة من اليمن في القرن الثاني عشر للهجرة، وجدت بعض الانتشار في بغداد، وانتسب إليها عدد من الصوفية.

(٣) سماه ياسين العمري (غاية المرام ص٣٧) السيد عبد الله العيدروس، ولم يزد، وهو غير أبي الفتوح بهاء الدين باعلوي السيد عبد الله العيدروسي المولود في تريم باليمن، والمتوفى سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م ، مؤسس الطريقة العيدروسية في بغداد، المدفون في تكيته الكبيرة في الجانب الغربي. ينظر ياسين العمري: الدر المكنون، الورقة ٦٠٩، نسخة باريس، وعباس العزاوي: التكايا والطرق ص٣٥- ٤٠ مخطوط، وتاريخ العراق بين احتلالين ج٦ ص٣٩.

سقفها، يقال أن خَشَبَة منه كانت قصيرة، فقال للواضع: اسحب الخشبة إلى عندك، وكان هو ماسكاً الطرف الآخر، فلما سحبها زادت ربع ذراع على القدر المطلوب! هذا ما ينقلونه عنه والله أعلم بصحة ذلك، وإنّا لا نُنكر كرامة الاولياء. والعيدروسي هذا هو الذي عناه عبد الغفار الأخرس الشاعر بقوله في قصيدته التي هجا بها أحد شيوخ تكية العيدروسي الواقعة في جانب الكرخ بسبب إخراجه إياه من حلقة الذكر حينما دخلها وهو سكران(١).

وهو مسجد فيه مصلى واقع على يمين الباب، أمامه صُفَّة، وفي مقابل الصفة حديقة يفصل بينهما رحبة المسجد، وعلى بابه بعض الكاشاني. تقام فيه الصلوات الخمس، وادارته من قبل دائرة الأوقاف، وله إمام ومؤذن وخادم، وهو مفروش بالحصى والبسط(٢).

---

(١) ينظر الأثري: فوائت مساجد بغداد للآلوسي ص١٤٢- ١٤٣.

(٢) جدد سنة ١٣٢٤ كما نطقت بذلك الأبيات المكتوبة بالكاشاني على بابه (الأثري: فوائت ص١٤٢) وكان هذا الباب مقابلاً لمبنى أمانة بغداد، وهو ينفذ إلى طارمة، ويقع المصلى على يمينه، وهو مصلى صغير خال من الزينة، تعلوه قبة منخفضة، خضراء اللون، غير مزينة بشيئ من الآجر المزجج.ثم جدده المتولي مصطفى بن محمد بن أحمد سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، على وفق ما كتبه في صدر بابه الواقع على شارع عبد الرحمن النقيب، والآن أزيل هذا الباب، وأحيط بالدكاكين التي استخرجت من أرضه، وفتح له باب صغير على شارع الخلفاء (الزقاق ٥٩ المحلة ١١١ حي الجمهورية) وما زال عامراً بالمصلين.

جامع الشيخ عبد القادر الجيلي قدس الله سره

هو الجامع الذي شهرته تُغني عن تعريفه، واقع في محلة باب الشيخ، نسبة إلى حضرة الباز الأشهب، الشيخ عبد القادر الجيلي قُدِّس سره، وشملنا بِـرِّه، وهـو المحلـة المعروفة في التاريخ بمحلة باب الأزج، وكانت واقعة شـرقي محلة المأمونية، وجنوبي محلة....[1] وشمالي محلة...[2]. وهي في الموضع المعروفة فيه الآن حتى دجلة، لأنها كانت مطلة على دجلة.

وهـذا الجامـع لكـونه تحت جناح الباز، قُطب رحى أهل الحقيقة والمَجاز، لم يزل منذ القِدم مأوى الزاهدين، ومناخ الراكعين الساجِدين[3]، وقد

---

(١) بياض في الأصل ويناسب أن يكون (محلة الريان) وهي محلة العوينة الحالية.

(٢) بياض في الأصل. ويناسب أن تكون (محلة البصلية) وهي محلة كانت تمتد من الباب الشرقي وتشمل جزءً من محلة السنك.

(٣) يريد السيد الشيخ محيي الدين عبد القادر الكيلاني، أو الجيلي، البغدادي، ولد بجيلان سـنة ٤٧٠ أو ٤٧١، ورحل إلى بغداد بقصد طلب العلم سنة ٤٨٨، فاشتغل بالقرآن حتـى أتقنه، وقرأ الفقه على كبار علماء بغداد في ذلك العصر، وصحب الصوفية، ثم انقطـع للخلوة والمجاهدة، والتحق بمدرسة القاضي أبي سعد المخرمي، وتتلمذ عليه، وفـي سـنة ٥٢٠ جلـس للوعظ والتدريس، فطار صيته، و" حصل له القبول التام"، وضـاقت المدرسـة بتلامذته، فاضطر إلى توسيعها، وأعانه الناس على ذلك، حتى أضيف إليها من المنازل والأمكنة ما يزيد على مثلها، ولبث يدرس فيها قرابة أربعين عاماً، وصنف عدة مصنفات مهمة، منها (الغُنْيَة لطالبي طريق الحق) و(فتوح الغيب) وغيـرهما. تنظـر ترجمته في ابن الجوزي: النتظم ج١٠ ص٢١٩ وابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب، ج٥ ص٣٨١ وابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة ج١ ص٢٩١ .

كـــان في الأصل المدرسة التي بناها الشيخ أبو سعيد المشهور بالمُخَرِّمي[١]، والتـــي حصل فيها الشيخ المشار إليه علومه، وأخذ عن المخرمي رحمه الله تعالـــى منطوقه ومفهومه، فلما لحق شيخه بجوار ربه، سكن الشيخ المدرسة، واشـــتغل فيها بالوعظ والتدريس، ثم أضاف إليها ما جاورها، وعَمَّر الجميع بإعانة الأغنياء بأموالهم والفقراء بالعمل فيها بأنفسهم، ولما استقر أمره وعلا ذكـــره، قصده الناس بالزيارة والنذور، فلما توفي[٢] دُفن في رواق المدرسة لـــيلاً من دون أن يشعر بذلك أحد، دَفَنَه أولاده رحمهم الله تعالى، فلما أصبح الـــصباح وارتفعت الشمس فُتحت الأبواب على خلاف العادة، وقد كان لغلقها رَنَّـــة، فلمـــا فُـــتحت هجم الناس للصلاة على قبره، قَدَّس الله روحه، ونَوَّر ضريحه، ونفعنا به[٣].

وقـــد غَـــدَت تُربة قبره وهذه المدرسة عُرضةً لاعتداء الأعاجم عند اســـتيلائهم علـــى بغـــداد فـــي جميع الأدوار، حتى أن من المأثور أن القبر الموجود، والذي عليه الصندوق، هو ليس قبر الشيخ بل خلاء ليس فيه جسم،

---

(١) منـــسوب إلـــى المخرم، محلة في شمالي بغداد، ولد سنة ٤٤٦هـــ ، وسمع الحديث الكثير، وتفقه على عدد من العلماء، وجمع كتباً كثيرة لم يسبق إلى جمع مثلها، وناب في القضاء بباب الأزج، وعزل عنها سنة ٥١١هـــ، وتوفي سنة ٥١٣هـــ ودفن قرب تـــربة ابـــن حنـــبل بباب حرب. أثنى عليه معاصروه الثناء الجميل. ينظر أبو يعلى: طبقات الحنابلة ج٢ ص٢٥٨ وابن رجب: ذيل طبقات الحنابلة ج١ ص١٦٦.

(٢) توفي في ليلة السبت ثامن ربيع الآخر، وقيل عاشر منه، وقيل غيره، من سنة ٥٦١ هـــ كما في مصادر ترجمته المتقدمة.

(٣) ينظر عن هذه المدرسة كتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص١٤٠- ١٥٤ .

والقبر حقيقة هو في جانب الحجرة، ولا يُدرى أي جانبٍ هو، فُعل هذا تعميةً علـــى الناس، وخشية مما يلاحظ عليه من الأعداء(١). وقد كان -رحمه الله- مـــن المُبتَلين بالحُسّاد، وحتى أن من أشد حُسّاده، كما يروى، أبو الفرج [عبد الرحمن بن](٢) على بن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧(٣)، وقد كان هو المقصود بقوله:

عذيــري مـــن فِتـيةٍ بالعـــراق مواعـــيدهم بالـــوفا خُلـــبِ

إلى آخرها.

---

(١) هذا القول انفرد به المؤلف، وإلاّ فإن السيد برهان الدين الكيلاني، وهو الذي أشرف علـــى تجديـــد القفـــص القديم، الذي كان فوق القبر مباشرة، ذكر بأنه وجد تحته قبراً طـــويلاً وضيقاً، مزيناً بقطع من البلاطات المزججة، وكانت الواحدة سداسية الشكل، ولمـــا أزيل بناء القبر، وحفرت الأرض التي كانت تحته إلى عمق متر أو يزيد قليلاً عـــن ذلك، عثر على أرض مرصوفة بطابوق مربع كبار، يبلغ طول ضلعه الأربعين ســـنتيمتراً، وقال بأن العادة قد جرت فيما مضى على رصف مثل هذا الطابوق فوق موضـــع القبـــر بعـــد الدفن، وعلى وجه الأرض، ومن الراجح أن وضع هذه القطع الـــسداسية مـــن الكاشـــية يرقى إلى سنة وفاة الشيخ عبد القادر الكيلاني. ينظر: عبد الرحمن المحض الكيلاني: تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، بغداد ١٩٩٤، ص ١٦- ١٧.

(٢) الزيادة من مصادر ترجمته.

(٣) تـــرجمته فـــي سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان ج٨ ق٢ ص٤٨١ وابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ج١ ص٤٠٠ وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ج٤ ص٣٣١ وغير ذلك.

ولمــا دخل السلطان مراد الرابع بغداد- رحمه الله تعالى- أمر بتجديد بناء تربته وبناء جامعٍ بحذائها، فبنى الجامع والتربة.

أما الجامع فهو ذا رحبة كبيرة، تحيط به من الشمال والغرب، ومصلاه عبارة عن قبة كبيرة معقودة بالجص والآجر مساحة ما تحتها وتحت الطاقات المعقــودة هــي عليها خمسون ذراعاً في مثلها[1]، يحيط بالمُصلَّى في طبقة أعلـــى مـــنه رَواشن[2] في جهاته الثلاث، ومحراب المُصلَّى داخل في جدار المــصلى الأمامي من أبدع ما صُنع[3]، وعلى يمين المحراب المنبر[4]. أما

---

(١) هــذه هــي القبة المعروفة بالبيضاء، أنشأها السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـــ/ ١٥٣٤م، ومـــن الـــراجح أن الذي أشرف على تصميمها وبنائها المعمار سنان باشا، الـــذي عاصـــر الـــسلطان سليمان، وأنشأ العديد من الجوامع الكبيرة في أنحاء الدولة العثمانـــية، ثـــم أصـــلحها وجدد عمارتها السلحدار مصطفى باشا وبكتاش آغا كتخدا الينكجرية سنة ١٠٤٩هـــ/١٦٣٨م. وتتميز هذه القبة بسعتها وضخامتها، وعدم وجود رقـــبة لهـــا، أو قاعدة دائرية تزيد من ارتفاعها، وإنما هي تقوم مباشرة على جدران المصلى، البالغ طول ضلعه ٢٠ متراً.

(٢) يريد: شرفات.

(٣) أقام هذا المحراب السيد عبد الرحمن النقيب الكيلاني في أثناء الترميم الواسع الذي اضطلع بـــه بين سنتي ١٣٢١ و١٣٣٠هـــ/١٩٠٣- ١٩١١م. وكان ثمة محراب قديم في مكانه، أعيد ترميمه ووضع إلى يمين باب الضريح الخارجي في سنة ١٣٩٠هـــ/١٩٧٠م.

(٤) زيـــن هذا المحراب في معظمه بالمرمر، كما زين جانباه البورسلين الأوربي، وتعلوه قبة مرفوعة على أربعة أعمدة من المرمر أيضاً، لكل منها تاج وقاعدة منقوشة، وبين كـــل عمود وآخر عقود مفصصة، وفوق هذه العقود عنق ذو شكل سدس، يعلوه قبة=

التـــربة فهـــي واقعة على يسار المصلى في وسطه، وأمامها رواق بقدرها، وجـــداره الأمامي متصل بجدار المُصلَّى الأمامي، وفي شرقي التربة رواق الحـــنابلة، يحجز بين المُصلَّى وبين الرواق المستطيل الممتد من عند الجدار الـــشمالي للمُصلَّى إلى الجدار القبلي ذلك الرواق المسمى برواق الحنابلة. ثم بنـــي بعـــد ذلك رواق ممتد على طول المصلى والتربة[1]. ورواق الحنابلة بأحـــسن بـــناء وألطف وضع، يحجز بين الرواق هذا ورحبة الجامع شبابيك كـــبار، طوال شاهقة، بارتفاع سقف الرواق الذي يقدر بعشرة أذرع، وترى الـــسواري الـــرخامية مُـــصطَفَّة وسط ذلك الرواق بطوله. وقد بُني هذا أيام ســـلطنه الـــسلطان عبد العزيز[2]، وولاية نامق باشا[3]، وذلك سنة ١٢٨١، وكان النقيب إذ ذاك السيد علي افندي والد السيد سليمان أفندي[4] والسيد عبد الرحمن افندي النقيب الحالي[5]، وقد طُرِّز بكتابة بالكاشاني تشير إلى هذا.

=مخـــروطة الـــشكل، مـــن المرمر المنقوش بزخارف نباتية. وهو أنموذج نادر لفن المحاريب الإسلامية.

(١) أنشأ هذا الرواق والي بغداد أحمد باشا سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م، وكانت في مكانه من قـــبل ظلَّـــة مـــسقفة بجذوع النخل، وأعيد تجديده غير مرة في العهود المتأخرة. عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء، بتحقيقنا، ص٢٧٨.

(٢) ولي السلطنة من ١٢٧٧ إلى ١٢٩٣هـ/ ١٨٦٠- ١٨٧٦م.

(٣) هو محمد نامق باشا الكبير، ولي بغداد مرتين، وهذا التاريخ يقع ضمن ولايته الثانية من ١٢٧٨ إلى ١٢٨٤هـ/١٨٦١- ١٨٦٧م.

(٤) ولي نقابة الأشراف من سنة ١٢٥٨ إلى ١٢٨٩هـ/ ١٨٤٢- ١٨٧٢م.

(٥) ولي نقابة الأشراف من سنة ١٣١٦ إلى ١٣٤٥هـ/١٨٩٨-١٩٢٧ م

ولمــا ذهــب السيد سلمان افندي النقيب إلى دار السعادة اسلامبول، رَغَــب المرحوم السلطان عبد الحميد ببناء شيء في الجامع، فَعَرَض له أنه يقــوم بهذه الخدمة عِوَضاً عنه، فبنى في الجهة الغربية للمُصلَّى رواقاً بطول المُصلَّى، وهو ما يقال له رواق الشافعية[١]، ولا تزال الجماعة الشافعية تقام فيه في الأوقات الخمسة شتاء، أما صيفاً فتُقام على الدَّكَّة الواقعة أمام الرواق في شماليه.

أما القبة القائمة على التربة فهي ليست كقبة المُصلَّى الساذجة[٢]، بل هــي قبة بديعة الشكل، محكمة الاتقان والهندسة، مبنية بالكاشاني المصبوغ والملون بأحسن الألوان، بنقش يحار نظر الناظر فيه[٣].

وفـــي الجامــــع مئذنتـــان إحداهمـــا أمـــام التـــربة فـــي رأس المـــصلـــى الصيفـــي مـــن جهـــة الشـــرق[٤]، والثانيـــة عند باب الجامع

---

(١) إن رواق الــشافعية كان موجوداً قبل عصر السيد سلمان القادري نقيب الأشراف، ولا تفسير لهــذا الأمر إلاّ بالقول بأنه أعاد بناءه بشكل أفخم مما كان عليه. الكيلاني: تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ص٧٨.

(٢) يقصد بالساذجة عدم تزيينها بقطع الآجر المزجج، والاكتفاء بإكسائها بطبقة من الجص.

(٣) أنــشأ السلطان سليمان هذه القبة، بعد أن أزال قبة مخروطية على الطراز السلجوقي كانـــت موجودة على القبر منذ عهد قريب من وفاة الشيخ الكيلاني، وقد كساها والي بغـــداد سليمان باشا أبو ليلة بالطابوق المزجج سنة ١١٦٩هـــ/١٧٥٥م، وحلى قمتها بمـــيل من الفضة المموهة بالذهب سنة ١١٧٠هـــ/١٧٥٦م، كما هو موثق في كتابة أثرية في رصافة القبة نفسها.

(٤) تتميـــز هـــذه المـــئذنة ببدانة جذعها الأسفل، مما يذكر بطراز بعض المآذن العباسية الكبيرة، وعلى أية حال فإنه توجد تحت حوضها كتابة تشير إلى تاريخ سنة ٩٠٤هـــ=

الغــربية[1]. وهــناك ساعة كبيرة دقاقة جلبها الهنود وبنوا بنايتها عند رأس المُــصلَّى الصيفي من جهة الغرب، موازية للمئذنة الأولى، فتراها كالمئذنة الثالثة[2].

وللمُــصلَّى الصيفي دكَّة، أي مرتفع، عن صحن الرحبة قدر نصف قامـــة، قـــد زُيِّن بأعمدة محيطة بأطرافة مصنوعة من الحديد، لأجل تعليق المصابيح عليها للإنارة. وفي الجهة الغربية من رحبة الجامع، [أي] صحنه، حوض ماء قدر عشر في عشر، قد سيج بسياج من حديد كيلا يدخله أحد[3]، في أطرافه الأربع مزملات للوضوء وغيره.

هـــــ= =١٤٩٨م، ولا يعــرف ما إذا كان هذا تاريخ إنشائها، أم تعميرها، وهو يقع ضمن مدة حكم دولة الآق قوينلو في العراق.

(١) أنشأ هذه المئذنة السيد سلمان القادري نقيب الأشراف سنة ١٢٩٤هــ/١٨٧٧م، وأعيد بناؤها، على وفق هيئتها السابقة، سنة ١٣٧١هــ/١٩٥١م. وقد أضيفت إلى الجامع، في توسعته الكبيرة الأخيرة، مئذنة عالية من الأسمنت المسلح، في ركنه الشرقي الذي أضيف إلى الجامع أيضاً، وهي لما تزل في دور الإنشاء.

(٢) يقـــع بــرج الساعة في الزاوية الشمالية الغربية من المصلى الصيفي، وقد شيد هذا البـــرج فـــي سنة ١٣١٧هــ/١٨٩٩م على ما أرخت ذلك النصوص التذكارية المثبتة علـــى قاعدته، وقد أنشأه السيد عبد الرحمن الكيلاني، أما الساعة نفسها فقد جيء بها من الهند، مع أنها إنكليزية الصنع، وهي تعمل بالأثقال، حيث تسحب هذه الأثقال إلى الأعلى لغرض نصبها، ثم تترك لتهبط رويداً ، ولا تزال تعمل حتى هذا اليوم. وتظل الساعة قبة خشبية مرفوعة على ثمانية أعمدة.

(٣) كـــان هـــذا السياج مبنياً بالآجر، بارتفاع لا يزيد على نصف متر، ولم تكن له أبواب محددة، ثم أستبدل بمشبك من حديد، ونصب له باب.

ويحيط بالجامع من جهاته الثلاث، أي ماعدا الجهة الجنوبية له المتخذة مقبرة للمسلمين، حجر لإقامة المرابطين والغرباء المجاورين وبعض أفراد عائلة النقيب، وقد كانت طبقة واحدة، ولكن تبرع أهالي الهند بمبالغ أرسلوها مع ثقاتهم لتعمير الحضرة، فعمَّروا حُجَراً في الطبقة العليا، فأصبحت الحُجَر المحيطة طبقتين[١]، كما أنهم زينوا جدران المصلى الداخلي والحضرة وجميع ما اشتمل عليه المصلى من أروقة وغيره بالرخام الأسود والأبيض، وأفرغوا المنبر بقالب منبر من رخام، ولكن على حالته السابقة، أي بدل أن كان من كاشاني اصبح من رخام، وزينوا الطاق الذي فيه المحراب بالنقش البديع من الأرض حتى سماء الطاق وما راءٍ كمن سمع[٢].

ورفعوا تلك الاسطوانات الصغيرة الواقعة تحت الرواشن[٣] المظللة لأبواب المصلى من الداخل، ووضعوا بدلها اسطوانات من الرخام الأسود اللماع، وبالخلاصة أصبح بصورة يَحار الفكر في حُسنه، ولكنه من دون زجاج وذهب وفضة كما هي الحالة في المشاهد الاخرى.

ولهذا الجامع أوقاف كثيرة، واقطاعات من قبل السلطان مراد خان والسلطان سليمان خان القانوني[٤]، فقد وقف السلطان سليمان خان المشار

---

(١) لقد أنشأ السيد عبد الرحمن الكيلاني، نقيب الأشراف، غرف الطابق العلوي من أموال تبرع بها أحد أثرياء الهنود، سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م، كما وثقت ذلك كتابة على المرمر ثبتت فوق باب أكبر تلك الغرف.

(٢) هذان هما المحراب والمنبر اللذين أنشأهما السيد عبد الرحمن الكيلاني النقيب.

(٣) يريد بالرواشن هنا ما يعرف بالشناشيل بحسب الاصطلاح البغدادي.

(٤) الأصح تقديم السلطان سليمان على مراد، على وفق السياق التاريخي.

إلـــيه وقفـــاً جعلـــه لا طعـــام الغـــرباء المجاورين في هذا الجامع والفقراء والمتـــرددين، ولكل فرد من أفراد ذرية الشيخ المشار إليه، وذلك عند مجيئه إلـــى بغداد سنة ٩٤١. وكذلك وقف السلطان مراد خان عند مجيئه الى بغداد وتعميـــره الجامـــع والحضرة سنة ١٠٤٣[١] هجرية أوقافاً[٢]، وهذه الأوقاف يتولاها النقيب الذي هو من ذريته من ولده عبد العزيز، وهو الآن السيد عبد الـــرحمن افـــندي نقيب الأشراف، مفخر آل عبد مُناف. ولم يزل هذا الجامع والحضرة المقدسة محط أنظار سلاطين آل عثمان، رحمهم الله تعالى، إلى أن طُـــوِيت صحيفتهم عن هذه البلاد كما كانت بقية المشاهد المحترمة والبيوت المعظمـــة، حتـــى أن مـــن جملة عنايتهم بهذا الجامع وما حوى من التربة المقدســـة، أن المـــرحوم الـــسلطان عبد المجيد خان أرسل قطعة من السِّتر النـــبوي، علـــى صاحبه أفضل الصلاة وأكمل السلام، لتوضع على صندوق الشيخ قدس سره، فوضعت باحتفال حافل أنشد فيه عبد الباقي أفندي العمري قصيدته الغرّاء وهي:

جـــل ستر بـــه الـــضريح تجلـــل ... فحـــوى الفخـــر مجمـــلاً ومفـــصل
جـــاور الحجـــرة الـــشريفة دهـــراً ... فغـدا من سرادق العرش أفضل
كـــــم تغـــــشى جـــــبريل فـــــيه ... واسـرافيل وميكائـيل فـيه تـزمل
مَـــن لـــداود لـــربه قـــد تـــسربل ... وخلـيل الـرحمن لـوقد تخلـل

---

(١) دخل السلطان مراد الرابع بغداد سنة ١٠٤٨ لا ١٠٤٣هـــ.

(٢) لا نـــدري من أين استقى المؤلف هذه المعلومات، إذ لا توجد أوقاف على الجامع أو ذرية متوليه تعزى إلى إي من هذين السلطانين.

هو سترعار من العار من ... أضحى له يوم القيامة مُسبَّل

سندسي الطراز في خاتم الرسل ... غدا معلم الحواشي مكمل

هو لو لم يكن كتاباً لعتق ... ليلة القدر ما عليه تنزَّل

وبدار السلام حل محل الأ من ... واليمن والفخار المؤثَّل

سبحت دجلة وكبرت الزوراء ... مجداً وجانب الكرخ هلل

ورجال العراق فوجاً بفوج ... قد أتوا يلثموه في خير محفل

حملوه على الرؤوس ويا عز ... رؤوس غدت لذلك محمل

وقياماً بحقه كم فريق ... من أولى العزة احتراماً ترجل

هو للزائرين في حط وزرٍ ... عند مولاه ضامنٌ يتكفل

كل من نال قُبلة منه أحس ... صومه عند ربه يتقبل

كم خوافٍ من حضرة الباز لاحت ... حين وافي ولا قوادم أجدل

وتجلى الله المهيمن لما ... وضعوه على ضريح مبجل

وتغشت أبصارنا بسناء ... بعيون التعيين قد كان أول

فتمسك وقل يا أبا الطيب ... هذا من طيب رياك صندل

قائلاً: يا أبا البتول أغثني! ... وإلى ربك العلِّي تبتَّل

فعليه صلِّ وسلِّم وبارِك ... وتكرَّم يا ربنا وتفضَّل

ما همى الودق بالصلاة وما البرق ... أضا بالسلام والرعد جلجل

ولاشـــك أنه- قُدِّس سره- أهلٌ لهذه التحفة السنية والهدية السلطانية.
وقـــيل: إن هـــذه هـــي من هدايا المرحوم السلطان محمود أمر بارسالها إلى الحـــضرة الكيلانية فعاجلته قبل توجهها المنية، فأرسلها ولده السلطان المشار اليه.

أمـــا ما في الجامع والحضرة المقدسة من الكتابات فكثير. منها كتابة موجودة على جدار الرواق المحيط بالمصلى من جهة الخارج يشير الى نَسَب الشيخ، وإلى تاريخ ماوقع من عمارته، والسلطان الذي اجريت التعميرات في أيامـــه[1]، ومـــنها كتابات في جدار المُصلَّى، وعلى باب الجامع وغيره من الأماكن مثل الباب الأوسط للمُصلّى[2]، وقد كُتب على الباب الخارجي للجامع مـــن جهـــة الغـــرب بيتان من قصيدة منسوبة لحضرة الغوث- قدس سره- وهما[3]:

أنـا بلـبل الأفـراح أمـلأ دَوحَهـا طَـرَباً وفي العلـياء بـازٌ أشـهبُ

---

(١) ذكر بعد أن سرد النسب، ما يأتي".. على عهد ظل الله على الأمم، الحامي شريعة سيد الرســـل المعظـــم، سلطان البرين وخاقان البحرين، وخادم الحرمين الشريفين، السلطان عبد العزيز خان ابن السلطان الغازي محمود خان خلد الله ملكه مدى الأزمان، في أيام ولايـــة وزيره الأفخم، ومشيره المفخم، حضرة الحاج محمد نامق باشا، أدام الله إجلاله، وذلك سنة ألف ومايتين وإحدى وثمانين هجرية على صاحبها أفضل صلوة وأزكى تحية ... كتبه الفقير السيد عبد القادر إمام الحنفية في حضرة القادرية".

(٢) تنظـــر نصوص هذه الكتابات في عبد الرحمن المحض الكيلاني: تاريخ جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، بغداد ١٩٩٤.

(٣) كتبهما الخطاط عثمان ياور (المتوفى سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م)

أفِلَت شموس الأولين وشمسُنا أبداً على فَلَك العُلى لا تغرب

ويحق له قدس سره، فان ابن تَيميَّة -على ما هو عليه من الإنكار للمشايخ المتصوفة- يُذعِن لعلياه، وينحني أمامه خضوعاً واحتراماً معترفاً بعلو مقامه(١)، ومن دقَّق قوله في قصيدته التي منها البيتان الآنفا الذكر يسلم بذلك، وهو قوله:

أصبحتُ لا أملاً ولا أمنيَّةً أرجو ولا موعودةً اترقبُ
أرتع في ميادين الرضا حتى وُهِبتُ مكانةً لا توهَبُ
أضحى الزمان كحُلَّةٍ مرقومةٍ تزهو ونحن لها الطراز المُذهب
أفلت شموس الأولين وشمسنا أبداً على فُلك العُلى لا تغرِب

أما القصيدة التي منها هذه الأبيات فإنا ذاكروها تتميماً للفائدة، وهي:

ما في المناهل منهل مستعذب إلاّ ولي فيه الألذ الأطيب
أو في الوصال مكانة مخصوصة إلاّ ومنزلي أعز وأقرب
وهبت لي الأيام رونق صفوها فحلت مناهلها وطاب المشرَب
وغدوت مخطوباً لكل كريمة لا يهتدي فيها اللبيب فيخطب
أنا من رجالٍ لا يخاف جليسهم ريب الزمان ولا يرى ما يرهب
قوم لهم في كل مجد رتبة علوية وبكل جيش موكب
أنا بلبل الافراح أملأ دوحها طرباً وفي العلياء بازٌ أشهب

---

(١) ينظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج١٠ ص٤٥٥.

أضحت جيوش الحب تحت مشيئتي طـوعاً ومهمـا رمـته لا يغـرب
أصـــبحت لا أمـــلاً ولا أمنـــية أرجـــو ولا موعـــودة اتـــرقب
مازلـت أرتـع في مـيادين الرضـا حتـى وهـبت مكانـاً لا تـوهب
أضـحى الـزمان كَحُلَّـةٍ مـرقومة تزهو ونحن لها الطراز المُذْهَب
أفَلَـت شمـوس الأولـين وشمـسُنا أبداً على فَلَك العُلى لا تغرب

وفـــي الجامـــع المذكـــور مدرسان أول وثان، والمدرس الثاني هو المـــدرس المُعَيَّن في مدرسة الخاتون عَتُّوكة بنت دلَّة زوجة النقيب[1]، وهذه المدرسة الآن متخذة داراً لسكنى السيد زين الدين أخي النقيب، فلا حول ولا

---

(١) الـــصحيح أنها السيدة عاتكة خاتون بنت السيد علي القادري نقيب الأشراف، المتوفاة بدمشق سنة ١٢٤٥هـ/ ١٨٢٨م، وقد أنشأت هذه المدرسة في محلة باب الشيخ، مما يلـــي القـــبلة لجامـــع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وذلك في سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م وعرفت مدرستها بالمدرسة الخاتونية، وكانت من أهم مدارس بغداد في عصرها، إذ وقفت عليها أوقاف جمة، وشرطت أن يعين فيها مدرس وعشرة طلاب في كل سنة، وزودت المدرســـة بخـــزانة كتب حافلة بالكتب التي كانت تستجلبها من داخل العراق وخارجـــه، وقـــد تخـــرج فـــيها عدد كبير من أجلة العلماء، ثم تشعث أمرها وتوقف الـــتدريس فـــيها نتيجة الطاعون الذي داهم بغداد سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، وسكن في مبـــناها بعـــض الأسر الكيلانية، على ما يذكر المؤلف هنا، وقد أدى ذلك إلى خرابها الـــتام، ثم اندراسها كلية، وأدخلت أرضها في شارع غازي عند شقه سنة ١٩٣٥مـــ وما زال قسم من مخطوطات مكتبة هذه المدرسة محفوظاً في مكتبة المدرسة القادرية. كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، ج١، بغداد ١٩٧٣، ص٢٩.

قوة إلاّ بالله، وهي التي كان علاء الدين افندي الموصلي مدرساً فيها[١]، وفيها أخذ الآلوسي الإجازة منه باحتفال حافل بالعلماء والأعيان[٢].

وفـــي الجامع خطيب، وإمامان للشافعية والحنفية، ومؤذنون وخدم، وخـــادم التـــربة المقدســـة، وحامل المفاتيح (الكِليتدار)، ورئيس حلقة الذكر، وجـــاووش، ومُمَجِّدون في أيام الجمع ولياليها، وليالي القدر، وموقد القناديل، ورافعـــو الأحذية (كَشْوان)، وأباريقي وغير ذلك من سائر الخدم. ولكل فرد مـــن هؤلاء عدا الراتب المخصص مقدار من الخبز يتناوله كل يوم من محل الطعام.

والقـــائم بكفايـــة هـــؤلاء الموظفـــين وتدبير الأوقاف وإدارة الجامع والحضرة هو النقيب لأنه هو المتولي حسب الفرامين السلطانية ونص الحِجج الوقفية، كوقف شمس الدين[٣] وزين الدين[٤] وغيرهما من الواقفين.

---

(١) هو علي علاء الدين أفندي الموصلي، وهو شيخ العلامة أبي الثناء محمود الآلوسي، وسماه (علامة الدنيا)، عاش في بغداد، ولقي عنتاً من واليها داود باشا، فلم يحظ بما يستحق من رعاية، وتولى التدريس في بعض مدارس بغداد، حتى وفاته سنة ١٢٤٣ هـ/١٨٢٧م، وله شعر جيد. حديقة الورود الورقة ٩، والمسك الأذفر ص١٩٧

(٢) ينظر تاريخ الأسر العلمية ص١٨٧.

(٣) هـــو السيد شمس الدين بن محمد القادري الملقب بالطيب، وقد وقف أراض واسعة، بـــضمنها قرى ومستغلات كثيرة، على ذريته وعلى مصالح جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني بموجب وقفيته المؤرخة في ١٠ محرم سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م.

(٤) هـــو السيد زين الدين بن الشيخ شرف الدين القادري، وقد وقف أراض واسعة، مثل ســـابقتها، على ذريته، ثم على مصالح الجامع المذكور، بموجب وقفيته المؤرخة في ١٥ رجب سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م.

وبالقــرب مــن الجامــع في قبل المقبرة سقاية يستقي منها الفقراء لــدورهم، أنشأها والي بغداد علي رضا باشا[1] سنة ١٢٤٧ هجرية، وأجرى لها الماء في ساقية من كَرْد على دجلة، ووقف لها عقاراً لحفظها وبقائها على ممــر الأيام[2]. وقد بنى بموضع الكرد قصر بناه عبد الرحمن افندي النقيب لــسكناه[3]، وابقــى الكرد فقط[4]، وقد هدمت الساقية المذكورة وأُجري الماء

---

(١) والي بغداد وتوابعها من ١٢٤٧ إلى ١٢٥٨هـ/ ١٨٣١- ١٨٤٢م.

(٢) كانــت هــذه الساقية موجودة منذ مطلع عهد الدولة العثمانية في العراق، إذ وصفها الــرحالة البرتغالــي بــيدرو تكسيرا في أثناء زيارته بغداد سنة ١٠١٣هــ/١٦٠٤م، وأشــار إليها نيبور سنة ١١٨٠هــ/١٧٦٦م بقوله" ولها، أي تكية الشيخ عبد القادر، كرد يساق ماؤه إليها من دجلة في ساقية"، ووقف أهل الخير من البغداديين أوقافاً عدة للإنفــاق على هذه السقاية، فنحن نرجح أن يكون علي رضا باشا قد جدد هذه الساقية ورممهــا، والبيت الخامس من الأبيات التالية يشير إلى ذلك صراحة. ويبلغ طول هذه الــساقية نحو كيلومتر، وتبدأ من شاطئ دجلة في محلة السنك، قرب قصر السيد عبد الــرحمن الكيلانــي نقــيب الأشراف، حيث يرفع إليها الماء بواسطة دولاب تحركه الــدواب(كرد)، ثم تمتد فوق جدار عال يبلغ ارتفاعه مترين ونصف، لتبدأ بالانحدار بعده تدريجاً حتى تصل إلى سقاية جامع الشيخ عبد القادر البرانية، التي وصفت بأنها بناية كبيرة لها حوض، وفيها ثلاث حنفيات، وأمام الحوض طارمة ذات ثلاثة أطواق، ومــن المــاء ما يصل إلى سقايات ومتوضآت في داخل الجامع أيضاً. كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص٦٨- ٧٨.

(٣) رممــت أمانــة بغــداد هذا القصر في الثمانينات وجددته تجديداً شاملاً، واتخذ متحفاً للفنانين الرواد مدة، ومقراً لبعض الدوائر الثقافية، وما زال عامراً حتى اليوم.

(٤) مازال حوض هذا الكرد قائماً حتى اليوم.

بواسـطة الأنابيب تحت الأرض، وذلك أيام الحرب العظمى[1]، وكان مكتوباً على جدارها هذه الأبيات:

لله ســاقيةٌ قــد شــادَ مَبــناها ... والـي العـراقَين أقـصاها وأدناهـا

أعني علي رضا بل حيدري وغى ... سمــيَّه لجمـيع الــناس مـولاها

من ماء دجلة أجرى سلسبيل ندى ... يروى العطاشى من الرمضاء أصفاها

وانساب جدولها في صحن دائرةٍ ... قُطب المجرّة يحكي عن مزاياها

أنعِـم بهـا كعـبة للائِـذين بهـا ... لقد صفا زمزم الجَدوى ومرواها

تطـوعاً واحتـساباً مـن فواضـله ... تجـددت وسمـت أركـان علـياها

فــيالها مِــنَّة لله خالـــصة ... تفتر عـن شَنَب الحُسنى ثـنايـاها

صَحَّ القـول جـرى فـوراً فأرِّخـه ... تجـرى فينـبوع بسم الله مجـراها

١٢٤٧

وهـذه المقبرة هي المقبرة المعروفة في التاريخ بمقبرة باب الأزج، وقد كانت كبيرة فإن ما يحيط بالمصلى من جهة الغرب والشمال حتى الدكَّة التي يصلى فيها صفاً كانت مقبرة، وقد شوهدت القبور، وظهرت الرِّمَم حينما

---

(١) الصحيح أن ذلك جرى قبل الحرب الأولى بمدة، ففي سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م قام أحد الأغنياء الهنود بتثبيت أنبوب حديدي في داخل قناة الآجر، ورفع العقود القديمة، التي كانـت القـناة تجتاز عليها الدروب والطرق الجانبية، ووضع بدلها أنابيب تأخذ شكل القـناة الـسابقة، وفـي سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م ألغي العمل بالدلاب، واستعيض عنه بمـضخة حديـثة، وقام السيد عبد الرحمن الكيلاني برفع قناة الماء تماماً، ومد بدلها أنابيب معدنية تحت الأرض بخط مستقيم إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني.

عُملــت الدَّكّــة، وإن سبب جعلها مرتفعة عن الصحن بهذه الدرجة هو عدم التعرض للقبور فسوى ما بين القبور بالتراب ثم فرش الطابوق[1].

جامع الدَسابيل أوالدزفوليين

إذا سار الإنسان من الشارع العام متوجهاً إلى جامع الشيخ الكيلانـي، فإنــه قبل وصوله الفسحة الواقعة عند المقبرة بمقدار مائة وخمسين خطوة، يــرى على يمينه درباً بعرض ستة أمتار، إذا سلكه وسار قدر مائتي خطوة رأى على يمينه جامعاً، ذلك هو جامع الدَسابِيل[2].

وهو مسجد قديم البنيان، وكان القائم بإدارته[3]، كما أعلم، المرحوم أســتاذي ملا عمر أفندي الخضيري، القارئ المشهور، وأستاذ المجودين في

---

(١) هــذا الخبر مما انفرد به المؤلف، والآن دخلت هذه الدكة، أو المصلى الصيفي، في الفــناء الواسع العالي الذي يقابل المصلى الرئيس وقد أضيف ضمن التوسعة الأخيرة التي تجري للجامع اليوم.

(٢) ويــسمى أيضاً: التسابيل، ولم يعرف بمسجد الدزفوليين، وإن ذكر الشيخ محمد بهجة الأثري أن المحلة التي يقع فيها هذا المسجد سميت بالدسابيل " لإقامة شذاذ العجم من بلــدة دســبول فــيه، والــيوم ليس لهم أثر هناك، ولعلهم استعربوا على طول الأيام واخــتلاطهم بالعرب"(مساجد الآلوسي ص٧٨)، ودسبول، أو دزفول، مدينة في أعلى إقليم الأحواز، وأكثر أهلها من قبائل (اللر). وانفرد محمد رؤوف الشيخلي بالقول أن الاســم يمكــن أن يكون جمعاً لسبيل (وهي السبيلخانة)، وأن سبيلخانات متعددة ربما كانــت فــيها (المعجم الجغرافي لمدينة بغداد القديمة ص٢١٣)، ولا تفيدنا المصادر بوجود هكذا سقايات في المحلة، وواضح أن الأمر لا يعدو أن يكون تأويل للفظ.

(٣) شطب على لفظ (إدارته)، وأبقى لفظ (القائم) ، فأثبتناه اتماماً للمعنى.

أيامه، وقد قرأتُ عليه التجويد على قراءة عاصم، وأخذت منه الاجازة. وقد كان من المُقرَّر علي أن أُقَدِّم له في كل يوم خميس خُطبة ليخطب بها خطيب الجامع، وكان يراعيني ويحترمني رعاية لحق عمي السيد عبد اللطيف أفندي(١) مدرس الحضرة الكيلانية.

وهو جامع واسع المُصلَّى، واسع الرحبة، وكان قد جدد عمارته أبو يحيى الشيخ زكريا(٢) حسبما تنطق بذلك الأبيات الموجودة على قبره الموجود في الجامع، وقد أنشأ فيه سقاية. والأبيات المكتوبة على القبر هي:

سقى الله قبراً قد حوى الجُود والنَدا ... سحابة رضوان له تتجددُ
وجاد له من جود فيض برحمة ... يَروح ويغدو دائماً ليس ينفدُ
فيالك قبراً حلَّ فيه الذي له ... جميع الورى بالجود والفضل تشهد
فتى كان للأيتام كهفاً وموئلاً ... وكان لهم في بِرِّه يتفقد
وشيَّد بيتاً للإله وقد غدا ... له بجنان الخلد قصر شُيِّد
وعمَّر للدين الحنيفي جامعاً ... ثوى فيه لا يحصى ثواباً وينفد

(١) والسيد عبد اللطيف بن محمد بن حسين آل عبد اللطيف الراوي، ولد سنة ١٢٥٨هـ/ ١٨٤٢م وأخذ العلوم على أخيه السيد عبد الغني، وعلى كبار علماء مدينته في عصره، وسلك في طريقة النقشبندية، وعين مدرساً في الحلة سنة ١٢٩٠، ثم نقل إلى المدرسة القادرية، وقصده الطلبة من كل مكان، ودرس أيضاً في مسجد حبيب العجمي في الكرخ، وتوفي بوباء الهيضة سنة ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م، انفرد المؤلف بالترجمة له في كتابه تاريخ الأسر العلمية ص٨٤- ٩٠

(٢) هو زكريا بن عبد الوهاب بن ملا خضر المعروف بالخضيري، أحد وجهاء بغداد وتجارها في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر للهجرة (١٨ و١٩م).

فـصبراً ذويـه وابــشروا إنمـا الفتــى سـعيد وفي أُخــراه لا شــك أسـعد
أجل فاحذفوا أقصى المُصاب وأرخوا: ألا زكـــريا في النعـــيمِ مُخلـــد[1]

وفيه إمام وخطيب ومؤذن[2].

وكـــان يُدار من قبل ١٢٣٥[3] المنلا[4] عمر المذكور، ثم بعد وفاته غدا يدار من قبل عبد السلام الخضيري نفسه. وله أوقاف في سوق الخفافين

---

(١) مجمـــوع حساب الجمل للشطر هو (١٢٣٥) وهذا ما أثبته الآلوسي في مساجد بغداد ص٧٩، ولـــيس هـــذا هـــو تاريخ إنشاء المسجد، وإنما تاريخ وفاة المنشئ، وعبارة (احذفـــوا أقـــصى المصاب) توجب حذف قيمة الباء، وهي ٢، من المجموع، فيكون ١٢٣٣، وهذا هو تاريخ وفاته.

(٢) مـــن أشهر أئمته الخطاط البارع محمد بن علي بن ملا أحمد سَبتة البغدادي، المتوفى سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م، وكان معلماً للخط والتلاوة في هذا المسجد، فضلاً عن كونه إمامـــاً فـــيه، وقد نسخ بخطه عدداً كبيراً من المخطوطات التي استقر جانب منها في المكتـــبة القادريـــة فـــي جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد. ينظر كتابنا: الآثار الخطـــية فـــي المكتبة القادرية ج٢ ص١٦، ٧٦، ١٣٧، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٤١، ٤٤٠، ٤٤٩، ٤٨٧، ج٤ ص١٤٠، ج٥٤٠، ٤١، ٤٢.

(٣) يوافق أولها ٢٠ تشرين الأول سنة ١٨١٩م.

(٤) المنلا هو الملا بحسب اللفظ التركي الشائع يومذاك، وكان يطلق على المعلمين خاصة.

وفضوة عرب والقهوة التي بجنبه مع أربعة دكاكين عندها[1]، وقد وضعت الأوقاف يدها عليها وعليه[2].

وهذه المحلة هي المحلة المعروفة قديماً بقطيعة العجم[3]، وكان يسكنها الأعجام الذين يَرِدون بغداد من

---

(١) كان الحاج زكريا قد وقف عقارات جمة على مسجده هذا، منها مقهى كانت متصلة بالمسجد نفسه، ودكاكين متفرقة في أسواق بغداد، وذلك بموجب وقفياته المؤرخات في ١٢١١ و١٢١٦ و١٢٢٢ و١٢٣٠ هـ. كتابنا: معالم بغداد ص١٢٢- ١٢٣. قلنا: وكان من أوقافه الدكاكين المرقمات ٤٥/ ٢٢٥ و٢٠٧/١١٣ و٢٠٧/١١١ و١٠٤/ ٢٠٧ و٢٠٧/١٠٧ و٢٢٠/٣٠ والدار المرقمة ٢٢٠/٨٤ والقهوة المرقمة ٢٠٧/٩٨. وآخر من تولاه الحاج صالح الخضيري. ومن أوقاف هذا الجامع دكان في سوق القونلق، المعروف فيما بعد بسوق البزازين، وقفه محمد أمين الجلبي بن محمد سعيد جلبي الشيخلي بموجب الوقفية المؤرخة في سلخ ربيع الآخر سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م. وقد نقض هذا الجامع عند إزالة شطر من محلته، في ثمانينات القرن الماضي، وتقع أرضه اليوم في ساحة خالية على يمين السائر في الشارع المؤدي من ساحة الخلاني إلى جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وهو مسجل في سجلات العقار تحت العدد ١٠٢٦.

(٢) وصفه السيد عباس بن رجب البغدادي سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٤ بأنه" مسجد معمور الأوقات الخمس" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٢٠). والآن لا وجود لهذا المسجد، فقد نقض وأزيل منذ زمن.

(٣) قال ياقوت" قطيعة العجم ببغداد في طرف المدينة بين باب الحلبة وباب الأزج والريان، محلة كبيرة عظيمة فيما أسواق كأنها مدينة برأسها". معجم البلدان ج٤ ص ٣٧٧. قلنا: وهي الأرض التي كانت تقع بين محلة باب الشيخ وسور بغداد الشرقية، وأبرز معالمها القبر المنسوب إلى من يعرف الغزالي، وهو بقية من رباط ابن=

دزِفُول[1]، وقد عُرِّبت هذه اللفظة فقيل دِسبُول، ثم سموا المحلة بهذا الاسم وهو الدسابيل.

وهذا الجامع ذو مُصلَّى واسع وساحة فسيحة، وأمام المصلى صُفَّة. والظاهـــر أن البانـــي كمـــا يقوله مُتولُّوه هو أخو جدهم لأنه زكريا بن عبد الـــوهاب بـــن مـــلا خضر، وعبد السلام هو ابن عبد القادر بن بكر بن عبد الـــوهاب بن ملا خضر، رحم الله جميع المسلمين، ورحمنا معهم، إنه أرحم الـــراحمين. وقـــد أنشأ الشيخ زكريا المذكور فيه سقاية قبل أن يجدد عمارة الجامـــع، كما تحكي ذلك الكتابة الموجودة على جدارها، وذلك سنة ١٢٢٨، وهذا ما هو مكتوب:

=الغَزّال، قال ابن رجب في ترجمته لمحمد بن عبد المحسن الأرجي القطيعي الواعظ المتوفـــى سنة ٧٢٨هـــ أنه "سكن برباط ابن الغزال بالقطيعة من باب الأزج ولازم الـــوعظ به مدة طويلة" (الذيل على طبقات الحنابلة ج٢ ص٣٨٥)، فكان هذا الرباط قائمـــاً في النصف الأول من القرن الثامن للهجرة، فتحرف اسم الغزال، فيما بعد إلى الغزالي، ثم نسبه بعض السائحين المتأخرين غير العارفين بالتاريخ، وبعض الجاهلين مـــن القبوريين، إلى الإمام أبي حامد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥هـــ مع أن هذا الإمام عـــاش سني عمره الأخيرة في مدينته طوس، وتوفي فيها، وفي مقبرة الطابران هناك دفن، وقد زار قبره هناك كثيرون، وما زال قبره معروفاً حتى اليوم.

(١) هذا اجتهاد المؤلف، وإلاّ فلا دليل على أن قطيعة العجم نسبت إلى من سكنها من أهل دزفـــول، لا سيما وأن اسم هذه المدينة لم يكن معروفاً في العصور الإسلامية، وإنما عـــرفت بأسماء أخرى، مثل: القنطرة، قنطرة أندامش، قنطرة الروم، قنطرة الزاب، قنطرة الروذ، وغير ذلك. علي نعمة الحلو": الأحواز ج١، بغداد١٦٦٩، ص٧٢-٧٤.

أباح لورّادٍ من الماء صافياً وأوردهم عذبا فراتاً وأنهلا
وصَيَّره وقفاً على كل واردٍ أراد وضوءً أو تطلّب منهلا
فحاز ثواباً كالذي صام دهره وصلّى دوام العمر طولاً وهلّلا
ترى زُمَر الوراد تأتي صوادياً وترجع في رِيٍّ من الماء عللا
لذلك أضحوا قائلين وأرخوا: سقى زكريا يوم يبعث سَلسَلا

مسجد النقيب

إذا سَلَكتَ الطريق المؤدي إلى جامع الشيخ عبد القادر الجيلي من الشارع العام، وسرتَ قدر مائة خطوة، وصلت إلى درب واقع على يمينك يوصلك إلى باب السور المسمى قديماً بباب البَصَلية، وحديثاً بالباب الشرقي، فإذا سرتَ في هذا الدرب، وجاوزت محل الشرطة بمسافة قليلة، رأيت على يمينك مسجداً صغيراً، ذلك هو مسجد النقيب[١].

وهو مسجد صغير، لطيف البناء والوضع، أنشأه النقيب السيد سلمان[٢] سنة١٣١٢ [٣]، وفيه مصلى، وصُفَّة أمام المصلى، ورحبة لا بأس بها. وأنشأ

(١) جاء في مساجد بغداد للآلوسي ص٨٠ أنه يقع " خارج الباب الشرقي" والصحيح أنه يقع داخل بغداد، على قطعة الأرض المرقمة ٢٤٢.

(٢) تقدم التعريف به. وقد كتب إبراهيم الدروبي ترجمة موسعة له في كتابه تاريخ الشيخ عبد القادر الكيلاني ص٢٤١- ٢٩٨

(٣) يوافق أولها ٥ تموز ١٨٩٤م.

فيه سقاية للواردين والصادرين[١]، وفيه إمام. وقد سجل في إمامته السيد عاصم أفندي[٢] بن السيد عبد الرحمن افندي النقيب لأجل خلاصه من الجندية إبان الحرب العظمى، لأن استثناءهم من الجندية زال بأعلان المشروطية. وقد كتب على بابه أبيات تعلن تاريخ بنائه، وأن بانيه هو النقيب، وهذه هي الأبيات:

يا نقيباً لم تزل خيرَ فتى	خَصَّك الله برُشدٍ وهدى
أودع الله عليك الخير الذي	بلغ السوفاء منه المقصدا
فزت مذ شيدت يوماً مسجداً	بنعيم دائم طول المدى
فترى الإسلام لله به	ركعاً طورا وطور سُجَّدا
فعلى نهج الهدى قد أرخوا:	وعلى التقوى أقمتَ المسجدا
	١٣١٢

---

(١) من شروط وقفية هذه السقاية أن " يكون الماء جارياً بلا انقطاع شتاءً وصيفاً، يستقي منه كل من أراد من أبناء السبيل والمترددين، ومن أراد حمل الماء بالأواني المخصوصة إلى بيته من الحوض المعد لذلك فلا يسوغ لأحد منعه، ومن منعه وقطعه فعليه ما يستحق من الله تعالى!". وما يزال شباك هذه السقاية قائماً، تعلوه أبيات منها بيت التاريخ، وهو " قلت بالواحد لطفاً أرخوا- سلسبيل القادري أعذب"

(٢) ولد في سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م ونال تعليماً جيداً على كبار علماء مدينته في عصره، ووجهت إلى الخطابة في جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني سنة ١٣٢٥هـ/ ١٩٠٧مثم جهة التدريس سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م، وتولى نقابة الأشراف والتولية على الأوقاف القادرية سنة ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م ، وانتخب عضواً في مجلس النواب العراقي، وتوفي ببغداد سنة ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م. إبراهيم الدروبي: تاريخ سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني ص٣٥٣- ٣٨٥

وإدارة هـذا المسجد مع السقاية هي بيد المتولي حسب شرط بانيه، ولـده السيد داود أفندي(١)، وفيه إمام ومؤذن، هو خادم أيضاً، وساقي السقاية المذكورة، وله أوقاف يديرها المتولي المومى إليه.

مسجد السادة

إذا سِرتَ من محل الشرطة الواقع في الدرب النافذ إلى باب البَصلِيَّة(٢)، متوجهاً إلى الطريق المؤدي إلى جامع الشيخ عبد القادر، رأيت على يمينك مسجداً صغيراً، ذلك هو مسجد السادة(٣)، وهو مسجد صغير ذو

---

(١) ولـد سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م ، ونال الإجازة العلمية من بعض علماء مدينته، وبعد وفاة والده وجهت إليه تولية هذا المسجد والسقاية سنة ١٣١٦، فلبث يديره حتى فوض تلك التولية إلى ولده الأكبر السيد أحمد حمال الدين الكيلاني سنة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م ، وكانت وفاته في سنة ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م..

(٢) هو الاسم القديم المشتهر في العصر العباسي للباب الشرقي.

(٣) لا يعلم زمن تأسيسه، وأشير إليه في وقفية خديجة بنت عبد الله المؤرخة في سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢٠م بوصفه واحداً من المساجد التي وقفت عليها هذه السيدة عقارات لها في تلك السنة. وجاء في الوقفية أن هذا المسجد يقع " في طريق بين الطاق الأظلم وسوق السنك". كتابنا: معالم بغداد ص١٢٥ وقال السيد عباس بن رجب " المسجد المعروف بمسجد السادة، وهو وإن كان صغيراً إلاّ أنه مسجد قديم يجد المصلي فيه خشوعاً"، (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص١٨) وسماه الأثري في فوائته على مساجد الآلوسي ص ١٤١ " مسجد السادات" وقال أنه " مسجد قديم". وقد جدده داود باشا سنة ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م ، وأعيد تجديده سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م، وأعيد بناؤه سنة ١٤١٢هـ/١٩٩١م وسمي (جامع طلحة بن عبد الله) على ما أثبت=

مـــصلى وصُفَّة وصحن بنسبته، ومن المؤسف المُحزِن أن يرى المسلم هذه المـــساجد مُنبثّة ههنا وههنا في البقاع مما يفهم مقدار تمسك المسلمين بدينهم وحرصـــهم على اقامة صلاتهم في المساجد، حالة أن يراها الآن عاطلة عن ذلـــك، ليس فيها إلاّ قيامها على وجه الأرض، وتعدادها عند عد المعابد، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

مسجد الخلاني- تربة الخَلاّل

إذا وصـــلت إلـــى المسجد الموسوم بمسجد العيدروسي، الواقع على الطـــريق المـــؤدي إلى جامع الشيخ عبد القادر، من الشارع العام، ترى عند المسجد أمامه درباً ممتداً إلى الشرق، إذا سرتَ فيه قدر مائتي خطوة وصلت إلـــى فسحة واقعة على يسارك فيها مسجد، ذلك هو مسجد الخلال المشهور بالخلانـــي، وقـــد كـــان بموضع هذا المسجد وما حاطه مقبرة تَعرف بمقبرة الخلاني[١] سجل لها التاريخ في العصر السابع مشاهدة واقعة عظيمة لم ترها

=في كتابة بالآجر المزجج فوق بابه، وأضيفت له مئذنة صماء لا سلم فيها، وهو اليوم عامر بالمصلين.

(١) ســماها صـــاحب كتاب الحوادث (مقبرة الخلال). وهي نفسها مقبرة الفيل. قال ابن الدبيثـــي فـــي ترجمة عبد الله بن صالح الأنباري المتوفى سنة ٥٩١هـــ" ودفن بباب الأزج بمقبـــرة الخلال وتعرف بمقبرة الفيل"(المختصر المحتاج إليه، تحقيق مصطفى جـــواد، بغداد ١٩٦٣، ج٢ ص١٤٥). ووردت الإشارة إلى قبر الشيخ محمد الخلاني في رحلة الرحالة مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي، عند نزوله في بغداد=

مقبـــرة ولا تـــربة، تلـــك هي محو الخلافة العباسية بقتل المستعصم الشهيد وأولاده وأعمامـــه وأنسبائه وكل من ينتمي للبيت العباسي، حتى لم يبق منهم أحـــد إلاّ مـــن كان خارج بغداد، وفرَّ منها قبل القبض عليه، وقتل فيها بقية الأمراء والعلماء الذين ساقهم مؤيد الدين العلقمي إلى المجزرة المغولية[١].

والخلاني هذا والخَلاّل هو أبو علي الخَلال الحسن بن إبراهيم، على مـــا حققـــه العلماء[٢]، وقال بعضهم: هو الحَلاَّء بالحاء المهملة والهمزة في آخره، وهو أبو الحسن علي بن وصيف الناشئ، صاحب المراثي الكثيرة في أهـــل البـــيت المتوفى صفر سنة ٣٦٤ وهذا هو الصحيح[٣]، لأن من اشتهر بالخلال مثل الحسن بن إبراهيم المذكور، ومثل أبو بكر عبد العزيز الزينبي الحنبلـــي المعروف بغُلام الخلاَّل المدفون في البراح الواقع أمام منظرة باب

=سنة ١١٣٩هـــ/١٧٢٦م (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان الورقة ٥٧).

(١) ينظر عن هذه المجزرة كتاب الحوادث ص٣٥٨.

(٢) يـــريد: الحـــسن بن علي بن محمد الخلال الهذلي الحلواني، نزيل مكة، وكان حافظاً محـــدثاً مـــصنفاً، توفي سنة ٢٤٢هـــ/٨٥٦م ولم يتحدد مكان وفاته. ينظر ابن حجر: تهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٢ وابن الأثير: اللباب في تهذيب الأنساب ج١ ص٢٩٦.

(٣) لا صـــحة لهـــذا، لأن علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ، صاحب المراثي في آل البيت عليهم السلام، أنه دفن في مقابر قريش، وقال الحسين بن محمد الخالع (المتوفى سنة ٣٨٨هـــ/٩٩٨م) أن " قبره هناك معروف" على ما نقل ياقوت في ترجمته: معجم الأدبـــاء ج٥ ص٢٣٦. والحلاء من يعمل حلية المداخن والمقدمات ومن يعمل الصفر ويخرمه. الخوانساري: روضات الجنات ص٤٥٩، حجر إيران، ولا صلة لهذا اللقب لفظاً أو معنى بالخلاني، أو الخلال.

الخاصـــة [أي] بـــاب بدر[1] تجاه دار الفيل، هم من الحنابلة، وما بين الشيعة والحـــنابلة مـــن العداوة والبغضاء أمر لا يُنكر، فمن المستحيل إذن أن تميل الشيعة إلى حنبلي، وعليه فحب الشيعة لصاحب هذا القبر مبني على كونه من المحبوبين، لا من الحنابلة، وأولى الناس بالحب صاحب هذا القبر المحب لآل البيت، على أن البراح الذي دفن فيه الخلال الزينبي أبو بكر هو موافق لمحلة قمر الدين الواقعة أمام قصر الخلافة[2]، وقبره هو الآن القبر المعروف بقمر

(١) بـــاب بـــدر هـــو الباب الثالث من أبواب دار الخلافة العباسية، مما يلي باب الغربة (شريعة شارع السموأل) وباب سوق التمر الذي يليه مباشرة، وكان يشرف على سوق الـــريحانيين (ســـوق الشورجة)، ويقدر موقعه في ساحة مرجان، التي في مدخل هذا الـــسوق. أما دار الفيل فتقع عند منظرة الفيل، وهي نفسها منظرة الحلبة، حيث كانت تـــشرف علـــى ميدان لركض الخيل هناك، وعندها نشأت محلة الزرادين ومقبرتها، وكانـــت هـــذه المقبرة قريبة من باب الأزج (حيث جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني). ياقـــوت: معجم البلدان ، مادتا المأمونية، والتاج. فباب الخاصة، أو باب بدر، لم يكن يقابل دار الفيل بأية حال.

(٢) تقع محلة قمر الدين مجاورة لمحلة السور، عند السور الشمالي الغربي لمدينة بغداد، بيـــنها وبين محلة الميدان والبارودية، وكانت تعد في العصر العباسي جزءً من محلة بـــاب أبرز ومقبرتها، فهي بعيدة عن باب الأزج وما حولها من المواضع التي يتردد ذكـــرها هـــنا، وقوله: قصر التاج، يريد به القصر العباسي الكائن في وزارة الدفاع حالـــياً، والظاهر ان المؤلف ينساق وراء نظريته القائلة بأن دار الخلافة كانت تشغل القلعـــة (وزارة الـــدفاع) وهي النظرية التي بنى عليها معظم آرائه الخططية كما هو واضح..

الــدين[١]. نعم! قد دُفن عبد العزيز الحنبلي المعروف بغلام الخلاّل في مقبرة بــاب الأزج عــند أبــي بكر بن يزداد المحدث المشهور[٢]، وإن مقبرة باب الأزج فــي موضع الخلاني[٣]. ومسجد الخلاني هذا ليس مسجداً بل هو تربة لا غيــر، وذلــك أنك إذا أقبلت إلى الباب ودخلته، رأيتَ على يمينك حجرة، وعــندها صُفَّة واقعة شمالي الحجرة، وامام الصفة حديقة، وعلى يسار الباب اي مقابل الحجرة فسحة، وهي ما يسمونها بصحن المسجد أو رحبته، والقبر واقع وسط الحجرة، بحيث إذا أراد الانسان الطواف بالقبر حسب عادة زوار القبور أمكنه[٤]. وللقبر خادم (تُربَة دار).

---

(١) مــن الــراجح أن يكون هذا القبر للأمير قمر الدين منكوبرس بن عبد الله الناصري، الذي ولي منصب شحنة بغداد (أي قائد شرطتها) في مدة خلافة المستضيئ والناصر والظاهر والمستنصر، وتوفي سنة ٦٣٩هـــ، ودفن في مقبرة باب أبرز، على ما نص عليه ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق٢ ص٧٤٧.

(٢) إن اســم عــبد العزيــز هذا هو كالآتي: عبد العزيز بن أحمد بن جعفر بن يزداد بن معــروف، أبو بكر، المعروف بالخلال، فأبو بكر كنيته هو، ويزداد جده، وليست هذه الأســماء لــرجل دفــن عنده. وهو من كبار فقهاء الحنابلة، ولد سنة ٢٨٢هـــ وسمع الحديث، وحدث، وصنف كتباً حسنة، منها (المقنع) و(الشافعي) وغيرهما، توفي سنة ٣٦٣ ودفن " عند دار الفيل بمقبرة باب الأزج". ابن الجوزي: المنتظم ج٧ ص٧٢

(٣) هنا عاد المؤلف رحمه الله إلى تقرير أن غلام الخلال دفن في مقبرة باب الأزج، وأن الأخيــرة كانت في موضع الخلاني، وكان قد قدر أن قبره يقع في محلة قمر الدين، في أعلى بغداد.

(٤) وصــفه عــباس بن رجب البغدادي، وكان قد زاره في سنة ١٣٣٣هـــ/١٩١٤م، بما نصه" موضع على نمط المسجد لم تقم فيه الصلوة" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد=

وهذا القبر واقع في محلة راس الساقية شمالي محلة السنك، والمحل الـذي فيه كان يسمى الحلبة، أي حلبة سباق الخيل. ويعتقد بعض الشيعة أن الخلانـي هذا هو أبو جعفر محمد بن عثمان بن سعيد نائب المهدي عندهم، ومـنهم طابـع (كـتاب الغيـبة) للشيخ الطوسي وهو خطأ، فقد نص الشيخ الطوسـي في كتابه هذا على ان أبا جعفر المذكور توفى آخر جمادى الأولى سنة ٣٠٥ ودفن في دار أهله بشارع باب الكوفة، وشارع باب الكوفة هو في الجانب الغربي، بين باب الكوفة والكرخ، وأين الحلبة من شارع باب الكوفة؟ بـل أيـن الجانـب الـشرقي من الجانب الغربي، وأين باب باب الأزج من الكرخ؟.

=ص١٩). وينظـر حول تولية هذا المسجد، أو المشهد، إبراهيم الدروبي: البغداديون ص٨٠. وأقول: كان في داخل حجرة الضريح محراب ثبتت فوقه رخامة عليها كتابة مؤرخة في سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٣م، وقد كتب فوق الباب بالآجر المزجج آية قرآنية مؤرخة بسنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٣م، وعلى الضريح لوحة مزججة نصها" زيارة نائب الحجة محمد بن عثمان رضوان الله عليه، الراجي عفو ربه محمد علي قدوري، حرر في ربيع الأول ١٣٦٤هـ/١٩٤٤م. وعلى الضريح قفص من الفضة عليه كتابة " من عمل سيد عبد الله نقاش ١٣٥٧".

تكية البندنيجي

إذا تـوجه الإنـسان من باب جامع الشيخ عبد القادر الجيلي الشرقي مـتوجهاً نحو الشرق(١)، وقع عند منتهى المحلة المسماة بفضوة عرب، على بناء واسع وباب كبيرة متجهة الى الغرب، يحيط بها خلاء، ذلك هو ما يقال له تكية البَنْدَنيجي(٢). وكان المرحوم عيسى أفندي البندنيجي، العالم المشهور، والمُرشِد في الطريقة النقشبندية(٣)، يقيم فيها فيُدرِّس ويُرشِد. ولها أوقاف في

---

(١) هـذا الـدرب أزيل الآن لإدخاله في أرض المنشآت التابعة لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، ضمن التوسعة الكبيرة الأخيرة.

(٢) وتعـرف الـيوم بتكـية المـندلاوي، وموقعها أمام ساحة تتصل بشارع الشيخ عمر الـسهروردي. أنـشأها السيد علي بن السيد إبراهيم القادري البندنيجي، ووقف عليها بستاناً في ناحية مندليجين(مندلي) بموجب الوقفية المؤرخة في ١٥ محرم ١١٥٧هـ/ ١٧٤٣م، فـيكون تأسيسها في هذا التاريخ أو حواليه، وتنظر ترجمته في عبد القادر الـشهراباني: تذكرة الشعراء، المختصر بالعربية الذي نشره أنستاس ماري الكرملي، بغداد ١٩٣٦، ص٢٨-٣٠ وفي عيسى صفاء الدين البندنيجي: شرح القصيدة الرائية، مخطـوط. وذكر إبراهيم الدروبي أنه توفي سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م، البغداديون ص ٣٣٥، والـذي علـى شاهد قبره أنه توفي في ثالث ذي الحجة من سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م.

(٣) هـو الشيخ صفاء الدين عيسى بن موسى جلال الدين بن جعفر البندنيجي، نسبة إلى بندنيجـين (مندلي) ، ولد سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م، ونشأ ببغداد، وأخذ فيها العلم على أبيه، وعلى عدد من العلماء، وانتسب إلى الطريقة القادرية النقشبندية، وقام برحلة حج أخذ فيها إجازات عديدة من علماء في بلاد الشام والحجاز، ونال تقدير الولاة والعامة علـى حد سواء، وكانت له صلات أدبية واسعة مع أدباء عصره، وكان يدرس في=

البَنْدَنِيجَين (مندلي) وفي بغداد[١]، وهي تحت يد حفيده صفاء الدين أفندي لأنه هو المتولي عليها وعلى أوقافها[٢].

وهـي مـن الأبنـية القديمـة، والظاهر أنها في الأصل أي زمن العباسيين في العصر الثامن كانت....[٣]. وقد كانت في الزمن العثماني تكية ذات قبة عظيمة تضاهي قبة جامع الشيخ عبد القادر الجيلي، أي قبة مُصلاّه، وقد صدرت الإرادة السلطانية في أُخريات أيام سلطنة المرحوم السلطان عبد الحمـيد ببـناء التكية، بسبب تداعي القبة، وجميع أبنية التكية، فقامت دائرة أوقاف بغداد بذلك[٤]، فلما هُدِمَت القبة ظهر أنها معقودة باللبن، فعجب الناس

=التكـية البندنيجـية موضوعة البحث وفي المدرسة الداودية في جامع الحيدرخانة، فتتلمذ على يديه كثيرون، وله شعر ومصنفات، منها ترجمته لكتاب جامع الأنوار في تـراجم الأبـرار لمرتضى آل نظمي، وجمع مكتبة غنية، آل بعض كتبها إلى المكتبة القادريـة بـبغداد، وتوفي سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م، ودفن في التكية المذكورة، وقبره ظاهر فيها إلى اليوم. الآلوسي: المسك الأذفر ص٢٠١ والسهروردي: لب الألباب ج ١ ص١١٣ ومؤلـف غيـر معروف: ترجمة البندنيجي في أول كتاب تراجم الوجوه والأعيان الورقة ١ وبحثنا: صفاء الدين عيسى البندنيجي حياته وآثاره، مجلة المورد، المجلد١٣، العدد٢، ١٩٨٤، ص٣-٢١.

(١) ينظر عن أوقافها البغدايون ص ٣٣٥ ومعالم بغداد ص١٧٥.

(٢) توفي سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.

(٣) بياض في الأصل. ولم نجد ما يدل على أن لهذه التكية أصل في العصر العباسي، أو أنها كانـت موجـودة في القرن الثامن للهجرة، بيد أن منطقتها كانت تعد جزءً من محلة باب الأزج.

(٤) جرى ذلك في سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م.

مـــن اســـتقامتها طيلة السنين المتوالية، وبُذِلَت الهِمَّة في تعميرها، فعُمِّر فيها حُجَـــر عـــند يمين الباب ويساره، وعُمِّرت التكية، وهي واقعة شرقي الحُجر المذكورة عند السور الشرقي، بينها وبين الحجر الصحن الواسع(١). وبشمال التكية المطبخ المُعد لطبخ الطعام المشروط طعامه للفقراء والعاكفين فيها من المريدين. وفيها إمام ومؤذن وخادم ومُرشِد، هو صفاء الدين المذكور على ما يقال، وهذه المحلة هي المحلة المعروفة في العصر الثامن العباسي....(٢)

ويـــوجد داخل التكية حجرة في داخل مصلى المسجد الذي فيها قبر الـــسيد على البندنيجي جد عيسى أفندي، وهو صاحب الأوقاف الحالية، هكذا يقال(٣).

---

(١) تشغل التكية مساحة من الأرض بعداها ٣٧×٣٤ متراً، بينما يتألف المصلى من قاعة مـــربعة الشكل بعداها ٧،٧٠ × ٧،٧٠ متراً، وتستند قبة المصلى، وهي بالطبع غير القـــبة القديمـــة السابقة التي انفرد المؤلف بالإشارة إليها على جدران المصلى المبنية بالآجـــر والجص، والبالغة ثخنها نحو مترين، أو ٢،٨٠ متراً. تنظر الجوانب الفنية لهذه التكية في أحمد محمد الدراجي: الربط والتكايا البغدادية في العهد العثماني، ص٧٠-٨٥ .

(٢) بياض في الأصل. وربما قصد العصر السابع، فإن الدولة العباسية لم تمتد إلى القرن الذي يليه كما هو معلوم.

(٣) وهـــو الصواب فعلاً، حيث يوجد قبره في حجرة مجاورة للمصلى، وهي التي كانت خلوته، وعلى قبره شاهد من الرخام كتب عليه أنه توفي في ثالث ذي الحجة من سنة ١١٨٦هـــ(١٧٧٢م). وممن دفن في هذه التكية أيضاً الحاج أمين بك كاتب الخزينة، وكان تلميذاً للشيخ صفاء الدين عيسى البندنيجي، وقد توفي سنة ١٣١٠هـ/١٨٩٢م،=

تكية أبي يطغان

إذا سِرتَ من جامع الشيخ عبد القادر الجيلي إلى....[١] تلك هي تكية الشيخ إبراهيم المعروف بأبي اليطغان، المعروف عند العامة أنه يَعرِف الكيمياء، أي صنعة الإكسير، وكان من الصوفية، مسموع الكلمة عند الخاصة، محترماً محبوباً لدى العامة[٢].

وبناء هذه التكية لطيف محكم، وهي مشتملة على المحل الذي يُجلَس فيه، أي حجرة كبيرة هي ما يقال لها التكية، وصحن واقع أمامها. وباب التكية واقع إلى....[٣]. وقد مدحها العمري عبد الباقي وأرخ بناءها[٤]، وكانت مكتوبة على باب التكية بخط سفيان أفندي الخطاط المشهور[٥]، جد زوجة

=تلاه ولده نوري بك، رئيس كتاب بلدية بغداد، ووفاته سنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م، وقد دفن إلى جوار والده في التكية المذكورة.

(١) بياض في الأصل.

(٢) نوه الآلوسي بهذه التكية، مساجد بغداد ص١٠٧، وسكت، كما فعل المؤلف، عن تحديد تاريخ وفاة أبي اليطغان هذا. وكانت هذه التكية تقع في شمال دائرة الوقف القادري، مقابل الباب الشرقي لجامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وقد اندرست منذ زمن، ثم ظهرت بعض بقاياها في التوسعات الأخيرة التي أجريت لجامع الشيخ الكيلاني، ولا وجود لها الآن.

(٣) بياض في الأصل. ويناسب

(٤) ليست في ديوانه، وهي في مساجد الآلوسي.

(٥) هو الخطاط سفيان الوهبي، ولد ببغداد وأخذ الخط على الخطاط نعمان الذكائي، ونبغ في فنونه، ثم سافر إلى استانبول حيث جود خطوطه على كبار الخطاطين فيها، وعاد إلى بغداد ليعلم الخط أبناءها، وهو الذي رأس وفداً لمقابلة علي رضا باشا، عند=

مراد بك بن سليمان بك[1] متولية جامع الأحمدية [في] الميدان، وكان يُعد في زمانه ابن مُقلة، وهذه هي الأبيات:

بغداد كم فيها شيوخٌ عِظام ... وأولياءٌ كُبَراء فِخام
وكم رأينا قمراً طالعاً ... من بُرجها يُخجِل بدر التَّمام
وشمسُ عرفانٍ تَجلَّت على ... آفاقها فانجابَ عنها الظلام
لم يخلُ وقتُ من وَلِيٍّ بها ... في رُشده يدعو لدار السلام
يُنقذ العالَم من ورطةِ الجـ ... ـهلِ ويهدي الناس خاصاً وعام
لا سيما من قام في عصرنا ... هذا مقاماً شأوه لا يُرام
لشيخ إبراهيم من قد صفا ... مشربه فاستعذبته الأنام
وازدحم الناس على وِرده ... والمنهل العذب كثير الزحام
قد أخذ الإرشاد عن سادةٍ ... تَم بهم للدين حُسن انتظام
ترى المريدين بساحاته ... قائمة بالذكر حَقّ القيام
قد زرته يوماً وهنأته ... في بيته هذا البديع النظام
وقلتُ إذ طفتُ به أرخو: ... شَيَّدتَ إبراهيم أعلى مقام
١٢٦٥

=حصاره بغداد سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م وله آثار خطية نفيسة، توفي سنة ١٢٦٧هـ/ ودفن في مسجد الحاج طالب كهيه، خلف المبنى القديم لمحافظة بغداد في محلة جديد حسن باشا. العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٣ ص٢٩ وج٦ ص٣١٦ والبغداديون ص٢٥٣ و٣٧٧ ووليد الأعظمي: جمهرة الخطاطين البغداديين، بغداد ١٩٨٩، ج٢ ص٦٤٤-٦٤٦.

(١) تقدم باقي نسبه في مبحث جامع الأحمدية.

ولما بلغ الشيخ إبراهيم المذكور ما يقارب الثمانين من العمر، أجاب داعـــي مولاه، فدفن في مسجد العيدروسي الواقع على طريق جامع حضرة الشيخ الجيلي[١].

تكية الشيخ رفيع

هي تكية كبيرة، ولها أوقاف كثيرة، بناها الشيخ رفيع الهندي المجاور للحضرة الكيلانية[٢]، ووقف عليها الوقوف، ويقال: أن نصف أراضي الهنيدي من أوقافها[٣]. وهي بناء مُحكم واقع في محلة باب الشيخ، على....[٤]

---

(١) تقدم الكلام على هذا المسجد.

(٢) إن أول من اشار إلى تكية الشيخ محمد رفيع هو الرحالة الدمشقي مصطفى بن كمال الـــدين الصديقي في أثناء إقامته ببغداد سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، الورقة ٧٠) ونوه بهذه التكية، بوصفها مسجداً، عباس بن رجب البغدادي سنة ١٩١٤ وقال أنه مما يلي مسجد الشيخ واصل (مـــساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٢٠) وأشار إليه الشيخ محمد بهجة الأثري في فوائته على مساجد الآلوسي ص١٤٤. قلنا: وكان يشغل القطعة ذات التسلسل ١٠٢٣، وقد أفرزت منه، في خلال ما جرى عليه من تعمير، الدور الثلاثة ذوات التسلسل ٢/ ١٠٢٣ و٣/١٠٢٣ و٤/ ١٠٢٣، وعدت من الأوقاف المضبوطة الموقوفة عليه، وقد هدم هذا المسجد وأنشئت مكانه مدرسة إبتدائية.

(٣) وهـــذه الأرض هـــي التي أنشئ عليها في عهد الاحتلال البريطاني معسكر الهنيدي، نسبة إلى واقفها، ثم أبدل اسمه إلى معسكر الرشيد.

(٤) بياض في الأصل.

مسجد معروف

هـو مـسجد واقع في محلة باب الشيخ عبد القادر، على....[1] وفيه إمام ومؤذن وخادم، ويُدار من قبل دائرة الأوقاف، وهو غير مسجد معروف الكرخي ولا يُعرَف أي معروف هو[2].

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) يفهم من الوقفية المؤرخة في ١٢ رجب ١٢١٩هـ أن الحاج عمر بن الحاج درويش مـن أهالي محلة الشيخ عبد القادر، قد وقف بستاناً في قصبة الأعظمية على مسجده الذي أنشأه وسماه باسم جده الشيخ معروف، كتابنا: معالم بغداد ص١٥١ وذكر عبادة أنـه الشيخ معروف بن الحاج عمر بن الحاج محمد درويش، وكان قد وقفها، وأخوه عبد الرحمن، وجعل التولية لأولاده، وذلك بموجب الوقفية المؤرخة في ٣ ذي الحجة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م. فمعروف هنا هو ابن الحاج عمر، وليس جده كما في الوقفية، وقـال عـبادة: تقـع قريبة من جامع الشيخ سراج الدين، وقد انقلبت اليوم إلى علوة ودكاكـين. العقـد اللامع ص٤١٠. وأشار السيد محمد رؤوف الشيخلي إلى مسجدين باسم معروف، يقربان من بعضهما، وكلاهما في محلة باب الشيخ، أحدهما في طريق فـضوة عـرب، والثانـي في المحلة نفسها، وصفه بأنه" صار الآن في شارع الملك غـازي علـى يـسار الـذاهب من جهة مقبرة الشيخ عبد القادر الكيلاني إلى الباب الـشرقي، قريب من جامع الشيخ عبد القادر الكيلاني، وله باب ثانية من الخلف على الـشارع يـذهب رجوعاً ويمر بطاق الديوان القادري إلى مقابل باب حضرة الشيخ الكيلانـي، والثاني(كذا مع أنه ذكر الثاني من قبل) في طريق دار أمين ملوكي، وهما ينسبان إلى منشئهما، واسمه معروف، ولا تزال أحفاده تسكن باب الشيخ، والمسجدان تحت إدارة دائرة الأوقاف". المعجم الجغرافي ص٢٥٠. ومسجد معروف الذي يشير=

مسجد الشيخ مكي(١)

=إليه المؤلف ظل عامراً ثم نقض وأدخلت أرضه في شارع غازي سنة ١٩٣٢م، أما جهة الإمامة فنقلت إلى مسجد حسن العثمان قرب فضوة عرب في محلة باب الشيخ.

(١) هـو الشيخ أحمد بن علي بن أحمد بن علي الشَيبي الحنبلي(نسبة إلى بني شَيبَة حَجَبة الكعبة المشرفة)، ولد بمكة، وقدم إلى العراق، في أواخر القرن التاسع أو أوائل القرن العاشـر للهجـرة، فـسكن في بغداد، وإليها نسب، فقيل: البغدادي، وسلك في سلك الطريقة القادرية فعرف بالقادري، وذاعت شهرته، وأسس تكية قرب جامع الشيخ عبد القـادر الكيلاني، نُسبت إليه، فقيل لها تكية الشيخ مكي، ولما أدركته الوفاة دفن فيها، وقد أشير إلى التكية في مخطوطة عن أولياء بغداد تاريخها ١٠٥١هـ، محفوظة في المركـز الوطنـي للمخطـوطات، وتشغل هذه التكية الأرض ذات التسلسل ١٠٢٥ وكانت لها أوقاف بجوارها تتألف من دكان برقم ٢٢٥/٤٣ وعرصة بتسلسل ١٠٣٧ ، وآخـر من تولى هذا الوقف الحاج عباس، ثم جرى ضبطه وتولت إدارته الأوقاف. وذكـر الشيخ يونس السامرائي أن أحمد المكي كان فقيهاً فصار مدرساً وفقيهاً ومفتياً بمحلـة الـشيخ عـبد القادر الكيلاني (مراقد بغداد ص٤٨)، ووجدنا تمليكاً له على مخطـوطة في الفقه الحنبلي، محفوظة في المكتبة القادرية، يصفه بأنه " السيد العالم الـشيخ أحمـد المكي مولداً البغدادي مسكناً الحنبلي مذهباً القادري طريقة" . كتابنا: الآثـار الخطية في المكتبة القادرية ج٢ ص٢٠٣، وكان السيد فاضل درويش قد عثر في سنة ١٩٥٧م في هذه التكية على قبر كتب عليه أن اسم صاحبه (عبد الوهاب بن داود) المتوفـى سنة ١٢٨٠هـ، قيل إنه كان شيخ التكية، وقد جرى تعمير هذه التكية لـتكون مـسجداً سـنة ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، وأنشئت فيه مئذنة جميلة على الطراز البغدادي، مزينة بزخارف بنائية من الآجر وحده، ولها قمة محززة، كما أنشئ له باب فخمة من الآجر أيضاً، زينت بأنواع الزخارف والنقوش الناتئة، وهذا المسجد عامر=

هــو مــسجد واقــع في محلة فضوة عَرَب الواقع فيها تكية البندنيجي، وهو واقع....[1]

مسجد الشيخ واصل

هــو مسجد[2] واقع في المحل المعروف بفضوة مرجان، التي هي من فروع محلة باب الشيخ، وهو واقع....[3]

=الــيوم بالمــصلين، وهو يقع في على يمين الزقاق المرقم ٢٢ في محلة ١٠٩ حي الجمهورية.

(١) بــياض فــي الأصل. وهو اليوم يحمل الرقم ٨ من الزقاق٤١ في المحلة ١٢١ حي الكفاح.

(٢) هــذا مسجد قديم، جددته الأوقاف سنة ١٣٧٩هــ/١٩٥٩م، أنشئ عند قبر نسب إلى السيد محمد الواصل الحسني. ويضم المسجد مُصلًّى واسع عن يسار الداخل، لا قبة فيه، ولا دعائم، وإنما له بابان ينفذان إلى رواق يتقدمه، ولهذا المصلى محراب جميل مــن الآجر، تزين أعلاه الآية (إن الصلوة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) كما في صــدر رواقــه، وهو مصلاه الصيفي، محراب آخر، تزينه الآية (قد أفلح المؤمنون الــذين هم في صلوتهم خاشعون)، وكانت في صدر المسجد حديقة ينفذ منها إلى باب آخــر للمسجد، إلاّ أن الباب أغلقت وأنشئ مكان الحديقة قاعة كبيرة للمناسبات الدينية والاجتماعية. وعلى يمين الداخل إلى القاعة توجد الحجرة التي تضم قبر الشيخ واصل المذكور، وعليه قفص من الخشب.

(٣) بــياض فــي الأصــل. ولا تعــرف هوية واصل هذا، وقد نوه به عباس بن رجب البغدادي، مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٢٠ فقال " وعلى رأس جادته(أي مسجد رأس الــساقية) مــن أعلــى، مسجد الشيخ واصل- رحمه الله تعالى- وفيه مشهده"، وذكره الأثري في فوائته ص١٤٣ ومحمد رؤوف الشيخلي في معجمه ص٢٤٦

مسجد الشيخ كنعان

هو مسجد واقع في محلة قهوة شكر....[1].

مسجد الحاجة محبوبة خاتون

وهو مسجد واقع....[2]

---

(١) بياض في الأصل. وقد نوه به الأثري في فوائته ص١٤٣ ومحمد رؤوف الشيخلي في معجمه ص٢٤٦. أنشأ هذا المسجد الشيخ كنعان سنة ١٠٠٤هـ/١٥٩٥م، ولا تعرف هوية كنعان هذا، إلاّ أن من المأثور أنه رجل صالح من أهل محلة الشيخ عبد القادر الكيلانـي، وقـد ظل قبره ظل ماثلاً في هذا المسجد، وسط فنائه، حتى نقل، باحتفال خـاص، فـي نهاية الستينات إلى مشهد الصحابي سلمان الفارسي. وقد جددته وزارة الأوقـاف سنة ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م تجديداً شاملاً، وهو اليوم، كما شاهدناه في زيارتنا لـه، محقق هذا الكتاب والسيد زين النقشبندي، في ٧ أيار سنة ٢٠٠٦، يضم مصلى واسـعاً يتخذ شكلاً مثمناً متساوي الأضلاع، ولا قبة فيه، وأضيف إليه في هذه السنة جـناح عن يمين محرابه، كان أصلاً مصلى صيفياً، فزاد من مساحته إلى حد كبير، وللمـصلى محـراب من الآجر تزينه لوحات جميلة من الآجر المزجج. وفي وسط فـنائه، حيث كان القبر سابقاً، كرمة باسقة تظلل الفناء كله. وما زال المسجد عامراً، تؤدى فيه الصلوات الخمس، وبحسب الترقيم الجديد، فإنه يحمل الرقم ٢٦ من الزقاق ٢٩ في المحلة ١٠٩ حي الجمهورية.

(٢) بياض في الأصل. نوه باسمه الأثري، ولم يزد.

مسجد الشيخ محمد الألفي

هو مسجد[1] واقع بالقرب من جامع الشيخ عبد القادر قُدِّس سره، في المحلة المعروفة بالصدرية، وذلك أنك إذا اخذت من جامع باب جامع الشيخ الغربـــي، وســرتَ مــتجهاً نحو جامع سراج الدين الرفاعي[2]، وفَرَغتَ من المــنعطفات، وصِرتَ في الطريق المستقيم، وجدت قبل أن تصل إلى البراح مسجداً صغيراً على يمينك، ذلك هو مسجد محمد الألفي[3].

---

(١) أشــار إلــيه الرحالة الدمشقي مصطفى الصديقي سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م في رحلته المعــنونة كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، الورقة ٥٦ وياســين العمــري فــي غاية المرام ص٣٧ ونوه به السيد عباس بن رجب سنة ١٣٣٣هـــ/١٩١٤م فقــال" ومن جهة غربيها (أي غربي مدرسة الشيخ عبد القادر الكيلاني وجامعه) مسجد الشيخ الألفي، وفيه مرقد الشيخ رحمه الله تعالى، وعليه قبة يتبــرك بصاحبها". مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٢٢. ونوه عبادة بهوية الشيخ محمــد الألفــي وسبب نِسبته هذه، فقال" يقال أنه كان يصلي في كل ليلة ألف ركعة فاشتهر بها، كان فاضلاً زاهداً، وقد يصلي في مسجده بعض الأوقات، وله خادم"(العقد اللامــع ص٤١٢). قلــنا: ورقــم المسجد، بحسب الترقيم الجديد، هو ١٥، ويقع في الزقاق ٣٩ من المحلة ١١١.

(٢) هكذا يسميه وسيأتي التعريف به.

(٣) نــوه به الأثري في فوائته ص١٤٣ فقال أن أصل هذا المسجد زاوية فتهدمت فبناها حبيب أفندي الدركزلي مسجداً ووقف عليها أملاكاً، قلنا: وكانت وفاة حبيب الدركزلي ســنة ١١٩٧هـــ/١٧٨٢م، وذكر الشيخ يونس تاريخ تعميره وهو سنة ١٣١١هـ/١٨٩٣م . تــاريخ مساجد بغداد الحديثة ص٢٨٢، وأعيد تعميره مجدداً بوصفه تكية تقــام فيها الأذكار، وقد كتب على بابها الخارجي (يا هو. بسم الله الرحمن الرحيم.=

وهو مسجد صغير فيه نُخَيلات، وعلى يسار الباب المُصلَّى وأمامه صُــفَّة، وبين يدي الصُفَّة رحبة المسجد، وفيه إمام ومؤذن وخادم. ويُدار من قــبل دائــرة الأوقاف، وقد كان في الأصل زاوية فتهدمت، فبناها المرحوم حبيب أفندي الدَرْكَزَلّي[1] مسجداً، ووقف عليه أملاكاً[2].

=اللهم صل على محمد الوصف والوحي والرسالة والحكمة وعلى آله وصحبه وسلم تــسليماً. هــذا مرقد الشيخ محمد الألفي. ما شاء الله ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم). رفعــت الــصفار: محــلات بغدادية قديمة في الذاكرة، بغداد٢٠٠٣ ص١٥١. وكان المــسجد عامراً، ثم أخذ بالتصدع منذ سنة ١٩٥٧م، حتى آل في السبعينات من القرن الماضـــي إلـــى أن يكون خرابة، وفي بداية عقد الثمانينات قام بتعميره بعض رجال الطــريقة الكــسنزانية، وأضـــافوا إليه القاعة التي اتخذت مُصلّى. وقد زرنا، محقق الكتاب والسيد زين النقشبندي، هذا المسجد، في ٧ أيار سنة ٢٠٠٦، فوجدناه قد اقتطع مــن بنائه تجاوزاً داران سنة ٢٠٠٤، فصغرت مساحته إلى حدٍ كبير، وهو في هيئته الحاضــرة يــضم عن يمين الداخل حجرة المرقد، وفيه قبر منخفض، مجدد بالرخام، كــتب عليه أنه قبر الشيخ محمد الألفي، وفوقه قبة خالية من الزينة من الداخل، لكنها مصبوغة من خارجها باللون الأخضر، بناها أيسر شاكر المختار، بمعاونة المحسنين، ســنة ٢٠٠١م، ذلــك أن قــبة القبــر القديمة انهارت منذ زمن، يليها المصلى، وهو مستطيل، لا قبة فيه، ويخلو من أية كتابة.

(١) هــو الملا حبيب آغا بن مال الله بن محمد نور الدين الدركزنلي، (أو الدركزلي كما تلفــظ حالياً) توفي سنة ١١٩٧هــ/١٧٨٢م، ودفن في مقبرة الغزالي. البغداديون ص ١٩٠.

(٢) ومــن تلك الأوقاف أملاكه وهي علاوي الحبوب والمقهى وتكية شاكر الواقعات في الصدرية بموجب الوقفية المؤرخة في ١٤ رمضان سنة ١١٧٢هــ/١٧٥٨م..

جامع الحاج فتحي

هــو المسجد المعروف بمسجد الحاج فتحي، واقع في المحلة المسماة بمحلــة الحــاج فتحــي[١]، والحــاج فتحي هذا رجل من الصوفية، ورد من الموصــل ، وكانــت هذه البقاع إذ ذاك خربة، تلقى فيها الزبالات، فبنى هذا المــسجد واستوطنه، وصار له مريدون يترددون إليه فيه، ثم أُعمِرَت المحلة المجــاورة للمسجد، فسُمِّيَت أيضاً باسمه كما سُمِّي المسجد. وقد كانت عمارة المــسجد على ما يظهر من الكتابة الموجودة على باب السقاية التي فيه سنة ١١٦٩ أيــام..... [٢] والــي بغداد، وهي أيضاً تُشعر بكون المَحَل كان قفراً، فشاد الحاج فتحي فيه مسجده.

وقد كان مسجداً عامراً بإقامة الصلوات الخمس[٣]، وله إمام ومؤذن وخــادم، ثــم في سنة ١٣٤١هجرية عمرته دائرة الأوقاف مجدداً، وصيرته

---

(١) تنــسب هذه المحلة إلى الجامع المعروف بهذا الاسم، وهو يشغل قطعة الأرض ذات العــدد ١/ ٦٧، من ورائه زقاق، وبعد شق شارع الخلفاء سنة ١٩٥٧م، أزيل نصف هــذا المــسجد الجنوبي ليدخل في حريم الشارع الجديد، فلبث نصفه الآخر تؤدى فيه الــصلاة، حتــى أزيــل في أول الثمانينات من القرن العشرين، بصفة نهائية، وبقيت أرضه خالية.

(٢) بــياض في الأصل. ويناسب أن يكون (سليمان باشا)، وهو المعروف بأبي ليلة، لأن هذا التاريخ يقع في ضمن سني ولايته.

(٣) قــال الــسيد عــباس بن رجب البغدادي" وعلى مسافة غلوة منه (أي من مسجد آل الخــضيري)من جهة قبلته المسجد المعروف بجامع حاجي فتحي، وهو مسجد شريف لطيف تقام فيه الجمعة والجماعات أيضاً". مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٢٤.=

جامعـــاً تقام فيه الجمعة، ونَوَّرته بالمصابيح الكهربائية، ولكن غَيَّرت موضع بابه فجعلته على شمال المُصلَّى، وقد كان في مقابله، كما صَيَّرَت قبر الحاج المذكور الواقع على شمال الباب قديماً حانوتاً، لإدخالها إياه في العمارة التي شادتها لأوقاف الجامع.

=وفي وثيقة تاريخها غرة شعبان سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م أنه كان فيه خطيب هو عبد الحميد بن عبد الرزاق، عينه قاضي بغداد يومئذ. وقال السيد محمود شكري الآلوسي" فــيه مصلى وساحته واسعة، وليس فيه من الزخرف شيء، وهو من المساجد العامرة بإقامـــة الـــصلوات فيه، وفيه إمام ومؤذن وخدم، ولم أجد على جدرانه كتابات تعرفنا ببانيه، ولعله من المساجد القديمة"، (مساجد بغداد وآثارها ص٥٦) وعلق مهذبه على ذلـــك بأنـــه وجد عند بابه سقاية فوقها ستة أبيات يفهم منها أن محل هذا المسجد كان قفراً فاتخذه الحاج فتحي مسجداً عام ١١٦٩هـــ. وكنا قد زرنا هذا المسجد في أواخر الـــستينات من القرن العشرين، واطلعنا على تلك الأبيات، وقد كتبت بارزة على لوح مـــن المرمـــر، وفي أعلاها تاريخ التأسيس المذكور رقماً، وفي آخرها شطر التاريخ بحساب الجمل. وتزين واجهة المسجد زينات بقطع من الآجر المزجج الجميل، ركبت بعناية ظاهرة، ، وتشغل المساحات التي عقد بابه والعقد الذي على شباك سقايته، وبين الـــسقف. وفـــي أعلى هذه الواجهة شريط من الآجر المزجج كتبت عليه آيات قرآنية، وتتقدم المصلى طارمة من الخشب. وجدران المصلى من الداخل غير مكسوة بطلاء من الجـــص، وله محراب من الآجر، لا زينة فيه، يعلوه عقد عال، على نحو يتسم برشاقة ظاهـــرة، أما المنبر فهو شرفة تبرز من داخل جدار القبلة، يصعد إليها من سلم داخلي. إن هيـــئة المـــسجد، وضخامة جدرانه، وتصميمه، وسقايته، وزينته، يثير تساؤلاً حول إمكان رجل زاهد، منقطع، أن يبني، بجهوده الفردية، مثل هذا البناء.

وفـــيه سِقاية من أبنية الحاج فتحي المذكور، رحمه الله تعالى، على بابها أبيات سقيمة النظم مختلة الوزن[١].

وللجامـــع خطـــيب وإمـــام ومـــؤذن وخادم. وإدارته من قبل دائرة الأوقاف، وهو واقع على يمين الماشي في سوق العبّاخانه متوجها إلى محلة دكاكـــين حـــبوب[٢] التـــي فـــيها الرَّوَّاس[٣]، قبل الطريق النازل من السوق المذكور إلى جامع سيد سلطان علي بخطوات.

---

(١) كـــان شباك السقاية يقع على يمين الداخل إلى المصلى، وهو يكتنفه عقد بارز، تزين أعلاه أشكال على هيئة نجوم ثمانية، تتألف من قطع من الآجر المزجج.

(٢) محلـــة قـــريبة مـــن محلة العوينة، تنسب إلى خمسة دكاكين يظهر أن مالكها يدعى (حبوب)، وأشير إليها بوصفها محلة قائمة بذاتها سنة ١٢٣٦هـ/ ثم تقلصت مساحتها حتـــى عـــدت سنة ١٢٦٢هـ/ عقداً من عقود محلى المربعة، وقد دخلت المحلة في أرض شارع الخلفاء، في المنطقة الممتدة بين أمانة بغداد ووزارة التجارة قرب ساحة الخلاني. ينظر كتابنا: معالم بغداد ص٣٢.

(٣) يريد مسجد الرواس المسمى مسجد دكاكين حبوب، وكان يشغل القطعة ذات التسلسل ٣١٢ الـــواقعة في محلة راس الساقية، قرب محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني، ينظر عنه الأثري: فوائت مساجد بغداد للآلوسي ص١٤١.

مسجد العُوينة أو مسجد نورالدين

هو مسجد واقع في محلة العُوَيْنَة، مشيد البناء، رحب الفناء، معمور بالعبادات، مشغول بالصلوات، والذي يظهر من الكتابة الموجودة على جداره أنه مسجد صغير، ثم لتداعيه جدده صاحب الخيرات الوزير محمد نور الدين نجل أحد ولاة بغداد أو مُشيريها[1]، وإن بناءه كان في سنة ١٢٥٩ وهناك تلك الكتابة:

جامعٌ للإسلام في كل حين	شاده ذو الوقار والتمكين
فغدا الجامع الصغير كبيراً	إذ بنى سُمكه كحُصنٍ حصين
وبناه محمد القاسم نور الدين	في صدق نيته عن يقين
الأمير الذي تسامى محلاً	في صدق نيته عن يقين

(١)هو جامع الشيخ ظهير الدين، وكان الرحالة التركي مطراقي زاده قد أشار إلى (حضرة الشيخ ظهير الدين) ضمن من ذكرهم من أولياء بغداد، في رحلته سنة ٩٤١ هـ/١٥٣٤م (رحلة مطراقي زاده، بتحقيقنا، ص٩٠) ويقع هذا الجامع في المحلة التي كانت تسمى خان الحيال، وعدت فيما بعد قسماً من محلة الحاج فتحي، والجامع قريب اليوم من شارع الخلفاء، في الجهة المقابلة لمبنى أمانة بغداد، ولا نعلم هوية ظهير الدين هذا على وجه التحديد، وكان الشيخ محمد صالح السهروردي يرى أنه الظهير أحمد بن محمد بن نصر بن عبد الرزاق الجيلي المتوفى سنة ٦٨٣هـ (بغية الواجد ضمن كتابنا مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٩٨- ٩٩)، ولم ندر على أي شيء استند في رأيه هذا، وقد عرف المسجد في بعض العهود المتأخرة بمسجد نور الدين بن راغب. ويتضح من الأبيات الآتية إن أباه كان دمشقياً، ينتسب إلى الدوحة النبوية، وإنه، أي ابنه، قدم إلى العراق من دمشق. ينظر مساجد الآلوسي ص٨١.

راغبٌ في الخيرات خير وزيرٍ كان في الفضل ما له من قرين
هو شامي بلدةً عز أصلاً وانتمت ذاته لأشرف طين
وانتمت ذاته لأشرف طينٍ طالباً في الزوراء عون المُعين
قد هداه مولاه رُشداً فأحيا سُنّة المصطفى النبي الأمين
وبهذا التعمير لا زال يَحظى من نَوال المولى بفتح مبين
جامعٌ للصلاة قد أرِّخوه: فاقَ تعميره بنور الدين[1]
١٢٥٩

وهذا المسجد من المساجد التي تدار من قبل دائرة الأوقاف، وهو على يمين...[2].

مسجد عبد الكريم الجيلي

هو من المساجد القديمة، منسوب إلى الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، أحد أئمة الصوفية وأكابرهم، وكان على مذهب ابن العربي، وهو صاحب كتاب (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل) المولود سنة ٧٦٧، وهو من أكابر الصوفية، وله مؤلفات غير هذا الكتاب في التصوف،

---

(١) ورد مجموع حساب الشطر في الأصل ١٢٩٥، وهو خطأ، والظاهر أنه نقله من مساجد الآلوسي، ولعل منشأه هناك الغلط الطباعي.

(٢)بياض في الأصل.

منها كتاب (الكمالات)، وكتاب (الناموس الأعظم) وغير ذلك. توفي سنة ٨٠٥[١]، وفي هذا المسجد قبره لذلك نُسِب إليه.

وهو واقع في محلة العبّاخانه[٢]، قريباً من مسجد السيد سلطان علي عليه الرحمة. فيه مُصلّى عليه قبة، وأمامه صُفَّة، ذو ساحة واسعة، وفيه

---

(١) في تاريخ وفاته اختلاف، وأصح الروايات فيها هي سنة ٨٣٢ وهذا التاريخ يتفق مع ما هو مثبت في الرخامة التي على حجرة ضريحه، التي ما تزال تحتفظ برقم اثنين في مرتبة الآحاد (ولا وجود لهذه الرخامة اليوم). والشيخ عبد الكريم هو ابن إبراهيم بن عبد الكريم الجيلي، ابن سبط السيد الشيخ عبد القادر الجيلي، وهو أحد أبرز رجال التصوف في عصره، وصاحب المؤلفات الكثيرة التي وصف في بعضها تجربته الروحية الفريدة، وقد نمت هذه المؤلفات عن علم وافر ونباهة ملحوظة، ولد سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، ورحل إلى مكة، فزبيد في اليمن، ثم إلى الهند، فزبيد مرة أخرى، فمصر، حيث صنف معظم مؤلفاته، وكلها في التصوف، ومنها ما ذكره المؤلف هنا، وقد فصلنا القول فيه في بحثنا: عبد الكريم الجيلي حياته وآثاره، مجلة الأقلام، بغداد ١٩٧٠، وكتابنا: عبد الكريم الجيلي، سيرته ومعجم بأفكاره ومصطلحاته. مخطوط.

(٢) كذا كتب الآلوسي ص ٧٩ وذكر أن رقمه هو ٢١/ ١٩٧، قلنا: ورقمه بحسب الترقيم الجديد ١٦ زقاق٦٣ محلة ١٠٤ حي الرشيد، وهو يقع في الزقاق المسمى بطرف حجي فتحي، المتفرع من شارع السيد سلطان علي، والمتصل من الجهة الأخرى بشارع الخلفاء. وقد نقض هذا المسجد في الستينات وظل مكانه خالياً، ثم قامت وزارة الأوقاف ببناء مدرسة في شطر من أرضه استأجرتها وزارة التربية وجعلتها مدرسة إعدادية للبنات باسم أعدادية المنصور للبنات، ثم أنها أنشأت سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، في شطر آخر من أرضه، مسجداً حديثاً لا صلة له بهيئة المسجد القديم، وقد زرناه، محقق هذا الكتاب والسيد زين النقشبندي، في ١٧ أيار ٢٠٠٦، فوجدنا هذا المسجد يشكو إهمالاً، ولا قبة فيه، وفيه محراب من الآجر مزين بقطع من الآجر المزجج=

حُجَـــر وبـيـــوت، وفـــيـــه حديقــة غَنّـــاء فيهـــا أشجـــار ونُخَيـــلات، ويُـــــدار مـــــن قبــل دائـــرة الأوقـــاف. ولـــه إمـــام ومـــؤذن وخـــادم، ولايــــوجــد فـــيه شـــئ مـــن الكـــتابة إلاّ كـــتابة علـــى بابه في رخامة، وهي:........[1].

مسجد الخُضَيري

هـــــو مـــسجــد واقـــع غـــربـــي جـــامـــع ســـراج الـــديـــن، فـــــي الـــســـوق، علـــــى يميـــن المـــــار فـــي الســـوق متجهـــاً إلـــى ســــوق الـــشـــورجـــة وغيـــــره مـــن الأســـواق الغـــربيـــة، والمحلـــة التــــي هـــو فيهـــا يقـــال لهـــا محلـــة الصـــدريـــة نِسبـــة إلـــى صـــدر الـــديـــن.

=يحمـــل تاريخ إعادة بنائه المذكور، بينما كتب أنه تاريخ تأسيسه، أما قبر الشيخ عبد الكـــريم الجيلـــي نفـــسه، فقد غدا في حجرة ضمن جناح أنشئ على يمين الداخل إلى المـــسجد، وتـــضم هذه الحجرة قبراً آخر هو للشيخ عبد الجبار القاضي المتوفى سنة ١٣٣٨هـ.

(١) بياض في الأصل. ونص هذه الكتابة كما كنت قرأتها في صيف سنة ١٩٦٦ هو" هذا مرقد الشريف العالم العارف... رباني والغوث الصمداني الجامع للمعاني الملقب من الله بمحيي الدين الثاني السيد الأجل الشيخ عبد الكريم قدس سره ونو ضريحه، وكان انتقاله في شهور سنة اثنتين و..... بعد الهجرة". ولا وجود لهذه الكتابة اليوم.

وقد كان مسجداً صغيراً[1]، فبعثره الحدثان، فجدده عبدالرزاق جلبي الخضيري[2] والد الحاج ياسين جلبي الخضري[3]، وإخوانه عبد القادر

---

(١) كان هذا المسجد يعرف، قبل أن يجدده الحاج عبد الرزاق جلبي الخضيري، بمسجد الشيخ عبد العزيز الأنصاري، ولا تعرف هويته، ولكن قبره موجود في المسجد، وجاء في وقفية الحاج علي أوطه باشي أنه وقف عشرة دكاكين على مسجد حضرة الشيخ عبد العزيز الشريف الواقع قرب جامع الشيخ سراج الدين كما دل على ذلك الإعلام الشرعي المؤرخ سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م، كما وقف سليمان بك بن الدفتردار الحاج محمد باشا أوقافاً عدة على جامع سراج الدين في وقفيته المؤرخة سنة ١١٧٠ هـ/١٧٥٦م، ورسم أن يعطى إلى إمام مسجد عبد العزيز والإبريقدار رواتب. وسماه عبادة مسجد عبد العزيز عَلَم دار (أي صاحب العَلَم، أو حامل الراية) نسبة إلى دفينه المذكور، وقال أنه، أي الشيخ عبد العزيز، وقف عليه أربعة دكاكين لكنها تخربت وهدمت، فبناها عبد الرزاق الخضيري ووقفها على أولاده. وقال الدروبي: بل أنه حبس له من أمواله الخاصة أوقافاً تجعله في مأمن من الخراب، بموجب وقفيته المؤرخة في ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م. قلنا: وقد زرنا، محقق هذا الكتاب والسيد زين النقشبندي، المسجد المذكور في ٧ نيسان٢٠٠٦ ففوجئنا بأنه قد تهدم تماماً منذ سبعينات القرن الماضي، وأصبح مكانه ملقى للأزبال، وأخبرنا أنه ما زال يضم خمسة قبور متجاورة، وقد أحاطت به الدكاكين من كل جانب فلم يعد له باب ينفذ إلى داخله. وهو يقع قريباً من الباب الغربية لجامع سراج الدين الآتي.

(٢) هو عبد الرزاق جلبي بن ياسين بن عمر الخضيري، ووالد عبد القادر باشا الخضيري، ذكر الآلوسي (مساجد ص٧٨) أنه : أحد أكابر تجار بغداد من أهل البر والتقوى.

(٣) توفي سنة ١٣٦٦هـ/١٩٤٦م.

باشا[1]، وغيره[2]، وبنى فيه مصلى في الطابق العلوي والسفلي، وقام بجميع ما يلزمه من فرش وضياء، ورتَّب له إماماً وخادماً، وكان يؤدي لهما الرواتب، ويقوم بسائر لوازم المسجد حتى توفي سنة ١٣١٥هجرية[3]، وبعد وفاته قام بذلك ولده الحاج ياسين، ولا يزال كذلك.

له بعض الأوقاف قريباً منه وقفها بانيه عليه، وكان بناؤه سنة ١٣٠٣ كما تنطق بذلك الكتابة الموجودة على جداره[4]، وبيت التاريخ فيها هو:

لما استتم بناؤه قد أرخوا: أسستَ في تقواك يوماً مسجدا

والمسجد المذكور مُشتمل على مُصلَّى واقع على يسار الداخل، أمامه صُفَّة، والدرج التي يصعد فيها إلى الطبقة العليا واقعة على اليمين تجاه الصفة.

---

(١) توفي سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢.

(٢) وهم عبد الجبار باشا المتوفى سنة ١٣٦٧هـ/١٩٤٧م وقاسم باشا الخضيري المتوفى سنة ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

(٣) يوافق أولها ١٠ تشرين الأول سنة ١٨٨٥م.

(٤) وهي ثلاثة أبيات، آخرها بيت التاريخ الآتي. تنظر في العقد اللامع ص٤١٠ والبغداديون ص٨٣.

جامع سِراج الدين

هو من جوامع بغداد القديمة، وفيه قبر الشيخ محمد المعروف بسراج الـــدين الرفاعي[1] من رجال الصوفية والعلماء في العصر السادس العباسي،

---

(١) هـــو محمـــد بن عبد الله بن المبارك بن محمد بن خزام الواسطي الرفاعي البغدادي، ترجم له أحمد بن محمد الوتري الرفاعي (المتوفى سنة ٩٨٠هـ/ ١٥٧٢م) في كتابه (روضـــة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين) نقلاً من الزبرجدي في (الدر الساقط فـــي ترجمة أعيان وسادات واسط) وذكره العاني في (قاموس العاشقين) وأبو الهدى الـــصيادي فـــي (طبقات السادة الرفاعية الأخيار) وغيرهم، وخلاصة ما أوردوه في تـــرجمته أنـــه ولد بواسط سنة ٨٩٣هـ/١٣٩١م، وكان شيخ الإسلام في زمنه علماً وعملاً، وأخذ عنه الصلحاء، وأن له كلام على لسان أهل الحقائق وشعر جليل كشف به ما تضمنه من كلام القول في الدقائق، وله مؤلفات، وأنه عاش شطراً من حياته في مصر الشام، وسكن آخر عمره ببغداد، وتوفي سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م، وله من العمر أثنـــتان وتسعون سنة، وأنه دفن بصدرية بغداد، وله مشهد يزار". ينظر عبادة: العقد اللامـــع ص٤٠٨- ٤٠٩ ويونس الشيخ إبراهيم السامرائي: مراقد بغداد ص١١-١٦. وكان الدكتور مصطفى جواد قد ذهب إلى أنه قبر سراج الدين عمر بن علي بن عمر الحـــسيني القزويني الشافعي المقرئ المحدث المتوفى سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م، مستنداً إلى ما ورد في ترجمته من أنه دفن بالزرادين بباب الأزج، وهو رأي أيدناه في بعض مـــا كتبـــنا سابقاً. ومع أن مقبرة الزرادين قريبة، تقديراً، من الصدرية حالياً، إلاّ أن تـــضافر النصوص لم يبقِ مسوغاً لاجتهاد. وأول من أشار إلى هذا القبر هو نصوح السّلاحي المطراقي زاده في رحلته سنة ٩٤١هـ/١٥٣٨م، فقال أن من أولياء بغداد " ســـراج الملة والدين حضرة الشيخ سراج الدين". رحلة المطراقي زاده ص٨٦، ونوه به، من بعد، غير واحد من المؤرخين.

أي مـن رجال المائة الخامسة[١]، وهو[٢] أبو حفص عمر بن محمد بن أبي نـصر الفَرغانـي الفقـيه الحنفـي[٣]، الشيخ الصالح الذي كان مقيماً برباط الزّوزَنـي الواقـع قرب جامع المنصور، وكان قد ذهب الى واسط عند بني رِفاعـة[٤] سـائحاً متعـبداً، وانتفعوا به، ثم رجع وأقام برباط العميد (بنهر المُعلّـى)[٥]، ثـم صار يدرس الحنفية بالمدرسة المستنصرية حتى مات سنة ٦٣٢. وكـان قد دخل عليه الشيخ (سراج الدين)[٦] هذا عند المساء فَصَبَّحَه غَلَطاً، ثم أنشد على البديهة الفرغاني المومى إليه بقوله:

أتانـي مـساءً نـورُ عـيني ونُـزْهَتي ... ففـرَّج عـني كُـربتي وأزاحـا

فَـصَبَّحتُه عـند المـساء لأنـه ... بِطَلعَـتِه ردَّ المـساءَ صـباحا

ولـه-رحمه الله -مؤلفات جمة، علاوة على فضله وورعه وتقواه، مـنها (جَـلاء القلـب الحـزين) في التصوف، و(البَيان في تفسير القرآن)،

---

(١) العصر: الدهر، وواضح أنه يقصد به مدة زمنية تزيد على القرن الواحد.

(٢) فـي الأصل: وهو خليل، ولا وجه لها، وكنيته واسمه رشيد الدين أبو حفص عمر.. إلى آخر نسبه. ينظر كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي ١٠٤، وقد نقل هذا الخبر منه بشيء من التصرف.

(٣) ربمـا كـان فـي العـبارة بعض الاضطراب، وهو يقصد أن سراج الدين هذا كان معاصراً للفرغاني المذكور، كما سيأتي، لا أن القبر هو للفرغاني.

(٤) في كتاب الحوادث: بني الرفاعي.

(٥) ما بين قوسين من المؤلف.

(٦) في كتاب الحوادث: دخل إليه الشيخ محمد ابن الرفاعي..

و(سِــلاح المؤمن) في الحديث، و(النسخة الكبرى) في علم الحرف[1]، وغير ذلك، وله شعر، فمما نُسب إليه رحمه الله تعالى عليه:

لله في هــذا الــوَرى خــاتَمٌ   تجـري المقاديـرُ علـى نَقـشِهِ
فــي نَـوعِهِ مِــن سِـرِّه حالـةٌ   تَـستَنزِل الجَـبَّار عــن عَرشِـهِ
يَفيضُ مـن فَـيضِ آلِـه الـوَرى   وبطــشُه يَظهــر مــن بَطــشِهِ
وإن طغى الكَبشُ بلحم الكُلى   أدْرَجَ رأس الكبش في كَرشِـهِ

وهــذا الجامــع واقع في محلة الصَّدرية[2]، على يمين المتوجه إلى جامــع الــشيخ عبد القادر الجيلي، فوق مسجد عبد الرزاق الخضيري. وهو جامــع كبيــر، له بابان، باب شمالي من وسط السوق قبالة المُصلَّى، وباب غربيه، وفسحة كبيرة، إذا دخل الإنسان إليه من الباب الشمالية رأى المُصلَّى أمامه وعلى يمينه ويساره حجر الفقراء، وفوق الحجر المذكورة سطح يُصلَّى فيه ليلاً أيام الصيف.

---

(١) هــذه المؤلفات لسراج الدين محمد بن عبد الله الواسطي الرفاعي، وليس لأبي حفص عمر بن محمد الفرغاني، الذي نُسب المؤلف إليه هذا القبر.

(٢) وقد نسب جزء من هذه المحلة إليه فعرف بمحلة سراج الدين، وموقعه اليوم في نهاية الــدرب النافذ إلى شارع الخلفاء، وقد شغلت الجهة اليمنى من هذا الدرب مباني أمانة بغداد اليوم. وبحسب الترقيم الجديد فإن يطل من جهته الشرقية على الزقاق رقم ١٣ ويطل من جهته الجنوبية حيث بابه على الزقاق المرقم ١٥.

بُنـــيان الجامـــع رصـــين[1]، على المُصلّى قبة عظيمة عندها مئذنة شـــامخة، ولا زالـــت الجماعـــات والجُمَع تقام فيه. وكان نظراً لكتابة اللوح

---

(١) الـــراجح أن هـــذه العمارة ترقي إلى عهد تجديد حسن باشا لتربة سراج الدين وبناء سقايته، وربما كانت أول عمارة لمسجد عند تلك التربة، ولكن من المؤسف أن ينقض المسجد كله، باستثناء حجرة القبر والمئذنة، في أول الستينات من القرن العشرين، وأن يعـــاد بـــناوه سنة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م على هيئة جديدة لا تمت للمسجد القديم بصلة، وأهـــم مـــا بقـــي من عمارته القديمة تلك المئذنة البغدادية الطراز، التي تتميز بقبتها الـــصفراء المحـــززة، وبالزينات الآجرية المزججة التي تزين بدنها وحوضها، وهي تـــشبه فـــي كثيـــر مـــن تفاصيلها مئذنة جامع الآصفية (باستثناء التغيير الذي أجري للأخيرة بإضافة حوض ثان لها)، وتقع هذه المئذنة على بعد نحو ثلاثة أمتار من جدار المصلى الشرقي، وهي تقف على قاعدة عالية، لا تتصل بالجامع إلاّ بسلم من الحديد يـــصعد به إلى بابها، وممر من حديد أيضاً يصلها بسطح الجامع، ولا يعلم على وجه التحديد تاريخ إنشاء هذه المئذنة، ولكن يوجد تحت قمتها المحززة تاريخ سنة ١٣١٨ هـــ/ ١٩٠٠م، وكانت ثمة كتابات خطية جميلة على لوحات ثبتت على المئذنة بخط عـــبد الجـــبار بـــن عـــبد القادر آل خان زاده، رئيس كتاب دائرة الأوقاف في العهد العثمانـــي، المتوفى سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م. وعلى اية حال فإن الجامع شهد تجديداً آخـــر سنة ١٤١٦هـ/١٩٩٥م على يد الحاج محمود جبوري وزوجته الحاجة سميعة عـــباس بن عبد الرحمن، وسنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، كما نص على ذلك في اللوحتين المثبتتـــين على يمين الباب الشمالية للمصلى ويسراه. والجامع اليوم، على ما رأيناه، محقـــق هـــذا الكتاب والسيد زين النقشبندي، في ٧ أيار سنة ٢٠٠٦م، في حال جيدة، يـــضم مـــصلى مـــستطيل كبير، وعلى سطحه من الخارج قبة بيضاء، إلاّ أنها غير مفـــتوحة إلـــى الـــداخل، وللمصلى محراب جميل من الآجر محلى بزخارف ناتئة، ومحـــراب مـــن الخشب. ويتقدم المصلى رواق يقوم على سبع دعائم، وعلى يساره=

الموجـــود علـــى القبر قد بعثرته يد الحوادث فجدده المرحوم الوزير الكبير حـــسن باشـــا والد فاتح همدان أحمد باشا المعروف بالبوشناق[1]، وذلك سنة ١١٣١، وزخـــرف القبر المدفون فيه الشيخ سراج الدين المذكور الواقع على يمين الباب الشمالي المقابل للقبلة[2].

وهذا القبر لا يزال الزوار يترددون لزيارته والتبرك به، وعليه لوح من المرمر نُقش عليه ما يأتي[3]:

=حديقـــة واســـعة نسبياً تضم نخيلات وأشجاراً متنوعة، ويوجد ثمة قبر حديث قرب حجرة الشيخ سراج الدين، منفصل عنها، كتب عليه أنه مرقد العالم الجليل شيخ القراء عبد السلام عبد الوهاب عبد الرزاق العبيدي المتوفى سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م.

(١) ذكـــرنا من قبل(مبحث جامع العادلية) أن حسن باشا فاتح همدان ليس حسن باشا والد أحمد باشا البوشناق.

(٢) زار الرحالة مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي جامع الشيخ سراج الدين سنة ١١٣٩هـــــ/١٧٢٦م، فـــنوه بوجود شباك لحجرة القبر يطل على السوق، وهو سوق الصدرية، فقال" لما وصلت جامع الشيخ سراج الدين قدس الله سره المتين، الذي بناه المرحوم حسن باشا، وكنت جزت بجامعه الجديد أيضاً (يقصد جامع السراي).. وقفت لدى الشباك، والأسواق في اشتباك" (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان، الورقة ٢٢)، والآن لا وجود لهذا الشباك.

(٣) لا وجـــود لهذه الكتابة الآن، ويقع القبر في حجرة على يسار الداخل إلى الجامع من الجهة المواجهة لقبليه، وتعلو الحجرة قبة مزججة باللون الأخضر، قد أحيطت بنطاق من الآيات الكريمات، وعلى أعلا الحجرة نفسها أسماء الله الحسنى، وعلى يمين باب الحجرة لوحة نسب القبر فيها إلى سراج الدين عمر بن علي بن عمر القزويني، وهذه النسبة تستند إلى رأي الدكتور مصطفى جواد المتقدم، وقد جدد القبر وحجرته وقبته=

بسم الله الرحمن الرحيم

هـــذا مرقد الشيخ سراج الدين قدس الله سره العزيز. عَمَّره آصف الزمان، وخلاصـــة وزراء آل عـــثمان، والمشار إليه بالبنان، والي ولاية بغداد دار السلام، الوزير المعظم، والمشير المفخم، أبو الخيرات حسن باشا، أطال الله عمـــره وأبقـــاه، ويَـــسَّر له من الخير ما شاء وارتضاه، وذلك سنة إحدى وثلاثين ومائة وألف من الهجرة.

وفـــي هـــذا الجامع سقاية أنشاها الوزير المشار إليه لورود المارين والعابرين، أجرى إليها الماء بساقية من دجلة[1]، وإدارته الآن من قبل دائرة الأوقـــاف. وفيه خطيب ومؤذن وإمام وخُدَّام، وله أوقاف جسيمة، من جملتها السوق الواقع أمامه.

=المحسنان الحاج محمود جبوري سلمان وزوجته الحاجة سميعة عباس عبد الرحمن في ٢٠٠١/١٢/٢٦م، كما هو مثبت على اللوحة المذكورة.

(١) كانـــت هـــذه الـــسقاية تأخذ مياهها من ساقية أو قناة تأخذ مياهها من دولاب (كرد) منـــصوب على شاطئ دجلة، في شريعة السيد سلطان علي، فيرفع الدولاب الماء إلى هذه القناة المبنية على جدار ذي عقود، وتبدأ القناة بالانحدار التدريجي مجتازة الدرب المـــسمى طـــرف حجـــي فتحي، ثم محلة العوينة، والصدرية، حتى تصل إلى سقاية الجامـــع، فتزودها بالماء، أي أنها تبلغ طولاً قدره ٧٠٠ متراً تقريباً، وهذه القناة هي واحـــدة من ثلاث قنوات كبرى كانت تغذي سقايات بغداد بالماء في العصر العثماني، وقـــد أصاب السقاية المذكورة خراب، فعمرها عبد الرزاق جلبي الخضيري، وأجرى لها الماء في الأنابيب الحديد. كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص ٨٧-٩٠. ولا وجود لهذه السقاية أو لبقاياها اليوم أي أثر.

وقد لعبت الأيدي بتاريخ حياة الشيخ المذكور فكتب هناك في الأيام الاخيرة عن بعد ظهور المرحوم أبي الهدى أفندي وتأليفه بعض المؤلفات بأن الشيخ هو من الرجال الذين عاشوا بعد الثمانمائة، وأن وفاته كانت في سنة ٨٨٥ وولادته سنة ٧٩٣، وذلك استناداً على كتاب أبي الهدى أفندي المسمى بتنوير الأبصار(١)، مع أن الاوراق الجامعة لحوادث المائة السابعة تنطق بأنه كان معاصراً لمُدَرّس المستنصرية أبي نصر الفرغاني المتوفي سنة ٦٣٢ وبين التاريخين فرق عظيم، ولعمري ان هذا التلاعب والخلط هو الذي سبّب عدم الركون والاطمئنان إلى أغلب الكتب التاريخية لعدم الاطمئنان في صحتها.

أما السقاية التي أنشأها الوزير المرحوم، فهي واقعة على الطريق، يشرب منها المارّون، عليها أبيات مكتوبة بالكاشاني وهي:

الحمد لله عظيم النَوال　　وزيرنا أيده ذو الجلال

إن سراج الدين في عصره　　أضاء للناس طريق الوِصال

---

(١) أثبت المؤلف فيما سبق أن شهرة صاحب القبر هو سراج الدين الرفاعي، وقد ذكر السيد محمود شكري الآلوسي (مساجد ص٤١) أنه" من رجال الصوفية"، وقد ذكرنا أن نسبته إلى سراج الدين محمد بن عبد الله الرفاعي قد وردت في كتب ترقى إلى عهد قريب من عهد الأخير، ولم يقتصر التصريح بها على كتاب (تنوير الأبصار) الذي يشير إليه المؤلف. ولاحظنا أن الكتب التي ذكر أنها لصاحب القبر هي لمحمد بن عبد الله الرفاعي نفسه.

يـــا (حـــسن) عَمَّــرك الله في	دار الـــسلام الـــسلام يـــنال
أجــريتَ للـــناس ســبيلاً لهــم	فيه سبيل الخير في كل حال
قـــد نـــزل الـــناس بـــساحاته	واجتذبوا الماء بدون الحِبال
للـــشرب والطُهـــر ورفـــع الأذى	حَـــباكَ ربـــي نعمـــة لا تَـــزال
هـــذا الـــذي فـــيه يُـــنال الرضـــا	في عطش المَحشَرِ يوم السُّؤال

١١٣١

.......(١).

وهو مسجد واقع على يمين المار من سوق الصَّدريَّة الى جامع الشيخ قـــدس ســـره، واقـــع خارج باب السوق الشرقي بين علاوي الطعام، [وهي] المحـــال التـــي يُـــباع فيها الحنطة والشعير، وهو مسجد محكم البناء، مشيد الأركان.

جامع سوق الغَزل

هـــو الجامع المشهور بجامع سوق الغَزْل، وجامع الخلفاء، وهو اسم للجامـــع الـــذي عمَّره الوزير المرحوم سليمان باشا الصغير، زوج عادلة

(١) لـــم يذكـــر اسم هذا المسجد. والراجح عندنا أنه مسجد صدر الدين، وما زال عامراً. ينظـــر عـــنه عـــبادة: العقد اللامع ص٤١١، وعباس بن رجب البغدادي: فصل من مخطوطة نيل المراد، نشرناه في كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٢٣.

خاتون[١]، بانية جامع العادلية[٢]. وقد بناه -رحمه الله -في عرصة من عراص الجامع القديم المعروف في آخر أيام العباسيين بجامع الخليفة، وهو الجامع الذي بناه المستنصر بالله العباسي بن الظاهر بأمر الله، ووالد الشهيد المستعصم، وكان قد بناه -رحمه الله- بعد فراغه من المستنصرية أي سنة ٦٣٣ كما تنطق بذلك الكتابة الموجودة على مدخل الجامع وهي:

(أمر بعمله سيدنا ومولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين أعلا الله معالم الاسلام بهمته العالية، وأزهى دعائم الايمان بإيالته، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين وستمائة)

وهذا الجامع كان يُسمَّى جامع الخليفة أيضاً لأن بانيه الخليفة المستنصر[٣]، وليس هو جامع القصر المشهور في كتب التاريخ، لأن جامع

---

(١) الصحيح أنه سليمان باشا الكبير(١١٩٤- ١٢١٧هـ/ ١٧٨٠- ١٨٠٢م)، ولم يكن زوجاً لعادلة خاتون، وإنما كان زوجها سميه المتقدم سليمان باشا الأول، وهو المعروف بأبي ليلة. وذكر خبر تعمير سليمان باشا الكبير للجامع المذكور عثمان بن سند: مطالع السعود ص٢٤٤. وقد اطلعنا على قائمة مفصلة بكلف هذا التعمير الذي اضطلع به هذا الوالي، وغلة أوقافه، في سجلات المحكمة الشرعية ببغداد،السجل رقم ١ المفتتح في ١٩ محرم سنة ١٢١٤، ونقلها عبادة في العقد اللامع ص٣٨٣.

(٢) ينظر ما تقدم.

(٣) لم يكن الخليفة المستنصر بالله هو باني هذا الجامع، وإنما باني بابه ومزملته (سقايته) فحسب، وهذا هو ما سيذكره المؤلف نفسه بعد قليل، جاء في كتاب الحوادث الذي نسب إلى ابن الفوطي(ص١٣٢) قوله في حوادث سنة ٦٣٥هـ "وفي آخر شعبان، انتهى عمارة باب جامع القصر مما يلي الرحبة وفتح، وفتحت المزملة التي عملت=

القصر هو الجامع الذي بناه المكتفي في قصر الخلافة بموضع المطامير التي بـــناها أبوه المعتضد(١)، وهو الذي بنى المستنصر فيه -رحمه الله- مُزَمَّلة،

=بالجامـــع المذكـــور أيضاً". ويعضد هذا أن الكتابة التي نقلها المؤلف، كان الرحالة نيـــبور الذي زار بغـــداد سنة ١٧٦٦م قد شاهدها مثبتة على هذا الباب دون غيره، رحلة نيبور إلى العراق، ترجمة محمود الأمين، بغداد١٩٦٥، ص٣٢.

(١) أنشأ الخليفة المكتفي بالله (٢٨٩- ٢٩٥هـ/٩٠٢- ٩٠٨م) مسجداً لصلاة الجمعة في شـــرقي القصر الحسني الذي اتخذه الخلفاء مقراً لهم، ليكون المسجد الخاص بالخليفة وحاشـــيته، فـــسمي هـــذا الجامع بجامع القصر، وسرعان ما أصبح هذا المسجد أحد الجوامـــع الكبيـــرة الثلاثة في بغداد، مع جامع المنصور وجامع الرصافة، وفي سنة ٤٧٩هـــــ/١٠٨٦ شيدت فيه مئذنة، وفي أواخر العصر العباسي أصبح جامع القصر الجامع الرسمي للدولة، وعند احتلال المغول بغداد سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م كان الجامع أحد المنشآت المهمة التي لحقها التدمير، ثم أعيد ترميمه، وشيدت فيه سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م مئذنة لكنها سقطت بعد سنوات قلائل، فأعيد بناؤها على نحو فخم سنة ٦٧٨ هـ/١٢٨٩م، لتصبح إحدى المعالم المعمارية البارزة في بغداد حتى الوقت الحاضر، وتـــدل نـــصوص عديـــدة، علـــى إن جامع الخليفة، هو نفسه جامع القصر الذي بناه المكتفـــي، ولـــيس جامعـــاً آخر كما يذهب المؤلف رحمه الله، وأن الناس لم يكونوا يفـــرقون بين المسميين، منها مثلاً ما ذكره الخطيب البغدادي في ترجمة الخليفة القائم بأمـــر الله أنـــه" لم يخطب بجامع الخليفة" (تاريخ بغداد ج٩ ص٤٠٢ وابن الجوزي: المنتظم ج٨ ص١٩٤) وساق ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٧٣ خبراً مفاده أن قوماً من المدائن استغاثوا إلى صاحب المخزن" فأمر بحبس بعضهم ثم أطلقوا فخرجوا يوم الجمعـــة إلى جامع الخليفة"(المنتظم ج١٠ ص٢٧٥) ونقل ابن الأثير الخبر نفسه. إلاّ أنـــه وضع اسم جامع القصر بدل جامع الخليفة (الكامل ج٩ ص١٤٤) مما يدل على كلا الإسمين لجامع واحد.

وعمَّــر بابه أيضاً، وذلك في نهاية شعبان سنة ٦٣٥، وكان تعمير أبي سعيد سليمان باشا لهذا الجامع سنة ١١٩٣ وجعل فيه مدرساً وإماماً وخُدّاماً، يُدار مــن قبل ادارة الأوقاف، وهو عبارة عن مصلى واقع أمام الباب الخارجي، وساحة كبيرة، وحجرة عند الباب للإمام، وأمام المُصلّى صُفَّة(١).

---

(١) قــال عبادة واصفاً تعمير سليمان باشا" ولاختلاف أيدي المتغلبين على بغداد وتواصل الهجمــات علــيها اختل القسم الأعظم منه، ولم يبق أثر له، فحول إلى دور وخانات ودكاكــين. قالــوا: إنــه كان على باب هذا الجامع، وهو الرحبة التي يباع فيها اليوم الغــزل والأغنام والصوف، ميلان كبيران شامخان مرفوعين في الهواء، ولما تولى سليمان بغداد هدم الميلين المذكورين وبنى بأنقاضهما الجامع الموجود اليوم وذلك سنة ١٢٢٤(١٨١١م).. وقالوا: أنه بني سنة ١١٩٣(١٧٧٩م) والأول أصح بثبوته رسمياً" (العقد اللامع ص٣٨٢). قلنا: والميل هو القبة المقرنسة المخروطة، كقبة الشيخ عمر الــسهروردي والقبة المنسوبة للست زبيدة، وقد وصف نيبور هذين الميلين، قبل نحو عقــد واحــد من هدمهما، وقال أن أحدهما اتخذ في أيامه قهوة قذرة حقيرة! ووصف الرحالة ويلستد جامع الخلفاء بالصورة التي أنشأه عليها سليمان باشا الكبير، في أثناء إقامــته بــبغداد ســنة ١٨٣٠ بأنه يتألف من ساحة مستطيلة، يحيط بها جدار مهدم، ويحــتوي على صهريج يستعمل ماؤه للوضوء، أما المصلى فيقع في النهاية القصوى لهــذا الصهريج، وهو بناء مربع الشكل عادة، يرتفع إلى زهاء ستين قدماً، تتوجه قبة مستدقة (ويلستد: رحلتي إلى بغداد، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد ١٩٨٤، ص٦٩) ولم يكن الجامع الذي أنشأه سليمان باشا في الموقع الذي شغله جامع القصر، أو جامع الخلــيفة، القــديم، عند مئذنته الأثرية المعروفة بمنارة سوق الغزل، ربما بسبب شغل أرضــه بالخانات والدكاكين، وإنما في مكان يبعد عنه جنوباً بمسافة ما، على القطعة ذات التسلــسل٣٠٤، وعــند شق شارع الملكة عالية (المسمى بشارع الجمهورية ثم بــشارع الخلفاء) سنة ١٩٥٧ نقض هذا الجامع هو أيضاً وتركت وأدخل جانب من=

أما الجامع الأصلي فإن العلامات تدل على أنه جامع كبير، ذو مصلى واسع، ورحبة كبيرة، وإن المأذنة القائمة حتى الآن تدل على مقدار هذا الجامع، وما له من الأهمية، ويقرب إلى العقل صحة ما يُحكى من أن المحلة المعروفة بمحلة سوق الغزل هي منه خصوصاً عند نظرنا إلى المئذنة، وإلى المَدخَل الذي عليه الكتابة الآنفة الذكر، مع سِعة المسافة ما بينهما

وقد سمعتُ من شكري أفندي الآلوسي أن هذا الجامع هو جامع المهدي الذي بناه في الرصافة[1]، وعندي أن هذا غير صحيح، وقد أوضحتُ له وجهة نظري، وعللتُ قولي بأن الرصافة هي محلة أسفل محلة أبي حنيفة، وأن نهر المُعلَّى هو في شرقي المُخرّم وشرقي سوق السلطان، والمخرم وسوق السلطان هما في شرقي الرصافة، فكيف يحكم بأن الجامع الواقع شرقي نهر المعلى هو جامع المهدي الواقع في محلة الرصافة؟ والصحيح أن

=أرضه في هذا الشارع، وقد قامت الأوقاف بإنشاء جامع كبير حوالي مئذنته القديمة وأطلقت عليه اسم جامع الخلفاء إحياء لذكرى ذلك الجامع التالد. والخارطة الوحيدة التي نملكها للجامع الذي أنشأه هذا الوالي هي التي رسمها زاره وهرزفلد سنة ١٩١١ ينظر Sarre und Herzfeld, Archaclogishe Reise Im Euphrut und Tigris, Vol.II,P.١٤١

(١) قال السيد محمود شكري الآلوسي في كتابه مساجد بغداد ص٣٩ " بناه الإمام محمد المهدي في أوائل خلافته وذلك سنة ١٥٩ في رصافة بغداد في الجانب الشرقي" وتابعه في هذا القول عبادة في العقد اللامع ص٣٨٠ قلنا: إن موقع الرصافة معروف، وهو الأعظمية الحالية قال ياقوت (معجم البلدان ج٣ ص٤٦) " وبلصقها (يعني الرصافة) محلة أبي حنيفة الإمام وبها قبره"، فلا صلة إذن بينه وبين جامع القصر من قريب أو بعيد، على ما سيذكره المؤلف هنا.

جامـــع الرصـــافة حَرِيٌّ بأن يكون فوق بستان الحاجة هيبت[1]، عند بستان الوقـــف الـــواقعة غربي بستان هيبت خاتون، لأنه جوار قصر المهدي المطل علـــى دجلـــة، ولا يَخفاك أيها القارئ أن القول بأنه جامع المهدي خطأ، ويؤيد ذلـــك الكتابة الموجودة على المدخل، فالقول بأنه جامع المهدي وجامع القصر مصادم للتاريخ ومناقض لآثـــاره[2].

وبالقـــرب من هذا الجامع سقاية أنشاها العالم الفاضل السيد صبغة الله افندي الحيدري[3] شيخ العلماء وعلامة الفضلاء، وقد حرر على جدارهـــا هذه الأبيات:

---

(١) هـــي الـــسيدة المحسنة هيبت خاتون بنت عبد الرحمن أفندي المتوفاة سنة ١٩١٨م، وكانـــت بستانها هذه أرضاً خالية وقفها والي بغداد داود باشا متصلة بنهر دجلة، عند كورنـــيش الأعظمـــية الحالـــي، فاستأجرتها من محاسب أوقاف بغداد بموجب إعلام المغارسة المؤرخ في ٨ ذي الحجة سنة ١٣٠٣ على أن تقوم بغرسها وتجعلها بستاناً، وقد فعلت، وشيدت لها قصراً على شاطئ دجلة، في أرض كانت تشغله أنقاض لقصر بـــناه داود باشا، وموقعه في أرض القصر الرئاسي على الكورنيش المذكور، كتابنا: معالم بغداد ص٣٤٨ وكتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد ص٧٧.

(٢) تقتـــصر المصادمة والمناقضة على القول بأنه جامع المهدي على ما يذكر المؤلف، وهو المصيب في هذا ، ولكن لا يمتد هذا إلى القول بأنه جامع القصر نفسه، على ما مر بنا من قبل.

(٣) هو السيد صبغة الله أفندي بن أسعد صدر الدين أفندي الحيدري، أخذ العلم عن والده وعـــن معاصـــريه مـــن علماء الأكراد في ماوران، وتصدر للتدريس والتأليف، وله مؤلفات عديدة في المنطق والبيان والعقائد، وتوفي سنة ١٢٧١هـــ/١٨٥٤م. ترجم له المؤلـــف في كتابه تاريخ الأسر العلمية ص١٢٧، وقد اختلطت بعض مصادر ترجمة جده صبغة الله الكبير بترجمته في تعليقنا على العقد اللامع ص٣٨٦.

ذي بُركةٍ يرتوي منها بضَحضاح كادت تُؤلّف أبداناً بأرواح
فصِبغة الله أجرى ماءَها غَدَقاً للوارِدين بتبريدٍ واصلاح
يرجو الثواب من الرب الكريم بها يوم الحساب وأن يُسقى بأقداح
بُشراه قد ربحت فيها تجارته وفاز في خير محصول وأرباح
إن جئت ظمآن قلبٍ يا مؤرخها: اشرب هنيئاً مريئاً باردَ الراح
١٢٨٣ [١]

(١) هكذا حَسَب مجموع الشطر بحساب الجُمّل، ويظهر أنه عد الهمزة التي على الكرسي ياء ١٠ كما هي القاعدة في هذا الحساب (وفي هذه الحالة يكون المجموع ١٢٨٦) ولكن الناظم هنا، عد هذه الهمزة ألفاً، ومن ثم صار مجموع الشطر ١٢٦٨، وكان الآلوسي (مساجد بغداد الورقة ٦٧ من المخطوط وفي المطبوع ص١١١ لم يذكر التاريخ أصلاً) وعبادة (العقد اللامع ص٣٨٦) ويعقوب سركيس (مباحث عراقية ج١ ص٢٤٦) قد ذكروا أن التاريخ هو ١٢٦٠والصحيح أن التاريخ هو ١٢٦٧هـ لأن هذا هو التريخ المسجل رقماً على رخامة السقاية نفسها، وقد زالت هذه السقاية عند شق شارع الخلفاء وفقدت الرخامة المذكورة، وبقيت كذلك، ومن توفيقه تعالى أني عثرت عليها بين أنقاض إحدى التعميرات في جامع السراي، وكانت قد ألقيت على وجهها المكتوب في أرض حجرة تضم قبر من يعرف بالإمام ناصر الدين، وهي في داخل أحد عمد الرواق الذي يتقدم مصلى هذا الجامع، وإذا بها في حالة جيدها، يبلغ طولها ٣٦سم، وعرضها ٣٥سم، وثخنها ٥،٥ سم، وقرأت عليها، بعد حكها، الأبيات الخمسة المذكورة، وقد نشرنا صورة هذه الرخامة في كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص١٦٣.

جامع المرجان

جامع المرجان هو الجامع الذي شهرته تغني عن تعريفه ووصفه[1]، وهو واقع على يمين الداخل إلى سوق العطارين الآن، في فم السوق، مُشرف على الشارع العام، وجدار مصلاه القبلي واقع على الشارع، حتى أن المنبر خارج من الجدار، أي بارز في الشارع العام.

وهو جامع محكم البناء، فسيح الأرجاء، راسخ الأساس متينه، مشيد الفناء قويمه، له باب تناطح السماء في العلو والارتفاع، مزينة أركانها وجدرانها بالنقوش المحفورة في أحجارها، وحول الباب عمودان ملتفان في غاية الابداع والريازة. والحق يقال إنها من الآثار التي لا يضاهيها إلاّ محراب جامع الخاصَّه كي[2]، غير أنه من المرمر وهذه من الآجر، وهو مشتمل على مُصلّى مستطيل، وفيه حجر في سُفليه وعلويه لأنها طبقتان على

---

(١) ينظر عن هذا الجامع: الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها ص ٦٥- ٧٢ وعبادة: العقد اللامع ص٣٦٥- ٣٧٨ وعباس بن رجب البغدادي: نيل المراد في أحوال العراق وبغداد، فصل نشرناه في كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ٣٤- ٣٥ والعزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص٨٤- ٩٤ وناصر النقشبندي: حجر المدرسة المرجانية، مجلة سومر، المجلد٨، بغداد ١٩٥٢، ص١٣٠- ١٣٣ والنقشبندي أيضاً: المدرسة المرجانية، مجلة سومر، المجلد ٢، بغداد ١٩٤٦، ص٣٣ - ٥٤ والدروبي: البغداديون ص٣١٥، وكتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة ١٤٩-١٥٠.

(٢) انظر ما تقدم عن محراب هذا الجامع.

نمـط المدرسـة النظامية حسبما يُنقل، وهذه الحجر معدة لسكنى طلبة العلم الذين أجري عليهم الجِرايات الوفيرة.

وقـد كان هذا الجامع مدرسة تُدرَّس فيها العلوم على مذهبي الإمام أبـي حنـيفة والـشافعي، وكان ما بعد الآن مُصلّى في الجامع منقسماً إلى قـسمين، قـسم منه مخصص لجلوس المُدرِّسين، وقسم وهو وسط المُصلَّى محلاً لإداء الصلوات. أما ما كان محلاً للمُدرِّسين فالرواق الواقع على يمين المُـصلَّى، الـرواق الـذي على شماله. ووقف على هذه المدرسة الأوقاف الكثيـرة، كمـا تنطق بذلك وقفيته التى سجلها على جدار المُصلَّى والمدرسة بخط أحلى من اللؤلؤ، وهاكَ نص ما كتب فوق المحراب وجدار المصلى:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفق المطيعين لعمارة أبنية بيوت العبادات، وألهم المُخلصين اشـادة أعمـدة دور الطاعـات، ورفـع ذكـر الولاة بتأسيس قواعد معالم المكرمات، ودلَّ أرباب السعادات على سلوك سُبُل الخيرات، ومنح المحسنين بتـشريف (إن الحَـسَنات يُذْهِـبنَ السِّيئات). وحباهم بمآل (إن المُصَدِّقين والمُـصدقات) والـصلاة والـسلام على نبي الرحمة محمد المصطفى خير الأنام، وأصحابه مصابيح الدجى وبدور الظلام.

أمـا بعد، فيقول المفتقر إلى عفو الملك المنّان، مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن، بدَّل الله سيئاته: إني هاجرت في الارض مدة سنين، وجاهدت في الطـول والعـرض ذات شـمال ويمين، متورطاً في مخاوف البر والبحر، مـتورداً في متالف البرد والحر، حتى أدّاني الجد الصاعد، وأدناني التوفيق المُـساعد، فعلمت أن الدنيا دار الفرار، وأن الآخرة هي دار القرار، وأيقنت

أن أوْلى ما أُنفقت فيه الأموال، وأحرى ما توجهت إليه هِمم الرجال، ما كان وسـيلة إلى أبواب رحمته محط الرحال، وذخيرةً ليوم المحاسبة والسؤال. قـال النبي عليه الصلاة والسلام: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّمن ثلاث، صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له، والصدقة الجارية هي الوقف؛ فشمرت عن نية صادقة صافية، وسريرة للخير وافية، وشرعت في عمـارة هـذه المدرسـة المسماة بالمرجانية، وتوابعها المتصلات بعضها ببعض، في زمن المخدوم الأعظم، الدارج إلى جوار الله وجَناته، المستريح علـى أعلـى غـرفات جنانه، الشيخ حسن نويان- وهو المعروف بحسن بُـزُرك، استولى على بغداد عند وفاة أبى سعيد، وكان ابن عمة ابي سعيد الملقـب بـبهادر خان، بن محمد خدابنده، وهو الملك الذي أسلم من ملوك التتـر، وهـذا هـو أخو قازان- أنار الله برهانه. وتمت في أيام دولة نور حدقـته، ونـور حديقته، المخدوم الأعظم الأعدل رافع رايات السلطنة على الأفـلاك، صـاحب غايـات المملكة الى السماك، ساحب ذيل الرحمة على الأعـراب والأتـراك، محيي مراسم الملة المصطفوية، ومُزيِّن شعار الدولة الجنكيزخانية، شاه أويس- خلد الله ملكه.

[١](وهـو ابن الشيخ حسن الذي جلس على التخت سنة ٧٥٧ هجرية، وقـد خرج عليه مرجان، وأراد أن يستقل ببغداد، فحاربه وقبض عليه وأراد قتله، ولكن عفا عنه بشفاعة أهل بغداد، وسلبه ما كان منحه من السلطة قبل غـدره هـذا، فكفَّر مرجان -رحمه الله- عن فعلته هذه ببناء هذه المدرسة)

---

(١) ما بين الأقواس للمؤلف، وليس من نص الوقفية.

ووقفـــت على الفقهاء وطلاب العلم والتفسير والحديث والفقه على مذهبي الإمام الأعظم محمد بن ادريس الشافعي المطلبي، والإمام الأقدم أبي حنيفة نعمان بن ثابت الكوفي رضي الله عنهما، وقفاً على مصالحها كما شرح في الوقفية الموقعة بتوقيع قضاة الإسلام، الموشحة بشهادة الأمراء والوزراء العظام، بالريحانيين أربعة واربعين دكاناً، واثنتى عشرة عصارة في السوق الجديـــد، المجاور للمدرسة والصاغة (والسوق الجديد هو السوق النازل من عـــند المدرســـة إلى دجلة المعروف بأنه سوق الصرف، وهو الذي فيه خان الأورتمه المعروف، وسوق الصاغة، هو ما يقابل خان الأورتمه من شرقيه، وقـــد دخل الكل في الشارع). **وتسعة وعشرون دكاناً أخرى، وثلاثة خانات ونـــصف خـــان أحدهن إنشاء الواقف،** (وهذه هي السوق الذي عند المدرسة الملاصق لها، والخان الذي من إنشائه هو الخان المقابل للمدرسة، والدكاكين المذكـــورة هـــي الدكاكـــين الموجودة بسمت الخان، ويعرف بخان مرجان)؛ **ومواضــــع بالــــبدرية، وبالأمشاطيين ثلاثة دكاكين، وبالمشرعة أربعة عشر دكانـــاً وخاناً جديداً من انشاء الواقف، تقبل الله منه صالح الأعمال؛** (وهذا الخان هو الخان الواقع بباب المعظم فوق الميدان، أعنى فوق جامع المرادية علـــى يمـــين الخــــارج إلى باب المعظم، وقد صار من جملة أوقاف التكية الخالديـــة). **وبالحلـــبة ثلاثة عشر دكاناً وعصارة وخاناً فيه اثنتا وخمسون حجـــرة** (وفـــي هذه المحلة وهي محلة الحلبة قبر عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلـــي قدس سره) **وفي الجانب الغربي من محلة القصر**(أي قصر عيسى، وهي محلة خضر الياس) **داراً وَمداراً وخاناً يعرف بالجواري. وفي الخليلات خــــان الزاوية ومداراً هي الآن من حقوق الخان المذكور. وبالحريم**(الحريم

الطاهري) دكان الكاغد، وبنهر عيسى ناحية عقرقوف ونصف القائمية وتل دحيم وبساتين بالمحربية (الظاهر أنها الحربية) وبساتين بقرية البرك والجوبة وقراح الجاموس، وبالصراة مزرعة، وبالقاطون ناحية زادمان، وبجلولي من خاناباد النصف، ومن بساتين ببعقوبا وبوهريز النصف، وبخانقين دوري ونصف دور جوري، وأرحية الماء، وبغمايا ودولتاباد، وبساتين في البندنيجين، وبستان جديد ببوهريز انشاء الواقف، ونهر خرناباد وسائر أراضيها ومزارعها المدعو هرارشته(١)، وذلك بين جبل حمرين وخانقين، وقفاً صحيحاً شرعياً مؤبداً مخلداً محرماً بجميع ما حرم الله مكة والبيت الحرام، والركن والمقام، لازل ذلك كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين، لا يندرس بكرور الأعصار، ولا ينطمس بمرور الأدوار، لايؤجر من متغلب ومتعزز وجندي، ومن يخاف غائلته، بل يؤجر من رجل مسلم معامل بتمكين الوالي على هذا الوقف من مرافعته بين يدي الحكام، وقضاة الإسلام، قادراً من إداء ما يتوجه عليه من ضمان الوقف، ومن فعل ذلك فتلك الإجارة باطلة وتصرفه حرام سحت! ووصيتي إلى حكام كل زمان، وعصر وأوان، وإلى قاضي القضاة ببغداد، أن يساعدوا الوالي على هذا الوقف، واستخلاص الحقوق المواجبة لوقف هذه المدرسة، وأن ينظروا إليهم بنظر الرحمة والرأفة، فإن الحاكم العادل في رعيته كالوالد الشفيق على ولده، ألا وإن من سَنَّ سُنَّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل لها الى يوم القيامة، ومن سَنَّ سُنّة سيئة فعليه وزرها

(١) رجح الأثري أن تكون: هزارنشته. مساجد الآلوسي ص٦٧.

ووزر من يعمل بها إلى يوم القيامة، وألا يتعرضوا بمتولى هذا الوقف ومستوفيه ومشرفه من استرفاع حساب أو نصب أو ترتيب، ولا يداخلوهم في ذلك لشبهة من الشبه، ولا يعقد بهذه المدرسة ديوانا الفصل القضايا الشرعية، أو ينازعوا فيه، فإن هذا الموضع موطن العلماء، ومنزل الصلحاء، فطوبى ثم طوبى لمن استجلب ترحماً لنفسه، وويل ثم ويل لمن صاحبته اللعنة في رمسه، فبمثل ماتعاملون في حياتكم تعاملون في مخالفاتكم بعد مماتكم، فان المكافأة من الطبيعة واجبة، كما تَدين تُدان، وكما تزرع تحصد، فإن الدنيا غدارة غرارة، وان طالت مدتها فما طالت، وإن نالت لصاحبها فما نالت، ومَنْ غَيَّر شروط هذه الأوقاف أو تصرّف فيها خلاف ماشرطت في الوقفية فهو ظالم عند الله، ألا لعنة الله على الظالمين، وعليه لعنه الله والملائكة والناس أجمعين، ومأواه جهنم وبئس المصير، وألحق بالأخسرين أعمالاً، الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وما ذلك على الله بعزيز.

وشرط الواقف تقبل الله منه الحسنات، ولا واخذه بما كسبت يداه من السيئات، ألاّ يسلم من الأراضي الموقوفة من النواحي والبساتين والبُسوط بالقرار الشمسي شيئاً أصلاً، ولا من المسقفات من الدكاكين والخانات والطواحين بالعرصة أبداً، ومن فعل ذلك فحكمه باطل وشرطه مفسوخ، وتصرف من تصرف فيها بهذه الشبهة حرام سحت، وفاعله مأثوم ملوم الخالق والخلق (فمن بدله بعد ماسمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه، ان الله سميع عليم). وكتب في شهور سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، والحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وشفيع الأمة وكاشف الغمة،

النبـــي الأمـــي العربـــي الهاشـــمي القُرَشي المكي المدني، سيد المرسلين، ورســـول رب العالمين، وخاتم النبيين، وعلى آله الطاهرين الكرام، وصحبه المنتخبين البررة، وسلم تسليما كثيراً.

أمـــا مـــا هو مكتوب على جدار المصلى الخارجي، وهو مكتوب في الحجر، فهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فِـــي بُـــيُوتٍ أَذِنَ اللَّـــهُ أَن تُـــرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾

أنشأه المفتقر إلى مغفرة الملك المنان، مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولخاني-هكذا الظاهر ويجوز أن يكون المكتوب الاولجياني او غيـــر ذلك- تقبل الله منه في الدارين طاعاته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلم.

وتـــوجد كتابة في الحجر الواقعة قرب البئر الموجودة قبالة صفة الجامع من الشمال، وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام على نبي الهدى محمد وآله صحبه مـــن بعـــده، يقول الواقف مرجان بن عبد الله بن عبد الرحمن السلطاني الاولخاني: من غيَّر شروط أوقافي، أو تصرف فيها خلاف ما شرطت، لُعن في الدنيا والآخرة وألحق بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنـــيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا يقم لهم يوم القيامة وزناً. وشرطت لا يؤجر ما

هو وقف من متعزز وجندي ومن يخاف غائلته، وألاّ يؤجر أكثر من سنة واحـــدة، ولا يعقـــد عقـــد اجـــارة قـــبل انقضاء العقد الأول ولايوفر من الموقوفات شئ بوجه المرسومات لبعض المرتزقة بها مما ذكر، فمن فعل غيـــر ذلـــك فهو ظالم عند الله، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلـــى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم، وذلك في شهور سنة ثمان وخمـــسين وســـبعمائة. كتـــبه أضـــعف عباد الله تعالى أحمد شاه النقاش التبريزي أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة.

وتوجد كتابه على باب المدرسة الخارجي الذي يعد الآن باب الجامع مايأتي[١]:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾

هذه مدرسة رصينة البناء، مشيدة الأرجاء، أنشأها المفتقر إلى عفو الملك المـــنان، مـــرجان بـــن عبد الله بن عبد الرحمان، ابتدأ بها في أيام دولة المخـــدوم المكرم، والنويان الأعظم، السلطان حسن خان أنار الله برهانه، وكملـــت في أيام إيالة ولده النويان الأعظم سر العدالة في العالم، سلطان السلاطين، غاية الدنيا والدين، ومغيث الاسلام والمسلمين، الشيخ أويس،

---

(١) ذكـــر عبادة أن هذه الكتابة انمحى أثرها، ولم يبق منها على الجدار شيء سوى أثر قليل لم يفهم (العقد اللامع ص٣٦٦) وقد نقل الدكتور مصطفى جواد هذا الأثر القليل، فـــإذا به ينقص كلمات كثيرة. وفيه اختلاف عما أثبته المؤلف هنا، نقلا من الآلوسي، وما أثبته عبادة، وبين الآلوسي وعبادة اختلافات غير ذلك. ينظر دليل خارطة بغداد المفصل ص٢٢٠.

لازال هـــذا الملـــك الأعظم ملجأ وملاذاً للأمم، على أن يدرس فيها مذهبي الإمامـــين الهمامـــين، والمجتهدين الأعظمين، الإمام أبي حنيفة النعمان، والإمـــام محمد بن ادريس الشافعي، عليهما الرحمة والرضوان، وذلك في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سـيدنا محمـــد وآله وصحبه أجمعين، بقلم المفتقر إليه تعالى، أحمد شاه النقاش التبريزي عفا الله عن تقصيره.

ومـــن جملة أوقاف هذه المدرسة، الخان المعروف بخان الإورتمه، ويسميه مرجان التيم، ولا يزال قائماً، وعلى بابه كتابة منقوشة في الحجر وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير خلقه محمد النبي وآله وصحبه أجمعين. هذا الخان من إنشاء ذي العمل المبرور والسعي المشكور، مرجان ابـــن عـــبد الله بـــن عـــبد الـــرحمان الـــسلطاني الأولخانـــي (وتقرأ أيضاً الأولجايتـــي)[1] **وقفهـــا على المدرسة المرجانية ودار الشفاء بباب الغربة، والنـــصف للقائمـــة، وتـــل دحيم، ومزرعة بالصراة، وبساتين بالمحربية، وبـــساتين بقرية البرك والرادماز، وبساتين ببعقوبا وبوهريز وبالبندنيجين، وخـــان ودكاكين بالحلبة، وأربع خانات ودكاكين بالجوهرية، وخان بالجانب الغربـــي، ودكان كاغد بالحريم، كما هو محدود ومشروح في الوقفية، وقفاً صـــحيحاً شـــرعياً، تقبل الله من الطاعات في الدارين ونهاية المراد، وكان**

---

(١) ما بين قوسين للمؤلف.

الفــراغ فيه سنة ستين وسبعمائة، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمــد النبي الأمي العربي الصادق، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه وســلم، كتبه الفقير إلى رحمة ربه أحمد شاه النقاش المعروف بزرين قلم غفر الله ذنوبه.

وهــذه المدرسة قد اتُخذ مصلاها مع ما كان معداً لجلوس المدرسين للتدريس مــصلى، ونصب فيه منبر للخطابة، فأصبح جامعاً فقام فيه الجمعة والأعياد ومع الصلوات الخمس.

وكــان هــذا العمل قد أجرى أيام المرحوم سليمان باشا الصغير[١]، زوج عادلة خاتون، أعني سنة ١٢٠٠، وقد أرخ هذه الهدم والإدخال حضرة الفاضــل شــيخ المدرســين الشيخ عبد الله افندي الراوي[٢] بالأبيات الاتية، وهي[٣]:

---

(١) الـصحيح أنــه سليمان باشا الكبير، فالتاريخ المذكور فيما يأتي داخل ضمن سنوات حكمه، ولم يكن زوجاً لعادلة خاتون، على ما تقدم إيضاحه في بعض تعاليقنا المتقدمة. وذكــر عباس بن رجب البغدادي أن في المدرسة المرجانية (أو جامع مرجان) مئذنة أنــشأها الوزير سليمان باشا أبو سعيد (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٣٤) ولا صحة في هذا، فإن مئذنة المدرسة المرجانية ترقى إلى زمن بنائها، وهي جزء أساس في تصميمها، ومن ثم فهي أقدم عهداً من سليمان باشا المذكور، ولا علاقة لها به أو بعصره.

(٢) هو الملقب بفخر المدرسين وقد تقدم التعريف به.

(٣) وهــي بخط الخطاط الشهير نعمان الذكائي بن محمد القادري البغدادي، المتوفى سنة ١٢٢٧هــ/١٨١٢م.

تبارك مَنْ أنشا الأنام وأوجدا	وقيَّض منهم من يُقام به الهدى
ففي كل قرنٍ منه يبدو مجددٌ	حديث أتى عن سيد الرُّسل مُسنَدا
وكان بهذا القرن حقاً مجدداً	وزيرٌ محا رجس الضلالة والردى
فأحيا ربوع العلم بعد دروسها	وكم جامع أحيا وجدد مسجدا
ومُذ بانَ في هذا المكان تخلخلٌ	تداركه فوراً فأضحى مُشيَّدا
هنيئاً له حازَ الثواب لأنه	نوى عملاً لله صِرفاً مُجَرَّداً
وفيه روى الراوي الحديث مؤرخاً	سليمان أضحى عادلاً بل مُجدِدا

١٢٠٠

وهذا الشيخ المومى إليه كان قد جعله الوزير المشار إليه مدرساً في المدرسة المذكورة، واعظاً، وهو صاحبه الذي ألَّف حسب أمره الكتاب في الرد على ابن عبد الوهاب[١].

أما بقية العمارة فهي رصينة محكمة القواعد، يُخيَّل للمطلع عليها أنها قُدَّت من جبل، وبقية الأوقاف التي تراها في الوقفية لم يبق فيها إلاّ أقل قليل لإندارس معظمها، وامتداد يد الغصب إلى قسم غير قليل منها[٢]. ومن المضحك أن يكون الدكان المستخرج من نفس المئذنة ملكاً للأهلين، مع كون المئذنة من أبنية المدرسة ووقفها، فكيف يبنى الواقف أوالوالي أو أي أحد

---

(١) لم نقف على هذه الرسالة ولكن عثرنا على رد عليها كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) في المكتبة القادرية ببغداد تحت رقم ٥٩٩ . كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية، بغداد ١٩٧٧، ج٢ ص٤٤٧.

(٢) وعدا ما وقفه مرجان، فقد وقف موسرون، في العصر العثماني، عقارات جمة على هذا الجامع، أو المدرسة، ينظر عنها كتابنا: معالم بغداد ص١٤٩–١٥٠.

مـئذنة ويجعل في قاعدتها دكاناً داخلاً في أسسها مملوكاً لأجنبي؟ ولكن عدم خوف الله ونسيان عقابه يجعل مثل هذا واقعاً، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله.

أمـا خـان الأورتمه[١] وبعض الدكاكين فلا تزال من أوقافه، ولكن هـناك فـي السوق الواقع شرقي المدرسة ترى دكاكين في داخلها قطع من المرمر مكتوب عليها وقف مرجان، ولكنك متى سألت عنها وجدتها مملوكة لزيد وعمرو من المسلمين والنصارى وغيرهم، فلم أدر بأي حجة أو وسيلة امـتدت أيـدي هؤلاء إليها مع نداء هذه الاحجار بكونها من أوقاف مرجان، ولكن متى علمنا أن المستنصرية مع نُطق الكتابة الموجودة على بابها بكونها المدرسـة المستنـصرية، وأنها من بناء المستنصر بالله، تصبح من أوقاف سـليمان باشـا المشار إليه آنفاً على مدرسته[٢]، فليس من الغريب أن تغدو وهذه الدكاكين ملكا للغير ووقفاً على الكنائس.

أمـا دار الشفاء الذي يقول عنه الواقف بأنه بباب الغربة، فقد اندرس ولا يعلـم موضـعه الآن، ويظـن بعض الناس أنها القهوة المعروفة بقهوة المـصبغة- حانـة الـبُن الواقعة على دجلة، بين الشارع النازل في مدرسة مـرجان، والرصيف العائد الى دائرة المكس، الواقع جنوبي جامع الصاغة- ومنهم حضرة شكري أفندي الآلوسي، وهو وهم وخطأ، فإن باب الغربة ليس

---

(١) أي الخان المغطى، فإن باحته معقودة بالآجر على خلاف أكثر خانات بغداد.

(٢) سـيتحدث المؤلـف عن هذه إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ قضية في مبحث المدرسة المستنصرية.

هنا بل هو عند القلعة في شمالها[1]، والذي يدعم نظريتنا هو أننا لو سلمنا بأن باب الغربة هو جنوبي قهوة المصبغة، لزم أن تكون دار الريحانيين المشرفة

---

(١) نستغرب هذا القول من المؤلف رحمه الله، وهو الذي سبق أن نقل من نص وقفية مرجان أن المدرسة المرجانية (جامع مرجان) وتوابعها ، وهي الخان الكبير المسمى خان مرجان، ودار الشفاء، كانت: "متصلات بعضها ببعض". فدار الشفاء إذن كانت قريبة جداً من المدرسة والخان، أي أنها في نطاق شارع السموأل، المنتهى بشاطئ دجلة، وقول الواقف نفسه أنها تقع بباب الغربة، يؤكد أنها تقع في نهاية هذا الشارع، عند مشرعته المفضية إلى النهر، لأن هذا الباب، كان أول أبواب دار الخلافة العباسية من جهة دجلة، مطل على مشرعته. قال ابن أبي أصيبعة في ترجمة أمين الدين ابن التلميذ أن داره التي سكنها ببغداد" في سوق العطر، مما يلي بابه المجاور لباب الغربة من دار الخلافة المعظمة بالمشرعة النازلة إلى شاطئ دجلة"(عيون الأنباء ص٢٦١-٢٦٢). وتعيين الآلوسي ليس استنتاجاً أو اجتهاداً وإنما مشاهدة لما كان مرئياً في عهده حينما ذكر أن" دار الشفاء اتخذها يهودي حانة بُن وهي الشهيرة اليوم بقهوة المصبغة، وباب الغربة هي شرعة المصبغة" (مساجد بغداد ص٧١)، فدار الشفاء القديمة" بعثرها الزمان" على حد تعبير عبادة (العقد اللامع ص٣٤٥) واليهودي الذي اتخذها حانة بُن، أو مقهى، هي رفقة نورائيل اليهودية، فإنها أجرتها إجارة طويلة ببدل نقدي قدره خمسة ليرات عثمانية، ووقفتها على مدرسة يهودية ببغداد تدعى تلمود تورة. ثم أن النصوص التاريخية تشير إلى دار كانت متصلة بباب الغربة، تسمى دار سوق التمر، وهي دار عظيمة من دار الخلافة مُشرفة على مَشرَعة الإبَريين (معجم البلدان ج٢ ص٤٢١). وقد ترددت الإشارة منذ القرن الحادي عشر للهجرة، إلى خان كبير عرف بخان التمر، يطابق موقعه موقع تلك الدار، ويجاور خان الدفتردار، الذي شيدت على أرضه عمارة الدفتردار، ولا نستبعد أن يكون خان التمر قد ورث دار سوق التمر القديمة، وقد كشفت الحفريات التي سبقت إنشاء=

على سوق الريحانيين[1] الواقعة بباب الغربة بمكان دار أبنية المقتدي[2]، هي الخان الواقع تجاه الجامع، اي خان ابن الخضيري عبد القادر، ولا قائل به.

وثانـــياً: يلزم أن يكون باب المراتب، الذي هو في شرقي الحريم، يبعد عن دجلــــة قـــــدر غَلْوَتـــي ســـهـــم[3]، هـــو فـــوق بنايـــة السينما المعروفة

=عمارة الدفتردار عن أسس ضخمة لمبنى كبير من العصر العباسي، يمكن أن يكون بعـــض أســـس تلـــك الـــدار، وعرفت المشرعة القريبة منه بشريعة خان التمر حتى منتـــصف القـــرن الماضـــي. ينظر: يعقوب سركيس: مباحث عراقية ج١ ص١٢٤ وكتابنا: معالم بغداد في القرون المتأخرة ص٢٣٠.

(١) ســـوق الـــريحانيين، أو ســـوق الـــريحان، واحد من أهم الأسواق ببغداد في العصر العباسي، وكان يمتد من عند باب بدر، الذي شيد الخواجة مرجان مدرسته المرجانية (جامـــع مرجان حالياً)، حتى ينتهي برحبة جامع القصر (جامع الخلفاء الحالي)، فهو يطابـــق ســـوق الشورجة اليوم، وكانت تتفرع منه أسواق عدة، منها سوق العطارين، وســـوق للـــسفطيين، وســـوق للطيوريـــين، وسوق للبزوريين، وخانات، وجميع هذه الأسواق حافظت على وظائفها إلى وقت متأخر، بل إلى اليوم أحياناً، وكان المستظهر بالله العباسي قد أضاف بعض دكاكينه إلى دار كبيرة بدأ بعملها سنة ٥٠٣ وفرغ منها سنة ٥٠٧هـــ، وكان في وسطها بستان، وهي مشرفة على هذه السوق. معجم البلدان ج٢ ص٤٢٠.

(٢) لعلـــه يقصد " المحلة المقتدية التي استحدثها المقتدي بالله"، إلاّ أن هذه تقع عن يسار الطريق المؤدي من المأمونية، (في جنوبي الشورجة الحالية) إلى باب الظفرية (الباب الوسطاني) فلا علاقة لها بباب الغربة أو بمنطقة المدرسة المرجانية.

(٣) قـــال ياقوت في مادة الحريم، واصفاً أبواب دار الخلافة " ثم باب المراتب بينه وبين دجلـــة غلوتي سهم". وباب المراتب بحسب وصفه كان آخر أبواب دار الخلافة، بينما كـــان أولهـــا باب الغربة، الذي" هو قرب دجلة جداً". وإذ قال ياقوت أيضاً أن دار=

بسنترال سينما[١]، أي شرقها، وعلى هذا يجب علينا أن نُعيِّن موضع المدرسة النظامية الواقعة قرب حظائر الحطب، وعلى دجلة، في وسط سوق الثلاثاء، كما يقول ذلك ابن بطوطة وطبقات الشافعية جزء ٣ وابن الاثير ص جزء[٢]، حتى نعلم كيفية سَرَيان النار من المدرسة المذكورة ووصولها الى باب المراتب كما يقول ذلك ابن الاثير ص جزء؛[٣] وإذا كان القول بسريان النار من النظامية إلى باب المراتب على هذا الفرض فيما لو اعتبرنا موقعها بين المستنصرية وبين باب الغربة، غير معقول ولا مقبول، لاستحالة احتراق باب المراتب على هذا من دون احتراق الأبواب التي قبله من باب الغربة وباب سوق التمر وباب البدرية وباب النوبي. أقول: إذا كان هذا مستحيلاً فإن القول بسريان الحريق من المدرسة المذكورة إلى باب المراتب. فيما لو فرضنا وقوعها شمالي المستنصرية، يكون مستحيلاً وغير مقبول من باب

=الخلافة كانت تتخذ هيئة نصف دائرة، يكون باب المراتب في آخر هذا القوس الكبير، ومحلته كانت قريبة من محلة باب البصلية (تنظر رحلة ابن جبير ص١٧٥). وهو الباب الشرقي نفسه، متصلة بمحلة باب الأزج (محلة باب الشيخ وما يليها باتجاه دجلة).

(١) كانت هذه السينما تحتل الجزء المطل على شارع الرشيد من الأرض التي شيد عليها موقف السيارات ذي الطوابق المتعددة في ساحة الأمين (المسماة ساحة الرصافي اليوم). وواضح أن هذا الموقع بعيد تماما عما حدثت عنه النصوص الخاصة بباب المراتب، من حيث قربه من دجلة، وقربه من باب البصلية، ومحلة باب الأزج.

(٢) كذا في الأصل، دون تحديد الجزء والصفحة.

(٣) كذا في الأصل.

أولـــى، وبـــبطلان هذا يتعين أن يكون الحريم غير ما يتوهمه هؤلاء الناس، وإنـــه أولى بأن يكون كما قلنا، وإن باب المراتب الذي هو في شرقي الحريم هـــو فوق البلدية المقابلة للقشلاق العسكرية[١]، ومن المعقول فيما لو احترقت المدرســـة التـــي بفرضنا أنها واقعة شمالي المستنصرية، في محل المدرسة الاعدادية المتخذة الآن محلاً للمحاكم والأوقاف[٢] أن يسري الحريق إلى باب المـــراتب لقُـــربه منها[٣]، وعلى هذا يكون باب الغربة هو باب القلعة الواقع علـــى دجلـــة مـــن الشمال الغربي للقلعة[٤]، ودار الشفاء التي بناها في باب

---

(١) يقـصد المبنـــى الـــذي شغلته بلدية بغداد الأولى، وهو الذي أنشئت عليه دائرة أمانة العاصـــمة (أمانـــة بغـــداد) فيما بعد، ولما أخلتها هذه الدائرة، أصبحت تسمى (مجمع الأدبـــاء) ويشغلها اليوم باعة للكتب، والقشلاق هي القشلة حيث جمعت أغلب الدوائر الرسمية بعد تأسيس الدولة العراقية.

(٢) يقصد المبنى الذي كان يضم دائرة (الدفترخانه) في عهد المماليك، أي دائرة سجلات الأراضـــي وقـــيود الملكـــية، ثم شغلته المدرسة الإعدادية العسكرية، التي أنشئت سنة ١٢٩٦هـــ/١٨٧٩م، فـــي عهد الوالي عبد الرحمن باشا، وكانت مدرسة داخلية، ، ثم انـــتقلت إلى بناية الإعدادية المركزية الحالية. بينما شغلت بنايتها الأولى المحاكم المدنية والجـــزائية، حتـــى تم اخلاؤها في ثمانينات القرن الماضي، وقامت الهيئة العامة للآثار بترميمها ترميماً شاملاً.

(٣) تقدم تعليقنا على موقع باب المراتب ومحلته.

(٤) وهـــو الـــباب الذي أقيمت عنده البوابة الرئيسة لوزارة الدفاع. وقد تقدم تعليقنا على تحديد مكان باب الغربة.

الغــربة هي بموضع دار الشفاء الآن[١]، وقد اندرست فلم يبق لها أثر، وإن القــول بكــون قهــوة المصبغة دار شفاء مرجان ما هو إلاّ كلام مُلقى على عواهــنه، متلقف من أفواه من ليس عارفاً بالحقيقة، ولا عالماً بالتاريخ. وقد صــرح المرحوم محمود افندي الآلوسي[٢] في كتابه غرائب الاغتراب بكون بــاب المعظم الذي أنزل الوالي حموله فيه، ومخيمه، عند ارادته التوجه من بغــداد، هــو بــاب الــشجرة، أي دار الــشجرة، ودار الشجرة هي في دار الخلافة[٣]، وهذا نص أيضاً على كون دار الخلافة هي القلعة لا غير.

---

(١) يــريد بــدار الــشفاء المستشفى العام الذي أنشأه والي بغداد نامق باشا الصغير سنة ١٣١٨هــ/١٩٠٠م، ويقع على طريق المجيدية (شارع مدينة الطب حالياً) في منطقة باب المعظم، وتحتل أرضه اليوم مقتربات جسر باب المعظم، وقسم من مباني وزارة الصحة.

(٢) يريد محمود بن عبد الله أبو الثناء، شهاب الدين، الآلوسي، وقد تقدم التعريف به.

(٣) وكانت داراً قديمة من أبنية المقتدر، قيل سميت بذلك لأنه كان فيها شجرة عظيمة من ذهــب وفــضة في وسط بركة كبيرة مدورة وتماثيل وغير ذلك. قال الحموي (معجم الــبلدان ج٢ ص٤٢١): والذي رأيناه نحن أنها كانت مثل المحلة، بها مساكن ودار، وقــد كــان يسكنها أنساب الخليفة من أولاد الخلفاء بأهلهم كالمحبوسين، يُمنَعون من الخروج منها، ولهم أرزاق دارّة عليهم، وسُمّوا بذلك لأنهم من شَجَرة النسب، فنُسبت الدار إليهم.

أما باب الشجرة فهو باب المعظم نفسه، ولا نعرف سبب نسبته إلى شجرة، ولا نعرف أي عهد عرف الباب بها. وقد وردت في كتاب حديقة الزوراء في سيرة الوزراء لعبد الرحمن السويدي، حوادث سنة ١١٤٠هــ/١٧٢٧م، ص٢٩١.

وإذا كان سور الحريم محيطاً بدار الخلافة، ويفصل بين الحريم والدار سور دار الخلافة، تعين كَون باب الغَرَبة هو ما ذكرنا لا ما يقوله شكري الآلوسي وغيره، وهذا الدليل هو دليلنا أيضاً على أن جامع سوق الغزل ليس جامع القصر، كما يظنه من لا علم له ولا تحليل، لأن جامع القصر واقع بباب المراتب، ولأنه بني بموضع المطامر سنة ٢٩٠ هجرية، أيام المكتفي بن المعتضد، ولأنه واقع في نفس قصر الخلافة[١]، ولذلك يقال له جامع القصر.

وجامع سوق الغزل ليس واقعاً بباب المراتب[٢]، كما اثبتنا لك موقع الحريم وباب المراتب فيه، وليس مبنياً في قصر الخلافة، بل هو بعيد عنه بالبداهة، نظراً لموقعه، ولأن بانيه المستنصر لا المكتفي، ولأن تاريخ بنائه سنة ٦٣٣ لا سنة ٢٩٠[٣]، ولأن جامع القصر صُلِّي فيه علي أبي اسحاق

---

(١) يريد: ضمن دار الخلافة، فإن هذه الدار كانت تضم عدداً من القصور، وليس قصر الخلافة الرسمي، وهو قصر التاج إلاّ واحداً منها، وعلى أية حال، لم يكن جامع القصر داخل هذه الدار، وإلاّ ما أمكن العامة من الدخول إليه، وإنما كان عند الرحبة التي يفضي إليها باب العامة، أحد أبواب دار الخلافة.

(٢) لم يقل أحد أن جامع الخليفة، أو جامع سوق الغزل، وهي مجرد تسمية متأخرة ترقى إلى العصر العثماني، كان يقع في محلة باب المراتب، وإنما كان يقع عند باب العامة، وسط بغداد، كما ذكرنا، والمؤلف هنا يحاول أن يثبت نظريته بأن جامع القصر ليس هو جامع الخليفة المسمى في العهود المتأخرة بجامع سوق الغزل.

(٣) تقدم أن المستنصر أنشأ سنة ٦٣٣ باباً للجامع وكان الجامع موجوداً قبله.

الشيرازي سنة [٤٧٦][١] وعلى وجامع سوق الغزل لم يوجد بعد، وعلى هذا فـإن القول بأنه جامع القصر بسبب تسميته بجامع الخليفة يكون بانيه الخليفة المستنـصر، مـن دون تمحيص وتحقيق، قول غير مقبول، ومخالف للواقع بداهة.

ونـريد الآن أن نحلـل لك مرجان المشار إليه، ونُعلمك مَنْ هو هذا الـرجل، فنقول: إن مرجان[٢] من موالي الشيخ حسن الايلخاني، أو كما عبر عنه في الوقفية الأولجاني، أحـد أُمراء التاتار الذي استقل بحكومة بغداد سنة [٧٦٥][٣]، ولمـا توفي الشيخ حسن المشار إليه، ولي الامر بعده ولده الشاه أويس سنة ٧٥٧، ثم لما توجه الشاه المشار اليه من بغداد إلى تبريز.

ولما توفي – رحمه الله – دُفن في هذه المدرسة، في الحجرة الملاصقة للصفة من شرقيها، الواقعة قبالة الباب الخارجي، الذي عند الدخول منه الى الـصحن يرى الداخل الحجرة المذكورة أمام وجهه، وعلى قبرة قبة مرتفعة، وقبـرة بارز للعيان، وتابوته موضوع في مطمور (سرداب) تحت الأرض، وقـد دفن في جنبيه نعمان أفندي الآلوسي[٤] في مدرسته قبل هذا، وذلك سنة

---

(١) تركها بياضاً في الأصل، وأضفناها من مصادر ترجمته. قال ابن الجوزي" حمل إلى جامع القصر فصلي عليه". المنتظم ج٩ ص٨.

(٢) تولى بغداد مرتين، الأولى من سنة ٧٥٨ إلى ٧٦٥هـ، والأخرى من ٧٦٩ إلى ٧٧٤ هـ. الغـياث البغدادي: تاريخ الغياثي، تحقيق طارق الحمداني، ص٩٠ والعزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص٩٧- ١١٤.

(٣) بياض في الأصل، وأكملناه تاريخ الغياثي ص٩٢.

(٤) تقدم التعريف به.

١٣١٧ هجــرية، وقــد شوهد تابوت مرجان قائماً لم يتغير بعد، ولم يصب بـــأذى. وقـــد كـــان رحمـــه الله من أهل الدين والصدقات، مشهوراً بالتقوى والـــصلاح، ووقفه هذه المدرسة من أدل الأدلة على ذلك[١]، ولذلك نال العفو من مخدومه أويس مع عظم جرمه وذنبه، رحمة الله عليهم أجمعين.

وهذا الجامع تحت إدارة دائرة الأوقاف، وفيه مدرس وخطيب ومؤذن وإمام وخادم، وفيه مكتبة وقفها نعمان افندي الآلوسي،جمع فيها كتبه وجعلها وقفـــاً[٢]، ومُحافظها الآن حفيده إبراهيم افندي ثابت افندي[٣]. ويُدار الآن من قبل الأوقاف، وقد كان يدار قبل هذا من قبل مفتي بغداد.

---

(١) قـــال الغياث البغدادي واصفاً خيرات مرجان وإحسانه وكثرة صدقاته " كان مرجان رجـــلاً خيـــراً استأنف عمارات، وجدد عمارات دائرة من قديم، وأوقف عليها العقار والـــضياع، كما نطقت به وقفيته، ونقر ذلك على جدران العمارات، وكان له خيرات علـــى الفقراء والمساكين، حتى طعمه السنانير والزرازيق وحيتان الشط والطيور من اللحـــم والخبز والشيلم في صحن دار الشفاء، وصحنها على جانب دجلة، وكان ثلثي الوقف لدار الشفاء، والثلث للمدرسة". التاريخ الغياثي ص٩٣.

(٢) قـــال عـــبادة " وقد أوقف جميع كتبه على هذه المدرسة، وهو تتوف على ألفي كتاب متـــنوعة في سائر العلوم، وأغلبها خط" (العقد اللامع ص٣٧١) ووضع لهذه الخزانة فهرســـاً مفصلاً يبلغ عدد الكتب فيه ٢٣٣٩، وهي تتألف من ثلاث مجموعات كبيرة. ينظر كتابه (فهرست مكاتب بغدادالموقوفة) ص٩- ٨٢.

(٣) وقد تولى التدريس في المدرسة بعد ذلك. ينظر الأثري: أعلام العراق ص٦٩ والعقد اللامع ص٣٧٧.

مسجد الملا محمد أو [مسجد][1] باب الآغا

هـو مسجد[2] واقع في محلة باب الآغا، على الشارع العام[3]، على يمـين الذاهب من راس الجسر إلى مدرسة مرجان. وهو مسجد مشتمل على مُـصلَّى صغير، وصفة أمامه، وقد عمرته دائرة الأوقاف حديثاً[4] فاقتطعت مـنه شـيئاً من الجبهة، جعلته حوانيت تستغلها من أجله، وفوقها بناية كبيرة لتكون مكتبة عامة للأوقاف[5]، وعسى ألاَّ تكون كمكتبة الأوقاف التي استولت

---

(١) الزيادة للتوضيح.

(٢) ينسب هذا المسجد إلى دفينه الملا محمد بن ملا سليمان بن عيد بن شاوي بن شعنون بـن ذيب الجبوري، أصله من نواحي الخابور، نزح إلى بغداد، وأقام في هذا المسجد حتـى وفاتـه سـنة ١١٨٥هـ، وله مؤلفات في علوم الشريعة والعربية. عبد الله الجـبوري: مكتـبة الأوقاف تاريخها ونوادر مخطوطاتها، بغداد ١٩٦٩، ص١٠٣-١٠٥. ونوه بمسجده هذا عباس بن رجب البغدادي في كتابه نيل المراد (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٣٨) والأثري في فوائته على مساجد الآلوسي ص١٤٣. قلنا: وكانت عليه كتابة تشير إلى أنه عمر على يد سليمان بن غنام سنة ١٢٥٩هـ/١٨٤٣م. وسليمان هذا كان شيخاً لبعض عشائر شمر في بغداد، ومن أعماله أنه أنشأ مسجداً صغيراً في محلة الشيخ بشار في الكرخ، سيفرد له المؤلف مبحثاً خاصاً به. وقد آثرنا تأجيل التعريف به عند التعليق على ذلك المبحث.

(٣) هو شارع الرشيد.

(٤) في أخريات سنة ١٩٢٦.

(٥) ضمت هذه البناية النواة الأولى لمكتبة الأوقاف العامة في بغداد، وفيها جرى الاحتفال بافتتاحها سنة ١٩٢٨ وبقيت فيها حتى سنة ١٩٣٢م.

علـــيها المعـــارف، وهي التي كانت تسمى مكتبة المرحوم داود باشا[1]، تلك المكتـــبة التي كانت تُعد في بغداد من المكتبات العديمة النضير، بما اشتملت عليه من الكتب الخطية القديمة، والمُحلاة بالذهب، التي لعبت بها الأيدي إبّان الحـــرب العالمية، فتمزقت ايدي سبأ حتى اصبحت لا اثر ولا عين فكأنها ما كانت!.

أقـــول: عـــسى ألاّ تكون هذه المكتبة كأختها فتجمع الأوقاف بعض الكتب من هنا وهنا لتكون بعد أيام قلائل للمحافظين، ولمن يتولى أمر الوقف مـــن المـــسلمين، حتـــى لا تمضى مدة قليلة إلاّ ويصبح ما فيها بعض كتب وأوراق لا يُعـــبأ بها، ولا يُلتفت إليها، ثم تغدو تلك الكتب كأمس الدابر شأن أختها.

وهذا المسجد يدار من قبل الأوقاف، وله إمام ومؤذن وخادم[2].

---

(١) يقـــصد المكتـــبة التي وقفها والي بغداد على المدرسة الداودية التي أنشأها في جامع الحيدرخانة سنة ١٢٤٣هـــ.

(٢) جـــدد ســـنة ١٣٨١هـــ/ ١٩٦١م، ثم جدده سنة ١٩٩٨م أحد الصالحين من وجهاء كبيسة تجارها، فأضيفت إلى مصلاه مساحة جديدة كانت على يمينه، وجعلت في سقفه فـــتحة للإضـــاءة وأحيطت بنوافذ عدة لحماية المصلى من مياه الأمطار، وكانت ثمة حجرة في صدره أضيفت مساحتها إلى المصلى المذكور أيضاً، وبني له محراب جديد مـــن الجـــص، خال من الزينة، ثم قامت الأوقاف مؤخراً بإصلاحات أخرى شملت المتوضأ وغيره، وقد زرنا هذا المسجد، محقق هذا الكتاب والسيد زين النقشبندي في ١٤ حزيـــران ٢٠٠٦، فوجدنا قد ثبتت لوحة من الخشب فوق بابه كتب عليها عبارة (مـــسجد الحديثـــي) ولم نعرف من هو الحديثي هذا، وسألنا القائمين على المسجد فلم يعرفوه هم أيضاً، وما زال هذا المسجد عامراً بالمصلين.

تكية البدوي أو مدرسة البدوي

هـي في الأصل تكية[1] كانت الأذكار تقام فيها أيام الجمع ولياليها، فيجتمع فيها بعض من يقال لهم دراويش، يضربون الدفوف ويلعبون بالحديد، أي يـضربون أنفسهم بالحراب وغير ذلك، وقد وضعت الأوقاف يدها عليها بعـد ذهاب الحكومة العثمانية، ووقوعها على الشارع العام بعد اجراء الهدم

(١) عـرفت قـديماً بتكية السيد كاسب الرفاعي، ورد في وقفية إبراهيم باشا والي بغداد المـؤرخة في ١٥ رجب ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م أنه وقف أرضاً خالية في محلة صاري بك محدودة بتكية الشيخ كاسب وبستان فتحي، على تكية الشيخ كاسب أفندي بن السيد يعقـوب مـن ذرية السيد أحمد الرفاعي، الذي دفن فيها، ثم عرفت هذه التكية بتكية الـبدوي، واشـتهرت في العهود الأخيرة بتكية أبي شيبة، وتقع قريبة من عمارة بيت لـنج، مطلة على شارع الرشيد. وقد توارت هذه التكية خلف بعض المباني حيناً من الدهر، وحينما كشف عن وجودها سنة ١٩٦١ أثار القبر ضجة في بغداد، وتقاطر إليه الـزوار، فأنشئت فوق حجرة القبر، في ستينات القرن العشرين، وهي ذات قبة قديمة معقودة بالآجر، وفي أعلاها كوة تنفذ إلى عدة نوافذ عليا، عمارة حديثة بطوابق عدة، عرفت بعمارة وقف البدوي، وللحجرة باب من الحديد على شارع الرشيد، وباب آخر من داخل العمارة المذكورة، المقابل للشارع المجاور. وتوجد على حجرة القبر لوحة من الرخام كتب عليه بحروف بارزة أنه قبر" السيد كاسب بن السيد يعقوب بن السيد شعبان عليه الرحمة والرضوان بن السيد محمد بن السيد أحمد الرفاعي الحسيني قدس سـره الكاظمي في محلة صاري بيك سنة ١٠٩٤". قلنا: فهذه إشارة فريدة إلى تسمية هـذا الموضـع من بغداد بهذا الإسم، إذ لم تعرف محلة بالاسم المذكور في غير هذه المناسبة.

ومـــد الشارع من مدرسة مرجان الى جامع السيد سلطان علي، فعمرتها بأن إقـــتطعت فـــيها ما هو واقع على الشارع العام، وعلى الفرع النازل منه الى ملـــك عـــبد القادر، وله دكاكين تستغلها، وجعلت فوقها بناية اتخذتها مركزاً لإدارتها. وجعلت داخل ذلك مسجدا صغيراً وعينت فيه أحد الطلبة، وهو منلا عـــبد القـــادر أفـــندي، قارئ القرآن في الفواتح، مدرساً يدرس اللغة العربية والفقه ويصلي فيه أيضاً، وهذه واقعة على يمين الشارع العام[١]، وراء بناية شركة لنج الانكليزية[٢]، يفصل بينهما الطريق النازل من الشارع الى أملاك ابن دلّه وداره[٣]، وتدار الآن من قبل الأوقاف.

---

(١) يريد: الشارع الذي سمي فيما بعد بشارع الرشيد.

(٢) كانـــت هذه البناية خاناً قديماً، ثم آل إلى شركة استيفان لنج، التي كانت تقوم بأعمال التجارة ونقل البريد، فهدمته وأنشأت في أرضه بناية كبيرة سنة ١٣٣١هـ/١٩١٢م، عرفت ببيت لنج.

(٣) يـــريد دار التاجـــر الوجيه عبد القادر جلبي دلة(المتوفى سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م)، وكان قد اشتراها من ميرزا هادي الفارسي، وتقع مقابل عمارة شركة لنج سابقاً. وهو الذي أنشأ الخان الكبير المشهور بخان دلة سنة ١٣٢٢هـ/١٩٠٤م.

مسجد السيد ياسين

هــو مــسجد واقــع بالقرب من التكية الخالدية شرقها[١]، في الدرب الصاعد من شارعها المسمى شارع النهر إلى الشارع العام[٢]، ويسمى بذلك نــسبة إلى السيد ياسين الأعرج الذي يدعي أنه من الراويين، وكان قد اتخذه داراً يسكنها، وله من الأوقاف دكاكين واقعة على شارع النهر وراء الطريق الــنازل إلــى دجلة، والمؤدي إلى بيت درويش افندي الحيدري وشركة داود ساســون. وبــسعى الــسيد أحمد المشهداني متولي التكية الخالدية بن السيد إبراهيم[٣] وضعت الأوقاف يدها عليه وعلى وقفه، وعينت فيه إماما وخادماً، وهو يدار الآن من قبل الأوقاف[٤].

(١) فــي فوائت الأثري على مساجد الآلوسي ص١٤٣ أنه" مسجد صغير في محلة رأس القرية على مقربة من جامع الأحسائي".

(٢) يريد: شارع الرشيد.

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) نقض ونقلت جهة الإمامة إلى منطقة سرجنار من أعمال السليمانية.

مسجد...[١]

هــو واقــع فـــي سوق الصفّارين[٢]، على يمين السالك من السوق المذكور إلى السوق المعروف بسوق الزنـجير[٣]، وسوق الخياطين الذي عنده خـــان الـــزرور[٤]، وهـــو علـــى يميـن الســالك، مشتمــل علـــى

---

(١) كـذا في الأصل، دون ذكر اسمه، والغالب على الظن أنه يقصد مسجد السكة خانه، الذي وصفه الأثري في فوائته على مساجد الآلوسي ص٣١٨ بقوله" عبارة عن مصلى صغير فقط يقع بين سوق الصفارين وخان مرجان" . ولاحظ عبادة أن" بناءه يدل على قدمه"(العقد اللامع ص٣١٨).

(٢) هو سوق الصفافير.

(٣) ويــسمى اليوم سوق الزنجيل، وهي السلسلة، وهو درب كان معروفاً بهذا الاسم، أي درب السلسلة منذ العصر العباسي، ويتعامد هذا السوق اليوم مع سوق الخفافين، مقابل خـــان الــباجه جي. وقد عينت تسميته قدمه منذ ذلك العصر، ومن ثم أصبح سبباً في معــرفة أسماء ما كان قبله وبعده من الدروب، قال ابن عبد الحق (مراصد الاطلاع ص ١٢٧٠) فـــي مـــادة درب المسعودة " درب نافذ به دروب غير نافذة، ينفذ إلى درب دينار الصغير" ودرب دينار الصغير هو نفسه سوق الخفافين، أو درب البزازين كما يسمى أيضاً، وسوق السلسلة، أو سوق الزنجيل في نهايته، أو في منفذه إلى سوق الــصفافير، فــدرب المــسعودة إذن هـــو سوق الصفافير لا محالة. كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد ص٤٧.

(٤) خان قديم، يرقى إلى عهد السلطان سليم الثاني (٩٧٤- ٩٨٢هـ) كما هو مثبت على لـــوحة من الآجر المزجج فوق مدخله، وعرف باسمه هذا لاختصاص باعة الأزرار به، ويسمى أيضاً بخان الدكمة، وكلا الاسمين بمعنى واحد.

مصلـــى صـغيـــر وصُفّـــة صـغيـــرة، وهـــو تحـــت ادارة الأوقـــاف، فيـــه إمـــام وهو خادم أيضاً.

جامع العدلية الصغير

هـــو جامـــع صـغيـــر واقـــع علـــى يســـار الســـالك مـــن ســـوق الـــصفّـــاريـــن إلـــــى طـــــريـــق الجـســـر، عنـــد منتهـــى الـــدرب[١] الـــواقـــع أمـــام بنـــايـــة مطبعـــة الحكـــومـــة[٢].

وهو جامع مشتمل على مصلى، وصُفّة أمامه، وحجرتين عند مدخل الـــباب على يسار الداخل متجهة بابهما نحو القِبلة. ويدار هذا الجامع من قبل المتولي الذي يلي أوقاف جامع العادلية الكبير، وهو أيضا من أبنية المرحومة

(١) دخـــل معظـــم هـــذا الدرب في أرض موقف السيارات ذي الطوابق، المسمى مجمع الرصافي، وكان جامع العادلية الصغير يقع في محلة تسمى (الدنكجية) قريباً من جسر بغداد الوحيد آنذاك (وقد أنشئ عنده فيما بعد جسر الشهداء الحالي) وقد وصفه الحاج أمين المميز كما رآه في صباه بما يأتي " هو يتكون من الحرم (يريد المصلى أو بيت الـــصلاة) والطارمـــة الـــواقعة أمامـــه، وغرفة الإمام/ وغرفة الخادم والمرحاض، وتتوســـطه حديقة صغيرة فيها ثلاث نخـــلات" (بغداد كما عرفتها، بغداد ١٩٨٥، ص ٩٠). ويـــسمى هذا الجامع أيضاً: جامع الدنكجية، نسبة إلى محلته. عباس بن رجب البغدادي: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٤٥.

(٢) هـــي البناية التي شغلتها من قبل وزارة المعارف (التربية) قبل أن تنتقل هذه الوزارة لتـــشغل الدار الرسمية لإقامة ولاة بغداد، والمسماة بـــ(بدائرة الحرم)، فشغلت البناية بعدها مطبعة الحكومة، وهي اليوم متحف للموروث الشعبي البغدادي.

صاحبة الخيرات عادلة خاتون[١] بنت الوزير فاتح همدان أحمد باشا، وزوجة المـــرحوم الوزيـــر الخطير سليمان باشا صاحب الخيرات رحمه الله عليهم أجمعـــين. وكـــان قـــد تداعـــى للسقوط فعمَّره متوليه إذ ذاك إبراهيم افندي المعروف بالمميز بن صالح بك، وذلك في سنة ١٣١٨[٢] هجرية، فغدا جامعاً تقـــام فيه الجمع والجماعات، ومن الجوامع الحسنة لما اشتمل عليه من حسن البـــناء وجمـــال الوضع، وعين فيه إمام وخطيب ومؤذن وخادم، وهو تحت ادارة المتولى أحد أولاد إبراهيم افندي المميز المذكور[٣].

---

(١) تقـــدم التعريف بها في مبحث جامعها الكبير، وهذا الجامع أسسته لروح والدتها كلرخ خانم، كما دلت عليه أبيات تركية كانت عليه، وذلك سنة ١١٦٠هـ/١٧٧٤م، وأتمت بـــناءه في سنة ١١٦١هـ/١٧٧٥م، على ما ورد من شطر التاريخ في أبيات عربية، كتبت على رخامة فوق بابه، وأخرى بالتركية على رخامة وضعت فوق باب مصلاه، وهـــذه الأبيات بخط الخطاط المجود إسماعيل بن مصطفى الأنوري البغدادي المتوفى ســـنة ١١٨٩هـــــ/١٧٧٥م. وقـــد أورد هذه الأبيات الالوسي: مساجد بغداد ص٥٤ وعبادة: العقد اللامع ص٢٧٣- ٢٧٤.

(٢) ويوافق أولها ١٠ أيار ١٩٠٠م.

(٣) فـــي سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م قام متولو الوقف بإنشاء جامع جديد أكثر سعة، وأفخم بناءً، على قطعة أرض نستان الصرافية، تبلغ مساحتها ٢٨٧٣ متراً مربعاً، والبستان من أوقاف عادلة خاتون أصلاً، فعرف هذا الجامع باسم هذه السيدة المحسنة، وأنشئت إلـــى جانبه قاعة كبيرة للمناسبات الدينية والاجتماعية، وتوبت وزارة الأوقاف إدارة الجامـــع بعد تصفية الوقف. ينظر كتابنا: عادلة خاتون، صفحة من تاريخ العراق ص ٤٠.

وقد سببت تولية هذا الجامع والجامع الكبير الذي تقدم ذكره القتل بين أولاد ابـــراهيم افندي وأولاد ابن أخيه عبد الوهاب افندي، ويخشى أن يأول الأمر إلى انقراض هؤلاء المساكين بسبب القتل الذي سببته الأطماع.

وقد كانت على باب هذا الجامع حجر من المرمر مكتوب عليها أبيات طمس بعضها وبقى البعض، أما ما بقي فهو هذا، وذلك بعد بيتين منها.

لقـــد أشـــبعتها الحادثـــات وردهـــا	إلى صدف الأجداث[1] بعد السنا الردى
فعمـــر أهلـــوها لهـــا أي مـــسجدٍ	علـى غـير تقـوى الـرب لـن يتـشيدا
أمـــان ولا خـــوف ورشـــد ولا عمـــى	وخـــير ولاضـــر بـــه أشـــرق الهـــدى
فـصفوا بـه صـفو القلـوب ولم يـزل	تـــراه لأبـــصار المـــصلين أثمـــدا
فلمـــا زهـــا بنـــيان بـــاب دخـــوله	لـنا وجلـى مـاه لظمـآن مـن صـدى
هـــناك اقتبـــسنا مـــنه للذكـــر أرخـــوا:	لرب السما الهادي ادخلوا الباب سُجَّدا

١١٦١

وهـــو تـــاريخ بـنائه الأول كما ترى، وكان تعميره قبل الجامع الكبير بسبع سنوات كما ترى من تاريخ الجامعين، وقد جعلت هذا مسجداً[2] وذلك جامعاً.

---

(١) في العقد اللامع ص٢٧٤: إلى صدف الأحداث.

(٢) هكـــذا في نص وقفيتها التي أوردها عبادة (العقد اللامع ص٢٨٣)، ولكن سرعان ما صـــار المسجد جامعاً، وبهذه الصفة ذكره عبادة نفسه، والآلوسي، وعباس بن رجب البغدادي.

وادارة هــذا مثل ذلك من قبل المتولي الذي يدير أوقافه، ويأكل فاضل الغلّة هو وبقية المرتزقة من ذرية محمد بك[١].

جامع العاقولي

هــو [الــ]جامع الواقع قرب محلة الحيدرخانة، في المحلة المعروفة بمحلة العاقولية[٢]، في الدرب النافذ[٣] الى دار السيد محمود افندي الآلوسي[٤] التـــي صـــارت مدرسة التفيض[٥]، على يسار المار في الشارع العام[٦] الى المدرسة المذكورة، وهو حد من حدودها الجنوبية[٧].

---

(١) يقـــصد محمـــد بـــك بن إسماعيل بك بن محمد صالح بك بن عبد الرحمن باشا والي شهرزور، والأخير هو الأبن الأرشد لعمة الواقفة فاطمة خاتون بنت والي بغداد حسن باشا.

(٢) ويسمى أيضاً جامع العاقولية نسبة إلى المحلة التي اكتسبت اسمها منه أصلاً.

(٣) ويسمى درب العاقولية، وكان يسمى في العصر العباسي بدرب الخبازين.

(٤) يريد أبا الثناء محمود الآلوسي، وقد تقدم التعريف به.

(٥) نقـــضت دار السيد أبي الثناء وشيدت في أرضها مدرسة التفيض الأهلية، وقد شغلت مبنى هذه المدرسة فيما بعد متوسطة الرشيد، وتقع في درب العاقولية، وهي اليوم في آخره، يطل جانب منها على شارع الخلفاء.

(٦) هو شارع الرشيد كما سمي فيما بعد.

(٧) هـــو يحمل، بحسب الترقيم الجديد، الرقم ٥ من الزقاق ١٠، وهذا هو درب العاقولية الرئيس، من المحلة ١١٢ حي الرشيد.

وهو مسجد قديم العهد[١]، مشتمل على ساحة واسعة، ومصلى واسع، على شمال الداخل أمامه رواق بطول المصلى. وبشرقي المصلى ملاصقاً للجدار الواقع على الدرب تربة فيها قبر جمال الدين عبد الله بن محمد العاقولي مدرس المستنصرية المتوفى سنة ٧٢٨[٢] هجرية، وعندها مئذنة بيضاء، وعلى يمين المصلى مصلى صغير للشافعية.

---

(١) ينظر عنه الالوسي: مساجد بغداد وآثارها ص ٤٦- ٤٨ وعبادة: العقد اللامع ص ٢٢٩- ٢٣١ وعباس بن رجب البغدادي: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٣٣، وما زال هذا الجامع عامراً.

(٢) هو عبد الله بن محمد بن علي بن حماد بن ثابت الواسطي، جمال الدين العراقي، المعروف بابن العاقولي. ولد في رجب سنة ٦٣٨ وسمع الحديث من عبد الرحمن بن فويره مشيخته وغيره، ومهر في العلم والفقه والفتيا، ودرس بالمستنصرية، وأفتى وحدث أكثر من ستين سنة، وقيل سبعين سنة، ورزق الحظوة في فتاويه، وعين لقضاء القضاة فلم يقبل، وفي سنة ٦٧٤ رتب مدرساً في مدرسة زمرد خاتون المجاورة لتربتها بقرب قبر معروف الكرخي، ثم قلده قاضي القضاة ابن الزنجاني سنة ٦٨٣ القضاء نيابة عنه، زأضاف إليه الحسبة، وفي سنة ٦٨٤ أعيد إلى مدرسة زمرد خاتون، وتولى التدريس أيضاً في المدرسة البشيرية التي أنشأتها إحدى نساء الخليفة الشهيد المستعصم بالله في الجانب الغربي من بغداد، وقال التقي الفاسي: كان عالماً فاضلاً شجاعاً قوي النفس آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، أعطي حظاً في الفتوى حتى لوكتب على الفتوى جميع من بالعراق لم يلتفت إلاّ لخطه، وكان عليه من الهيبة والوقار ما ليس لأمثاله. وقال ابن كثير: كان قوي النفس، له وجاهة في الدولة، كم كشفت به كربة عن الناس بسعيه وقصده، وتوفي في يوم الأربعاء ٢٤ شوال سنة ٧٢٨هـ ببغداد، ودفن بداره التي وقفها على شيخ وعشرة أيتام يتلقنون القرآن بمحلة درب الخبازين، وهذه الدار هي التي آل بها الأمر إلى أن تكون جامعاً ينسب إلى=

وهـذا الجامع هو في الأصل دار المومى إليه الشيخ عبد الله، وكان قد وقفها على أن يُقرأ فيها القرآن على شيخ يقرئهم إياه، ووقف عليها جميع أملاكه، فلما توفي دفن فيها.

وفي في شماله منارة مبنية بالآجر والجص دون زخرفة وكاشاني[1].

وفـي شـماليه أو غربيه عرصة كبيرة، فيها باب ينفذ إلى الدروب الغربية بالنسبة له، فكأنه ذو بابين، باب عند القبر[2]، وباب تجاهه. وقد أدركته خربة إلاّ المـصلى والتربة ومصلى الشافعية. والظاهر من الكتابات التي عليه أنه اعتورته نوائب، وخرب عدة مرات، فاصلحه أرباب الخيرات من الولاة، فقد دلـت الكتابات التركية التي كانت على جدارنه أن محمد باشا والي بغداد قد عمـره وأصـلحه سنة ١٠٩٥[3] ، وهذا الوالي كان قد ولي بغداد قبل ولاية

=صـاحبها ودفيـنها ابـن العاقولي. وتنظر ترجمته: كتاب الحوادث المنسوب لابن الفوطي ص٤٢٢ و٤٧٨ و٤٨٣ وعبد الوهاب السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ج٦ ص١٠٧ والتقـي الفاسي: منتخب المختار المذيل به على تاريخ ابن النجار، بتحقيق عـباس العـزاوي، ص٧٤ وابـن حجر: الدرر الكامنة ج٢ ص٢٩٩ وابن العماد: شذرات الذهب.

(١) مـن مآذن بغداد القديمة القائمة، وهي تشبه مئذنة المدرسة المرجانية، ومئذنة جامع النعماني الزائلة، والراجح أنها ترقى إلى عصرهما، وهو القرن الثامن للهجرة.

(٢) وهو الباب الرئيس الذي ينفذ إليه من درب العاقولية.

(٣) هـذا التاريخ داخل في سني ولاية إبراهيم باشا (١ جمادى الأولى ١٠٩٢- ١ شوال ١٠٩٥هـ/١٦٨١- ١٦٨٣) أو في ولاية عمر باشا الثانية (١ شوال ١٠٩٥ – ٣ ذي القعدة ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٣- ١٦٨٦م). كتابنا: الأسر الحاكمة ص ٥٨- ٥٩، فمحمد=

الوزيـــر الخطير حسن باشا والد أحمد باشا، ثم أصلحه وعمره سليمان باشا والـــي بغداد[١] الذي وليها بعد ذهاب أحمد باشا، وهو المعروف بكتخدا أحمد باشا، وذلك سنة ١١٦٣، حينما صار والياً، وكان قد وليها من السنة المذكورة إلـــى سنة ١١٧٥. ثم أصلحه عمر باشا أيضاً أيام ولايته، وكان هذا قد ولي بغداد من سنة ١١٧٧ إلى سنة ١١٨٩ هجرية[٢]. وقد أدركته وأنا شاب خربة لانهدام المصلى وبقاء الرواق وحده متداعياً، حتى تولى بغداد نامق باشا الذي صـــاهر الآلوســيين بتزوجه بنت نعمان افندي الآلوسي[٣]، فاستحصل ارادة ملكية[٤] من المرحوم السلطان عبد الحميد ببنائه، فبنى من أسسه مجدداً أحسن بناء وأتقنه، فبنى مصلاه، وشيَّد عليه قبة قائمة على [أربعة][٥] أعمدة الرخام، وعقــد أمام رواق بالآجر والجص، وجددت التربة، وفرشت أرضه بالآجر، وطليت جدارنه بالجص والنورة والبورق، ودهنت سواريه [وخشبه][٦] بالدهن

=باشـــا هــذا لـــم يكن والياً، وإنما " أحد أمراء الدولة ورجالها" على ما ذكر محمود شكري الآلوسي: مساجد بغداد ص٤٦.

(١) هـــو ســـليمان باشا، أول ولاة المماليك في بغداد، والمعروف بأبي ليلة، وقد تقدمت الإشارة إليه، وإلى مدة حكمه، غير مرة في هذا الكتاب.

(٢) فـــي الأصل: ١١٨٦، والصحيح ما أثبتناه، فإنه تولاها من أواسط ١١٧٧ إلى أواخر ذي الحجة ١١٨٩هـ/١٧٦٣- ١٧٧٥م)

(٣) تقدم التعريف به وبمصاهرته هذه.

(٤) في مساجد الآلوسي: أمراً سلطانياً، وهو التعبير الأكثر دقة.

(٥) الزيادة من مساجد الآلوسي.

(٦) الزيادة من مساجد الآلوسي.

المائـــي[1]، وفرغ منه في سنة ١٣٢٠ هجرية، وفتح باحتفال عظيم حضره الوالـــي المـــشار إلـــيه والعلماء والأشراف والأعيان، وذلك في يوم الجمعة لخمـــس عـــشرة لـــيلة مضت من رمضان من السنة المذكورة، واقيمت فيه الجمعة، وذلك بعد أن فُرش بالحصر والبسط والزلالي الحسنة.

ولـــم يـــزل الجامع المذكور تقام فيه الصلوات الخمس جماعة، وكذا الجمـــع والأعياد، غير أن الرواق الغربي الذي كان للشافعية بقي خراباً، أما القبـــر الـــذي فيه الشيخ المذكور فهو ظاهر عليه صندوق خشب تعلوه قبة، وعلى الصندوق كتابة هي ما يأتي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّـــذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ* أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

هذا ضريح المفتقر إلى الله تعالى عبد الله بن محمد بن علي العاقولي، ولد في رجب سنة ثمان وثلاثين وستمائة، وتوفي يوم الأربعاء رابع عشر من شـــوال سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وسلم.

---

(١) نرى أن تصميم الجامع يرقى إلى عصر إنشاء مئذنته، وهو القرن الثامن للهجرة (١٤ م) كمـــا ذكرنا، أي إلى عصر قريب من وفاة ابن العاقولي، وأن الترميمات المستمرة لـــم تغيـــر من هذا التصميم في شيء، ومنها ما قام به والي بغداد نامق باشا على ما يصفه المؤلف هنا.

هــذا ما هو مكتوب على الصندوق، ولكن العلماء اختلفوا في تاريخ وفاته كما اختلفوا في تاريخ ولادته، فقد ذكر السبكي في طبقات الشافعية أن ولادتـــه ســـنة ثــلاث وثمانين وستمائة، وأن وفاته في ذي القعدة سنة ثمان وعــشرين وسبعمائة. وذكر في مختصر ذيل ابن النجار أن مولده سنة ثمان وثلاثين، ووفاته في يوم الاربعاء رابع والعشرين من شوال سنة ثمان وعشرين وســبعمائة. وذكر صاحب الشذرات أن مولده في رجب سنة ٦٣٨ ووفاته في شــوال ببغداد عن تسعين سنة من العمر وثلاثة اشهر، وأنه دفن في داره التي وقفها على شيخ وعشرة صبيان يقرأون القرآن، وأنه وقف عليها أملاكه كلها، رحمهـــةالله تعالى عليه، والظاهر أن الصحيح ما قاله صاحب الشذرات لاتفاقه مع صاحب مختصر ذيل تاريخ ابن النجار في المولد والوفاة[١].

أما الشيخ المومى إليه فقد ولي تدرس المستنصرية مدة أربعين سنة، ونظـــر في وقوف بغداد، ثم عين لقضاء القضاة فأبى وعكف على التدريس والافــتاء مـــن ســـنة سبع وخمسين وستمائة حتى توفاه الله. وهو من علماء الشافعية المبرزين، وله وجاهة في الحكومة، فكم كشف بمساعيه من الكرب، وكانـــت رئاســـة العلماء الشافعية قد انتهت اليه، وهذا هو غير الشيخ محمد العاقولـــي لأن ذلك حفيده، وقد دفن في المقبرة الشونيزية في الجانب الغربي من مدينة السلام.

(١) تقدمت الإشارة إلى تعيين مواطن ترجمته في هذه المصادر.

وفـــي الجامـــع المذكور على يمين الداخل الى الجامع حجرة مُعدة للـــسقاية، فـــيها أواني الماء (حبوب)، وفي الحجرة شباك مُطِل على الطريق يتناول منه العطاشى الماء بأكواب النحاس[1].

وكان قد أزمع على تحرير ما يلي حينما كمل تعميره الأخير، ولكن عـــزل نامـــق باشـــا حال دون كتابة ذلك على الحجر الذي أريد وضعه في الجدار، أما ما كان المراد تحريره في الحجر حفراً فهو[2]:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَـــا يَعْمُـــرُ مَـــسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـــئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

أمـــر بعمـــارة مـــصلى هـــذا المسجد المبارك المعقود على دعائم أربع من الـــرخام، مـــع رواقه البديع النظام، وهو مسجد شيخ الإسلام الإمام العارف

---

(١) أنشأت هذه السقاية السيدة عطية خاتون بنت محمود آغا بن عبد الله سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م، ووقفت عليها داراً في محلة جديد حسن باشا، وشرطت غلتها على إصلاح الـــسقاية وتـــرميمها، وأوكلت التولية إلى إسماعيل أفندي بن الحاج سليم بن أمين بن شـــعبان، وجعلت النظارة عليها للعلامة السيد نعمان خير الدين الآلوسي، ولما جرى نقـــل التخصيـــصات الوقفية لهذه السقاية إلى سقاية جامع عثمان أفندي، أنشأ محمود جلبي الشابندر سقاية في نمائها، وذلك بموجب الإعلام الشرعي المؤرخ في ١٦ صفر ســـنة ١٣٣١هـــ/١٩١٢م. ولم يبق للسقاية اليوم أثر، وقد علمت ممن عاصرها أنها زالت في الأربعينات من القرن العشرين. تاريخ مشاريع مياه الشرب ص١٢٧- ١٢٨.

(٢)هـــذا يتفق ما ذكره الآلوسي، ولكن الذي في العقد اللامع أن هذه الكتابة حررت فعلاً على الباب بالحجر الكاشاني.

بالله الشيخ عبد الله العاقولي عليه الرحمه والرضوان، إمام المسلمين وأمير المؤمنين الغازي عبد الحميد خان بن السلطان عبد المجيد خان، خلد الله دولته على تعاقب الأزمان، وذلك سنة عشرين بعد الثلثمائة والألف هلالية، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين وسلم تسليماً.

ولهذا الجامع إمام وخطيب ومؤذن وخادم للسقاية وخادم للجامع، وهو تحت إدارة دائرة الأوقاف، مُنار بالكهرباء، وأجري له الماء بالأنابيب[١].

---

(١) وقف عناية الله الصايغ بن الشيخ علي العاقولي (يظهر أنه من ذرية الواقف الأول) أراض كثيرة تتألف من مساحتين من الأرض، الأولى الأرض الواقعة بين المدائن شمالاً حتى دير العاقول (تلول الدير فوق العزيزية) جنوباً،وتشمل سبعة كرود (جمع كرد وهو آلة رفع الماء) عند مرقد الصحابي سلمان الفارسي، ثم تمتد جنوباً فتصل إلى (الصافي) وهو منعطف في دجلة يبعد عن تلول الدير بنحو عشرين كيلومتراً، ثم تمتد بعرض أوسع فتشمل منطقة الأهوار المحاذية للنهروان، ثم يقرب الوقف من دجلة، حيث دير العاقول، بينما تتألف المساحة الثانية من أرض فسيحة تمتد إلى آخر مصب النهروان في دجلة (تلول الشاعورة حالياً) بموجب وقفيته المؤرخة في ٢٦ رجب ١٠٥٣هـ/١٦٤٣م. وقد حققنا هذه الوقفية ونشرناها في بحثنا: دير العاقول حيث صرع المتنبي، دراسة تاريخية طبوغرافية، مجلة الحكمة، تصدر عن بيت الحكمة في بغداد، العدد ٤٠، السنة ٨، ٢٠٠٥، ص١٠١-١١١. وذكر عبادة أن من أوقافه دكاكين في سوق خرطوم الفيل، أي سوق باب الآغا. العقد اللامع ص٢٣١.

مدرسة الطبقجلي

إذا سِـرتَ فـي الشارع في العام، من فم الدرب المؤدي إلى جامع الشيخ العاقولي، متجهاً إلى الغرب، وجريت قدر عشرين خطوة، رأيتَ درباً علـى يمينك موازياً لدرب العاقولي، فإذا سَلَكته وسِرتَ قدر عشر خطوات، رأيت داراً على يسارك بابها كبير عال، تلك هي مدرسة العالم الفاضل الشيخ الطبقجلي[1].

---

(١) لم يذكر اسمه، وهو السيد محمد بن أحمد بن إسماعيل بن خليل بن إسماعيل الحموي الحديثـي الأصـل، ثـم البغدادي، الحسيني النسب، عرف أبوه بالطبقجلي من شكل عمامته (طبق عربية معروفة، وجه أداة تصغير بالتركية)، إذ كان عالماً مفتياً، وترجم المؤلف لابنه محمد، وهو واقف هذه المدرسة، فقال أنه ولد سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م، وأنـه تلقـى هو العلم على أبيه وغيره من علماء بغداد، واشتغل بالتأليف والتدريس، فـدرس فـي المدرسة العلية مدة من عمره، ثم لازم التدريس في داره، فتخرج عليه كثير من الطلبة، ثم أنه " وقف داره الواقعة في محلة العاقولية فجعلها مدرسة ووقف كتـبه تلـك الكتب عديمة المثال، الحاوية لما لم تحوها مكتبة أحد من الأمثال، وجعل فـيها مدرسـاً الشيخ داود [بن سلمان آل جرجيس] النقشبندي، ورتب له من أملاكه معاشـاً.. أمـا بيته الموقوف مدرسة فسكن فيه ولده الشيخ محمد، وجعل الديوانخانه (بـيت الضيوف) محلاً يجلس فيه عصراً وعشاءً لقبول الزائرين، وأما كتبه فقد لعبت فيها الأيدي حتى أصبحت المدرسة منها بلاقع". قلنا: وقد بلغ عدد ما وقفه من الكتب (٢٨٥) مجلـداً بحسب الوقفية التي سجلت في ١٢ رمضان ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م، وقد وضـع لها السيد نعمان خير الدين الآلوسي فهرساً لها، ولكن عدد الكتب التي ذكرها الفهـرس لم يزد على ٢٤٢ كتاباً (فهرست مكاتب بغداد الموقوفة، بتحقيقنا، ص٨٤-٨٨)، وحينما نقلت محتويات المكتبة إلى مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، لم يكن قد=

جامع الحيدرخانة

إذا سرتَ في الشارع العام[١] من عند رأس الجسر، متوجهاً إلى جهة الميدان، رأيتَ على يمينك قبة عالية في السماء، مزينة بأنواع النقوش الكاشانية بصورة تبهر اللُّب وتستوقف النظر، عندها مئذنة تضاهيها بهاءً ورونقاً، أسفلهما باب قد رُصِّع بالفسيفساء، وزُيِّن بأنواع الأحجار المُصبَّغة بأحسن الأصباغ، والمنقوشة أبدع نقش بالكاشاني، ذلك هو الجامع المشهور بجامع الحيدرخانة[٢].

=بقي من الكتب غير ٧٧ كتاباً فقط، ولا تخلو من نوادر. تاريخ الأسر العلمية ص ١٤٠- ١٤١. ونوه بهذه المدرسة أيضاً عبادة: العقد اللامع ص٢٣٣ والدروبي: البغداديون ٣١٠، ولا أثر للمدرسة الآن، ولكن شيدت من أوقافها عمارة من أوقافها باسم (عمارة وقف الطبقجلي) وهي مشرفة على شارع الرشيد.

(١) هو الشارع الذي سمي فيما بعد بشارع الرشيد، وكان يشغله، في العصر العثماني، سوق معقود طويل عرف بسوق الحيدرخانة، وبعد نقض هذا السوق، عند فتح الشارع العام، في أثناء الحرب العالمية الأولى، ظل الكتف الشرقي للسوق، وهو الذي يضم الدكاكين الصغيرة، الواقعة في جدار جامع الحيدرخانه (وهي تحمل الأرقام ١٠٤- ١٢٢) قائماً، حتى أغلقت بالآجر، في أثناء تعمير الأوقاف للجامع سنة ١٩٦٨م، ووضع بدلها جدار مزخرف بالآجر على مثل واجهة المصلى الصيفي.

(٢) يشغل القطعة ذات التسلسل ٢٤٥ وينظر عنه الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها ص٣٢ -٣٦ وعبادة: العقد اللامع ص٢٤١- ٢٥٢ والدروبي: البغداديون ص ٣٠٤- ٣٠٥ وكتابنا: معالم بغداد ص١١٩-١٢٠ و١٦٨- ١٧٠.

وهـو الجـامـع الـذي اختطـه[1] والـي بغـداد المـرحـوم

---

(١) الـذي ذكـره الآلوسي في مساجد بغداد ص٣٣ أن داود باشا حينما عمره" كان كما قـصد من تقطيعه وتوسيعه وإقامة الجدران على ترابيعه"، وهذا النص يدل على أن داود لم يختط الجامع، ولم يؤسسه، وإنما أعاد بناءه على نحو جديد لم يعد يذكر بهيئته السابقة، ومن المؤكد أن مسجداً قديماً كان يحتل جزءً من أرضه، قبل أن يوسع داود هـذه الأرض بما أضافه إليها من دور مجاورة، اشتراها من أصحابها، ثم أنه شرع داود بيـناء الجامـع الجديـد، فقد اكتشفت في أثناء تعمير له قامت به الأوقاف سنة ١٩٦٦ قطعـة مـن رخـام، فيها أبيات شعرية تشير إلى أن من اسمه (حسن) (بنى مـسجداً) علـى أرض كان يدعي بها أحدهم (أرغمت أنف المدعي ملكه) وأن شطر الـتاريخ هـو (أسـسته على التقى المسجدا) وقد جاء مجموع حساب الشطر بالجمل ١٣٠٦، بيـنما ورد التاريخ رقماً بخط واضح، في آخر الشطر، (١٢٠٧). ومما يؤيد هذا أن داود باشا وقف على مسجد الحيدرخانة أوقافاً كثيرة، في وقفيات سبقت تواريخ تسجيلها تاريخ عمارته له، منها ما وقفه في غرة محرم ١٢٣٤ وفي ٤ صفر ١٢٣٤ هـــ وفي ١٠ ربيع الأول سنة ١٢٣٤هــ، وفي ٢٤ رجب و١٩ شوال ١٢٣٤ وفي ٣ رمـضان سنة ١٢٣٥ و١٩ صفر سنة ١٢٣٦هــ، وهو أمر يقطع بوجود المسجد في هذه التواريخ، وتسمي وقفية متأخرة لداود باشا، تاريخها سنة ١٢٥٤هــ، أي بعد عـزله، هذا المسجد بـ" الجامع الكبير في سوق الحيدرخانه في بغداد"(كتابنا: معالم بغـداد ص١٢٠) ممـا يدل على أنه عرف بوصفه جامعاً بعد أن جدده داود ووسعه، وقال مصطفى نور الدين الواعظ في ترجمته للسيد عبد الفتاح أفندي الواعظ المتوفى سـنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م " ولما جدد المرحوم داود باشا بناء جامع الحيدرخانه ورفع مـناره، وأحكـم بنـيانه، نصب المترجم المذكور في ذلك الجامع الشريف"(الروض الأزهر في تراجم آل السيد جعفر ص٦٩)، وقال السيد محمد رؤوف الشيخلي" وكان صغيراً فأضاف إليه مساحو أخرى وأكمله" (المعجم الجغرافي ص٦٠)، ويؤيد هذه=

داود باشــا[1] وشــاده، فكان كما أراد من اتقان عمل، واحكام بناء وصنعة، وحــسن تقطيع وسعة. اختطه مربعاً، وأقام جدرانه على ما اختط، وأفرغ ما كنَّزَ من الذهب الوهاج على صناعه وعماله، ونصب مشارفاً عليهم أحد ثقاته وهو أحمد أفندي المعروف بابن النائب[2]، فجعل هذا يطوف عليهم بين آونة وأخــرى، ولما يعرفون فيه من صدق العزيمة وقوة الجأش والإقدام على كل عمل كانوا أول مخلص في عمله جاد في اتقانه[3]. وقد نقل الباشا المشار إليه

=الحقيقة شيوع تسميته بالحيدرخانه، نسبة إلى المحلة المعروفة بهذا الاسم منذ قرون، بيــنما أطلق داود على ما جدده اسم (الداوودية). ومن المقدر بحسب خطط بغداد أن يكون أصل هذا الجامع مسجداً أنشأه الخليفة الناصر لدين الله العباسي سنة ٥٧٣هـــ ، وعــرف بمــسجد درب الخــبازين، ووصــف بأنه قريب من عقد الحديد، في سوق الــثلاثاء، وســوق الثلاثاء هي المنطقة الممتدة من الميدان إلى ساحة مرجان، ودرب الخبازين، هو محلة العاقولية، على ما تقدم بنا من قبل، (ابن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٢٧٢) ونــسب ابــن الــساعي بــناء هذا المسجد إلى السيدة بنفشا، مولاة الخليفة المستــضيء، ســنة ٥٦٩هـــــ (جهــات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، تحقيق مصطفى جواد، ص١١٣- ١١٤).

(١) تولى بغداد من ١٢٣٢ إلى ١٢٤٧هــ/١٨١٦- ١٨٣١م.

(٢) لعله محمد أفندي ابن النائب، وهو من كبار أدباء عصره في العراق، مهر في آداب اللغات الثلاث: العربية والتركية والفارسية، وكان أبوه نائباً للفتوى في كركوك، فسمى ابــنه ابــن الــنائب. وصفه عبد الرحمن حلمي السهروردي فقال" هو رجل ديِّن من جماعة داود باشا" تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة، بتحقيقنا، بغداد ١٩٩٦ ص٥٩-٦٠.

(٣) كذا في الأصل، وفيه بعض ارتباك.

أعمدة وأساطين من الموصل وغيرها، وأحضر لأجل فرش ساحته مرمراً قد قطع مربعاً، ولما تم بناؤه، وكمل إنشاؤه، خرج مربع البناء، متناسب الأضلاع، متقاطع الزوايا والأرجاء، معقودة في قبته البديعة عند منتهى البصر طاقات تفيض النور على ما تحتها، متقاطعة تقاطع الدوائر على النقطة المركزية.

وقد جعل له أبواباً ثلاثة، اثنين منها على الشارع العام إلى جانبي المصلى، عن يمينه وشماله، وواحد في الدرب النافذ إلى جامع حسين باشا[١] وقد جعل مراحيضه داراً على حدة، يُسلك إليها من باب في جداره الشمالي. وبنى فيه مدرسة يدخل إليها من الباب الواقع على يسار المصلى الشتائي، وهي عبارة عن حجر في الطبقة السفلى، وحجرة مطلة على صحن الجامع فوق الباب المذكور، يجلس فيه المدرس[٢].

---

(١) جاء في تقرير فني رفعته مديرية الآثار العامة إلى رئاسة ديوان الأوقاف في ١٩٦٧ (ملفة جامع الحيدرخانة في الهيئة العامة للآثار والتراث) أن للجامع أربعة أبواب في الأصل، موزعة على جوانب سوره الأربعة ولم يبق من هذه الأبواب إلاّ ثلاثة، إثنان منها على الشارع العام (شارع الرشيد) والثالث على الزقاق الشمالي الشرقي المؤدي إلى محلة الحيدرخانة، وعلى اية حال، فقد أغلقت الأوقاف الباب الذي يقع على يمين المصلى، كما أغلقت الباب الخلفي الذي ينفذ إلى هذا الدرب، فلم يبق إلاّ الباب الذي عن شمال المصلى، وسيفرد المؤلف لجامع حسين باشا مبحثاً فيما يأتي من هذا الكتاب.

(٢) من المؤكد أن داود أنشأ مدرسته التي عرفت بالداوودية، وبمدرسة الحيدرخانه، في جامع الحيدرخانه قبل أن يجدد الجامع نفسه سنة ١٢٤٢هـ، وذلك لأننا نقرأ في وقفياته المؤرخات في السنوات ١٢٣٤- ١٢٣٦ أنه وقف عقارات كثيرة على "=

وفـــي المدرسة مكتبة، وهي عبارة عن غرفتين واقعتين قبالة غرفة المـــدرس، جعـــل فيها من الكتب الكثيرة بحيث أن الداخل إليها يرى الكتب منـــضدة فـــي قمطـــرات من بساط الأرض حتى سقوف الحجر المذكورة، بخطـــوط عديمة النظير، فمنها المُزَيَّن بالذهب القديم التحرير، ومنها ما هو بخط مؤلفه العالم النحرير. وكانت هذه الكتب ومكتبتها موئل العلماء ومفزع الطالبين(١)، حتى إعلان الحكومة العثمانية مشروطيتها وسقوط السلطان عبد

=المدرسة الشريفة التي وفق في إنشائها في الحيدرخانه على الوجه الموافق والمطابق للـــشروط المسطرة والمصرح بها في الوقفية الكبيرة للمدرسة المذكورة"، ويظهر أنه أعاد بناء هذه المدرسة بعد أن فرغ من تجديده بناء الجامع بنحو ثلاث سنين، فقد ذكر عـــبد القـــادر الشهرباني، المتوفى سنة ١٢٤٧هـــ/١٨٣١م، في ترجمة الشاعر عمر نائـــل، أنـــه نظم أبياتاً بالتركية سنة ١٢٤٥هـــ/ ١٨٢٩م " في بيان تأريخ تشييد دار الكـــتب التي أسسها حضرة سيدنا حضرة سيدنا ولي النعم ذي الشيم بوصفها مدرسة علمـــية"، ويفهم من هذه الأبيات فخامة مبنى هذه المؤسسة، فهي مبنية " على الطراز الجديـــد، مطعمة بالرخام ومزدانة بالمرايا"، وقد زينت "بالنقوش الفريدة". كتاب تذكرة الشعراء، ترجمه عن التركية صبحي ناظم، وقمنا بتحقيقه والتعليق عليه، بغداد ٢٠٠٢ ، ص٣٧٣.

(١) بالنظـــر إلى أهمية هذه الكتب وكثرتها فقد سعى محمد جميل بن عبد الغني آل جميل (المتوفـــى سنة ١٣١٨هـــ إلى استصدار موافقة رسمية في عهد السلطان عبد الحميد الثانـــي لتأســـيس مكتبة عامة تضم هذه الكتب وغيرها سنة ١٣٠١هـــ، سميت (دار الكتب العمومية)، فكانت هذه أول مكتبة عامة تنشأ في بغداد في العصر الحديث، وقد ضـــمت ٥٢٠ مجلـــداً، ونـــصب لها حافظ للكتب، وهذه هي الكتب التي تبددت وفقد أكثرها على ما سيذكره المؤلف.

الحميد، فأخذت تلك الكتب وسلمت الى مدرسة دار المعلمين والمدرسة السلطانية، لأنها أصبحت من ملحقات المعارف؛ فلما حلت كارثة الحرب العظمى، تناولتها أيدي الطلاب في المدرستين وأصابتها بلية النهب، فاصبحت كأمس الدابر لا أثر لها ولا عين[١]، اللهم إلاّ ما يقال من أن هناك بعض كتب منها وقعت إلى القس أنستاس [ماري][٢] الكرملي[٣]،

---

(١) إن تبدد هذه الكتب وفقدانها بدأ في مدة سبقت الحرب العالمية الأولى، فقد كتب محمد جميل بن عبد الغني آل جميل في جريدة الزوراء، بتاريخ ١٢ شباط سنة ١٢٨٧ مقالاً عن حالة المدارس في عهده، ونوه بأن خزانة كتب الحيدرخانه، وغيرها خزائن أخرى" مع أن وظيفتها تؤخذ إلاّ أن الكتب النفيسة المودعة فيها الخارجة عن الحد، لا يوجد منها ولا كتاب واحد". ومع هذا التصريح، فإن عدداً من الكتب التي كانت محفوظة في المدرسة الداوودية، انتقلت فعلاً إلى خزانة كتب الأب أنستاس ماري الكرملي، ومنها إلى المركز الوطني للمخطوطات، منها المحفوظات تحت الأرقام ٤٦٠ و٣٨٧٢ و٧٧٧ وغير ذلك.

(٢) زيادة من مصادر ترجمته.

(٣) أنستاس ماري الكرملي، ولد ببغداد سنة ١٨٦٦ و وتلقى تعليمه الابتدائي والثانوي فيها، حيث تخرج سنة ١٨٨٢ وعين مدرساً للغة العربية في مدرسة الآباء الكرمليين ببغداد، ثم في كلية اليسوعيين ببيروت سنة ١٨٩٤. رُسم قسيساً باسم (أنستاس ماري الكرملي) وعاد إلى بغداد ليتولى إدارة مدرسة الكرمليين مدى أربع سنوات وعلم فيها العربية والفرنسية، ونفاه العثمانيون في خلال الحرب العالمية الأولى الى مدينة قيصري في الأناضول، ثم أُعيد إلى بغداد. كان يحسن اللغات العربية والفرنسية واللاتينية وألم بلغات شرقية وغربية أخرى. وكتب بحوثاً متنوعة عديدة في مجالات اللغة والتاريخ والأقوام والمِلَل والنِحَل والبلدان وغيرها، اتبع في أكثرها منهج البحث التاريخي، نشر معظمها في مجلة (لغة العرب) التي أصدرها ببغداد (٩ مجلدات= =

فلا حول ولا قوة الا بالله![1].

أما الجامع فهو مشتمل على مُصلّى واقع بين البابين كما ذكرنا، مُسامت لأرض الشارع الآن[2]، وقد كان قبل فتح هذا الشارع مرتفعاً عن الأرض قدر ذراعين، وعليه ثلاث قباب، قبة كبيرة شامخة في السماء على النحو الذي ذكرنا سابقاً، وبجنبيها قبتان أصغر منها على نمطها وشكلها[3]،

١٩١١-١٩٣٠) كما حقّق عدداً من المخطوطات المهمة، وجمع خزانة كتب حافلة بالنادر من مخطوط ومطبوع آل معظم مخطوطاتها الى المركز الوطني للمخطوطات ببغداد، كما آل المطبوع إلى مكتبة المتحف العراقي.

(١) جرت تعميرات عدة لهذا الجامع، أبرزها ما قامت به دائرة الأوقاف في عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م، وفي سنة ١٩١٢م، ورئاسة ديوان الأوقاف سنة ١٩٦٧- ١٩٦٩م، ووزارة الأوقاف سنة ٢٠٠٢م.

(٢) جاء في التقرير الفني الذي أعدته مديرية الاثار العامة (وقد اشير إليه من قبل) أنه لما خسفت أرض المصلى الصيفي ظهرت بعض الغرف والجدران المعقودة، يرجح أنها أرضية المسجد الأصلية.

(٣) وصف التقرير نفسه حالة هذا المصلى، في صورته القديمة، قبل أن تمسه يد التجديد فذكر أن داخل المصلى، " يتألف من صحن مستطيل بوسطه محراب مزين بالقاشاني الملون، ومنبر من الرخام، وأعمدة مستطيلة مشيدة بالتناظر والتوازي، تحمل مع جدران المصلى سقف القبة، ويمكن الطلوع إلى هذه الجدران من سلم في جدار مؤخرة المصلى- الجدار الشمالي- حيث يؤدي إلى المحفل، وبين كل من الأعمدة الداخلية المحيطة بالمصلى محفل صغير عليه سياج من الخشب، وقد تصدع نتيجة الضغط المستمر من أعلى القبة، وللمصلى بعد ذلك محرابان صغيران مجاوران=

وعلى يمين الصغرى الواقعة على يمين الكبرى المئذنة التي تناطح السحاب، وتضاهي الرواسي متانه وقوة. وعلى شمال الداخل من الباب الغربي مُصلّى صيفي، ويحيط بالساحة من الغرب والشمال والشرق حجر مُعدّة لسكنى طلاب العلوم والامام والخطيب والمؤذن والخادم.

وقد فرغ رحمه الله من تعميره سنة اثنين وأربعين بعد المائتين وألف من الهجرة حسبما تنص عليه الكتابات المنقوشة على جدارنه وأبوابه. وقد قام هذا الوزير بخدمات جلى للدين وللعلم، فقد عَمَّر كما عَمَّر هذا الجامع: جامع الآصفية، وجامع الأزبك، وجامع السِّيف بالجانب الغربي، وجامع رأس الجسر الواقع عند رأس الجسر في الجانب الغربي، وجامع خضر الياس الواقع قرب بيت السُّويدي، وجدد مسجد حبيب العجمي، وجامع معروف الكرخي الواقع عند قبره، وصُفّة جنيد البغدادي، وغير ذلك. وأسس في هذا الجامع مدرسة، وفي الآصفية والأزبكية والخالدية ومسجد السِّيف وجامع خضر الياس أيضا أنشأ المدارس، ورتب فيها المدرسين، وأجرى لهم الجرايات الكافية من أوقافه الجسيمة، حسبما تنطق بذلك وقفيته العامة. وجاء بالمدرسين من الخارج أيضاً لتدريس العلوم العقلية، وخص جامعه هذا بزيادة، بأن جعل فيه مدرسين وعدة خطباء وأئمة وخدم.

أما الكتابات الموجودة فى أبوابه وجدرانه فهي أبيات على الباب الواقع في الركن الغربي النافذ الى الدرب تلك هي:

=للمحراب الأصلي، ويزين أركان المصلى من الداخل مقرنسات هندسية مشيدة بالجص".

ذا من بيوت بإذن الله قد رفعت ... للذاكـــرين بتــسبيح وتحمـــيد
علـى تقـى الله بـالإخلاص أســسه ... ذو العلم والحلم والإنصاف والجود
داود مـن قـد حكـى فيـنا خلافـته ... نَـصُّ الكـتاب بـلا شـك وتـرديد
فقـــام فـــيها بأمـــر الله منـــتدباً ... لهـــا بأصـــوب اتقـــان وتـــسديد
وظــل يــستبق الخــيرات محتــسباً ... قـد كـان عـنها سـواه ثانـي الجـيد
فكـم بنـي جامعـاً للعـاكفين وكـم ... للعلـــم شـــيّد مغنـــىً أي تـــشييد
لكـــي يـــنال بدنـــياه الثـــناء وفي ... عقباه يلقـى الرضا مـن خـير معبود
فقل لذي الصنع: أقصر يا مؤرخه ... كفـى بـذا جامعـاً مـن صـنع داود
١٢٤٢

وعلى الباب الجنوبي الواقع على يمين المصلى الشتائي الأبيات الآتية:

إذا افتخــر البانــي بتــشييد مــا بنــى ... فـــداود أولى أن يكـــون لـــه الفخـــر
بنـى جامعـاً كـل المحاسـن جامعـاً ... مـزاياه جلّـت أن يحـيط بهـا الحـصر
علـى الدهـر يخـشى مـن قـديم بنائه ... إذا مـا المبانـي ثـلَّ أركانهـا الدهـر
فـــسيح مـــصلاه رحـــيب فـــناؤه ... منـيف الـذرا يـنحط مـن دونـه النـسر
كَـــأنَّ دويَّ الـــنحل في عرصـــاته ... دويّ المـــصلين الـــذين لهـــم ذكـــر
وخُـــصَّ بـــروحانية دون غـــيره ... لـــذلك مهمـــا جئـــته انـــشرح الـــصدر
فـــلا ضـــيم منـــشئه ولا فـــل حـــبله ... ولا نالـــه ضـــد ولا مَـــسَّه الـــضر
ولازال مـــن وافـــاه يدعـــو مـــؤرخاً ... لـــداود عـــن تـــشييد جامعـــه الأجـــر
١٢٤٢

وكـــتب علـــى طاق المحراب الصيفي بيتان، وكانا مكتوبين على المحراب الصيفي في جامع الآصفية أيضاً، وهي:

قُـرّت عـيون المؤمـنين بقِـبْلةٍ — سـطعت أهِلَّـة رشـدها بهـداها

فلفـضلها نـادى الإلـه حبيـبه — (لنوليـــنك قـــبلةً ترضـــاها)

وكانـــت كتابـــتها ســـنة ١٣١١ هجرية، حينما جدد بناءالمحراب مع الباب الجنوبـــي الواقع على يسار المصلى الشتائي تحت المدرسة. وفوق المحراب المذكور الآية التي تكتب عادة فوق ناصية المحاريب وهي (بسم الله الرحمن الرحيم. إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً)

وكتب على الباب الجنوبي المار ذكره هذه الأبيات:

قَـــد كـــان داود بنـــى جامعـــاً — يذكـــر فـيه اسـم الإلـــه المجـــيد

أسس بالـتقوى وكـم قـد حـوى — مـــن شـامخ سـام وركـــن مـــشيد

لكـنه مـن بعـد مـا قـد حكـى — في سمــط جـيد الدهـر عقـداً فـريد

أقـــوت لطـــول العهـــد أركانـــه — حتـــى لقــد قـــارب مـــن أن يبـــيد

فبيـــنما وهـــو علـــى حالـــه — يـــشكو ولا يلفـــى لـــه مـــن معـــيد

إذ عـــم لطـــف ملـــيك الـــورى — فكـــان مـــن نعمـــته في مـــزيد

ســـعى إلى الله بـــتجديده — لا خـــاب مـــسعاه بـــيوم الوعـــيد

وقـــد عفـــت، أرخـــت أركانـــه: — أعادهـــا الخاقـــان عـــبد الحمـــيد

١٣١١

كما أن على صدر طاق باب الرواق الأوسط مكتوباً بالكاشاني ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾

قـد عمـر هـذا الجامع الشريف، والمعبد الساطع المنيف، خاتمة الملوك والـوزراء، الـذي عقمت بمثله الأمهات والآباء، الفائز بالحكمتين العلمية والعملـية، الحائز للرياستين الدينية والدنيوية، القهرمان الأعظم، والخليفة المعظـم، كـوكب فلـك السعود، أبو الفتوحات الوزير داود أعلى الله تعالى كعبه، وأباد حسوده، وابقى لنا ظله وعدله إنه على ذلك قدير.

وعلى باب المصلى الاوسط قبالة باب الرواق مكتوب ما يأتي:

أنـشأ وعمر هذا الجامع الشريف في أيام خليفة الرحمن، السلطان محمود خـان بـن السلطان عبد الحميد خان دام ملكه، الوزير المعظم والدستور المكـرم، كـوكب فلك السعود، أبو الفتوحات داود، دام ظله واقباله، سنة اثنتين وأربعين ومائتين وألف من الهجرة.

وكتب على طاق محراب المصلى:

﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾

صدق الله العظيم.

وبانـي هذا الجامع وغيره مما ذكرناه هو المرحوم داود باشا، شيخ الـوزراء وعـالمهم، وعين قلادة الأمراء وفاضلهم، تولى ولاية بغداد سنة

إحدى وثلاثين ومائتين، بعد محاربته صهره أخا زوجته[١]، وهو الشهيد سعيد باشا[٢] بن المرحوم الوزير الخطير سليمان باشا الكبير، زوج عادلة خاتون[٣] وصاحب الخيرات الجسام، وكان هذا الوزير مولى اي مملوكاً من مماليك المرحوم سليمان باشا، فتفرّس فيه الاستعداد والقابلية، وأنه يليق أن يكون رئيساً فوجهه لقراءة القرآن وتحصيل العلوم، فقرأ على صبغة الله أفندي الحيدري الزِّيارتي، وعلى أسعد افندي الحيدري مفتي بغداد، فبذَّ أقرانه، وأخذ الإجازة من المرحوم الزيارتي، ثم صار دفتر داراً. ولحادث بينه وبين ولي نعمته سعيد باشا خرج من بغداد هارباً، خشيةً على نفسه من القتل، والتجأ إلى شهرزور، فجمع جموعاً وعاد إلي بغداد بعد أن استحصل فرماناً من الدولة العثمانية بولاية بغداد. ونتيجة المحاربة التي جرت بينه وبين سعيد باشا ومواطأة المماليك (الكُولَه مَندية) معه دخل بغداد، وقتل سعيد باشا، ذبحه ذبحاً بحضور أمه، وقيل أنه ذَبَحه في حجرها، وهي تستغيث به وتضرع

---

(١) كان لسليمان باشا الكبير ثلاث زوجات، الأولى منور خاتون وقد أنجبت صادق بك وصالح بك، ونابي خاتون وقد أنجبت له سعيد باشا والي بغداد بعده، وزوجة ثالثة أنجبت له ثلاث بنات، هن خديجة التي تزوج منها علي أباظة باشا والي بغداد، وفتاة ثانية، تزوج منها سليم بك، وثالثة تزوج منها داود باشا والي بغداد. كتابنا: الأسر الحاكمة ص٧٤- ٧٥.

(٢) تولى بغداد من ١٥ شوال سنة ١٢٢٨ إلى ذو الحجة ١٢٣١هـ/ ١٨١٣- ١٨١٥م.

(٣) أشرنا، غير مرة مما سبق، إلى أن زوج عادلة خاتون هو سليمان باشا أبو ليلة، وهو أول ولاة المماليك في بغداد، وليس سليمان باشا الكبير.

إلــيه، فلــم يسمع ولم يرق لحالها[1]. وسبب ذلك على ما قيل ويحكيه بعض كتب التاريخ، أن الفرمان ورد إليه بقتله وإرسال رأسه إلى دار السعادة، ففعل وأرسله[2].

ولما تولى الولاية المذكورة اشتغل، مع ادارة البلاد، بتعمير المساجد وتأســيس المدارس وجلب المدرسين من الخارج، والسعي وراء رفاه الأمة، وكــان ســاعده الأيمــن فــي إدارتــه بغداد ابن النائب المشهور، ثم بسبب الاخــبارات والــشكايات عليه أرسل لتحقيقها بعض أركان حكومة الآستانة، فقــتل أحدهم ونجا الثاني، وهو حالت افندي على ما يقال، فغضب السلطان محمــود علــيه غضباً شديداً، فأرسل جيشاً تحت قيادة على رضا باشا اللاز

---

(١) إن أقــرب صــورة لمــا حدث ليلة القبض على سعيد باشا هي التي أوردها مؤرخ المماليــك سليمان فائق، إذ ذكر أن سعيد باشا كان في حجر والدته، في تلك الليلة، وإن رئــيس الإنكشارية وثلة من الجند داهموا المكان، وطلبوا إحضاره إليهم، ولما مــضت والدته لتفعل، اندفعوا إلى داخل الدار وقبضوا عليه وسحبوه من حجر أمه إلــى أن أتــوا بــه إلى زاوية الدار وكما تذبح الشاة ذبحوه من الوريد إلى الوريد، وحــزوا رأســه وأخذوه معهم، ثم تركوا جثته بعد أن ألقوا عليها قطعة من حصير، ولمــا اســتبطأت أمــه عودته، أخذت تبحث عنه، وأخيراً طرق سمعها شخير شاة مذبــوحة، فعثرت بجثته، وألقت بنفسها علي وغابت عن الوجود، وهي فاقدة الحس حتى استطاعوا أن يأخذوه من يدها ويواروه التراب. سليمان فائق: مرآة الزوراء، ص٥٩.

(٢) لا صحة لورود فرمان يأمر بقتله، وإنما غاية ما كان مأموراً به هو إلقاء القبض عليه وإرســاله مخفــوراً على الآستانة، ولو كان ثمة أمر بقتله لما سكت عنه داود حينما أراد أن يتصدى للدفاع عن نفسه. مرآة الزوراء ص٥٩.

لإخراجه من بغداد وإرساله إلى الآستانة، وإن أبى قاتَلَه وقَتَله متى ظفر به، فلمـــا قدم استعد له داود باشا وجَيَّش الجيوش، ولكن حالَ دون سَيرِها وقتاله الطاعون العام العظيم، وزيادة دجلة، فأيقن بالخذلان، وإن هذا أمر أراده الله، فأرســل إلـــى علـــي باشا أن يدخل ويستلم إدارة بغداد، على ألاّ يمسَّه بأذى ويدعه يذهب إلى الآستانة، فأجابه إلى ذلك، فخرج وذهب إلى الآستانة، وذلك سنة سبع وأربعين ومائتين وألف هجرية. فلما وصل الآستانة، وكان السلطان محمـــود قد خفَّف من لحى وزرائه، وتوسل داود باشا إلى الحضور بين يديه فحضر، وقبَّل الأرض بين يديه، سأله عن حاجته، فقال: استرحم أن تعفو عن لحيتي! وذلك كناية عن عدم مساسه بأذى، فأصدر أمره بألاّ تُمس لحية داود باشا بسوء، فبقي من دون الوزراء بلحية، وصار يُكنى هناك بشيخ الوزراء، لأنـــه غـــدا أقـــدم وزير من وزراء الدولة العثمانية، ولكنه أرسله إلى ولاية بورصه كمنفى، فأقام فيها مدة.

وممـــا يُـــنقل أن المـــرحوم الشريف عبد المطلب[١]، عند فراره من الحجـــاز في الحرب التي وقعت، وورده إلى بغداد عن طريق نجد، ونزوله فـــي الكاظمية، لم يزره الوالي داود باشا، ولكنه أرسل له مقداراً من الدراهم علـــى يد المفتى....[٢] الحيدري، فردّها قائلاً: لم يبلغ بنا الحال أن نمد أيدينا إلى الموالي، غير أنه طلب أن يزور داود فأجابه بأنه إذا لم يطلب منه إعادة

---

(١) تولـــى شرافة مكة سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م وعزله محمد علي والي مصر في العام نفسه، ثم تولاها من ١٢٦٧ إلى ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٠- ١٨٥٥م.

(٢) بياض في الأصل.

زيارتـــه فليفعل! فقال: إنني أزور مقام السلطان لا أزوره، وخرج من بغداد مغــضباً مــتوجهاً إلـــى الآستانة، فلما وصلها، وطلب محمد علي باشا من السلطان ما طلب في حق عبد المطلب، أمر باقامته في بورصة كمنفى تسكيناً لثائـــره محمد علي، الذي قضى على ابن السعود في سبيل الدولة، فلما أُرسل داود إلـــى بورصة اجتمعا هناك، وصارا يتزاوران ويتحابان، فلما صدرت الإرادة السلطانية بعود الشريف عبد المطلب إلى الآستانة ليقيم فيها، وحضر الدرس الذي يجري عادة بحضور السلطان.

وهـــذا الدرس هو درس تفسير يُلقى من قبل العلماء، قضاة العسكر، ورئيس الدرس، وبقية المدرسين من العلماء، يلقي في الأسبوع مرة بحضور الـــسلطان، والمدرس من هؤلاء لا يلقي إلاّ درساً واحداً، فلما حضر الدرس ســـأله عـــن رأيـــه في ذلك المدرس وفي درسه، أجابه ان داود باشا هو من أفـــضل علماء هذا الزمان، فصدرت الإرادة السلطانية بالعفو عنه وجلبه الى الآســـتانة، فلما وردها أمره بعد مثوله بحضور الحضرة، وأن يلقي الدرس، فحـــضر وألقى درساً أخذ بمجامع قلب السلطان، فأكرمه وأحسن مثواه وولاّه ولايـــة البوسنة والهرسِك، فحكم فيها سنة واحدة، يقال أنه لم يستطع إدارتها، فعـــزل عنها، ثم ولي ولاية أنقره، وبعدها ولي مشيخة الحرم النبوي -على ساكنه أفضل الصلاة والسلام- ويقال لها محافظية الحرم النبوي تأدباً، وذلك فـــي أيام السلطان عبد المجيد خان[1] رحمه الرحمن، فتوجه إليه، وحج أولاً،

---

(١) تولى السلطنة من سنة ١٢٥٥ إلى ١٢٧٧هـ/١٨٣٩-١٨٦٠م.

وبعـــد الحج توجه إلى المدينة، ولم يزل فيها حتى مات فدفن هناك رحمه الله تعالى.

ولم يخلف عقباً، إنما ولد له ولد في بغداد، فلما شبَّ وترعرع قصفت المـــنون غصن شبابه. وكانت عنده أمهات أولاد ذهبت واحدة منهن معه إلى المدينة مع بقية الخدم، ولما مات ولده أنشد:

لمن أبني؟ لمن اسم المطايا؟ لمن استحدث الشئ الجديدا؟

جامع الخاتون

إذا سرتَ من جامع الحيدرخانة مُغَرِّباً نحو الميدان قدر مائة خطوة، رأيــتَ علـــى يمينك درباً عنده دار عارف آغا[1]، أحد موالي داود باشا، إذا سَـــلَكتَه وسرت فيه قدر خمسين خطوة، رأيت على يسارك جامعاً، هو جامع نازِنْدَه خاتون[2]، زوجة الشهيد علي باشا والي ولاية بغداد[3]، سنة ١٢٦٣[4].

---

(١) توفي سنة ١٢٨١هـ/١٨٦٤م.

(٢) توفيت سنة ١٢٨٤هـ/١٨٦٦م.

(٣) ولـــد ســـنة ١١٧٧هـــــ/١٧٦٣م، وكـــان من مماليك سلفه سليمان باشا، وترقى في المناصب حتى تولى بغداد سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٣م، واغتيل سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م، ودفـــن فـــي المدرســـة السليمانية ببغداد، ينظر الكركوكلي: دوحة الوزراء ص٢٣٨ وعثمان بن سند: مطالع السعود ص٢٥٨.

(٤) ويوافق أولها ٢٠ كانون الأول سنة ١٨٤٦ م.

وهـــو جامع حسن الوضع[1]، ذو بابين، باب إلى الشرق في الدرب المذكــور، وباب من الشمال؛ وفيه حُجَر متعددة، ومدرسة واقعة إلى الغرب منه، ومنارة. وله مُصلًّى عليه يسار الداخل من الباب الشرقي، وأمامه صُفَّة، علـــى يميـــنها المدرســـة. وأنشأت فيه سقاية للمارين والعابرين، مطلة على الطــريق. وبعـــد أن أكملـــته على ما ذُكر، فرَشَته بأحسن الفرش، وأنارته بالقـــناديل، ورتـــبت فيه المدرس، وهو[السيد محمد أمين الواعظ][2] الواعظ لاحتـــرامها إيـــاه وحُسن ظنها فيه، وجعلته الخطيب أيضاً، ورتبت فيه إماماً ومـــؤذناً وخـــداماً متعددين. وكانت رحمها الله تعالى تحضر الجماعات في

---

(١) يـــشغل قطعـــة الأرض ذات التسلسل ٢٤٣، ونوه به الآلوسي: مساجد بغداد ص٧٥ وعبادة: العقد اللامع ص١٧٣ والدروبي: البغداديون ص٢٣٩.

(٢) بياض في الأصل. وما أثبتناه ذكره المؤلف في كتابه (تاريخ الأسر العلمية في بغداد ص٢٧٣) حيث قال" تولى تدريس مدرسة الخاتون حسب شرط لخاتون نفسها". وهو السيد محمد أمين بن محمد الأدهمي الواعظ، ولد سنة ١٢٢٣هـــ/١٨٠٨م وأخذ العلم على كبار علماء مدينته، ونبغ في الفقه الحنفي خاصة، حتى وصفه الآلوسي بأنه" كان أمـــة فـــي فقـــه السادة الحنفية"(المسك الأذفر ص١٧٦)، ووعظ ودرس في الحضرة القادريـــة، فضلاً عن تدريسه في مدرسة نازندة خاتون. وتوفي ١٢٧٣هـــ/١٨٥٦م، ولـــه مـــؤلفات مهمـــة في الفقه وغيره. وذكر المؤلف في ترجمة ابنه السيد جعفر، المتوفى سنة ١٣٢١هـــ/١٨٤٤م، التي أوردها في تاريخ الأسر العلمية ص٢٨٠، أنه" نـــصب مدرســـاً في المدرسة الخاتونية التي كانت مشروطة لأبيه"، وذكر في ترجمة الـــسيد إسماعيل بن مصطفى الواعظ، ص ٢٨٢ أنه " عين مدرساً في مدرسة نازندة خاتـــون وخطيـــباً في جامعها". وقال السيد عباس بن رجب البغدادي أن في الجامع" مدرسة يتوارث تدريسها آل الواعظ" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٤١).

الأوقات الخمسة، وتبعث بالإفطاريات للصائمين في رمضان، وتحضر مجالس الوعظ الذي تقام فيه. وكُتب على بابه الأبيات التالية:

زوجة الشهم علي باشا الشهيد ... رَبَّة الإحسان والفضل المبين
مقصدي نازنده خاتون التي ... قد غدا ذكر لها في الصالحين
حجَتّ الكعبة قدماً وحظت ... زَوْرةً من قبر ختم المرسلين[1]
وبتقوى الله صِرفاً قد بَنَتْ ... جامعاً من مالها للمسلمين
مذ أتمَّته بدا تاريخه: ... أدخلوا الجامع صَلُّوا راكعين
١٢٦٥

ولهذا الجامع أوقاف وقفتها عليه في بغداد والبصرة ومندلي وغير ذلك[2]، يتولاها ويدير الجامع المتولي من

---

(١) كذا في مساجد الآلوسي، ومنه نقل المؤلف هذه الأبيات فيما يظهر، و في العقد اللامع: خير المرسلين.

(٢) منها بستان الجلبية في البصرة، وجميع الخان الشهير بخان الباشا في الحلة، على أن تصرف الواردات على عمارة المسجد والمدرسة أولاً، ثم على رواتب المدرس والخطيب والإمام والمؤذن والممجد ورئيس المحفل والكناس وبواب المصلى وبواب الجامع وواعظ شهر رمضان وقراءة القرآن في ليالي رمضان وخبز وشمع لطلبة المدرسة (الملحقة بالمسجد) ولسبيل الماء (السقاية)، وللقناديل والشيرج ولمحافظ الكتب، وشرطت أن يعطى من غلة هذا الوقف إلى تعمير المدرسة العلية، وأن يعطى من فضلة هذا الوقف إلى مواليها، ثم إلى موالي زوجها حافظ علي باشا، وذلك=

بيت الجِبَّه جي[1] المقيمين في محلة البقجة قبالة المدرسة الثانوية[2] التي كانت مدرسة الرشدية العسكرية، وهم غير الجبَة جي المقيمين في محلة الحيدرخانة[3].

وفي هذا الجامع سقاية أنشأتها المومى إليها، كتب على جدارها هذه الأبيات[4]:

=بموجب وقفيتها المؤرخة في ٦ شعبان سنة ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م. سجلات الأوقاف سجل رقم ٣ العدد ٧٣.

(١) هو أحمد آغا سكة أميني، وهو ابن محمد آغا بن عبد الله الجبيه جي، كما في نص وقفية الواقفة، وقد توفي سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م. وجرت تصفية هذا الوقف سنة ١٩٥٨. عباس العزاوي: تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية، بغداد١٩٥٨، ص٢١.

(٢) مدرسة الإعدادية المركزية اليوم.

(٣) هدم جامع نازندة خاتون سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م، وبنيت في مكانه مدرسة شغلت مبناها مدرسة البارودية الابتدائية المختلطة، وهي تحمل اليوم الرقم ٦ من الزقاق ١٩ من المحلة ١١٢ حر الرشيد، ونقلت جهة الإمامة إلى المقدادية في محافظة ديالى، ثم أن الأوقاف أنشأت مدرسة باسم نازندة خاتون على يمين الداخل إلى شارع المغرب، من جهة شارع الإمام الأعظم، فاستأجرتها وزارة التربية وجعلتها مدرسةباسم (مدرسة المتميزات). وكانت ثمة لوحة من القاشاني خط عليها اسم هذه المدرسة فوق باب هذه المدرسة تذكر بصاحبتها ومؤسستها الأولى، إلاّ أنه طليت بالصباغ سنة ١٩٩٩ فلم تعد تُعرف!.

(٤) خصصت لها منشئتها من الأوقاف العديدة التي وقفتها مبلغاً قدره (١٨٠٠) قرشاً رائجاً للإنفاق على صيانتها، ومدها بالماء على الدوام. تاريخ مشاريع مياه الشرب ص١٢٠.

لنازنده خاتون المحامد قد غدا | لها عند ذكر الصالحات ثناء
فكم عَمَّرَت لله بيتاً وكم لها | بجبر قلوب المُعدَمين بناء
لأعمالها المرضاة عند إلهها[٢] | مِن الصدقات الجاريات بقاء
فذي بقعة من بعض آثار بِرِّها | بها منهل عذب المياه صفاء
أُعِدَّتْ لورّاد السبيل فأرخوا | بموردها للشاربين شفاء
١٢٦٣[١]

مسجد القلعه لي[٣]

إذا انحدرت من الشارع العام إلى سوق هرج الميدان، قَدْرَ خمس عشرة خطوة، ألفيتَ مسجداً صغيراً على يسارك، هو المسجد المسمى بمسجد القلعة[٤]، يصلي فيه المسلمون الصلوات المفروضة جماعة.

وهو مسجد صغير[٥] مشتمل على مصلى صغير واقع على يمين الداخل، وأمامه صُفَّة، وفيه مؤذن وإمام. يدار من قبل شاكر أفندي القلعه لي،

---

(١) في الأصل: ١١٦٣ والصواب ما أثبتناه.

(٢) في الأصل: المرضات، وفي مساجد الآلوسي والعقد اللامع: المرضى.

(٣) هو مسجد أسما خاتون الذي أنشأته أسما خاتون بنت يوسف بك في حدود سنة ١٢٦٠ هـ/١٨٤٤م، وقد سماه المؤلف بمسجد القلعه لي نسبة إلى آل القلعه لي الأسرة التي كانت تتولى أوقافه، وهي نفسها التي كانت تتولى أوقاف جامع القلعة وإليه نسبت.

(٤) هكذا يسميه الآن، وعلى أية حال فهو غير جامع القلعة المتقدم.

(٥) وصفه عبادة بقوله " هو مسجد صغير جداً تقام فيه بعض أوقات الصلاة". العقد اللامع ص١٦٨.

ويـدار الآن مـن قـبل ولـده[1]، وله أوقاف. وشاكر أفندي هذا هو دوري الأصل[2]:

مسجد بابا كُركُر

إذا انحـدرت من الشارع العام إلى سوق هرج الميدان، وسِرتَ فيه حتى نهايته، رأيت قبيل الانتهاء درباً على يسارك، نافذاً إلى الطريق الموازي للـسوق، فإذا سرت فيه قدر عشرة أذرع، رأيتَ على يمينك مسجداً، ذلك هو مـسجد بابـا كُركُر[3]، وهو مسجد مشتمل على مصلى صغير، وصفة على

---

(١) هو السيد طه القلعة لي.

(٢) هـو السيد شاكر بن السيد محمود بن رحمة بن محمد ضياء الدين بن علي بن عبد الرزاق بن عبد القادر ابن الواقف جلال الدين بن بهاء الدين. البغداديون ص٨٠.

(٣) قـال عبادة (العقد اللامع ص١٦٣) " لم يقف أحد على ترجمته"، وانفرد الشيخ محمد صـالح الـسهروردي (بغية الواجد في الجوامع والمساجد، نشرناه في كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص١٠٦) بإلقاء بعض الضوء على هويته، فقال " هو رجل مـن مـشايخ الـصوفية الذين كانوا حوالي سنة ٩٠٠ للهجرة، وله رباط في الميدان يـدرس فـيه ويرشد الناس، ولكنه كان يدعى بهذا الاسم، وهو من صلحاء الأكراد، وكان رجلاً صالحاً وعليه النجابة الظاهرة، وكان من مبراته [أنه] يقرأ (لعلها: يقرئ) القـرآن ولا يأخـذ عوضاً عليه، ثم صار رباطه رباطاً للبكتاشية، وتوفي رحمه الله تعالى سنة ١٠١١، ودفن في هذا المحل، وأهل بغداد يزورون قبره، و[لهم] فيه حسن ظـن". قلـنا: اختلف تاريخ وفاته في هذه النبذة بين أول القرن العاشر للهجرة(القرن الـسادس عـشر للميلاد) و آخره، والراجح أنه عاش في بغداد في مطلع عهد الدولة العثمانية في العراق، ومن المؤكد أن (بابا كركر) هو لقب عرف به، لا اسمه، لأن=

=الكلمــة تعني (الأب النوراني)، وقد سمي بذلك لما جرى في حياته من انبثاق النفط فــي أحد حقول كركوك فعد هذا الانبثاق وما أدى إليه من إضاءة المكان بوهج النار المــشتعلة، كرامة من كراماته، كما أن وصفه، أو تسميته، بــ (بابا) تشير إلى كونه من مشايخ الطريقة البكتاشية التي انتشرت بعض الانتشار في ذلك العهد بسبب انتماء أورطــات الينكجــرية (أفــواج الانكــشارية، وهي قوات المشاة العثمانية) إلى هذع الطــريقة، والــنص الذي أورده السهروردي يكشف أن الرجل لم يكن بكتاشياً أصلاً وإنمــا كان أحد الصالحين، الذين يقرئون القرآن طلباً للمثوبة، ثم صار من بعد ذلك رباطاً لهم، فهل كان انتسابه لهذه الطريقة السبب في اتخاذ معتكفه رباطاً أو تكية لهم، ومــن ثــم يكــون قد وفد إلى بغداد من كركوك، حيث ظهرت كرامته، وهو لم يكن بكتاشــياً، هــذا مــا لا يمكن تحديده على وجه الدقة، كما أنه من غير المحدد طبيعة المكــان الذي اتخذه هذا الشيخ معتكفاً له، يقرئ به القرآن، على أنه من المحتمل أنه كــان مسجداً قديماً، سبق عصر بابا كركر نفسه، وفي هذه الحالة يمكن أن يكون من منــشآت العــصر العباسي، حيث كان الدرب الذي يقع عليه يعرف في ذلك العصر بــسوق العمــيد، وهــو واحد من دروب منطقة سوق السلطان، وفي وقفية محمد بك دفتــردار بغداد المؤرخة في غرة محرم سنة ١٠٨١هــ/١٦٧٠م نقرأ أنه وقف خاناً وعلــوة وقهــوة خانه ودكاناً في محلة الميدان وأرض تزرع، على مسجد بابا كركر، فالجامــع كــان موجــوداً قبل عهد هذا الدفتردار، ويحتمل أنه أنشأه فوقف عليه هذه العقــارات (كتابنا: معالم بغداد ص١١١)، على أن الدلائل الأثرية تشير إلى قبر بابا كركــر كان موجوداً قبل بناء المسجد، وذلك لوجود جدارين ضخمين متجاورين، بني أحدهما إلى جانب الآخر، الأول يعود للضريح وهو الأقدم، والثاني للجامع الذي بني فيما بعد. ويتخذ الجامع، في أصله، شكل (حوش) له فناء داخلي، تطل عليه من جهته الــشمالية، حجرتان صغيرتان تتقدمان حجرة القبر، وهي مستطيلة، ذات أبعاد ٥،٢٠ خ ٤ متــراً، وإلــى جانبهــا حجــرة المصلــى (١٣×٧ متــراً)، وكــانت تطــل=

يسار المصلى، وعلى يمين المصلى حجرة فيها قبر. وفوق الباب حجرتان هما للمدرس، وهي مدرسة، وتحتها على يسار الداخل حجرتان.

ولهذا المسجد أوقاف في نفس سوق الهرج، وهي قهوة بظهر المسجد في نفس السوق، ودكاكين قدرها ثمانية عشر دكاناً، ثم صارت اثنين وعشرين دكاناً. وكانت إدارة الأوقاف والمسجد بيد المتولي، وهو الشيخ عبد الرحمن افندي القره طاغي[1]، لأن توليتها مشروطة لقاضي بغداد ولمن ينيبه القاضي، أما الآن فقد أصبحت إدارته، مع الأوقاف، بيد دائرة الأوقاف لموت المتولى المذكور. وفيه إمام وخادم.

=على الفناء مجموعة من الحجرات لسكنى شيخ المسجد وربما طلبته في عهد كان المسجد يؤذي دور المدرسة، ثم اقتطعت منه، فيما بعد، لتتحول إلى دكاكين، ويعد هذا المبنى من المباني التراثية القديمة في بغداد. (أحمد محمد الدراجي: الربط والتكايا البغدادية في العهد العثماني، ص٩٤-٩٨)

(١) هو الشيخ عبد الرحمن بن الملا محمد القرداغي المشهور بابن الخياط، ولد في قره داغ سنة ١٢٥٣هـ/، وأخذ العلم عن أبيه وغيره، واشتغل بالتدريس في قريته، ثم وفد إلى بغداد، حيث أخذ العلم عن علمائها، ورحل إلى كركوك فدرس الطلبة هناك، وعاد إلى بغداد بطلب من واليها الحاج حسن رفيق باشا سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م، حيث أختير مدرساً في مسجد بابا كركر، فاتخذ من المسجد مدرسة، وشرع بإلقاء دروسه على طلبته، وألف في أثنا ذلك عدداً من المؤلفات، أكثرها في الفقه والعقائد والمنطق والحكمة والبلاغة، وتوفي سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م. العقد اللامع ص١٦٣-١٦٥ وعبد الكريم المدرس: علماؤنا، بغداد ١٩٨٣، ص٢٧٦ .

وقد أُلغِيتْ المدرسة لان التدريس كان عوضاً عما هو مشروط، وهو تقــرئة القرآن، فأُلغيت المدرسة، وأُعيد تدريس القرآن، ثم طُوي هذا أيضاً، والله في خلقه شؤون[1].

مسجد بِير داود

هـــو مــسجـد واقـــع علــــى يميــن المُتوجــِه إلــى بـــاب الأعظمــيــة[2]، عــنــد ســـــوق هَـــرَج الميــدان، قبــالــة المــدرســة المأمــونــيــة[3]، دون جــامــع المــراديـــة بخطــوات، ويشتمــل علـــى مصلـــى واقـــع علـــى يســـار الـــداخـــل، وأمـــامـــه صفـــة، وأمـــامهـــا صـــحـــن. ولــــه بابان، باب على الشارع العام، وباب في غربيه يؤدي إلى الدرب النافذ إلى جامع المرادية.

---

(١) وقد تحول الآن ليكون معرضاً للأثاث الخشبية!.

(٢) يريد باب المعظم، المفضي إلى قصبة الأعظمية.

(٣) أنشئت سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، في باسم (مدرسة الاتحاد والترقي)، على أرض كان يـشغلها مقهــى الــبلدية، ثــم ســميت في أول عهد الدولة العراقية باسم (المدرسة المأمونية)، وبعد إخلاء الأخيرة لها لتنتقل إلى مبناها الجديد في الوزيرية، انتقلت إليها مديرية معارف لواء بغداد المركزي، ثم نقضى مبناها نهائياً في مطلع الستينات لتدخل أرضها في نطاق وزارة الدفاع.

وفـــي نفـــس المصلى قبر[1] ينسب إلى هذا الرجل (بير داود)[2] أي الــشيخ داود، وهـــذا واقع على يمين الداخل إلى المصلى، وله أوقاف عنده عَمَّرتها دائرة الأوقاف من دكاكين ومَنزِل (مُسافِرخانه) وغير ذلك[3].

وفيه إمام ومؤذن هو خادم أيضاً.

---

(١) ذكر لي من أدرك هذا المسجد أن قبر بير داود كان يقع خارج مصلاه لا داخله.

(٢) بيـــر، بالباء المخففة، لفظة فارسية بمعى: الرئيس، وشيخ الشيوخ، وتطلق اصطلاحاً علـــى الولـــي الـــذي ينـــسب إليه تأسيس مهنة أو حرفة، فيكون رئيساً روحياً لأهل (الـــصنف) الذي يختص بها. ونقل عبادة (العقد اللامع ص١٢٧) أبياتاً بالتركية، يفهم منها أنه كان (علمدار) رسول الله صلى الله عليه وسلم، أي صاحب رايته، وعليه فإنه مـــن المفتـــرض أن يكـــون مؤسساً أو حامياً لحملة الرايات في الجيش، ووجود قبره قريباً، ومقابلاً، لباب قلعة بغداد في العصر العثماني، يدل على صفته العسكرية هذه. وكـــان في المسجد حفير وردت أخباره في حوادث طاعون سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، ووصف بأنه مثل دهليز (شعراء بغداد وكتابها، المختصر الذي حققه أنستاس الكرملي ص٤٠) ، ويذكـــر عبادة أيضاً أن مسجد بير داود كان في بادئ أمره تكية باسم عبد الـــرحمن القادري، ولا تعلم هويته هو أيضاً. وبموجب تلك الكتابة التركية فإن راتب بـــك، رئيس المدراء في الكرنتينة، أي الحجر الصحي، قد جدد بناء هذا المسجد سنة ١٢٦٦هـ/١٨٤٩م.

(٣) دخـــل شطر من أرض هذه الأوقاف في الشارع عند توسعته، ثم أنشأت الأوقاف فيها قهـــوة ومنزل (فندق)، وفي أواخر الخمسينات نقض المسجد كلياً ثم أنشئت في أرضه وما يتصل به من أوقافه، سنة ١٩٦٠م عمارة جديثة بعدة طوابق، كتب عليها بالآجر المزجج (وقف بير داود) وما تزال هذه العمارة قائمة، تذكر بذلك المسجد الداثر!.

ويُدار من قبل الأوقاف، وفيه حجرتان واقعتان على يمين الداخل من الشارع العام مُعَدَّتان للخادم.

مسجد الطوب

هو مسجد[١] واقع قبالة جامع الأُزْبَك، في رأس الدرب المؤدي إلى محلة الطوب، على الشارع العام.

وهو مشتمل على مُصلَّى صغير، وصُفَّة أمامه، وفيه حجرتان لجلوس الإمام وإقامة الخادم[٢]: يصلي فيه بعض الناس أوقاتهم، فهو مسجد جماعة محصورين[٣]: ويدار من قبل دائرة الأوقاف.

---

(١) كان يشغل قطعة الأرض ذات التسلسل ٢٤٥، في مدخل زقاق متفرع عن يمين الشارع العام، أنشأه الحاج درويش محمد خاكي بن الحاج سلمان باشكاتب الكمرك سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م، ثم تهدمت بعض جوانبه فعمره السيد صالح آل قمر سنة ١٢٨٠هـ/١٨٦٣م، ثم عمره ولده السيد صالح مصطفى، وفي سنة ١٣٤١هـ/١٩٢١م عمرته دائرة الأوقاف، وأزيل هذا المسجد سنة ١٩٦٠ حين استملكت أرض محلة الطوب، حيث يقع، لتنشأ محلها ساحة تكون مقابلة لوزارة الدفاع، وهي الأرض التي أنشئت عليها سنة ١٩٧٧ دار الكتب والوثائق. أما جهة الإمامة فنقلت إلى ناحية حصيبة التابعة لمحافظة الأنبار.

(٢) يذكر من أدرك هذا المسجد أن مصلاه مستطيل تبلغ مساحته نحو ٨٠ متراً، وأن له فناء واسع غير مبلط، وأن له محراب مزين بقطع من الآجر المزجج.

(٣) يريد المصلين الذين يدركهم وقت الصلاة فلا يجدون مسجداً قريباً يصلون فيه.

مسجد السور

إذا سلكتَ الدرب الصاعد من الشارع العام إلى دار المرحوم محمد باشا الداغستاني(١)، وجاوزت الدار المذكورة قدر مائة خطوة، وصلتَ درباً على يمينك، إذا سرت فيه قدر ثلاثين خطوة، رأيت على يسارك مسجداً، ذلك هو المسجد المذكور(٢).

وهو مشتمل على مُصلَّى(٣)، وصُفَّة أمامه، وحديقة أمام الصفة، يفصل بينهما صحن المسجد. وله أوقاف تدار كما يدار هو أيضاً من قبل متولي جامع علي أفندي(٤)

---

(١) هو الفريق الأول محمد فاضل باشا الداغستاني، قائد عرف بكفاءته العسكرية والإدارية شغل منصب وكالة والي بغداد غير مرة، وأستشهد في حصار الكوت في ٦ جمادي الأولى سنة ١٣٣٤ هـ/١٢ آذار ١٩١٦م.

(٢) سماه عبادة: مسجد علي أفندي الصغير، تمييزاً له عن مسجد علي أفندي، الذي سيفرد له مبحثاً فيما يأتي. وكلاهما من إنشاء علي أفندي بن مراد أفندي بن عبد الله سنة ١١٢٧هـ/١٧١٥م. وقد أصاب الخراب هذا المسجد فبناه متوليه مجدداً سنة ١٣٤٠ هـ/١٩٢١م. وقد وقف عبد الله بن محمد بن عمر آغا بستاناً في قرية الغالبية، من أعمال الخالص، وخص من غلتها مائة غرس إلى إمام هذا المسجد (العقد اللامع ص ١١٩). ثم نقض المسجد وأنشئ باسمه ووقفه مسجد آخر في حي تل محمد القريب من بغداد الجديدة.

(٣) ذكر من أدرك هذا المسجد أن مساحة مصلاه كانت ٢٠×١٠ متراً، ولم تكن له قبة ولا مئذنة.

(٤) سيفرد له المؤلف مبحثاً فيما يأتي من هذا الكتاب.

الواقع في محلة رأس الكنيسة[1].

وله إمام ومؤذن هو خادم أيضاً.

مسجد عائشة خاتون

إذا سـرتَ صاعداً من الشارع العام، في الدرب الواقع شرقي جامع المـرادية، والذي عليه باب الجامع الجنوبي الواقع شرقي المصلى، وصلت إلـى درب على يسارك يوازي الدرب الجائي[2] من الميدان، فإذا سِرتَ فيه، وتوجهت نحو جامع علي أفندي، رأيت درباً على يسارك أيضاً، إذا سِرتَ فيه قـدر مائة خطوة، وصلت إلى مسجد، ذلك هو مسجد عائشة خاتون[3]، ولا

---

(١) هي كنيسة النساطرة القديمة التي وضع الأرمن الأرثذوكس يدهم عليها في عهد والي بغداد سليمان باشا أبو ليلة سنة ١٧٤٦م، وكان ذلك بسعي رجل أرمني يدعى (كيورك نـزرتيان) تولـى منصب (سلاحدار) عهد ذاك، فعرف جانب من المحلة بمحلة كوك نـزر، تحـريفاً مـن اسمه، وبراس الكنيسة نسبة إليها. دنسيوس أفرام نقاشة: عناية الرحمن في هداية السريان، بيروت ١٩١٠، ص١٧٨.

(٢) يريد: الآتي.

(٣) أشـار إليه الأثري في فوائت مساجد بغداد للآلوسي بقوله: مسجد عائشة خاتون في محلـة الطوب، ولم يزد. وذكر لي الدكتور حسين أمين، وكان قد أدركه وصلى فيه، أن لهذا المسجد مدخلاً عريضاً بعرض ٦ أمتار وطول ١٠أمتار، ينفذ منه إلى مصلى مـستطيل مـساحته ١٠×١٥م، وعلى يمين الداخل متوضأ، وفي داخل المصلى، في آخـره، قبر عليه قفص قد جلل بقماش أخضر، لا تعلم هوية صاحبه، وكان خلواً من المحراب، ولم تكن له قبة أو مئذنة، وإنما يصعد المؤذن سطحه للأذان، وقد استملكت أرضه، ونقض المسجد ضمن ما نقض من محلة الطوب سنة ١٩٦٠م.

أعرف أي عائشة هي(١). وهو مشتمل على مصلى، وصفة أمامه، وفيه إمام وخادم. وموقعه في محلة الطوب، وإدارته من قبل الأوقاف(٢).

تكية الميدان القادرية

إذا سرت من جامع المرادية متوجهاً إلى باب المعظم، قدر أذرع، رأيت وسط الدكاكين باباً، ذلك هو باب التكية القادرية(٣).

---

(١) قال عبادة في حاشية له على كتابه (العقد اللامع ص١٨٠) " لعلها عائشة خاتون بنت أحمد باشا، وزوجة عمر باشا والي بغداد"، قلنا: وهذه هي الأخت الصغرى لعادلة خاتون المتقدم ذكرها في مبحثي جامع العادلية الكبير، وجامع العادلية الصغير، ولم نقف فيما راجعناه من وثائق على ما يؤيد هذا الرأي أو يفنده.

(٢) للمسجد وقف، هو عبارة عن دار في محلة الطوب نفسها، وقفتها عليه فاطمة بنت عبد الله بموجب وقفيتها المؤرخة في ربيع الأول سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠، وكان المتولي عليه يدعى علي بك بن حسين، ثم آلت من بعده، سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٨م إلى أخيه حسن بك، ثم ضبطته دائرة الأوقاف، وأصلحته سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م. العقد اللامع ص١٨٠،

(٣) كانت هذه التكية تشغل الأرض ذات التسلسل ٨٤٢، أنشأها من ماله، قبل وفاته، الشيخ عبد الرحمن خالص الطالباني المتوفى سنة ١٢٧٥هـ/١٨٥٨م، وعمر بجانبها ثمانية دكاكين، (العقد اللامع ص١٢٠) قلنا: وهذه الدكاكين قد استخرجها من واجهة التكية، وكانت تحمل الأرقام، بينما يذكر الدروبي (الباز الأشهب ص٣٢) أن مؤسسها هو ولده رضا الطالباني، ، ويمكن أن يكون الأخير قد نفذ وصية من أبيه بشأن تأسيسها، أو أن أكمل إنشائها. وسماها عباس بن رجب البغدادي، في رصده لمعالم بغداد سنة ١٩١٤م، بتكية الشيخ عبد الرحمن الطلباني رحمه الله تعالى، وقال " وفي هذه التكية تقام الأذكار في أيام الجمعات ولياليها، وهي معمورة بالجماعات أيضاً"=

وهـــي تكية يقيم فيها الأكراد الذكر القادري، وهو عبارة عن حلقة تعقـــد بعـــد ظهر كل جمعة من متصوفي الأكراد وغيرهم، ممن ينتسب إلى الطـــريقة القادريـــة، فـــإذا عقدت الحلقة باشروا بذكر الله أولاً، ثم بعد ذلك يـــتعاطون مـــا يتعاطاه أرباب هذه الطريقة، وقد يضرب هناك الدف أيضاً. ويجـــتمع هـــناك الخلق الكثير من المتفرجين، وقد يصيب أحدهم ما يقال له عندهم الحال، فيهجم على الجدار يضرب رأسه به، فلا يصيب من ذلك أذى! حتـــى إذا فـــرغوا من ذلك تَفَرَّقوا. ويجرون الذكر أيضا ليالي الجمع، ولكن ليس كما في نهار الجمعة، بل بمجرد الذكر.

وإدارة هذه التكية مع ذات الشيخ من الأوقاف السلطانية. وقد كان الشيخ فـــيها الشيخ رضا[1] بن الشيخ عبد الرحمن الطالباني الشاعر المشهور، أما الآن

=(مـــساجد بغـــداد فـــي كتابات الأجداد ص٤٨). بينما سماها السيد رؤوف الشيخلي بالتكية القادرية، وقال أنها" تقع في محلة الميدان، غربي جامع المرادية، يؤمها بالأكثر الأكراد الذين هم على طريقة الشيخ عبد القادر الكيلاني"(المعجم الجغرافي ص ٤٩). وقد نقضت هذه التكية في ١٩٦٠، وأدخلت أرضها في الساحة التي شيدت عليها دار الكتب والوثائق.

(١) ولـــد في بعض قرى جمجمال قرب كركوك سنة ١٢٦٥هـــ/١٨٤٨م، ودرس العلوم الـــشرعية والآداب الفارســـية علـــى أبيه، وغيره من مشاهير كردستان، حتى أتقنها، وصـــار شـــاعراً مفلقـــاً باللغات الكردية والفارسية والتركية والعربية، وكان آية في الارتجال، سافر إلى اليمن والحجاز ومصر والقسطنطينية وغيرها، وله صلات أدبية واسعة بزعماء السياسة والأدب من الأتراك، استقر في بغداد، حيث سكن مع ابنه عبد الله فـــي التكية الطالبانية فيها، سنة ١٢٩٨هـــ/ ولبث فيها إلى وفاته سنة ١٣٣٣هـــ/ ١٩١٤م . ينظر عبد الكريم المدرس: علماؤنا ص٢٠٦.

فالـــشيخ هـــو ولده عبد الله[١]. وهذه التكية تشتمل على محل للذكر وغرف في الطبقة السفلى، وفي الطبقة العليا، وهي ذات طبقتين. وفيها إمام ومؤذن وخادم.

مسجد عبد الرزاق بن ملا قَدَّو

إذا تــوجهت لزيارة قبر الشيخ عمر السهروردي[٢]، وحللت المحلة المعروفة بالجوبة[٣]، شاهدت على يمينك مسجداً مُطلاً على الشارع، ذلك هو هذا المسجد[٤]:

وهـــو عـــبارة عن مُصلًّى صغير واقع على يمين الداخل، وأمامه صُـــفَّة، وفي وسطه حديقة، وفيه إمام ومؤذن هو خادم أيضاً، أنشأه المومى إليه عبد الرزاق ابتغاء وجه الله لاداء الصلاة فيه بسبب خلو تلك المحلة وما جاورها من مسجد، وهم يحتاجون لصلاة الجماعة في أوقاتهم صيفاً وشتاءً.

---

(١) ولـــد ســـنة ١٢٩٨ وتوفي سنة ١٣٥٩هـ إبراهيم الدروبي: تاريخ سيدنا الشيخ عبد القادر الكيلاني ص٦١.

(٢) سيفرد المؤلف في هذا الجامع مبحثاً فيما يأتي من الكتاب.

(٣) الجـــوبة لفظة عربية فصيحة تعني الفضاء الخالي، والمكان المنخفض من الأرض، وهـــي محلة قديمة يرقى اسمها إلى القرن السادس للهجرة. كتابنا: الأصول التاريخية لمحلات بغداد ص٢٥.

(٤) يقع في محلة المهدية، القطعة المرقمة ٥٦/٤٢٠، ذات التسلسل ٩٦، (وبحسب الترقيم الجديـــد ٢٢٦ مـــن الـــزقاق ٣٠ محلة ١٢٦) وكان مسجداً قديماً، جدد عمارته عبد الرزاق الملا قدو، من سكنة المحلة المذكورة، ووقف عليه أرض الاسطبل الواقعة في المحلـــة نفـــسها، مـــع الدكاكين الثلاثة المخرجة منها، والدكان الواقع في محلة سوق حـــنون الكبير المرقم ٩٤/٢٢٠ تسلسل ٢٠٥ بموجب وقفيته المؤرخة في ١٤ صفر ١٣٥٦هـ/١٩٣٧م.

ولا يزال ينفق عليه الرواتب واللوازم من كسبه وماله، فجزاه الله عن الإسلام خيراً[١]، وقد أنشأه سنة ١٣٤٨هجرية[٢].

جامع علي افندي

إذا دَخَلتَ من الشارع العام[٣] في الميدان، [في] الدرب المؤدي إلى الباب الجنوبي الشرقي لجامع المرادية، وسِرتَ فيه قدر غُلوَتَي سهم، حتى تتجاوز مايسمونه رأس الكنيسة، وهو الدرب الواقع على يسار الماشي المؤدي إلى مدرسة الكَهْيَة[٤]، رأيتَ على يسارك درباً ضيقاً، إذا سلكته وصلت إلى جامع واقع على يمينك، ذلك هو جامع علي افندي[٥] الذي كان دفتردار ولاية بغداد سنة ١١٢٣ في أيام حسن باشا[٦]، والد المرحوم أحمد

---

(١) أنشأه سنة ١٣٤٧هـ/١٩٢٨م وجدد سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م، كما ثبت ذلك على الآجر المزجج فوق بابه، ، فيه قبة بيضاء، ولا مئذنة له. وكانت فيه مدرسة، وآخر من تولى التدريس فيها الشيخ محمد المحدث، وهو عالم فاضل من أهل طويلة من أعمال السليمانية، والمسجد اليوم عامر بالمصلين على ما رأيناه في ٢١/٥/٢٠٠٦.

(٢) ويوافق أولها ٩ حزيران ١٩٢٩م.

(٣) يريد شارع الرشيد.

(٤) سيفرد المؤلف في هذا الجامع مبحثاً فيما يأتي من الكتاب.

(٥) هو الحاج علي أفندي بن مراد أفندي بن عبد الله، من أهالي القرم، على البحر الأسود.

(٦) ذكر هذا الآلوسي في مساجد بغداد وآثارها ص٥٣ ولم نقف على ترجمته في مصادر عهد أحمد باشا المذكور(١١٣٦- ١١٤٧هـ/١٧٢٣- ١٧٣٤م)، وفي فهارس مساجد بغداد للآلوسي ص٥٣ لقبه (الخواجة).

باشـــا. وقـــد بنـــى هذا الجامع ووقف عليه أوقافاً في بغداد وفي الصلاحية (كِفري)[1].

وهو جامع تقام فيه الجمعة والجماعات[2]، مُشتَمِل على مُصلًّى واقع أمام الداخل، عليه قبة، وعندها مئذنة، فيه ساحة واسعة، وله خطيب وإمام[3]. ومــؤذن هــو خـــادم. يُدار هو وأوقافه من قبل المتولي الذي هو من ذرية

---

(١) وقــف علــيه عشرة دكاكين متصلة بالمدرسة الوفائية، ومقهى ودكاكين قرب جامع الخلفـــاء، وعــشرة دكاكين قرب باب كتخدا بك ودكاكين أخرى وأراض على طريق الإمام الأعظم، وفي ناحية الدجيل، بموجب وقفيته المؤرخة في ٨ جمادى الأولى سنة ١١٣٣هـــ. وفي وقفية مصطفى آغا بن الحاج علي أفندي بن مراد أفندي، المؤرخة فـــي ٣ شوال سنة ١١٤٢هــ أنه وقف عدة بساتين في شهربان والجوبة وبيوك بيشه لـــك، وكوجك بيشه لك، وأسكي كوخ، ونهر قزلجة على سقاية في جامع علي أفندي. وقد تولى الوقف بعده أخوه عمر آغا بن علي الإندي مؤسس الجامع.

(٢) قـــال عباس بن رجب البغدادي" هو من المساجد المعمورة" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٤٣)

(٣) وكانـــت فـــي الجامع مدرسة من مشاهير مدرسيها المتأخرين الملا محمد بن الحاج درويش بن عبد الله، وكان من علماء بغداد في النصف الأول من القرن ١٣هــ/١٩م، وتولى الإمامة والخطابة فضلاً عن التدريس فيها، ودفن في الجامع نفسه، ومنهم عبد المحـسن بـــن الــشيخ بكـــتاش. لب الألباب ج٢ ص٣٢٦، كما ضمت مكتبة حوت مجمـــوعة من الكتب الخطية، ينظر عنها العقد اللامع ص١٨٣. وقد تولى تعليم فنون الخط فيه الخطاط البارع الملا حمودي البغدادي المتوفى سنة ١٣٢٥هــ/١٩٠٧م.

الواقـف، لاشـتراط التولية للذرية وجريانها فيهم منذ الواقف. ومتوليه الآن على أفندي أحد أحفاده[١].

بنايته بسيطة من دون زخرفة وكاشاني، إلاّ أنها محكمة[٢].

جامع المَصْرَف

إذا جاوز الإنسان محلة رأس الكنيسة متوجها إلى الفضل، ودخل إلى محلـة المَـصْرَف، أي إذا جاوز الطريق المؤدي إلى جامع علي افندي قدر مائتي خطوة، وصل إلى درب واقع على يساره، إذا سلكه مشى قدر خمسين خطـوة، رأى جامعاً على يمينه، منخفضاً عن الأرض قدر ذراعين، ذلك هو جامع المصرف[٣].

---

(١) هـو علي نزهت أفندي، المقيم في محلة البارودية، كما في الإعلام الشرعي المؤرخ في ١٧ محرم ١٣٥١هـ/١٩٣٢م.

(٢) لمقتـضيات شق شارع الملكة عالية (شارع الجمهورية فالخلفاء) سنة ١٩٥٧م جرى نقض هذا الجامع تماماً، ثم قامت الأوقاف ببنائه مجدداً سنة ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، على أرض تقع وراء رصيف هذا الشارع، على هيئة جديدة لا صلة لها بما كان عليه قبل نقـضه، حـيث يدخل المرء إليه من باب لها عقد مرفوع، فيجد فناءً صغيراً، يعقبها رواق، ومنه ينفذ إلى المصلى، ورفعت له، على ركن الجامع، في يمين الداخل إليه، مئذنة جديدة، على الطراز البغدادي التقليدي، وكسيت بالآجر المزجج.

(٣) بعـد شق شارع الخلفاء أصبح زقاق، أو دربونة المصرف، مكشوفاً من يمين الداخل إليه على الشارع الجديد. وكانت هذا الزقاق يسمى بزقاق صالح الخياط. معالم بغداد ص١٥٠. ويقع الجامع اليوم على الزقاق ٦ من المحلة ١١٩ حي الجمهورية.

وهو جامع فيه مصلى صغير، واقع أمام الباب الخارجي، يَصِل إليه الإنسان بالدخول أولاً إلى رواق صغير واقع شرقي المُصلّى. وساحته مستطيلة، على يمين الداخل بيوت الخلاء ومحل الوضوء. و[على] يساره درج يصعد فيها إلى غرفة، هي محل جلوس المدرس. ويقال إنه كانت فيه خزانة كتب، لكن رأيت بعض كتب لا تتجاوز أصابع الكف[1]، عند متوليه نافع أفندي النائب[2]، الذي هو من ذرية الباني من الإناث، اي ابن بنت حفيد الباني.

---

(١) ذكر الدروبي (البغداديون ص٣١٤) أن الواقف أضاف إلى الجامع مدرسة علمية تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية"، وجعل فيها " مكتبة تضم نوادر الكتب"، وإن من مدرسيها المشهورين الشيخ عبد المحسن الطائي. وكان الآلوسي قد نوه بهذه المكتبة فقال" وفيه بعض الحجر، ومدرسة، وخزانة كتب ولم يبق منها اليوم شيء" (مساجد بغداد وآثارها ص٧٣) وذكر عبد الله الجبوري أنه كانت في هذه المدرسة خزانة كتب نفيسة، بقي منها قدر قليل ما زال يرقد في طواميره في دار العميد الركن عبد المنعم المصرف، وأن قدراً أقل انتقل إلى مكتبة الأوقاف ببغداد، وكلها مخطوطة، وفيها نفائس ونوادر، وعدد المخطوطات التي ضمتها مكتبة الأوقاف من بقايا هذه الخزانة (٤٢) مخطوطاً، وأرقامها في المكتبة (١٠٦٠٣- ١٠٦٤٥)، وقد ضمت إلى المكتبة سنة ١٩٥٦م (مكتبة الأوقاف العامة، تاريخها ونوادر مخطوطاتها ص٦٧). وذكر عبادة أن من مدرسي هذه المدرسة الملا محسن أفندي بن بكتاش، وأحمد أفندي الزند(العقد اللامع ص١٨٣).

(٢)هو الشيخ محمد نافع أفندي بن علي صائب بن إسماعيل الآخر بن إبراهيم بن إسماعيل بن العلامة ولي قاضي كركوك بن عبد الله بن الشيخ إسماعيل الطائي، ولد في محلة المصرف، حيث الجامع المذكور، سنة ١٢٩٩هـ وأخذ العلم عن علماء=

والباني هو أحمد أفندي المعروف بالمَصْرَف[1]، أي الذي يأمر بصرف السندات والأوراق التي تشتمل على إداء أموال من صندوق

=مدينته، منهم عبد المحسن آل بكتاش الطائي، إمام جامع المصرف، كما تتلمذ على السيد محمود شكري الآلوسي، وعين نائباً للشرع في المحكمة الشرعية ، ثم عين قاضياً في ناحية جصان سنة ١٣٢٣هـ، وتقلب بعدها في المناصب الشرعية، حتى رفع إلى رتبة (قاضي مدينة بغداد) سنة ١٩٢٨م. السهروردي: لب الألباب ص٣٧٤.

(١) في العقد اللامع أنه أنشأه سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م(ص١٨١) وذكر الدروبي أن هذا التاريخ هو تاريخ وقفيته (البغداديون ص١٢٦) وذكر أنه أنشأه سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م، بينما تشير وقفيته المؤرخة في ١٧ ذي الحجة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م إلى أنه وقف على جامعه هذا حصصاً في بساتين عديدة في بغداد، وأصل أحمد المصرف من كركوك، وكان هو من رجالات بغداد المعروفين وأعيانها، وله المجلس الحافل الذي يعقده في مسجده هذا فيتردد إليه أعيان بغداد وفضلاؤها ووزراؤها ، وتوفي سنة ١٢٣٥هـم١٨١٩م(البغداديون ص١٨٤). ويفهم من وقفيته المؤرخة في ٢٧ شعبان سنة ١٢٣٠هـ أن هذا المسجد كان يتصل بمنزل الواقف. ومن أوقافه الأخرى حصص في الحلة وكفري والخالص وينكجة (الجديدة) من أعمال الخالص، وبساتين في خارج باب المعظم، وفي محلة الشيخ عبد القادر الكيلاني، وفي هور عقرقوف، وفي باب الحلة (حيث علاوي الحلة اليوم)، وفي أرض الهبنة (في شمال غربي الكاظمية) وخان في أرض وقف الشيخ عبد القادر الكيلاني، وحصص في حمام وكل خان (لعلها: كارخانه: بمعنى موقد) وخان في كركوك، وقفها في ٢٧ شعبان ١٢٣٠ هـ، وثمة أوقاف أخرى وقفها محسنون. ينظر عن أوقافه: العقد اللامع ص١٨٦ ومعالم بغداد ص١٥٠. وقد زرته، والسيد زين النقشبندي، في ١٤ حزيران ٢٠٠٦، فوجدت ثمة لوحة بالآجر المزجج ثبتت على يسار الداخل إلى المصلى، جاء فيها ما نصه" أسسه أحمد أفندي بن علي بن القاضي عبد الله بن الشيخ سليمان الطائي سنة=

الحكومة. وقد كان مأمور الصرف أيام ولاية سليمان باشا، فسعيد باشا، فداود باشا[1]. وهو يكون تحت يد الدفتردار، أي أنه يشير على السَّنَد باقتضاء صرف ما فيه، فيشير الدفتردار على السَّند بلزوم صرفه. وكان هذا الرجل من أهل الخير والبر والعلم والفضل.

وكان على باب الجامع مكتوب بالكاشاني ما يأتي:

لله بيتُ عبادةٍ وتُقى ... رُفِعتْ قواعده على رضوى
كم راكع لله فيه وكم ... من ساجد للفوز بالمأوى
يتلون للذكر القديم به ... وكذا حديث المصطفى يروى
قَد شاده بالفضل أحمد من ... فاق الورى بسوابغ الجدوى
ناديتُ مُذ قام الخطيب على ... أعواده بمحاسن النجوى
فبرفع ذي الأفلاك أرخه: ... أسَّستَ أحمد جامع التقوى

=١٢٢٧هـ ثم أصلح إصلاحاً تاماً بنظارة القاضي محمد نافع المصرف سنة ١٣٤٦ هـ ثم أعيد تجديده بتولية محمد رفعت عبد الرزاق وناجي زين الدين وبنظارة عبد المنعم نافع المصرف سنة ١٣٧١هـ"، وثمة كتابة على قطعة من القاشاني على بابه الخارجي تشير إلى تجديد ناجي بن زين الدين المصرف سنة ١٣٧١هـ. وقد أخبرنا القائمون عليه أنه جدد آخر مرة سنة ٢٠٠١هـ وأن مصلاه يأخذ شكل مستطيل منتظم، وأن محراباً جديداً قد وضع في قبلته، مكون من الرخام البني المجزع، ولا كتابة فيه.

(١) تقدت الإشارة إلى سني توليهم الحكم في ولاية بغداد.

١٢٢٨[1].

وقد أصابه بعض الوهن، فجدده نافع افندي النائب المومى إليه، وقد كـتب إشـارة إلـى هذا التجديد كتابة بالكاشاني على جدار المصلى، قبالة الباب....[2].

قبـر أحمد افندي المومى إليه في المسجد. وفي الجوار رخامة حفر فيها ما يأتي......[3].

جامع الكَهْيَة

هـو جامع يصل إليه الإنسان من الطريق المؤدي إلى جامع الفضل والمـصرف، ذلـك الطـريق الصاعد من الميدان، فإن الإنسان إذا سار من المـيدان فـي الطريق المذكور، فقبل أن يصل إلى الدرب المؤدي إلى جامع

(١) كـذا جمع أقيام هذا الشطر، وفي مساجد الآلوسي: ١٢٢٧، مع أنه كالآتي: أسست: ٥٢١+ أحمـد ٥٣ + جامـع ١١٤+ الـتقوى ٥٤٧= ١٢٢٦. ولما تزل هذه الكتابة موجـودة واضـحة علـى باب الجامع الخارجي، وهي بخط الخطاط البارع درويش محمود الثنائي بن طيفور البغدادي، المتوفى بعد سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) بـياض في الأصل. وأدرج عبادة سبعة أبيات قال أنها حررت على رخامة وضعت في الجدار، عند قبر علي ابن الواقف، وفيها شطر التاريخ ونصه (علي بجنات النعيم مصيره) مع أن مجموع أقيام شطر التاريخ هو (١١١٢) وهو متقدم على تاريخ وفاة الواقف نفسه. كما أدرج نصين حررا على قبرين، أولهما لمن اسمه درويش أفندي بن حمـزة سنة ١٢٣٠، والآخر لدرويش المتوفى سنة ١٣٠٠هـ. قلنا: وقد أزيلت هذه الشواهد الأثرية، ورفعت أجداث أصحابها، في زمن ما، فهو خال اليوم من القبور.

علي أفندي بمقدار ثلاثين خطوة، يرى على يمينه درباً عند قهوة، إذا سار فيه قدر مائتي خطوة، وصل إلى رحبة على يساره، فيها جامع صغير، ذلك هو جامع الكهية(١).

وهـو جامع(٢) لطيف الوضع، محكم الصنع، مزين بابه بالكاشاني. فـيه مجـاز، إذا دخلـه المرء مال به إلى اليسار، فيصل إلى رحبة الجامع

---

(١) الكهية: اسم وظيفة مؤسسه، وهي مخففة من (كيخيا) و(كخيا) و(كاخيا) وكلها مأخوذ من (كتخدا)، والأخيرة محرفة من الفارسية: كدخدا، وتعني حرفياً صاحب البيت (كد: بـيت، خـدا: صاحب) وتطلق بوجه عام على من بيده تصريف الأمور، كالمختار، والعمـدة، والحـاكم، والزوج (محمد التونجي: المعجم الذهبي فارسي عربي، بيروت ١٩٦٩، ص٤٦٠)، وفـي الـنظم العثمانية كان الكتخدا هو أحد رؤساء الصنف من الحـرفيين، وحلقـة اتـصال الحكومة بالصنف، والمكلف بتزويد الصنف بحاجياته، وتطلق السجلات العثمانية الموضوعة في القرن العاشر للهجرة (١٦م) هذا الاسم على رئيس العشيرة، ورئيس المحلة أيضاً في المدينة، ثم صار اسم وظيفة لمساعد الوالي ومعاونه ومدير مكتبه الخاص لمختلف الشؤون الإدارية والعسكرية والمالية، فهو إذن بمـثابة الوزيـر للوالـي، والمرشح لتولي الحكم بعده. عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة، بتحقيقنا، بغداد ١٩٧٨، ص٥٨.

(٢) كان هذا الجامع يشغل الأرض ذات التسلسل ٢٥٩، وهي اليوم في وسط ساحة وقوف الـسيارات، مقابل محافظة بغداد، وتناول هذا الجامع الآلوسي: مساجد بغداد ص٦١ وعـبادة :العقـد اللامـع ص١٧٦-١٧٩ وعبد الستار القراغولي: تاريخ القراغول، بتحقيقـنا، بغـداد ٢٠٠٥، ص٦١-٦٣ قلنا: وكانت للجامع قبة لا رأس لها، ومئذنة صـغيرة لا زينة فيها، ومصلى صيفي يتقدم مصلاه، له محراب تعلوه آيات كريمة، وهـو مـسقف بألواح من الخشب، ومرفوع بأعمدة من الخشب أيضاً، وطابق علوي علـى يمين بابه، خصص للمكتبة القيمة التي كان يحتوي عليها، ولبابه عقد، ومثله=

الـصغيرة. مـصلاه علـى يسار الداخل، فوقه قبة صغيرة، وعندها مئذنة صـغيرة، واقعة على الطريق. أما المصلى فصغير لا يحوي أكثر من ثلاثة صفوف، وأمامه صفة. وفيه خزانة كتب في الطبقة العليا يصل إليها الانسان بـدرج من المجاز، ومن داخل الجامع أيضاً، وهي كتب الواقف أمين أفندي الـزند[١]. الـذي ولي إفتاء بغداد بعد محمود أفندي الآلوسي، ثم صار كتخدا والـي بغداد إذ ذاك، وهو نجيب باشا، ولذلك كان يلقب (بالكهية). وبعد ذلك ذهـب إلـى الآستانة، فصار عضواً في مجلس الأعيان، وغدا من رجالات الدولة العثمانية. وكان محبوباً لدى الناس، ذا أخلاق عالية، حليماً ورعاً حيياً محباً للخير وأهله، حتى أنه فيما يحكى لما ختن أولاده ختّن معهم من الأولاد اليتامـى مـا يعدون بالمئات، بعد أن كساهم أحسن كسوة، فمدحه لذلك السيد عبد الغفار الأخرس[٢]. وهنأة بقوله:

يهـنك مابلغـت مـن الأمانـي — فلـم تـبرح بأيـام التهانـي
تـسر وقـد يـسر الـناس طـراً — ببـيض فِعالـك الغُـر الحـسان
وفـيما قـد فعلـت جـزيت خـيرا — وهل تجزي سوى خُلد الجنان

=نـوافذه المطلة على الطريق. وقد هدم هذا الجامع في تموز سنة ١٩٦٤م، ثم أنشئ بدله سنة ١٣٩١هـ/١٩٧١م مسجد صغير بجوار مقبرة الغزالي من الجهة الشرقية.

(١) توفي سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، وهو ابن أحمد أفندي المتوفى سنة ١٢٦٢هـ/١٨٤٥م. الـبغداديون ص٧٧ ، والعزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٧ ص١٥٨. وذكر عـبد الستار القراغولي أن جامع الكهية هو من تأسيس كامل بك وأخوته، أبناء محمد أمين المذكور، ويسمى باسم والدهم الكهية" تاريخ القراغول ص٦١.

(٢) الطراز الأنفس ص٤١٩.

فعلت الواجب المأمور فيه ... وما سن النبي من الختان

وأولمت الولائم فاستلذت ... لها الفقراء من قاصٍ وداني

وأكثرت الطعام بهن حتى ... لقد ضاق الطعام عن الجفان

وجاءت الناس أفواجاً إليها ... لَم يُعرَف فلانٌ من فلان

شرابهم شرابٌ سُكَّرِيٌّ ... ومما يشتهون لحوم ضان

لقد قيل الطعام فلم تَدان ... وقد قيل السماع فلم تُدان

بذكر الله إنك قبل هذا ... قد استغنيت عن كل الأغاني

وما تلهو عن السبع المثاني ... بأصوات المثالث والمثاني

ختمت[1] بنيك في أيام سعد ... بمعقول الفصول من الزمان

وأربعمائة ختمت وكانت ... يتامى لم تُسنن بالختان

كسوتهم الملابس فاخراتٍ ... فَراحوا مثل روض الأقحوان

فمن خضر ومن صفر وحمر ... كأمثال الشقيق الأرجواني

كأزهار الربيع لها ابتهاج ... وقد سقيت حيا المزن الهتان

أتيت بها من الصدقات بكراً ... وما كانت لعمرك بالعوان

أردت بذاك وجه الله لا ما ... يقال ويستفاض على اللسان

أحبك لا المال اقتفيه ... ولا طمع بجود وامتنان

ولا أثني عليك الخير إلاّ ... اعتقاداً باللسان وبالجنان

(١) لعلها: ختنت.

وكيف وأنت للإسلام ركنٌ تُشاد به القواعد والمباني
أعز الله فيك الدين عزاً ولم يك قبل ذلك بالمُهان
فكنتَ الروح والمعنى المعاني فقل ما شئت عن روح المعاني
تقول الحق لا تخشى ملاماً ولست عن المقالة بالجبان
ولا داريت أو ماريت قوما برفعة منصب وعلو شان
ولم تحكم علي أمر بشئ إلاّ أن يستبين إلى العيان
فَتُدرك ما تحاول بالتأني وإن رمت الجميل فلا تواني
محمد الأمين أمنت مما تحاذره وإنك في أمان
كفاك الله ألسنة حداداً لها وخز ولا وخز السنان
ولم أسمع مقالا فيك إلاّ مقال الخير آنا بعد آن
بقيت لنا وللدنيا جميعاً وكل غير وجه الله فاني

وكان المرحوم أمين افندي المذكور قد جمع من الكتب الكثير، وحوى من المخطوطات الجميلة المشتملة على الفنون المختلفة ما كانت بغية أهل العلم قبل أن يلي الإفتاء وبعده، وكان يتحدث دائماً حينما كان في بغداد، وبعد ذهابه إلى الآستانة أيضاً، بأنه يحب أن يُفرِد من منزله محلاً يجعله خزانة لكتبه، ويجعل فيها قَيِّماً يحافظ عليها، ويقدم ما يطلب منها لمن ينتابها من طلبة العلوم و المُحصّلين للمطالعة أو الاستنساخ، فذهب إلى ربه ولم يوفق لما كان يتمناه، فلما قضى نحبه سارع ولده البار كامل بك، الذي -والحق يقال

إنــه خيــر خلف لخير سلف- إلى إخراج أمنية والده إلى حيز الوجود، فقدم بغـداد، وباشــر بتعمير قسم من دار أبيه، فجعله هذا الجامع[١]، وجعل فيه الخـزانة المذكورة، وجعلها في حجرة داخل حجرة، بقمطرات ومكتبات، [و] أعد الحجرة الداخلية للكتب، والخارجية لجلوس المطالعين والناسخين، ثم جاء بالكـتب وبعـد تفريقها وختمها بالختم الدال على كونها وقف الواقف المشار إلــيه، وقـيد أسمائها وتفريقها حسب فنونها، وضعت في المكتبات الخشبية المعــدة لها. وكنت إذ ذاك صغيراً فذهبت صحبة المرحوم السيد أحمد افندي النقـشبندي، وحـضرت قيدها وختمها، فبلغت من أرض الغرفة وحتى مناط سـقفها. ولقـد اطلعتُ على ما حوت من تلك الكتب ذات الخطوط الحسنة، والمُحلاّة بالذهب، المشتملة على أنواع القرطاس المكتوبة فيه، فمن قرطاس يسمونه التِرْمَة[٢]. إلى رق الغزال إلى الخ..

وبعد أن وضعها في محلها، ورتّبها بمعرفة العلماء الذين نَدَبهم لهذه الخدمة العلمية، عيَّن لها قيِّماً هو شهاب الدين الآلوسي، وذلك بانتخاب السيد

(١) تتـضح سـعة هذه الدار من اقتطاع ذلك الجامع منها، ومنشآت أخرى، قال عبد الستار القراغولــي واصــفاً هذا الجامع " هو مقتطع من دار الكهية الكبيرة التي استخرج منها حمامــان للرجال وللنساء، بناهما لنفسه حسن المعمار بعد شرائه قسماً من أرض الدار، واسـتخرجت مــن دار الكهية هذه عدة دور، وشق في وسطها شارع ينفذ إلى محلتي القــراغول وتــبة القــراغول(يــريد: تبة الكرد)، وإلى محلة الميدان" (تاريخ القراغول بتحقيقنا، ص٦١).

(٢) الترمة ضرب من الورق الرقيق، المتميز بصقالته، ربما كان ينسب إلى مدينة (ترمذ) التي اشتهرت في العصور الإسلامية بصناعة الورق.

محيـــي الدين افندي النقيب[١]. نجل السيد عبد الرحمن افندي نقيب بغداد، كما عينه أيضا خطيباً وإماماً في الجامع. وكان البدء في عمارة الجامع والمكتبة ســنة عــشرين بعــد الثلمائة والألف[٢]، فلما حلت السنة الحادية والعشرون ومضى شطر منها، كملت ووضعت فيها الكتب على ما وصفنا[٣].

وبعد زخرفة الجامع، وصبغه بالأصباغ المتنوعة، وطلائه بالبياض، وفرشـــه بـــالجص، والزلالـــي والبسط، دُعي العلماء والأشراف والأعيان وأركان الدولة لحضور افتتاحه، فاحتفل بفتحه في يوم الجمعة السادس عشر مـــن شعبان سنة ١٣٢١، وصليت فيه الجمعة. صلى فيه إماماً نائب الباب إذ ذاك عبد الوهاب أفندي الشهير بالنائب[٤]، وبعد الفراغ من الصلاة تليت منقبة

---

(١) ولد ببغداد سنة ١٢٨٤ هـ/ ١٨٦٦م وأخذ العلم على السيد يوسف العطا والشيخ عبد الـــوهاب النائب وغلام رسول الهندي، من كبار العلماء ببغداد، وانتخب سنة ١٣٣٠ هـــــ/١٩١١م عضواً في مجلس الأعيان العثماني، فكان يناصر القضية العربية بنشر المقـــالات في صحف استانبول، وعاد إلى العراق بعد الحرب العالمية الأولى، حيث لـــبث معـــتكفاً حتى وفاته سنة ١٣٤٩هـــ/١٩٣٠م. الدروبي: تاريخ سيدنا الشيخ عبد القادر ص٤٠٦.

(٢) ويوافق أولها ١٠ نيسان ١٣٢٠م.

(٣) تفـــرقت هـــذه الكتب، وآلَ قدر قليل منها إلى مكتبة الأوقاف ببغداد، وفيها فرائد من المخطوطات العربية، وقليل من التركية والفارسية. الجبوري: مكتبة الأوقاف ص٦١. وذكـــر القراغولي أنه عثر في هذه الخزانة على كتاب (النفحات المسكية في صناعة الفروسية) وكان ضمن مجموعة خطية تحتوي على اثنتين وعشرين رسالة مختلفة في العلوم، فحققها وطبعها.

(٤) تقدم التعريف به.

المولد النبوي، وبعد الفراغ منه دُعي للخليفة السلطان عبد الحميد، ولصاحب المسجد وللمسلمين، ثم وُزِّع الشراب (الشَّربَت) والسُّكر المُلَبَّس، وكان قد حضر ذلك الافتتاح والي ولاية بغداد ونقيبها وأشرافها وأعيانها وعلماؤها[١]، وكان احتفالا مهيباً ويوماً مشهوداً.

وفي الجامع المذكور سِقاية لشرب المارين والعابرين، يقيم فيها قَيِّم يناول الماء لطالبه. وفيه إمام وخطيب ومؤذن وخدم، عدا قَيِّم خزانة الكتب. [و] إدارته من قبل الأوقاف التي خصصها له أولاد الأمين المرحوم. أما ما فيه من الكتابة فلا يوجد سوى ما هو مكتوب على باب الجامع وهو:

ذا جامع فيه رياض التقى　　مزهرة فليعمل العامل

مكتبة فيه لأهل الهدى　　يَنال من جوهرها السائل

وماؤه العذب غدا كوثراً　　فليس يحكيه الحيا الهاطل

شيَّده مُحتسِباً موُقِناً　　سليلُ صدر العلماء الكامل

على التُقى مُذ تمَّ أرختُه　　قد نار هذا المسجد الكامل

١٣٢١

---

(١) في الأصل: وعلماء.

مسجد دكان شناوة

......[(1)].

جامع حسين باشا

إذا دخلت الدرب الواقع غربي جامع الحيدرخانة، في الشارع العام، وسرت فيه قليلاً، رأيتَ أمامك دربين كل واحد منهما يؤدي بك إلى جامع

---

(1) بياض في الأصل. وقال عبادة واصفاً هذا المسجد " أسسه المرحوم الحاج عبد القادر القره غولي، نسبة إلى عشيرة قره غول، وذلك سنة ١٢٦٠هـ/١٨٤٤م، وأوقف عليه مقهى مقابلة له وأربعة دكاكين، وقبل أن تسجل الأملاك المذكورة توفي، فبيعت من قبل ورثته، وصارت ملكاً للغير، وقد تصلى في هذا المسجد بعض الأوقات، وقد ترك زمناً وتهدم، ولما ضبطته دائرة الأوقاف بنته سنة ١٢٤٠هـ/١٩٢٠م، وعينت له إماماً وصار راتبه منها، ولما تعمر هذا المسجد أخرج منه أربعة دكاكين، وأوقفت عليه، وغلتها لا تفي بمصالحه، والدكان معلوم، وشناوة اسم رجل" (العقد اللامع ص ١٧٤) ووصفه الشيخ محمد بهجة الأثري بقوله أنه مسجد صغير أمام مخفر الشرطة، في محلة دكان شناوة، فيه كتاب صغير. فوائت مساجد بغداد للآلوسي ص١٤٠. وذكر عبد الستار القراغولي أن اسمه القديم، قبل أن تشتهر المحلة بدكان شناوة، هو مسجد القراغول، وقال" هو صغير، تبلغ مساحته الـ ١٢٠،٢م كان ملكاً لآل الحاج صالح القرغولي، رأيته وأنا طفل، قديم البناء، فيه أبواب ومصلى، وغرفة يدرس فيها القرآن رجل يسمى الملا رشيد، ويقوم بالأذان والخدمة، وقد قرأت عليه القرآن" (تاريخ القراغول، ص٥٧- ٥٨).

حسين باشا[١]، فالدرب الغربي يجعله على يمينك، والشرقي يجعله على يسارك[٢].

وهو جامع[٣] ذو مساحة كبيرة، وسطها (دكة) للصلاة صيفاً، وأمامها نحو القبلة مصلى واسع، عليه قباب بيضاء معقودة بالآجر والجص. وعلى يمين المُصلَّى مئذنة واقعة على الطريق، وأمام المُصلَّى صُفَّة طويلة بطول المُصلّى، وعلى يسار المُصلَّى غرفة في الطبقة العليا هي محل جلوس المدرس وتدريسه، وتحتها محل لجلوسه في الصيف، وهو حجرة نازلة في الأرض لها شبابيك على رحبة الجامع (سرداب). وفي شمال الجامع وغربيه حُجَر لسكنى الطلبة، وفيه بعض القبور، دفن فيها بعض مجاوريه[٤]. وتوجد

---

(١) هو والي بغداد حسين باشا السلاحدار، بدأ حياته في البلاط العثماني حاملاً للمفاتيح السلطانية، ثم عين رئيساً للسياسين وآمراً للاصطبل، ثم تقلب في المناصب حتى عين والياً على حلب، وبعدها عين والياً على بغداد في غرة محرم سنة ١٠٨٢هـ/١٦٨١م، وعزل عنها في ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٠٨٥هـ/١٦٨٤م. كلشن خلفا ص٢٧٨ وسجل عثماني ج٢ ص١٩٧ والعقد اللامع ص٢٤٠.

(٢) رقم الجامع بحسب الترقيم الجديد ١٥ زقاق ١٥ محلة ١١٢

(٣) أنشأه عوض آغا كتخدا الوزير حسين باشا السلاحدار سنة ١٠٨٥هـ/١٦٧٤م من أموال سرقها من سيده الوالي، فلم ينسب إليه وإنما نسب إلى الوالي المذكور، وما زال الجامع عامراً معروفاً بهذه النسبة. كلشن خلفا ص٢٧٨، والبغداديون ص٣١٧-٢٣٨ عباس بن رجب البغدادي: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٤١.

(٤) في هذا الجامع قبر ذكر عبادة أنه وجدت عليه كتابة على الحجر الكاشاني نصها" هذا مقام السيد إبراهيم الفضل بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام سنة ٧٢٣" (العقد اللامع ص٢٤١). ولم يعد لهذه الكتابة وجود الآن، وقال=

غرفة على الدرب الغربي في الطبقة العليا أيضاً، هي لإقامة المدرس[1]، وقد استُحدثَت هذه لقُرب تلك الغرفة من بيوت الخلاء.

وفـــي الجامـــع بابان متقابلان شرقي وغربي، وفيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخادم، وفيه إطعام طعام. وادارته مُشتركة بين دائرة الإوقاف والمتولـــي، فعلى المتولى إطعام الطعام من الأوقاف التي تحت يده في مندلي

=ابـــن عنـــبة في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ص١٦١ في ترجمة إبراهيم الغمـــر بـــن الحسن المثنى أنه" صاحب الصندوق بالكوفة، يزار قبره" وكانت وفاته، فقبره كان معروفاً مشهوراً في الكوفة في عصر ابن عنبة (القرن التاسع للهجرة) مما ينفي احتمال أن يكون التاريخ الذي في النص المذكور هو لبناء مرقده أو تجديد حجرة ضـــريحه، كما انه توفي في السنة التي شهدت تأسيس بغداد نفسها، ولم يكن العمران قـــد انتقل إلى هذه النواحي من بغداد الشرقية بعد. وقد أشار الرحالة المطراقي زاده سنة ٩٤١هـ/١٥٣٨م إلى قبر ينسب إلى (الشيخ إبراهيم) ولا يعلم ما إذا كان قصده، أم قـــصد قبراً لسمي له يقع اليوم قرب مدخل شارع الشيخ عمر السهروردي (رحلة المطراقـــي زاده ص٨٨). ويقـــع القبر في حجرة تعلوها قبة منخفضة، بين المدرسة والمـــصلى، ولهـــا نافذتان الأول على الدرب المجاور، وأخرى على المصلى، وعلى القبر نفسه قفص من الخشب.

(١) أنـــشأ هذه المدرسة حسين باشا السلاحدار، وجعل من شرطها أن تدرس فيها العلوم العقلية والنقلية وعلوم القرآن، وعين عدد الطلبة الذين يدرسون فيها في كل سنة، وقد تولـــى التدريس فيها عدد من العلماء، منهم الشيخ حبيب الكروي المتوفى سنة ١٢٩٠ هـــ/١٨٧٣م والشيخ علي الخوجة المتوفى سنة ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م والسيد أحمد بن عـــبد الغنـــي الـــراوي(وهو أخو المؤلف) المتوفى سنة ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م ومحمد القزلجي المتوفى سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.

وبغــداد، ويُعطى شيئاً منها للمدرس حسب شرط الواقف. أما تعمير الجامع وفرشـــه ولوازمه فتعطى من قبل إدارة الوقف. وللخطيب والإمام بستان في مندلـــي مشتركة غلتها بينهما، وكذلك غِلَّة دار في بغداد هي مشتركة بينهم، ولكن لإطعام طعام ولا غيره، سوى الرواتب يتقاضاها الموظفون من دائرة الأوقاف[١].

وفي الجامع سِقاية واقعة على الدرب الغربي، فيها شباك يتناول منه العطاشـــى الماء[٢]. وهذا الجامع هو من بناء الوزير حسين باشا السلا حدار

---

(١) كـــان آخر تجديد له قد جرى سنة ١٣٦٨هـــ/ ١٩٤٨م كما ثبت ذلك بالآجر المزجج علـــى بابه الخارجي، وقد زرنا، محقق الكتاب والسيد زين النقشبندي، هذا الجامع في ١٢ حزيـــران ٢٠٠٦ فـــوجدناه فـــي حالة يرثى لها، فقد سقطت قبة مصلاه القديمة الكبيـــرة مـــنذ مـــدة وظلـــت أنقاضها تملأ أرض هذا المصلى، فاتخذت حجرة كانت مخصـــصة للـــدرس عن يسراه مصلى بديلاً، أما حجرات المدرسة، التي على يمين الداخل إلى الجامع، والمطلة على فنائه، فقد اتخذت مخزناً للأوقاف في بعض العهود ثم أهملت كلياً، وهكذا الأمر بالنسبة للحجرات الأخرى، وكان التدريس قد انقطع عنها ســـنة ١٩٦٠ وآخر مدرسيها آنذاك الشيخ عبد القادر حتانة، كما انقطعت الخطبة في الجامع في التاريخ نفسه، وآخر خطبائه الشيخ توفيق الخياط. وفي فناء الجامع مصلى صـــيفي مـــرتفع أرضه عن مستوى الفناء حوله، ويتقدم المصلى القديم رواق مرفوع على خمسة عقود، زينت جبهتها بزخارف بالآجر المزجج، وثمة محراب صيفي زين بالآجر المزجج أيضاً، وكانت قبة المصلى تستند إلى أربعة دعائم مربعة كبيرة، يشبه ما كان عليه جامع القبلانية، المشيد في نفس تاريخه، وفي الجامع، عن يمين مصلاه، مئذنة جميلة بنيت على الطراز البغدادي الأصيل، بقمة خضراء محززة.

(٢) لا أثر لهذه السقاية اليوم.

صاحب الوقف الكبير الذي يمتد من الميدان حتى الشيخ عمر السهروردي حسب وقفيته المسجلة في دائرة أوقاف بغداد(١)، والتي أصبحت بحكم العقل مستحيلة التطبيق، لكون كل هذه المواقع أصبحت ملكاً للناس. وهو الذي بنى سقاية جامع الشيخ عمر السهروردي، ومَدَّ لأجلها قناة من الكَرْد الواقع على دجلة، إلى جامع الشيخ المذكور. والكَرْد هو الكَرْد

---

(١) وقف عليها الأوقاف الكثيرة منها ٧١ دكاناً من إنشائه قرب المدرسة المستنصرية، ودكاكين ودكتان، وغرف أربع فوق الدكاكين المذكورة، ودكانان أنشأهما ملاصقين لجدار الساقية (القناة) التي مدها لتزويد محلات القسم الشمالي من بغداد بمياه الشرب، وأرض اشتراها من الحكومة بالمزايدة من جهة الباب الأبيض (باب الظفرية المسمى فيما بعد بالباب الوسطاني)، وأرض في محلة الصابونجية، وأرض مسكونة من قبل دباش في المنطقة مارة الذكر، والأرض الممتدة من مرقد الشيخ محمد الفضل إلى ميدان الفروسية، ومن مرقدي أبي سيفين ووالدة الإمام موسى، وحتى الباب الأبيض، وقلعة الطلسم (وهو باب الحلبة القديم الذي نسفه العثمانيون المنسحبون من بغداد سنة ١٩١٧) وبرج العجم، وهي الأرض الواقعة قرب مرقدي الشيخ الغزالي والشيخ علي السهراني، والتي تبلغ بالجملة ٥٥٦٧ ذراعاً طولاً، و٤٣٣ ذراع عرضاً، وعقارات أخرى، منها النصف الشائع من بستان قرب حضرة الإمام الأعظم، ومقهى مراد مقابل خان التمغة، البستان الواقع قرب مرقد الشيخ شهاب الدين السهروردي، وذلك بموجب وقفيته المؤرخة في سنة ١٠٨٦هـ.

الواقع شرقي النادي العسكري[1]. في قسم الرِّباط العائد إلى أبي النجيب السهروردي[2].

جامع مُنَوَّرة خاتون

إذا سِرتَ في الدرب الواقع شمالي جامع حسين باشا، مُشرِّقاً قدر ثلثمائة خطوة، وصلتَ إلى جامع واقع شمالك، ذلك هو جامع الخاتون أو مُنَوَّرة خاتون[3].

وهو جامع بنته المرأة الصالحة منورة خاتون[4]، زوجة الوزير الخطير سليمان باشا الصغير[5]، ووالده الأمير

---

(١) يريد ما عرف فيما بعد بنادي الضباط، ثم قصر على الضباط الأعوان فعرف بهم، وقد نقض هذا النادي سنة ٢٠٠٤، وأرضه اليوم ساحة خالية، ذات التسلسل ٢٨٢ ورقم ٤/٥٢ وقيل أنها أعدت لبناء مؤسسة ثقافية جديدة.

(٢) سيتناول المؤلف هذا الموضع فيما يأتي من هذا الكتاب، ولنا تعليق عليه هناك.

(٣) كانت أرضه أولاً جزءً من ثكنة للمدفعية باسم (قِشلة الطوبجية) فاشترتها منورة خاتون وشيدت عليها هذا الجامع، ويشغل قطعة الأرض ذات التسلسل ٢٤٦ والمرقمة ٧٩/٨٣، وهو اليوم يطل على شارع الخلفاء. وقد نوه بهذا الجامع الآلوسي: مساجد بغداد وآثارها ص٣٦- ٣٧ وعبادة: العقد اللامع ص٢٢٦-٢٢٥، وعباس بن رجب البغدادي: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٤٢ والدروبي: البغداديون ص٣٣٨.

(٤) توفيت سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م.

(٥) الصحيح: سليمان باشا الكبير، والي بغداد من ١١٩٢إلى ١٢١٧هـ/١٧٧٨- ١٨٠٢م.

صادق بك[1]، صاحب البستان الواقعة غربي بستان العيوازية، وقد وقفها على فقراء الحضرة النبوية والدته المشار إليها، وهي مشهورة ببستان صادق بك[2]، وقد قتل هذا الأمير بعد قتل والده من قبل المماليك الكُولَه مَندية[3].

وهو جامع مشتمل على فسحة متوسطة، ومصلى صيفي واقع على يسار الداخل إلى الجامع، ومصلى شتائي (حَرَم) واقع على يمين المصلى الصيفي بقبة معقودة بالجص والآجر. وفيه حجر في الطبقة السفلى، وحجر في الطبقة العليا معدة للتدريس، وفيه مئذنة منقوشة بالكاشاني، وله إمام وخطيب ومؤذن وخادم ومدرس. وإدارته من قبل دائرة الاوقاف[4].

---

(١) من زعماء المماليك في بغداد، قتل عند دخول علي رضا باشا بغداد سنة ١٢٤٧هـ/ ١٨٣١م. ينظر سليمان فائق: مرآة الزوراء (نشر بعنوان: تاريخ بغداد) ص٢٨، ٨٧، ٩٩، ١١٦، ١١٧.

(٢) وقفها بموجب وقفيته المؤرخة في غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٣٣هـ .

(٣) تقدم التعريف بهذا المصطلح.

(٤) من أوقافه بستان في الحلة وآخر في قزانية التابعة لمندلي، وداران متصلتان بالجامع نفسه، شيدت على أرضهما سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، مدرسة ابتدائية، أصبحت فيما بعد دار المعلمات الابتدائية، ثم شغلتها مدارس عدة للبنات وما تزال قائمة، إلاّ أن جزءً منها اقتطع ليدخل في شارع الخلفاء وهي اليوم تطل عليه. عبد الكريم العلاف: بغداد القديمة ص٢٦-٢٧. ومن المؤسف أن نقضت الأوقاف هذا الجامع سنة ١٩٦٦ ولم تبق منه سوى مئذنته، فبقيت أرضه خالية عدة سنوات، ثم شيدت عليها مدرسة استأجرتها وزارة التربية وما تزال.

وقد كتب على بابه أبيات تشير الى تاريخ بنائه وبانيته وهي[1]:

جامــــعٌ للأنـــوارِ لاحَ محــــرَّرُ ... في جـــبين الـزوراء الله اكـبُ!
أسَّسَته علـى التُقـى مـن حَـلالٍ ... فحكـى المسجد الحلال[2] المُطَهَّر
زوج فـرد الـزمان أعـني سـليم ... ـان أبـا صـادق الوزيـر المظفـر
هِـي أم الخـيرات ذات المـبرا ... ت الـتي في ذُرا المنابـر تُذكـر
قلـــته إذ أكملـــته بـــالخير أرِّخ ... جامـعٌ للأنــوار شــادت مُـنَوَّر[3]

١٢٦٧

جامع حمام المالح

هـــو الجامع[4] الواقع في محلة حمام المالح، لذلك شهر بهذا الاسم. وهـــو جامع يُسلك إليه من عند جامع الفضل، كما يُسلك إليه من محلة قنبر

---

(١) عـــند نقــض الجامع نقلت الأوقاف هذه الرخامة الأثرية إلى مسجد الطيار المقابل له حفظـــاً لهـــا ، وقد قرأتها هناك سنة ١٩٦٧م، بحثنا: جامع الخاتون في بغداد، جريدة البلد البغدادية ١٩٦٧/١/١٧. ومسجد الطيار هذا استخرج منه دكان صغير رقمه ٨٣ /٧٩. ثـــم استولى عليه، في سبعينات القرن العشرين، بعضهم، وأخفى معالم المسجد فيه، فصار بيتاً للسكنى، وهو يشغل الأرض ذات التسلسل ١٩٧.

(٢) كذا في الأصل، وفي المصادر، كما في الرخامة: المسجد الحرام.

(٣) كذا ورد على الرخامة التي رأيناها، وفي مساجد الآلوسي ص٣٧ والعقد اللامع ص ٢٢٢، وبحـساب الجمل يكون تاريخ التشييد هو (١٤٣٣)، وعلى هامش العقد اللامع إشارة إلى أن هنالك خطأ في التاريخ.

(٤) ينظـــر عـــنه مساجد الآلوسي ص ٣٢ ، والعقد اللامع ص ٢١٢ وعباس بن رجب: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٤٢.

علـــي. ولـــه بابان شرقي: يؤدي إلى محلة قمر الدين فقنبر علي، وغربي: يــؤدي إلى محلة حمام المالح والفضل وغيرهما[١]. وهو واقع شمالي الحمام المعــروف بحمــام المــالح[٢]، بــناه الوزير المعروف بفاتح همدان الشهير ببوشــناق أحمد باشا حينما كان والياً في بغداد سنة ١١٤٥[٣]. قبل ذهابه إلى حلب وأرفه، بعد أن صار خربة، ووقف له الأوقاف[٤].

وهو مشتمل على رحبة واسعة، ومصلى واقع على يمين الداخل إلى الجامــع من الباب الغربي، وهو واسع أيضاً، فيه حجر معدة لسكنى الفقراء والطلــبة والخدم، وفيه مئذنة واقعة بجنب المصلى من غربيه، ومدرسة[٥]، ولـــه إمـــام وخطيب ومدرس ومؤذن وخدم وواعظ مرتب للوعظ في شهر

---

(١) يشغل الأرض ذات التسلسل ١٧١ و١٧٢ والمرقمة ٧٤/٤٨ و٧٤/ ٥٠.

(٢) ينــسب هذا الحمام إلى بئر مالحة كان يستقي منها قبل تأسيس مشروع مد بغداد بمياه الشرب في عهد والي بغداد مدحت باشا (١٢٨٦- ١٢٨٩هـ/ ١٨٦٨- ١٨٧٢م).

(٣) هــذا الــتاريخ يــدخل في ضمن سني ولاية أحمد باشا بن حسن باشا، الذي تقدمت الإشــارة إليه غير مرة، وذلك بسبب اختلاط ترجمة أحمد باشا البوشناق مؤسس هذا الجامع بترجمة أحمد باشا المذكور، وقد تولى هذا ولاية بغداد من ٣ ذي القعدة سنة ١٠٩٨ إلى ١٤ ذي القعدة سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٦- ١٦٨٧م. كلشن خلفا ص٢٨٧.

(٤) وقــف علــيه مؤسسه أراضي الحميدية في المحاويل، وعلوة في الميدان انقلبت إلى قهــوة، وقهوة متصلة بالجامع المذكور، وعرصة قدام بابه الغربية. العقد اللامع ص ٢١٢.

(٥) نــوه بهــذه المدرسة الآلوسي فقال " وفيه مدرسة وظف لها مدرس يدرس فيها علوم اللغــة العربية والدين الإسلامي". وقد توقف التدريس في هذا الجامع، وأعيد إليه سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م. البغداديون ص٣٢٧- ٣٣٨.

رمضان. وإدارته من قبل دائرة الأوقاف[١]، وليس فيه من الكتابات ما يشير إلى شيء قلّ أو كثر.

جامع الفضل

هو من الجوامع المعروفة القديمة العهد في الجانب الشرقي، وهو واقع في المحلة المعروفة بمحلة الفضل، نسبة إلى القبر الواقع في الجامع المذكور المعروف بأنه قبر محمد الفضل بن إسماعيل بن جعفر الصادق أخي علي المعروف بالسيد سلطان علي[٢].

---

(١) نقض هذا الجامع وبنيت في أرضه مدرسة ابتدائية.

(٢) لا صحة لهذه النسبة، لأن محمد الفضل بن إسماعيل لم يتوف ببغداد ولم يدفن فيها، وقد ذهب المرحوم عباس العزاوي إلى أنه قبر الوزير غياث الدين محمد المتوفى سنة ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م ابن الفضل (فضل الله رشيد الدين صاحب كتاب جامع التواريخ) استناداً إلى نص ابن العسقلاني في الدرر الكامنة الذي ورد فيه أن لهذا الوزير جامع بناه في بغداد (تاريخ العراق بين احتلالين ج٢ ص٤٧)، وأيد مؤلفا دليل خارطة بغداد (ص٢٣٨) هذا الرأي، وأضافا إليه أنه يمكن أن يكون أيضاً قبر الفضل بن سهل الأسفرائيني المعروف بالأثير الحلبي، الذي جاء في ترجمته الواردة في تاريخ بغداد لابن النجار أنه دفن سنة ٥٤٨هـ في مقبرة باب أبرز، بعد أن صلي عليه بالمدرسة التاجية التي يظن بعض المعنيين بخطط بغداد أنها كانت متصلة بجلمع الفضل الحالي. وقد زرت الجامع، والسيد زين النقشبندي، في ٣ أيار سنة ٢٠٠٦، فوجدت أن بناء المصلى القديم مازال قائماً، وإنما قامت الأوقاف بإكسائه بطبقة من الآجر من الخارج سنة ١٩٧٠، فبدا مجدداً، وهو يشتمل على ثلاث قباب متوسطة الارتفاع، تقوم على عقود متعامدة تستند على أربع دعائم كبيرة محكمة، تليها أربع=

وهـــو جامع رحب الفناء، رحب المُصلّى، عُقِدَت على مُصلاّه قبابٌ بالجص والآجر، يقوم بين جداريه الأمامي والخلفي سواري من البناء، وأمام المُصلى صُفَّة، وفي وسط رحبته مُصلًّى (دَكَّة) للصلاة في الصيف، ولم يَزَل مـــزدحَم المصلين في الجمع والجماعات. له باب من غربيه من وسطه عند الصُّفة، وباب أخرى من عند الزاوية الشرقية على الدرب المؤدي إلى جامع حمام المالح. وفوق الباب الغربي مئذنة شامخة، وفيه حجر سُفلية وعلوية في شـــماليه وشرقيه لإقامة الطلبة، وفيه مدرسة واقعة عند الرواق الشرقي الذي عند قبر محمد الفضل رحمه الله تعالى(١).

=دعـــائم أخرى. وللمصلى نوافذ معقودة عالية تطل على الرواق الذي يتقدمه، ويوجد على يسار المصلى الضريح المنسوب إلى الفضل، وعليه قفص من الخشب، ويفصله عـــن ســـائر المصلى جدار منخفض، بينما توجد وراء الجدار الأيسر للمصلى مقبرة صـــغيرة تضم قبور أخرى، لم نتمكن من الاطلاع عليها، وتوجد فوق جدارها رخامة كتـــبت على ستة أبيات، بيت التاريخ منها (في روضة الجنات قد أرخوا – حل بدار الخلد فرداً سعيد ٣ محرم الحرام سنة ١٣٣٩)، ويوجد في فناء الجامع مصلى صيفي مرتفع، وله بابان، أولهما رئيس يطل على شارع الملك غازي رقمه ٤٨، وله رواق عـــال، وبـــاب آخـــر مـــن جهة الشمال، يطل على الزقاق رقم ٣٩ محلة ١١٧ حي الجمهورية. وذكر بعض الفضلاء أنه يتذكر وجـــود كتابـــة على الباب الأخير نصها (جددت الباب في عهد المغفور له الملك فيصل الأول سنة ١٩٢١).

(١) كانت هذه المدرسة تشغل ست عشرة حجرة، قال عبادة "وقد تَخرَّج من هذه المدرسة الكثيـــرون مـــن طلاب العلم في بغداد ما لا يُحصى عددهم، فكنتَ ترى فيهم الحافظ والمُكَـــرِّر والمُحـــرِّر والشارح والمُحَشِّي والشاعر والأديب، ولو فتّشتَ عن أسمائهم اليوم تجد منهم القاضي والمفتي والمحامي والحاكم والمدرس والصحافي وغير ذلك،=

والمعروف عن هذا الجامع أنه من الجوامع القديمة[1]، فوهي بتوالي الزمان، وتداعى للسقوط أيام ولاية الوزير الكبير صاحب الخيرات والمنشآت سليمان باشا الكبير، فتداركه بهمته، وجدد بناءه وأحيا رسومه، وذلك سنة ١٢١٠[2].

ولم تكن كل أعمال هذا الوزير الكبير المصلح هذا فحسب، بل أنه عمَّر جامع القبلانية والمدرسة السليمانية التي كانت في أيامه الوحيدة في بابها كما سيأتيك بيانها وصِفتها. وعمَّر جامع الخلفاء، وزيَّن منارة الإمام أبي

=ولو كنت ترى اجتماعهم حين أخذ الدروس فقد تذكر الهالة المحيطة بالقمر، أو تذكر شعبة من المستنصرية، أعاد الله تلك الأيام المنيرة بالمعارف والعلوم" (العقد اللامع ص١٩٧). ومن مدرسي هذه المدرسة ومحمد بن مراد الصيادي المتوفى سنة ١٢٦٦ هـ/١٨٤٩م، والشيخ رسول بن أحمد الشوكي، وشيخ القراء سعدي بن أمين الموصلي المتوفى سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦، وولده داود السعدي المتوفى سنة ١٢٩٧ هـ/١٨٧٩، والشيخ سعيد بن عبد القادرالنقشبندي، ثم ولده بهاء الدين، والشيخ عبد الوهاب النائب. ومن مشاهير طلبتها محمد آغا جاري، ومحمد الجاوي، من كبار علماء شبه القارة الهندية. وقد نقضت هذه المدرسة وأنشئ على أرضها صف من الدكاكين تعلوه شقق، تستغلها الأوقاف، وهي تطل اليوم على شارع الملك غازي.

(١) ذكر عبادة أن هذا الجامع كان في أصله مسجداً صغيراً قبل أن يوسعه، بشراء عدد من الدور المجاورة، وضمها إليه، ويعيد بنائه والي بغداد سليمان باشا الكبير.

(٢) هذا هو تاريخ الشروع في توسعته، وإلاّ فإن عبادة ذكر ما أنفق على بنائه بعد هذا التاريخ، وأنه أكمل سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م، العقد اللامع ص١٩١. قلنا: وقد كتب على الباب الجنوبية الشرقية، وهي الرئيسة، بالآجر المزجج أنه أبسس سنة ١٢١١ وتم بناؤه سنة ١٢١٩هـ.

حنـــيفة، وجعل رأسها من الذهب، وأصلح سور الجانب الشرقي، وجدد سور الجانب الغربي، وعَمَّر السراي دار الامارة، وبنى سوق السرّاجين الواقع أمام جامـــع الوزير، والخان الذي بقربه الذي لا يزال خاناً، ومحل الخبز المسمى بالأكمكخانه(١)، وعمر قنطرة دَلِّلي(٢) عباس(٣)، وقنطرة نارين، وعمَّر كوت الإمـــارة(٤)، وجعل لها سوراً، وبنى على البصرة سوراً، وعلى قرية الزبير ســوراً، وعلـــى الحلة سوراً، وجعل حول ماردين أيضاً سوراً، وبنى قرب الموصـــل قلعة حصينة(٥)، وقد اندرس سور بغداد الشرقي والغربي، وسور البـــصرة، وأغلـــب مـــاذكـــرنا(٦). وقـــد دفـــن مدرسه الشيخ سعيد أفندي

---

(١) إنشاؤه للأكمكخانة مما انفرد به المؤلف. وهي مؤسسة كانت تشغل داراً واسعة على يمـــين الـــداخل في شارع المتنبي من جهة السراي، وإليها نسب الشارع فقيل شارع الأكمكخانه، حتى سمي رسمياً سنة ١٩٣٢ بشارع المتنبي، ونقض مبنى تلك المؤسسة فـــي السبعينات من القرن الماضي، حيث شيدت على أرضه سوقاً كبيرة من طابقين، تضم فناءً واسعاً، وقد شغل هذه السوق بدكاكينها وفنائها باعة الكتب وما يتصل بها.

(٢) كذا كتبها، والمشهور دلي، بلام واحدة مشددة.

(٣) تقع على نهر الخالص الغربي، في موضع يبعد ٤٧ كم عن مركز قضاء الخالص.

(٤) هي بلدة الكوت التي أصبحت فيما بعد مركزاً للواء باسمها (محافظة واسط فيما بعد) وتبعد عن بغداد بمسافة ١٨٠ كم.

(٥) في مطالع السعود(ص٢٤٥) " وأنشأ قرب الموصل قلعة حقنة" وفي دوحة الوزراء ص٢١٩ " قـــرب الموصـــل القديمـــة". يـــريد بالموصل القديمة بلدة أسكي موصل، المعروفة قديماً ببلد أو بلط، وتبعد عن الموصل بنحو ٥٠ من.

(٦) أجمـــل أعمالـــه هـــذه عثمان بن سند : مطالع السعود ص٢٤٥ والكركوكلي: دوحة الوزراء ص٢١٩ .

النقـشبندي[1] أخــو عبد الوهاب أفندي النائب في الحجرة الواقعة في شرقي الرواق الواقع شرقي المصلى.

وفيه مدرس وخطيب وإمام وخدم من مؤذن وقارئ دور وممجد في المنارة، وقارئ قرآن عليها في السَّحر، وغير ذلك من الموظفين الموجودين في جميع الجوامع الكبار كالحيدرخانة والشيخ عبد القادر وأمثالهما. وإدارته من قيل دائرة الأوقاف، وليس على جدرانه أو القبر الموجود فيه أو غير ذلك من الكتابات ما نستفيد منه شيئاً.

جامع قنبر علي

إذا سِــرتَ في الدرب المتصل برحبة إمام طه، الموصل ما بينها وبين دار آل جمــيل، والمؤدي إلى سوق قنبر علي، أقول: إذا سِرتَ في هذا الدرب مــستقيماً مــن دون مــيل أو انحراف، حتى تتجاوز السوق، وتمر في الدرب الواقع أمام هذا الدرب على يسار السوق للمشرق، وسِرْتَ في هذا الدرب قدر مائة خطوة، وصلت إلى جامع واقع على يســارك، ذلك هو جامع قنبر علي[2]، وهو نسبة ما يسمى قنبر عبد علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه. وهو

---

(١) هو الشيخ محمد سعيد بن عبد القادر العبيدي النقشبندي، ولد سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م وأخذ العلم عن أخيه المذكور وغيره من علماء بغداد، وهو الذي أنشأ مدرسة سامراء العلمــية، وعــين مدرساً في مدرسة الإمام أبي حنيفة، وشيخاً للطريقة النقشبندية في التكية الخالدية، وله مؤلفات مهمة عديدة . توفي سنة ١٣٣٩هـ/١٩٢٠م.

(٢) يــشغل قطعة الأرض ذات التسلسل ٣٧٢، وبحسب الترقيم الجديد محلة ١١٥، حي الجمهورية، زقاق ٥٩، العقار رقم ٤/٤.

غلـط فــإن قنبـــر المذكور مدفون في حمص على ما هو معروف مشهور[١] والظاهر أن القبر الموجود في هذا الجامع هو قبر.....[٢]. وهذا الجامع مشتمل على رحبة واسعة ومصلى[٣].

---

(١) ذكــر الــسائح الهــروي المتوفـــى سنة ٦١١هـ أنه في حمص قبر قنبر خادم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. الإشارات إلى معرفة الزيارات ص٩.

(٢) بــياض فـــي الأصل. ولا تعلم هوية قنبر هذا على وجه التحقيق، ورأى الشيخ محمد صـــالح السهروردي أنه أبو طالب نصر بن علي الناقد، إذ كان يلقب بقنبر، واشتهر بهـــذا الاسم، حتى أن الخليفة المستضيء بالله أصدر أمره بمنع الناس من مناداته به، ولمـــا توفـــي هـــذا دفن في مقبرة باب أبرز، وعملت له تربة، ثم اشتبه على الناس لموافقة لقبه لقب غلام علي بن ابي طالب عليه السلام. وذهب عبادة إلى أنه ربما كان قبـــر علي بن أحمد الدريني، زوج شهدة الكاتبة، وكلا الرجلين مدفون في مقبرة باب أبـــرز مـــن مقابر بغداد الغابرة، وثمة مسافة غير قليلة بين هذه المقبرة ومحلة قنبر علي، تضعف من نسبة هذا القبر لأحدهما، وأول إشارة إلى قنبر علي، أوردها الغياث الــبغدادي (الــتاريخ الغياثي ص٢٣٦) في حوادث سنة ٨٧٤ بوصفه من معالم بغداد آنذاك، ولكن لم تشر إلى هوية المعلم، إن كان قبراً، أو جامعاً، أو تكية، ورأى الشيخ محمـــد صـــالح السهروردي أنه جامع الغصن، الذي أنشأته السيدة غصن أم الخليفة المـــستكفي بـــالله (٣٣٣- ٣٣٤هـ) بغية الواجد في الجوامع والمساجد، نشرناه في كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص١٢٢ وكتابه لب الألباب ج٢ ص٤٦٤.

(٣) وصـــفه عباس بن رجب البغدادي سنة ١٩١٤ بأنه " مسجد جمعة معمور الجماعة، وبمقربة منه مشهد قنبر علي المذكور" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٣١) ونوه بـــه الأثري في فوائت مساجد الآلوسي ص ١٤٣ فقال " هو واسع يحتاج إلى ترميم" وقد نقض جانب من هذا الجامع عند شق شارع الملك غازي ، وأعادت الأوقاف بناءه علـــى هيـــئة جديدة سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م، وبمساحة أصغر مما كان عليه سابقاً،=

جامع بيت جميل

هـو جامـع صغير[1]، واقع تجاه بيت عبد الغني أفندي جميل[2] في محلة قنبر علي، وفيه مصلى صغير واقع على يمين الداخل إليه، أمامه صفة

=حيث كان يتصل بشارع الملك غازي رأساً، كما يتصل به المرقد المنسوب إلى قنبر علـي، والآن يفـصل بـين الجامع والمرقد فسحة عليها سقيفة، والجامع، بحسب ما شاهدته، والسيد زين النقشبندي، عند زيارتنا له، في ٣ أيار ٢٠٠٦، حديث، يدخل إليه مـن باب في جنوبه الشرقي، على يمينه المتوضأ، وعلى يساره مرافق صحية، وكان لـه باب آخر من شماله الشرقي، أغلق مؤخراً، وقد خلا الجامع من أية كتابات أثرية أو تذكارية، وتعلو مصلاه قبة واحدة، وله رواق يتقدمه، ومصلى صيفي، وفي شرقه حجـرات للمـؤذن والخطيب، وآخر من تولاه الشيخ علي الفرضي، وبعد وفاته آلت التولـية إلى ابنته علية الفرضي، فكلفت صهرها عبد الجبار عبد اللطيف بتوليه، ولما كان من غير أسرة الواقف، ضبطته وزارة الأوقاف. وقد استخرجت من أرضه ستة دكاكين بوصفها مستغلات له.

(١) يشغل القطعة ذات التسلسل ٧٨٧، ورقمه بحسب الترقيم الجديد ٢٧ من الزقاق ٩ محلة ١١٥ وهو قريب من جامع قنبر علي.

(٢) مفتـي بغـداد، ولـد سنة ١١٩٤هـ/١٧٧٧م، وأخذ العلم فبذ أقرانه، ونبه في الفقه، وعينـته الـسيدة عاتكـة خاتون بنت نقيب الأشراف علي القادري وكيلاً عاماً عنها، ورحـل إلـى الشام حيث أخذ عن كبار علمائها، وفي طريقه إلى دمشق تعرف على والي حلب علي رضا باشا حينما كان متوجهاً إلى بغداد لأخذها من داود باشا، فعينه هـذا، حين استقر به المقام ببغداد مفتياً فيها، لكن هذا لم يمنعه من الثورة على علي رضـا باشا حينما بلغه ما بلغه من ظلمه الناس واضطهاد أعوانه لهم، والتفّ الناس حـوله، ولـم يقض الوالي على ثورته إلاّ بعد الاستعانة بالجيش، واستعمال المدفعية، واضطر هو إلى مغادرة بغداد والعيش في بلدة (راوة) مدة، وتوفي سنة ١٢٧٩هـ/=

صغيرة، وعلى شمال الداخل حجرة مُعَدَّة لجلوس الإمام الذي هو خطيب أيضاً. وعلى يسار الداخل حجرة متخذة تربة لآل جميل، مدفون فيها عبد الغني أفندي وأولاده محمد ومحمود ومصطفى، وأحفاده عيسى وعبد الوهاب وعبد الرحمن، مدفونون في مطمور (سرداب) تحت الأرض.

وفي الحجرة شباكان مُطلاّن على الطريق، يجلس فيها قارئ القرآن، وله خادم ومؤذن وخطيب وإمام، وإدارته من قبل هذه العائلة(١).

=١٨٦٣م. ينظر محمود أبو الثناء الآلوسي: غرائب الإغتراب ص٢١١- ٢١٣ وحديقة الورود، الورقة ١٣٨، والمسك الأذفر ص٢٥٤ والروض الأزهر ص١٩ وعنوان المجد ص ٩٣ وتاريخ الأسر العلمية ص٢٨٧ وتاريخ العراق بين احتلالين ج٧ ص١٤٢ ومقدمة مجموعة عبد الغفار الأخرس لعباس العزاوي ص٢٨٧.

(١) أنشأه محمد أفندي جميل، والد المفتي عبد الغني آل جميل، ثم جدده عيسى غياث الدين آل جميل سنة ١٣١٩هـ/١٩٠١م، وأعادت بناءه السيدة رفيقة عيسى آل جميل (المتوفاة سنة ١٩٨٣م) سنة ١٣٩٣هـ/١٩٧١م. وقد زرته، والسيد زين النقشبندي، في ٣ أيار سنة ٢٠٠٦ فوجدته يضم قبور آل جميل، فعلى يسار الداخل إليه حجرة قديمة لها باب خشب مزخرف على غاية من الإتقان، فيها قبور بعضهم ممن يذكرهم المؤلف هنا، كما يوجد على على يمين الرواق الذي يتقدم المصلى وعن يساره عدداً من قبور الأسرة، منها قبر عبد الغني بن عبد الجليل الجميل، وهو غير مؤرخ، وقبر فخر الدين آل جميل، وتاريخه ١٩٥٩، وقبر رفيقة عيسى المتقدمة، وقبر محمد فخر الدين آل جميل المتوفى سنة ١٩٨٠. وللمسجد مصلى له قبة واحدة، فيه محراب جميل من الآجر، وفي فنائه حديقة صغيرة فيها نخيلات، وتوجد رخامة فيها أبيات تشير إلى تاريخ تعمير عيسى غياث الدين، وشطر التاريخ (أرخوه فلذكر الله أكبر=

مسجد إمام طه

إذا دخلت من الشارع العام، في الدرب المقابل لشارع الجسر، وسرت باستقامة، رأيت عند منتهى الدرب مسجداً، ذلك هو مسجد إمام طه[1].

=سنة ١٣١٩). وللمسجد على يمين بابه مئذنة جميلة بنيت على الطراز البغدادي التقليدي.

(١) يشغل الأرض ذات التسلسل ٤٨، المرقمة ١٠٨٠/ ٢٧ ويقع على يمين الداخل في الزقاق المنسوب إليه، المتفرع من ساحة الأمين(المسماة الرصافي) اليوم، وبعد بناء جامعه أصبح له باب رئيس يطل على زقاق نافذ إلى شارع الأمين. وينسب الجامع إلى قبر فيه كتب عليه أنه الإمام الطاهر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. ولا دليل على هذه النسبة البتة، ومن المعروف خططياً أن المحلة المنسوبة إليه كانت جزءً من محلة فراشة، أو فراشا، من محلات بغداد في العصر العباسي، والتي لبث اسمها معروفاً حتى أوائل القرن العشرين، والراجح أنه قبر إمام الدين يحيى البكري القزويني صاحب ديوان بغداد المتوفى سنة ٧٠٠هـ/١٣٠٠م، فإنه دفن في تربة أعدها في مدرسة أنشأها في محلة فرشا، سميت بالإمامية نسبة إليه. ينظر كتاب الحوادث ص٥٤٥ ودليل خارطة بغداد ص٢٤٤. وقال الشيخ محمد صالح السهروردي " إن هذا المسجد من المساجد القديمة، وفي سنة ١٢١٤(١٧٩٩م) خرب، ولأجل تعميره عين متولياً عليه، وعلى أوقافه، بموجب إعلام شرعي صادر من محكمة شرعية بغداد يومئذ السيد محمد علي، فقام هذا بتعميره وترميمه وملاحظة أوقافه" وذكر أن من هذه الأوقاف قرية حربى الواقعة في الدجيل، وأراضي جسر حربى، ونهرها، وإن هذا المسجد تهدم ولم يبق منه إلاّ القبر المذكور، وفي سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م أزيل القبر، ونقل رفات صاحبه إلى مسجد سلمان الفارسي في المدائن، وجعل مكان القبر حديقة، وفي وسطه عمود منور بالكهرباء(في مكان تمثال=

وهو مسجد صغير، مشتمل على مصلى صغير وصفة وحجرة. وقد كان في الأصل مسجداً فخرب، ثم بناه أرباب الخير من المسلمين المجاورين لـه، وقامـت دائرة الأوقاف بشؤونه أيام الحكومة العثمانية لأنها مُكلَّفة في الأصل به، وله إمام ومؤذن وخادم، ولا تزال إدارته تحت يد الأوقاف(١).

جامع الشيخ عمر السهروردي

إذا تـوجه الإنـسان من سوق الفضل نحو الشمال، رأى بقرب سور بغداد القديم عند الباب المشهور بباب الأوسط (الوَسْطاني) على يمين الجادة، جامعـاً فـيه قبة بديعة الشكل ومنارة، تحيط به مقبرة، ذلك هو جامع الشيخ الـسهروردي. والمقبـرة هي مقبرته المعروفة في التاريخ بالمقبرة الوردية، التي هي من مقابر نهر المعلى(٢).

وهـو جامـع قـديم، رحب فناؤه، واسع مصلاه، يقصده الناس في الجمع والأعياد للصلاة فيه، خصوصاً في أيام الربيع والخريف والشتاء عند

=الرصافي تحديداً في وسط ساحة الأمين حالياً) وما بقي جعل ساحة. بغية الواجد في كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص١١٤- ١١٦.

(١) لبثت عرصة المسجد خالية، بعد خرابه، حتى أعيد بناؤه على هيئة جديدة، وبنيت له مئذنة.

(٢) نهـر كـان يأخـذ مياهه من نهر موسى الآخذ من نهر بين والأخير يتفرع من نهر الخـالص، ينسب إلى المُعَلّى بن طريف مولى المنصور، وقول المؤلف يفهم منه أنه كان يدخل بغداد الشرقية من عند المقبرة الوردية، حيث دفن الإمام عمر السهروردي، وهذا قول جيد يتفق ومعطيات خطط بغداد.

عدم الأوحال. وفيه مدرسة عند الباب في الطبقة العليا، مطلة على الصحراء. وفيه حجر لإقامة الفقراء والغرباء، وقد ملئ صحنه بالقبور، كما أنها أحاطت به من جميع جهاته. وعلى بابه طاق، وفيه طارمة واقعة في الجهة الشمالية. وفيه سقاية يجئ إليها ماء دجلة من دجلة بكَرْد يستقي من دجلة، عند الرباط البسطامي، في نفس الرباط السهروردي المنسوب لأبي النجيب، الواقع شرقي الـــرباط البـــسطامي، بحذائـــه. والرباط البسطامي هو المسمى الآن بالنادي العسكري[١] ، والرباط السهروردي هو القسم الشرقي منه، مع ما يلاصقه من بـــناء الداخلـــية الآن. ويجري الماء بقناة تسير تحت الأرض وحتى الجامع المذكـــور، وهي من منشآت حسين باشا السلاحدار[٢]، فقد بناها ومد القناة[٣]

---

(١) ســـيرد الكلام على هذا الرباط عند الحديث عن (المدرسة النجيبية)، ولنا تعليق عليه في موضعه.

(٢) والي بغداد من محرم ١٠٨٣ إلى ١٠٨٥هـ/ ١٦٧٢- ١٦٧٤م.

(٣) كانـــت هـــذه القناة تأخذ مياهها بواسطة دولاب يرفع الماء من بئر عميقة عند شاطئ دجلة، في شريعة الميدان، بين مبنى المدرسة العلية (بيت الحكمة حالياً) والأرض التي شـــغلها نـــادي الضباط الأعوان سابقاً، والآن هي خالية من البناء، ثم تمتد من هناك مـــرفوعة علـــى عقود عالية بنيت بالآجر والجص على صفاة قناة الشيخ عبد القادر الكيلانـــي، حتى تصل إلى منطقة (الميدان) قرب جامع الأحمدية، فتجتازه مشرقة في درب طويل تقع عليه معظم محلات القسم الشمالي من بغداد، فتمد بمياه الشرب محلة الـــصابونجية، ثـــم محلة ايلان دلي، فمحلة الفضل، والجلالي، ثم تمتد باستقامة حتى تـــصل إلـــى غربي جامع الفضل، فتجتاز الدرب الذي يقع عليه فوق عقود، وتمضي مخترقة محلة خان لاوند، ثم تتجه في أرض قاحلة حتى تصل إلى جامع الشيخ عمر الـــسهروردي، حـــيث تصب هناك في سقايتين كبيرتين، ويجري الفائض من مائها=

وأوقـف لهـا الأوقاف. وهو الذي بنى الجامع المعروف بجامع حسين باشا الواقع بقرب جامع الحيدرخانه، وله وقفية عظيمة مسجلة في دائرة الأوقاف.

وقـد بنـى والي ايالة كركوك، المعروفة بولاية شهرزور، إسماعيل باشـا(١) في سنة ١٢٧٣ الطارمة التي مر ذكرها مع الطاق الآنف الذكر(٢)،

=ليسقي بستان السلاحدار الموقوفة عليها، ترفيهاً للمارة في تلك النواحي الموحشة النائية عهد ذاك. وقد استمرت هذه القناة بالعمل حتى تعطلت أجزاء منها في عهد والي بغداد نامق باشا الكبير (١٢٦٧- ١٢٦٨هـ/١٨٥٠- ١٨٥١م) وهي الأجزاء التي تصل بين محلة خان لاوند وبين جامع عمر السهروردي، أما الأجزاء الباقية، فقد بقيت سليمة، لكنها تعطلت في عهد مدحت باشا، واستبدلت بمضخة لإيصال الماء إلى سائر المدينة. تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة ص٧٨- ٩٠.

(١) هو الأمير إسماعيل باشا بن محمد طيار باشا بن إسماعيل باشا العباسي، من ذرية المبارك بن الخليفة العباسي الأخير المستعصم بالله، حكم أجداده إمارة بهدينان (عاصمتها مدينة العمادية)، وانتهى حكمها إليه، بحملة عسكرية قادها والي الموصل محمد باشا اينجه بيرقدار سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م، وأبعد وأسرته إلى بغداد حيث استقبلهم العلامة الشيخ عبد الرحمن السهروردي العباسي، وفي عهد والي بغداد نامق باشا نقل متصرفاً إلى كربلاء، ثم إلى ولاية شهرزور، عاد بعدها إلى بغداد، حيث قام بالتعمير المذكور. ينظر: محفوظ عمر العباسي: إمارة بهدينان العباسية، ص١١٠.

(٢) وكان ذلك التعمير بسبب ما أصاب الجامع من تصدع بسبب الفيضان الذي داهمه سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م، وقد تبرع بأربعين ألف قرش رائج بغدادي أنفقت على بناء طاق عظيمة تحملها دعامتان ضخمتان محاطة بعدة غرف مشيدة بالرخام وخشب الساج الثمين تشرف على الباب مقابل الصحراء، وجددت الطارمة الشرقية، وعمل سقاية وحفر لها بئراً مطوية بالحجر بالقرب من الحضرة جعلت سبيل خانة يشرب منها=

وكتب على الطارمة أبياتا هي من نظم عبد الباقي العمري ذهب الكثير منها، ولكن الباقي في سنة ١٣٢٤ كان هذا:

إن إسماعيل والي شهرزور صاحب التدبير والرأي المُسَدَّد
سابقاً كان بنى طارمةً خُنصر الفضل عليها راح يُعقد
وتصدّى لاحقاً يتبعها بينا طاقٍ لأوج المجد يصعد
في مقام السهروردي أرِّخوا: حجر إسماعيل للعز تشيَّد

ولكن بسبب توالي الحدثان تداعت بعض هذه الأبنية مع المئذنة للسقوط، فاهتم لها محاسب الأوقاف إذ ذاك المرحوم واصف بك، فأعاد عمارة ما تهدّم، وأقام المئذنة علي أحسن طراز، مزينة بالكاشاني البديع الصنعة والألوان. وكان يذهب إليها في اليوم مرتين حتى أكملها، وذلك في سنة عشرين بعد الثلثمائة وألف هجرية(١).

أما الشيخ عمر المذكور، فهو شهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله، أخي عبد القاهر أبي النجيب السهروردي رحمه الله تعالى، وكان من علماء الشافعية. ولد بسهرورد، وورد بغداد وهو ابن ست عشرة سنة، فخدم عمه عبد القاهر أبا النجيب السهروردي صاحب المدرسة النجيبية الواقعة فوق رباطه والرباط البسطامي، التي فيها قبره، وأخذ عنه التصوف، ولازم

=فقراء المحلة، ورمم ساقية الجامع المنشأة من قبل حسين باشا سلاحدار والي بغداد. المصدر نفسه. وينظر الآلوسي: مساجد بغداد ص٥٤.

(١) يوافق أولها ١٠ نيسان ١٩٠٢م.

الرياضة، واجتهد في العبادة، وصار شيخ الشيوخ ببغداد، وله مجلس وعظ، وعليه إقبال عظيم من الخاصة والعامة. ويقال أنه أخذ التصوف أيضاً من الشيخ عبد القادر الجيلي. وهو صاحب كتاب (عوارف المعارف)، وهو من سلالة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه. ولد بسهرورد في سنة ٥٣٩ من قرى زنجان، ولما بلغ السادسة عشرة من العمر ورد بغداد، فصحب عمه عبد القاهر أبا النجيب السهروردي، وعنه أخذ التصوف، كما أخذ عن الشيخ عبد القادر الجيلي، هكذا قال صاحب كتاب تاريخ العيون[١]، ونقل أنه توفي سنة ٦٣٢ ودفن قريبا من الباب الأوسط، أي الباب الوسطاني، داخل بغداد، وعقد على قبره مِيل، وبحذائه جامع تقام فيه الجمعة، انتهى. أقول: إن الميل لا يزال موجوداً اليوم، والجامع هو الجامع الذي ذكرناه، ومنه يظهر أن الجامع كان موجودا قبل دفن السهروردي[٢]، وإن الميل هو من فن العمارة

---

(١) نقل هذا من مساجد الآلوسي ص٥٥، ولم يذكر الآلوسي عنوان الكتاب كاملاً، أو اسم مؤلفه، ليتعرف على عصره، وقد توصلنا إلى أنه كتاب (عيون أخبار الأعيان) تأليف أحمد بن عبد الله المعروف بغراب البغدادي، أو بالغرابي، المتوفى سنة ١١٠٢هـ/ ١٦٩٠م.

(٢) أقام هذا الاستدلال على ظنه بأن كتاب العيون الذي أورد الخبر قد كتب في عصر الشيخ عمر السهروردي، والصحيح أن الجامع لم يكن موجوداً حينما توفي السهروردي، وأن الغرابي سجل ما جرى على قبره من عمارة، ومنها بناء الميل، والجامع، بعد وفاته بمدد مختلفة. وذكر عطا الحديثي وهناء عبد الخالق في كتاب (القباب المخروطية في العراق) ص٤٣ أن إنشاء الجامع جرى سنة ٩١٧هـ. أما الميل فهو يرقى إلى زمن وفاة السهروردي، على ما نص عليه الغرابي، تؤكد ذلك الزخارف النباتية الملونة وطريقة تصفيف المقرنصات التي اكتشفت داخل القبة.

فـــي ذلـــك العصر، فانه مشابه للميل الموجود فوق قبر زمرد خاتون، والدة الناصـــر لـــدين الله، المعروف الآن بالسِّت زبيدة، وهو كما يراه الرائي قبة مخـــروطية الشكل، مضلعة الجدار حتى رأس الميل بشكل بديع هو من أبدع الأبنـــية وأغربها(١). وقد كان له في حياته قبول عند الخاص والعام، فوعظ بـــباب بـــدر ومدرسة عمه أبي النجيب، وتولى رباط الزَّوزني الواقع جوار قصر المنصور [وهو] قصر الذهب، ورباط المأمونية. وبنى له الناصر لدين الله رباط المرزبانية على نهر عيسى، وإلى جنبه داراً واسعة وحماماً وبستاناً لـــسكناه مع أهله، وأرسله رسولاً إلى عدة جهات، وفي آخر أيامه خرج عن الدنيا، فلما مات مات وليس عنده شئ منها، وكانت وفاته سنة ٦٣٢ وعمره ٩٢ سنة(٢).

---

(١) إن الحجـــرة التـــي ترتفع عليها هذه القبة ذات جدران خالية من الزخارف حتى علو ٦،٥ متـــر تقـــريباً، حيث تبدأ الزخرفة بشكل دخلات في الجدار محاطة من جوانبها بأعمدة، ويبلغ عدد هذه الدخلات اثنتا عشرة دخلة تدور حول جدران الغرفة، يعلوها صفان من المقرنصات بارتفاع ١،٣٠ متر، وفي الصف الثاني من المقرنسات فتحت أربعـــة نوافذ، ويقوم فوق هذا الصف غطاء القبة، ويبلغ عدد صفوف المقرنسات من الخارج أحد عشر صفاً، عدا المثمن الذي تقوم عليه القبة، وقد كشفت أعمال الصيانة فـــي هذه القبة عن زخارف ملونة على الجص في باطن مقرنسات القبة، وكانت القبة المتأخـــرة قد حالت دون ظهورها، وقوام هذه الزخارف عناصر نباتية برسوم طبيعية متقنة. وقد جددت هذه القبة سنة ٧٣٥ على يد غياث الدين محمد بن رشيد الدين، وقد أرخت هذه العمارة كتابة موجودة في هذا الضريح. القباب المخروطية ص٤١.

(٢) تنظـــر تـــرجمته في: كتاب الحوادث ص١١٩ وابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص ٤١٥ والسبكي: طبقات الشافعية الكبرى ج٥ ص١٤٣

وقد عَمَّر فيه حسين باشا السلاحدار والي بغداد الذي تولاها سنة خمس وثمانين بعد الألف سقاية مَدَّ إليها قناة من دجلة، أجرى فيها الماء من كَرْد واقع في شريعة الميدان[1]، وقد هُدِم هذا الكَرْد أخيراً وبُني في موضعه محل وضعت فيه ماكنة الماء لسقي البلدة وعَمَل الثلج أيام الحكومة العثمانية[2].

وفي هذه الأيام أُلحق المحل بالقصر الملكي بعد اتخاذ مدرسة الصنائع[3] قصراً ملكياً.

المدرسة النظامية

هي أول مدرسة بُنيت في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وأول بيت وضع للعلم في دار الخلافة الإسلامية، نالت من الشهرة العظيمة في العالم، وقصدها الطالبون لورود مناهل العلم من بني آدم، بناها أبو علي الحسن بن علي بن اسحاق بن عباس الملقب بنظام الملك الطوسي وزير ملكشاه السلجوقي على دجلة، بناها ليدرس بها الإمام الشيخ أبو اسحاق الشيرازي، وكان إذ ذاك يدرس بمسجد بباب المراتب كما قال ذلك في طبقات الشافعية[4]، وكان البدء في بنائها في ذي الحجة سنة ٤٥٧، والانتهاء منها سنة ٤٥، وفتحت يوم السبت عاشر ذي القعدة من السنة المذكورة باحتفال مَهيب حضرة أركان

---

(١) تقدم ذكر هذا الخبر.

(٢) وكانت تسمى (البوزخانه) أي دار الثلج، وقد أسست سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، وموقعها اليوم في الباحة التي تتقدم بوابة بيت الحكمة (المدرسة العلية سابقاً).

(٣) هي المدرسة العلية التي اتخذها مدحت باشا داراً للصنائع، وسيأتي الكلام عليها.

(٤) ج٢ ص١٣٧.

الدولة والعلماء والأعيان والقواد والأشراف ماعدا الشيخ أبا اسحاق المذكور، فطُلــب ليلقي الدرس فيها على حسب العادة إذ ذاك، فلم يوجد، فاضطر مؤيد الملــك بن الوزير نظام الملك المذكور لتعيين أبي نصر عبد السيد بن محمد المعروف بابن الصباغ مدرساً فيها، فيلقي الدرس، فقام الإمام المذكور وألقى الــدرس بذلك المحفل الحافل، وجعل يدرس فيها قدر عشرين يوماً، فلما بلغ الأمــر نظــام الملــك أنكر ذلك، وأمر بأن يكون مدرسها الشيخ أبا اسحاق المذكور، فقبلها وانتقل اليها من المسجد الذي كان يدرس فيه. ويقال: أن الذي اضــطره إلــى قــبول التدريس فيها تلامذته، فقد قالوا له: أما أن تذهب إلى المدرسة فتدرسنا فيها، وأما ذهبنا الى ابن الصباغ، وكان ابن نظام الملك قد ألحَّ عليه بذلك.

أمــا مساحتها فكان عرضها ١٢٠ ذراعاً وطولها ١٧٥ذراعاً، فهي مــستطيلة البــناء، مشتملة على طبقتين، فيها حجر كثيرة أُعدت لطلبة العلم، وفــيها إيــوان لجلوس المدرس، وآخر معه للمذاكرة وترويح النفس، وفيها مصلى وفناء لخزن الذخيرة وأدوات الطعام، وفيها خزانة كتب اشتملت على مــا يفــوق الحد من الكتب التي جمعها الوزير المشار اليه من سائر الآفاق، والتــي صرف على استنساخها الأموال العظام. وكان -رحمه الله -أذن لمن عــدا الطلبة من رواد العلوم أن ينتابها متى شاء، وخصص لكل من أقام بها لطلب العلم جراية عدا القيام بمؤونة طعامه وملابسه وفراشه ومايحتاجه من

ســراج وغير ذلك من ضروريات المعاش، فغدت لذلك كعبة القُصّاد، ومنهل الورّاد، حتى نبغ فيها ما لا يحصى كثرة من العلماء والفقهاء[1].

وكــان موقعها على دجلة قرب حظائر الحطب، وسط سوق الثلاثاء، عــند السوق أو العقار التتشي، وهو الذي بناه خمارتكين التتشى ليكون وقفاً على المدرسة التتشية الواقعة ظهر السوق المذكور، فالنظامية في نفس السوق من شماليه، والمدرسة التتشية في ظهره جنوباً منه[2]. وهذا العقار التتشي هو مــن فــروع سوق الثلاثاء، لأن سوق الثلاثاء ممتد من سوق السلطان حتى سوق المدرسة النظامية، والأسواق المتفرعة منه تعد منه، لأنه أصبح يطلق علــى مجموعة الأسواق من صفارين وعطارين وسوق الصاغة وسوق البز وغيرها.

كانــت هــذه المدرسة لا نظير لها كأنها روضة من رياض الجنة، ومــبعث أنوار الكتاب والسنة، مشرق العلوم العقلية، ومطلع شموس منطوق ومفهــوم النقلــية، أبــوابها مُفتَّحة للواردين، وثمارها دانية للجانين، قصدها طــلاب الفــضل والعلــوم في سائر الأقطار، ورحل إليها رواد الكمال على اخــتلاف الطــبقات من جميع الأمصار، فالمستنصرية التي تُعد من عجائب الــزمان ليــست كالنظامــية، وإن حيكت على منوالها، وأُفرغت في قالبها، وسُــبكت على مثالها. فُرِشَت ساحاتها بالرخام، وأُزِّر سورها به. وأول من

---

(١) ينظر ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢ ص١٢٨- ١٣١.

(٢) قــال هــذا تــوافقاً مع نظريته القائلة بأن دار الخلافة العباسية، كانت تقع في أرض القلعة، أي وزارة الدفاع الحالية، وقد وضحنا موقع المدرسة التتشية في تعليقنا على مبحث جامع الوزير، بأنها تقع في أعلى المدرسة النظامية لا في أدناها.

درس فيها على ما وصفنا ابن الصباغ، ثم الشيخ أبو اسحاق الشيرازي، وتلاه الأئمة الفضلاء، كأبي سعيد عبد الرحمن إمام الشافعية، وأبي حامد الغزالي، وأبـــي بكـــر الـــشاشي، ومحمود بن أحمد الزنجاني، وأبو عبد الله محمد بن فضلان الشافعي، وغيرهم من أفاضل علماء الشافعية.

وقـــد تـــوالت علـــيها النكبات بعد ذلك العز الشامخ، والسعد الباذخ، فاحترقت سنة ٥٨٣ بسبب احتراق حظائر الحطب، فإن فقيهاً من فقهائها كان يطبخ طعامه، فغفل، فعلقت النار بها فاحترقت واحترقت الحطائر حتى انجر الحريق إلى درب السلسلة، وإلى باب المراتب.

وفـــي سنة ٥٨٩ عمر الناصر لدين الله فيها خزانة كتب، نقل إليها الـــوفاً من الكتب النفيسة التي لا يوجد مثلها. وغرقت سنة ٦٤١ في الطغيان العام، وبعده عدة مرات حتى سنة ٦٥٤.

ثم أناخ الزمان عليها بكلكله، فمحى أثرها فلم يبق لها عين ولا أثر. وقـــد شـــيد -على ما يظهر- في محلها المدرسة الاعدادية التي بناها مدحت باشا للضباط العسكريين، فإنها أقرب إلى أن تكون هي، لوقوعها على شاطئ دجلـــة، وبقرب حظائر الحطب، وبجوار جامع الحظائر الذي هو الآن على التقـــريب جامع الاصفية(١)، ولقربها من باب المراتب الذي احترق باحتراقها سنة.....(٢)، ولا يكـــون بـــاب المـــراتب إلاّمـــا يـــوافق محلة جديد حسن

---

(١) تقدم ذكر هذا الجامع، والأدلة التي تثبت أنه كان يقع في أدنى المدرسة المستنصرية، بما ينطبق على موقع جامع الصاغة المسمى بجامع الخفافين الحالي.

(٢) بياض في الأصل.

باشــا[1]، لما ذكرنا في كتابنا بغداد إلى المائة السابعة. وقد ظن بعض الناس بــأن المدرســة المذكورة هي بموضع الدور المجاورة للمنارة المقطوعة[2]،

---

(١) ســبق أن وضــحنا أن باب المراتب، وهو الباب الشرقي لدار الخلافة العباسية، يقع بالقــرب مــن محلــة باب البصلية، وهذا الباب هو نفسه الباب الشرقي، فمحلة باب المراتب كانت تقع في جنوبي (أي شرقي) الجانب الشرقي من بغداد، لا في أعلاها.

(٢) مــئذنة أثــرية قديمــة كانت سقط جانب من بدنها الذي يعلو شرفتها فعرفت بالمنارة المقطومة، أو المقطوعة كما يسميها المؤلف، يقدر موقعها اليوم في الزقاق النافذ من يمين شارع الرشيد، قبل سوق الشورجة، ويتصل هذا الزقاق بزقاق تحت التكية، بعد نحــو ١٢٥ متراً، وكانت المئذنة تقع في وسطه، ملاصقة لجدار الدار المرقمة ١٦/ ١١٢، وأكثــر من نصفها في الطريق، والباقي ضمن الجدار، وكان جوف المئذنة قد امــتلأ بالأنقــاض حتى شرفتها، على الرغم من بقاء جزء من قمتها التي تتخذ شكلاً كمثــرياً، أما شرفتها نفسها فإنها كانت قد اختفت تحت أرض الزقاق الذي كان يأخذ شــكلاً مرتفعاً يدل على وجود بقية البناء الذي كانت تتصل به المئذنة هناك، وقد هدم النصف الظاهر من الجدار المذكور سنة ١٣٥٩هـــ/١٩٤٠م، فزالت معالمها بالمرة. وقد ذهب السيد محمود شكري الآلوسي إلى أن المحلة التي كانت تحيط بالمئذنة، وقد اتخــذها اليهود مسكناً لهم، إن هي إلاّ المدرسة النظامية نفسها، وإن المنارة المقطومة مئذنــتها، وحــاول الــشيخ محمــد بهجة الأثري أن يربط بين هذه المئذنة والموضع المسمى بنجة علي، الذي كان ملاصقاً لجامع مرجان، بالقول أنهما يمثلان مساحة تلك المدرسة (مساجد بغداد وآثارها ص١٠٤- ١٠٥)، ولا صحة لهذا أيضاً، لأن المدرسة المــرجانية (جامع مرجان فيما بعد) كانت تقع في الأرض التي كان يحتلها باب بدر، أحــد أبواب دار الخلافة العباسية، ولم يذكر أحد أن النظامية كانت عند هذا الباب أو قــريبة مــنه، بل كانت أقرب إلى نهر دجلة، كما ذكر المؤلف هنا، مطلة على سمي بعقــار المدرسة، وهذا العقار يمثل جزءً من دواخل سوق الثلاثاء، يتصل بمشرعة=

التـــي هي مسكن اليهود، وإن المحل الذي كان معروفاً ببنجه علي، أي كف علـــي، هو أحد إيوانات المدرسة، وهو خطأ، لنص الطبقات على أنها شيدت علـــى شـــاطئ دجلة، وما بين هذا المحل ودجلة نصف ميل، ولأن المدرسة المذكـــورة واقعـــة عـــند حظائـــر الحطب التي باحتراق الحظائر تحترق، وباحتـــراقها تحترق الحظائر، وحظائر الحطب هي واقعة على دجلة (انظر المعجـــم والكامـــل)، وعليه فمحال عقلاً أن تكون المدرسة المذكورة بالمحل الـــذي ذكروه. وما هذا القول إلاّ تلفيق ممن ليس له تدقيق وتحقيق، وقد أتى المؤرخـــون العـــراقيون مما يلوكه عوام الناس من مثل هذا، لا عن تحقيق وانارة من علم، كما تلقفوا أن قصور الخلافة هي من جنوبي قهوة المصبغة إلـــى دور بيت الباجه جي عبد الرحمن جلبي[1]، مع أنه خطأ، لأن ما يقابل

=الـــصباغين (شـــريعة المـــصبغة) المطلـــة على شاطئ دجلة، وبمشرعة الإبريين (الحوادث ص٢٧٥) وهذا هو سبب تعرض المدرسة إلى الغرق كلما ارتفعت مناسيب هـــذا النهـــر. وكان ثمة درب يحيط بالنظامية من شرقها، كان يسمى درب السلسلة، وهـــذا الدرب مازال معروفاً بمعناه، فيسمى درب الزنجير، أو درب الزنجيل، وكانت المدرسة تحادد من جهة الغرب، سوقاً كان يسمى سوق العطر، وهو اليوم سوق العبي والجوخجية(الكبابجية سابقاً)، المنتهي بمشرعة المصبغة، فالنظامية إذن كانت تشغل القطعتين المتصليتن ذوات التسلسل ٦٨٥ و١٢٠٥.

(١) تقدمت مناقشة هذه الآراء.

هذه الأماكن من الجانب الغربي القُرَيّة كما هو واضح لمتتبع التاريخ، والذي يقابل قصور الخلافة هو الرّقة لا القُريَّة[١].

ولأن باب المراتب قد احترق باحتراق المدرسة النظامية، وحظائر الحطب التي بجوارها، وباب المراتب هو آخر باب من أبواب حريم دار الخلافة، واقع في شرقي سور الحريم، كما هو معلوم، وهو على قولهم يكون تقريباً في شرقي درب الكنائس[٢] الآن الواقع جنوبي جامع مرجان، ومن المستحيل عقلاً أن يحترق مثلاً جامع الخفافين أو ما يقاربه، أو جامع الوزير وما يدانيه، فيحترق باحتراقه درب الكنائس أو ما يقاربه.

ولكن لما شاع على ألسنة العوام أن جامع سوق الغزل هو جامع الخلفاء، ظن أُولئك أنه جامع القصر، ولما كان جامع القصر متصلاً بقصور الخلفاء، لزم على رأيهم أن تكون القصور قريبة من الجامع، وإذن فالقصور هي بهذه الاماكن، والحريم المحيط بالقصور يجب أن يكون من جنوبي قهوة المصبغة إلى جنوبي قصر عبد الرحمن الباجه جي، ولم يدققوا ما يرد على هذا القول عقلاً، ولا ما سجله التاريخ وعيَّنه، وإن شئت تفنيد هاته الأقوال فارجع إلى كتابنا (بغداد إلى المائة السابعة).

---

(١) يريد رقة ابن دحروج، وكانت تحتوي على بساتين تعرف ببساتين الرقة، وكانت في أدنى القرية على ما ذكر ياقوت في مادة بادوريا، فقد ذكر أن من محلات كورة نهر عيسى(مصبه عند جامع قمرية) القرية والنجمي والرقة.

(٢) يريد عقد النصارى، من عقود محلة راس القرية، سماه بدرب الكنائس لأنه كان يفضي إلى كنيسة الأرمن وكنيسة الكلدان.

وبالخلاصـــة إن هـــذه المدرسة التي سار بذكرها الركبان، واشتهر صـــيتها فـــي الأقطار والبلدان، وتخرج منها الأفاضل الائمة، وطلع من أفق ســـمائها شـــموس هـــذه الأمة، أقوت معالمها، واندرست رسومها، وانمحت علومها، وأوحشت ربوعها، فتبدلت الأرض غير الأرض، وغاب منها الطول والعـــرض، ويَـــبس مـــنها ذيالـــك الروض، فأصبحت كما وصفها شاعرنا الرصافي حينما طلب إليه شكري أفندي الآلوسي سنة ١٣٢٠هجرية أن ينظم قصيدة على لسانها، فنظم قصيدة وهي[١]:

قَـوَّض الدهـر بالخـراب عمـادي	ورمـــــتني يــــداه بالأنكـــــادِ
ضعـضع الدهـر مـن بنائـي أركـا	نـاً شـداداً طالـت علـى الأطـواد
كم أنـادي وليس لي من مجيبٍ	واخـــراباه! جَهـــرةً كـــم أنـــادي
طالمـا رفـرفت مـن العلـم رايـا	ت فخـــار مـــني علـــى بغـــداد
طالمـا طاولـت ذرى قـنن الـشم	حـــصوني بفـــضلها المـــستجاد
كـــنت للعلـــم روضـــة باكـــرت أز	هارهـــا الغـــر بالعهـــاد الغـــوادي[٢]
وجمـــيع الأنـــام تـــضرب أكـــبا	د المطايـــا كـــي تجـــتني أورادي
كم رَنَت بي نواظر العلم حتى	كـــنت مـــنها بهـــا مكـــان الـــسواد
فالغزالـــي ســـائلن[٦] وأبـــا اســـ	حـــاق عمـــا حـــويت مـــن إرشـــاد

(١) ديـــوان الرصـــافي، شرح وتعليقات مصطفى علي، بغداد١٩٨٦، ج٥ ص٦٢- ٦٥، بعنوان(أطلال العلم أو المدرسة النظامية).

(٢) العهـــاد: جمـــع عهد، وهو أول مطر الوسمي، والغوادي: جمع غادية، وهي السحابة تنشأ فتمطر غدوة، أي صباحاً.

قد رمتني صواعق الدهر فانهـ ... ـد[١] بنائي وصرت بعض الوهاد

فبكتني من السماء دراريـ ... ـها وكانت تعد من حُسادي

أهل بغداد مالأعينكم تغمـ ... ـض عني؟ أظنكم[٢] في رقاد

أهل بغداد هل ترقون قلباً[٧] ... أو ما راعكم[٣] عظيم افتقادي

أفلا تنجدون مدرسة العلم ... وعهدي بكم ذوي إنجاد

أين تطنيبكم من العلم أبيا ... ت المعالي من فوق سبع شداد

اين ما شيد من (نظامي) ربعي ... فلقد كان نجعة المرتاد

لم تزل في طلابيَ الابل النجـ ... ـب تحفى مضروبة الاكباد

أين تلك المعارف التي كا[٨] ... نت ربوعي تذيعها في البلاد

أصبحت مسكن اليهود وقد كانت ... ربوعاً يأوى لها كل هاد[٤]

ليتها بعد محققها عشعش البو ... م عليها ولا أنتجتها الأعادي[٥]

---

(١) الشطر في الديوان: فرمتني صواعق الدهر فانهد.

(٢) في الديوان: كأنكم.

(٣) في الديوان: منكم راعها.

(٤) هذا البيت لم يرد في الديوان.

(٥) هذا البيت لم يرد في الديوان.

(٦) كذا في الأصل، وفي مساجد الآلوسي ص١٠٥، وفي الديوان: سله بي.

(٧) في الديوان: هل ترق قلوب.

(٨) الشطر كما في الديوان: أين تلك العلوم وهي التي كا

(٩) في الديوان: فافعل.

(١٠) في الديوان: جمع.

أقفرت سُوحُها وقد نُعي العلـ ـم فلاحت تجر ثوب الحِداد

وتوارت بالبغي ظلماً وكانت خافقاً فوقها لواء الرشاد

كيف قضت خيامها زعزع الد دهر وكانت رصينة الأوتاد

أيها الدهر كلما شئت فاصنع[9] اذ حدا في ركائبي غير حاد

ورعاني من راح من ظلمه العد ل فقيداً ميعاده في المعاد

فَرّقوا شمل[10] أمةٍ قبلهم كا نت لعمري وحيدة الاتحاد

وهذه القصيدة نظمها الشاعر المومى إليه، بأمر أستاذه إذ ذاك شكري أفندي[1]، باعتبار أنها واقعة في المحل الذي تجاوره المنارة المقطوعة، على ما ذكرنا بطلانه وفَنَّدنا رأى القائل به فتَدَبَّر.

أما بَنْجَه علي فهو قطعة أو رواق من أروقة مدرسة الملك إمام الدين يحيى البكري القزويني المتوفى سنة سبعمائة بعد الهجرة، أعنى بعد استيلاء المغول على بغداد، فإنه كان صاحب ديوان بغداد إذ ذاك، فأدركته المنية في الحلة، فحمل منها ودفن في تربته التي عملها لنفسه في مدرسته التي بناها بدرب فراشا، وباب فراشا كان في رأس الدرب المؤدي الى قنبر علي، من عند المحل المسمى بَنْجَة علي، لأنه واقع تجاه مشرعة الصباغين، أي المصبغة[2]

---

(١) يريد السيد محمود شكري الآلوسي.

(٢) أما أنه دفن في الدرب المؤدي إلى جامع قنبر علي، وهو نفسه درب فراشا القديم،، فنعم، وهذا ما ينطبق على درب (أو دربونة) إمام طه، فإنه يفضي إلى هناك، وأما أنه يقع تجاه مشرعة الصباغين، فيعني أن المدرسة الإمامية البكرية كانت تقع عند=

انظـــر ص ....[١]. وانظر الوقفية التي بيد متولي جامع قنبر علي المؤرخة ١١ جمـــادي الاولـــى ســـنة ١٢٢٠، والإعــلام المسجل تحت عدد ١٨٢١ وصحيفه ٦٥ بسجل ٩ وتاريخ٨ جمادي الآخرة ١٣٤٨.

المدرسة المستنصرية

هـــي المدرسة التي شادها الخليفة الأعظم أبو جعفر المستنصر بالله العباســـي عليه الرحمة والرضوان، وهي مدرسة عظيمة الشأن، بناها على نحـــو المدرســـة النظامـــية، عـــند مشرعة الحطابين على دجلة قرب الدار المعروفة بالدار المستجدة وهي الدار العائدة الى....[٢]

المتـــصلة بها، ويدخل من الدار أيضاً إليها، وبنى بجنبها جامعاً عرف بجامع المستنـــصرية، وهـــو بموضـــع الجامع المعروف الآن بجامع الآصفية، أو

=المـــنارة المقطـــومة، وإذ سبق أن ذكر أن من بقايا هذه المدرسة الموضع المسمى (بـــنجة علي) يصبح من المستبعد جداً أن تكون المدرسة المذكورة ملاصقة للمدرسة المرجانية.

(١) بياض في الأصل.

(٢) بـــياض فـــي الأصـــل. والـــذي في كتاب الحوادث ص٢٧٤ أن داراً كانت مجاورة للمستنـــصرية تـــسمى دار الأميـــر سُـــنقرجا زعـــيم بـــلاد خوزستان، وأن مسجد الحظائر (جامع الخفافين) كان يجاور هذه الدار. ومما يؤكد أنه قصد هذه الدار، لا داراً غيـــرها فـــي أعلاهـــا، قول صاحب كتاب الحوادث أن المستنصر " نزل في شبارة (ضـــرب من الزوارق) من باب البشرى (أحد أبواب حريم دار الخلافة) مصعداً إلى الدار المستجدة المجاورة لهذه المدرسة"، فقوله أنه صعد إليها يدل على أن دار الخلافة كانت تقع في جنوبي المستنصرية.

المولـــيخانه[١]. وكان الجسر إذ ذاك كما هو الآن ممتداً بين مشرعة الروايا ومـــشرعة الحطابـــين[٢]. (انظــر ابن جبير)[٣] والمدرسة الآن شرقي، أي جنوبـــي، الجسر، وشرقي جامع الآصفية، يفصل بينهما السوق الواقع شرقي الجامع والجسر. ولا تزال قائمة على أصولها، وإن عبثت بها أيدي الزمان، وأناخ بكلكله عليها الحدثان، فهي البنية الوحيدة التي قاومت الحوادث القاسية، والـــنوائب العاتية، من أبنية الخلافة العباسية، فقد بقيت متماسكة البناء رغم توالي الغرق العام منذ بنائها حتى هذه الأيام، ورغم توالي الغزوات، ونزول كارثـــة المغـــول، والخـــراب العـــام الذي أوقعوه بكل ما له مَساس بالخلفاء والخلافة من جامع وقصور وبساتين ودور.

وكـــان الـــبدء في بنائها سنة خمس وعشرين وستمائة، والانتهاء من عمارتهـــا كان سنة ثلاثين بعد الستمائة[٤]، كما تنطق بذلك الكتابة الموجودة

---

(١) جامـــع المستنـــصرية كان في داخل بناية المدرسة المستنصرية، وقد كشفت أعمال الـــصيانة التي أجريت على هذه المدرسة عن محرابه. وينظر ناجي معروف: تاريخ علماء المدرسة المستنصرية، القاهرة ١٩٧٦، ج٢ ص٢١١. أما جامع الآصفية فكان، على ما ذكرنا من قبل، دار القرآن الملحقة بالمدرسة والمتصلة بها.

(٢) سبق أن ذكر هذا الرأي، وقد علقنا عليه في موضعه.

(٣) الـــذي فـــي رحلة ابن جبير" فأكبرها القرية وهي التي نزلنا فيها بربض منها يعرف بالمـــربعة علـــى شط دجلة بمقربة من الجسر" ، فالمؤلف يستدل بهذا النص على أن جسر بغداد الذي قصده ابن جبير هو نفسه الجسر القديم الذي عرفته بغداد في العصر العثماني (ومكانه جسر الشهداء الحالي)، وقد علقنا على هذا الرأي فيما سبق من هذا الكتاب.

(٤) ينظر كتاب الحوادث ص٨٠.

علـــى جدار المقهى المعروف بقهوة المميز[١]، الذي هو ربع الشافعية، وهو القـــسم البارز لأن أغلبه لا يزال مختفياً وراء البناء المسمى بالدائرة النهرية، الواقع جنوبي المقهى المذكور، وهذا ما هو مكتوب....[٢]

وقـــد كتب على باب المدرسة الجنوبي الواقع عند الربع الحنفي على دجلة:

بسم الله الرحمن الرحيم

(قـــد أنشا هذا المحل رغبة في أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وطلباً للفـــوز بجـــنات الفردوس التي أعدها للذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلاً، [وأمر أن تجعل مدرسة للفقهاء على المذاهب الأربعة][٣]·سيدنا ومولانا إمام المسلمين، وخليفة رب العالمين، أبو جعفر المستنصر بالله أمير المؤمنين، شـــيد الله معالم الدين بخلود سلطانه، وأحيا قلوب أهل العلم بتضاعف نعمه وإحسانه، وذلك [في][٤] سنة ثلاثين وستمائة، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله).

---

(١) تقدم القول في هذا المقهى وما يحتله من مبنى المستنصرية فيما سبق من هذا الكتاب.

(٢) بـــياض في الأصل. ونص هذه الكتابة كالآتي" ظهر في عمره الزاهر لاجئاً إلى حرم أمـــين وركـــن شديد وذلك في سنة ثلثين وستماية وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله".

(٣) مـــا بين معقوفين سقط من الأصل، وأثبتناه من حسين أمين: المدرسة المستنصرية، بغداد ١٩٦٠، ص١٤٨.

(٤) سقط من الأصل، وأثبتناه من المصدر نفسه.

كما كتب على الجدار المطل على دجلة سطر كمنطقة له مرتفع عن الأرض قدر قامتين، وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

هـذا ما أمر بعمله أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين، الذي طبق البلاد احسانه وعدله، وعمَّ[1] العباد بره وفضله، أبو جعفر المنصور المستنصر بالله قرن الله تعالى أوامره الشريفة بالنجح واليسر، وجنوده بالتأييد والنصر، وجعل لأيامه المخلدة جداً لا يكبو جواده، ولآرائه الممجدة سعداً لا يخبو زناده، في عز تخضع له الأقدار فيطيعه[2] عواصيها، وملك تخشع لـه الملوك فيملك نواصيها، وذلك في سنة ثلاثين وستمائة، وصلى الله على سينا محمد وآله الطيبين الطاهرين، وعترته، وسلم تسليماً).

وإن ما هو ظاهر على جدار قهوة المميز هو القسم الآخر من هذه الكتابة وهو ما تقدم.

ولما فُتِحت يوم الاثنين خامس عشر جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وستمائة، نقل إليها الربعات والكتب النفيسة، المشتملة على العلوم الدينية والأدبية، والمصاحف بالخطوط المنسوبة إلى الخطاطين. قيل أن ما حُمل منها مائة وستون حمَّالاً، وجُعلت في خزانة الكتب، هذا عدا ما أحضره

---

(١) في المصدر نفسه: غمر.

(٢) في المصدر نفسه: تطيع.

أربـــاب الدولـــة مـــن كتبهم تقرباً إلى قلب الخليفة، حتى قال صاحب عمدة الطالـــب[1] إن مـــا اجتمع في خزانة المستنصرية ثمانون ألف مجلد على ما قـــيل. وأمـــر الـــشيخ عـــبد العزيـــز وولده ضياء الدين خازن كتب الخليفة المستنصر بالله باعتبار الكتب وترتيبها مفصلاً لفنونها كي يسهل تناولها ولا يـــتعب مـــناولها. ولمـــا حلَّ يوم الخميس خامس رجب سنة إحدى وثلاثين وستمائة، حضر الوزير نصر الدين أحمد بن الناقد، وأرباب الدولة والحجاب والقضاة والفقهاء والقضاة والمدرسون ومشايخ الربط والصوفية وأعيان بغداد والولاة والقُرّاء والوعاظ والأدباء، وفتحت المدرسة باحتفال مَهيب، تخير فيه لكل مذهب مدرس، فنُصب محيي الدين بن فضلان الشافعي مدرساً للشافعية، ورشـــيد الـــدين عمـــر الفرغاني مدرساً للحنفية، ومحيي الدين ابن الجوزي مدرســـاً للحنابلة، ولكن بسبب غيبته نصب ولده جمال الدين أبو الفرج نيابة عنه إلى أن يرجع، ونصب أبو الحسن علي المغربي المالكي مدرسا للمالكية، وخلع عليهم.

وكان المُعتبَر من هؤلاء الفقهاء مدرساً، اثنين، هما ابن فضلان وابن الفرغانـــي، أما ابن الجوزي والمغربي فقد اعتبرا نائبا تدريس لا مدرسان، وعُين لكل من المدرسين ونائبيهما معيد للدرس، وخُلع عليهم أيضاً، كما خلع علـــى من تولى العمارة من الحاشية والعَمَلَة ومعاونيهم، وعلى من يخدم في خـــزانة الكـــتب، وعلـــى الفقهاء. وعين شمس الدين علي ابن الكتبي خازناً للخـــزانة، والعمـــاد علـــي بن الدَّبَّاس المُشرف، والجمال إبراهيم بن حذيفة

---

(١) ابن عنبة ص١٨٢.

مـناولاً. ومُـد سـماط فـي صـحن المدرسة عليه من الأطعمة صنوفها، والمـشروبات أنواعها، والحلويات وغريب المآكل ما يبهر الناظر، فتناوله الحاضرون[١]. وأنشد بعد ذلك الشعراء المدائح فيها وفي منشئها.

منها ما أنشده الحسين بن مجد الدين [حسن بن الحسين][٢] الطاهر[٣] الكوفي الشاعر المشهور، على ما قاله السيد الشريف تاج الدين بن محمد بن حمـزة بـن زهرة الحسني نقيب حلب في كتابه (غاية الاختصار في أخبار بيوتات العلوية المحفوظة من الغبار)[٤] وهي القصيدة التالية:

سَـمعاً أمـير المؤمـنـ ... يـن لمِـدحتي وثـنائها
لـك مكـة وجمـيع مـا ... يـأوي إلى بطحائهـا
سَـبقت[٥] بفـرعك هاشـم ... وسَـمَوتَ في علـيائها
إذ ذاك خـير رجالهـا ... شـرفاً وخـير نـسائها
عَمَّـرتَ مدرسـةً أمـر ... تَ بـسمكها وبـنائها
سُـرَّت عـيون الناظـريـ ... ـن بحـسنها وبهائهـا
ليـست مـدارس مـن مـضى ... في الحـسن مـن نُظـرائها
وقـد وسمـت بالمستنـصر ... يـة منتهـى أسمائهـا

---

(١) نقل خبر الافتتاح هذا، بشيء من التصرف، من كتاب الحوادث ص٨٢- ٨٣.

(٢) ما بين معقوفين من غاية الاختصار ومنه ينقل.

(٣) كذا في غاية الاختصار، وفي المخطوط (الطاهري).

(٤) ص ١٠٩، طبعة النجف ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

(٥) في غاية الاختصار: بسقت.

سِـــــمةٌ مقدســــــةٌ لمـــــا ضـــمنت حـــروف هجائهـــــا
فخُلِّـــدت مـــثل خلـــودها وبقــــيت مــــثل بقائهـــــا

وأورد أبـــو المعالـــي القاسم بن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي، ولـــيس هو صاحب شرح نهج البلاغة، لأن ذلك هو أخوه، واسمه عز الدين عبد الحميد، وكان يتشيع- رحمه الله-القصيدة الآتية وهي:

مــا مُـثِّل الفلــك العظـيم لمبـصر في الأرض قــبل إيالــة المستنــصرِ
هــذا بِــناء مُعــرِبٌ عــن قُــدرةٍ رُفِعَــــت قـــواعده بفعــــل مُظهـــر
حسدت به الأرضَ السماءُ ولم يزل حَـسَد الفـضائل مــن طـباع العُنـصرِ
انظـر تجـد نظـم الثـريا في ذُرى شُـــرفاته وضـــياء نـــور المـــشتري
ضـحك الـزمان وذاك بعـد عبوسـه ورأى الـــصواب وذاك بعـــد تَحيُّـــرِ
فالأفـق بـين مـذهب و مفـضض[1] والجـــو بـــين مُكوفـــرٍ ومعنـــبر
والأرض حاســرةُ القـــناع كأنهـــا خَـــوْد تَبَـــرَّجُ في رداء أخـــضرِ
تـــزهو بمــا عَمـر الخلـيفةُ فـوقها علَمـــاً لأحكـــام البـــشير المـــنذر
بالجانـب الـشرقي بالـشاطئ الـذي هو طُور سينا كل صاحب مِنبَرِ

ومنها:

مــا حــق دجلــة أن تفــوه بلفظــة قهـــرت وأي مُـــساجِلٍ لم يُقهـــر

---

(١) في الأصل: بين مفضض ومذهب، نقل ذلك من كتاب الحوادث بطبعته الأولى، بغداد ١٩٣٢، وما أثبتناه من الكتاب نفسه بتحقيقنا والدكتور بشار عواد معروف ص٨٣.

غَلَبَ العطاءُ الماء فيه وانثني ... سَدّاً يفوق صناعة الاسكندر
إن أصبحت بحراً فإن بنانه ... بإفاضه المعروف خمسة أبحر
وضع الإمام بها أساس بنائه ... والموج بين مُجَمجِمٍ ومزمجر
قصراً ومدرسة لمن طلب الغِنى ... أو رام شأو العالِم المتبحر
هي جنة الفردوس يجري تحتها ... من ماء دجلة ماء نهر الكوثر
حصباؤها دُر النظام وتربها ... مسك الختام[1] وطينها كالعنبر
لَبِس الغنى بها شهامة ماهرٍ ... وغدا المُقِل مزاحماً للمُكثِر
لَم تخل من حَبْرٍ وشيخ فاضل ... وغدا المُقِل مزاحماً للمُكثِر
قد كانت الفقهاء قبل بنائها ... في كل قطر واحد لم يذكر
فرقى[3] يشق على المريد طِلابُها ... في الشرع والمطلوب كالمعذَّر[2]
فاليوم قد جُمِعت أمور الدين في ... أرجائها وأُزيل عُذر المُقْصِر

وله عليه الرحمة قصيدة في مدح الخليفة، مع ذكر فتح المدرسة، وهي[4]:

أَبَيتُ فلا أقوم على الصَّغار ... وبالمستنصر الملك انتصاري
وكيف أخافُ دهري بعد حجِّي ... إلى حرم الخليفة واعتماري

---

(١) كذا في الأصل، مع أن الذي في كتاب الحوادث، من الطبعة التي ينقل منها: مسك الجندب، وفي طبعتنا المحققة ص٨٤: مسك الجذوب.
(٢) في الأصل: المتعذر، وما أثبتناه من الحوادث.
(٣) في الأصل: فرقا. وما أثبتناه من الحوادث.
(٤) الآلوسي: مساجد ص ٩٣- ٩٥.

سأبلغ كل إيثاري بمدحي ... لسُدَّته وأُدرك كل ثاري
إمام هدى إذا افتخرت مَعْدٌ ... بعقر النيب واللبن السمار
أتى بالفخر في شرف مطال ... وصِيتٍ فوق كيوان مطار
وعد من الأب الأدنى ملوكاً ... إلى العباس ثم إلى نزار
كما أطردت أنابيب العوالي ... وما التطمت أو أذى البحار
بآباءٍ أُباة للدنايا ... وأبناءٍ بُناة للفخار
وجوه مثل أقمار وضاء ... وأيد مثل أنواء غِزار
لها في المنفسات حروب عبس ... وأيامٍ كأيام الفجار[1]
أمير المؤمنين لك التهاني ... تجدد في رواح وابتكار
ولا برح الزمان لمن يواري ... لك البغضاء مشبوب الأُوار
وأعناق الملوك لديك أما ... بذِلٍّ أو بقتلٍ أو إسار
فجودك أوسع الأيام خصباً ... وكانت قبلُ صائمة القطار

---

(١) من أيام العرب.
(٢) من أيام العرب أيضاً.
(٣) جحر الضبع وغيره.
(٤) الدو : الفلاة.
(٥) محكم الفتل.
(٦) غنم وغفار: قبيلتان.
(٧) أمهى الحديدة : أحدها وسقاها الماء.
(٨) سدك به: لزمه.

وعـدلك أمـن الدنـيا وكانـت ... كأيـــام النـــسار أو الجفـــار[٢]
ومـذ أنـشأتَ دار العلـم قلـنا: ... عرين الليث جلّ عن الـوجار[٣]
جَرى الـوادي فطم على قرىّ ... صــغير بــين أنهـــار كـــبار
وأطــرق باكـــراً إنـــا رأيـــنا ... نعـام الـدَّو في هـذي الـديار[٤]
تــضاءلت المـدارس إذ رأتهـا ... وباتـــت بالمَذلّـــة والـــصغار
أقــول لــصاحبي لمــا رآهــا: ... أنـخ بـذرى المـشقر مـن طمـار
وقـد جئـنا إلى محـراب سيف ... فحُمـــر إذ دخلـــت إلى ظفـــار
يَـرد الطـرف منظـرها حـسيراً ... كـأن الـشمس في شـرف الجـدار
ومـــا كـــنا نـــصدق أو رأيـــنا ... بـأن الأرض تـسكنها الـدراري
مُخـيِّمة علـى نهـر المُعلّـى ... فدجلـــة لا المنـــيفة فالـــضمار
فكـم ديـن قـويم شـدت فـيها ... وكـم حـبل عقـدت بهـا مغـار[٥]
أعـدت بهـا هـلال العلـم بـدراً ... وقـد لقحـت بهـا ظُلَـم الـسرار
وأوضـــحت المـــنار لطالبـــيه ... وقـــدما كـــان مجهـــول المـــنار
فـدُم واعمـر لهـا الفـي نظـير ... فكـم بعـد العـشية مـن عـرار
وهل هـي غير عزم منك ماضٍ ... تـــناط إلى زنـــاد مـــنك وار
إلـيك تجمعـت سُبل المعالـي ... كمجـــتمع الـــسيول إلى القـــرار
وأنـت الدهـر يخفض كـل عـال ... بقـــوته ويمـــسك كـــل هـــار
ويُـبرم مـا يـشاء بـلا اعتـساف ... ويـنقض مـا يـشاء بـلا اقتـسار
يَـداك الـضرتان علـى المعالـي ... فمـا تـثني الـيمين مـن اليـسار

فطـوراً مـن سيوب نـدى ممير وطـوراً مــن ســيول دم ممــار
وجـدك مطعـم الطـير الهـوافي وقـاري الـوحش في البـيد القفار
وحامـي أحمـد والخيل تـردى بخرصـــان كأطـــراف المـــذار
وقـد لمـح المغامـر في حـنين بخرصـــان كأطـــراف المـــذار
وشـافع أهــل مكــة إذ أتــتهم مِــن المخـــتار قاصــمة الفقــار
وكـم لـك مـن أبٍ غمـر جـواد بطـين الـشوط مأمـون العـثار
بعـــيد نـــومه إلاّ غـــراراً وفي الأعداء مفتـوق الغرار
يـراوح بـين محـراب بلـيلٍ يقـــوم بـــه وحـــرب في نهـــار
ويكـــره أن يقـــر لـــه قـــرار محافظـــة علـــى دار القـــرار
ومـــيمون نقيبـــته ولكـــن علـى الأعـداء أشـأم مـن قـدار
ويخلـق حـين يعزم ثـم يفـرى إذا خلـق العـزيمة غـير فـار
مناسب حلقت عن ذي رعين وغـضت مـن جلالـة ذي المنار
وناطحـت الـنجوم فلـم يـنلها أبـــو كـــرب وأكّـــال المَـــرار
وكـم فـرع نـضير إن عـدونا قـــديمكم وكـــم أصـــل نـــضار
وقـد وزر الـصدور لكـم قـديماً ولكـن أيـن غـنم مـن غفـار[٦]
ندمت على اختيارك ألف عام وكـــنت علـــى زمانـــك بالخـــيار
دعـاء مخـالص يُهـدي إلـيكم لآلـــي لم تُـــدنس بالـــسفار
قلائـد نـزهت عـن كـل عيب كمـــا نُـــزِّهتم عـــن كـــل عـــار
وعن (عبد الحميد) نشأن فيكم ولـــيس ولى مـــروان الحمـــار

نثار قبله ما ظن خلق بأن الشهب تدخل في نثار
بقيت وعشت يا مولى الموالي كما عاش ابن عاد في وبار
تدوم لنا فتغنينا وتبقى بقاء الدهر والفلك المدار
وأهلا بالوزير لكم وسهلاً سقى أيامه صوب السوارى
ولا نسي الإله له جهاداً أعاد الملك مختط العذار
إذا أمهى[٧] سنان العزم أغنى عن السُّمر المثقفة الحرار
وإن ناجى بألفاظ مشيراً فقل ماشئت بالرأي المشار
وان سدكت[٨] بجبار يداه فالله من قتل جُبار
سوار صنعته ليد المعالي وما حسن الذراع بلا سوار
وسيف شمته لطلى الأعادي كما شام ابن عمك ذا الفقار

وقد ضم مدح الوزير ابن الناقد إلى مدح الخليفة، لأن الوزير المشار إليه له فضل وإحسان إليه وإلى أخيه، وقد كانا من الكتاب في الديوان في أيامه. وبعد أن أورد ابن أبي الحديد وجماعة كثيرة بعد مدائحهم، وقرأ ابن فضلان والفرغاني كل منهما درسه على السدة المُعَدَّة لإلقاء الدرس، وكان كل من نائبَي الدرس تحت السدة، قُسِّمت أرباع المدرسة إلى المدرسين، فسُلِّم ربع القبلة اليمين إلى الشافعية، والربع الذي على يسار القبلة إلى الحنفية، والربع الذي على يمين الداخل إلى المدرسة إلى الحنابلة، والربع الذي على يسار الداخل للمالكية، وأُسكن الطلبة في بيوتها وغرفها، وأُجريت لهم الجراية الوافرة. وكان الخليفة -عليه الرحمة والرضوان- جالساً في الشباك الواقع

فـــي صدر إيوانها، فلما تم كل ذلك نهض الوزير والحاضرون وانفض ذلك الجمع الحافل.

أمـــا عدد طلاب العلم الذين سُجّلوا فيها إذ ذاك، فقد كان على ما نقله الـــتاريخ[١] مائتـــين وثمانية وأربعين نفساً، لكل مذهب اثنان وستون طالباً. ويقـــال: إن الخليفة لما حضر المدرسة، وكان الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحـــريم الطاهري، والذي أُمر باعتبار كتب المدرسة مع ولده ضياء الدين، حاضـــراً. فبعد أن سلَّم عليه بالخلافة دعا له، ثم تلا قوله تعالى (تبارك الذي إن يـــشاء جعل لك خيراً من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً)[٢]، فخشع لذلك الخليفة- رحمه الله- وتقاطرت دموعه.

وشـــرط -رحمـــه تعالى- أن تكون عدة الفقهاء بها مائتين وثمانية وأربعـــين فقيهاً يطلب الفقه، من كل مذهب اثنان وستون، لكل واحد ديناران فـــي الشهر، وأربعة أرطال خبز في اليوم مع الطبيخ الذي يطبخ، ومطبخها مع اللحم الراتب والحلواء والفاكهة والصابون والزيت والبزر والفراش.

وان يكون في دار الحديث شيخ عالي الإسناد وقارئان وعشرة أنفس يقـــرأون الحديث، ولهؤلاء مثل للفقهاء من الجراية والراتب. وللشيخ في كل يـــوم ســـتة أرطـــال خبزاً، ورطلان من اللحم، مع ثلاثة دنانير في الشهر- وللقارئ في اليوم أربعة أرطال خبزاً، وغرف من الطبيخ، وثلاثة دنانير في الـــشهر. أما المدرسون فلكل واحد منهم في اليوم عشرون رطلاً من الخبز،

---

(١) كتاب الحوادث ص٨٥.

(٢) الفرقان، آية ١٠.

وخمسة أرطال من اللحم مع الخضر والحوائج اللازمة، والحطب، وإثنا عشر ديناراً في الشهر. ولكل معيد سبعة أرطال من الخبز، وطبيخ غرفتان، وثلاثة دنانير في الشهر.

وشـــرط أن تكـــون الدار المستجدة داراً للقرآن المجيد، يَدرُس فيها ثلاثـــون صـــبياً من الأيتام القرآن الكريم على شيخ مُتقن صالح، ومعه معيد يُحَفِّظهم، ولهؤلاء الأيتام مثلما للمشتغلين بالحديث. وللشيخ من الجراية سبعة أرطـــال مـــن الخبز يومياً، وغرفتان من الطبيخ، وثلاثة دنانير في الشهر، وللمعـــيد أربعـــة أرطـــال في اليوم خبزاً، وغرفة طبيخاً، ودينار وعشرون قيـــراطاً في الشهر، ولليتامى لكل واحد ثلاثة أرطال خبزاً في اليوم، وغَرفة طبيخاً، وثلاثة عشر قيراطاً وحبّة واحدة في الشهر.

ولخازن الكتب في اليوم عشرة أرطال خبزاً، وأربعة لحماً، وعشرة دنانيـــر فـــي الشهر، وللمشرف على الخازن خمسة أرطال خبزاً في اليوم، ورطـــلان لحماً، وثلاثة دنانير في الشهر. ولمناول الكتب أربعة أرطال خبزاً في اليوم، وغرفة طبيخاً، وديناران في الشهر.

وشرط أن يكون في المدرسة نحوي يشتغل بعلم العربية، له في اليوم ســـتة أرطال خبزاً، ورطلان لحماً، بحوائجهما من الخضر والحطب، وثلاثة دنانيـــر فـــي الـــشهر. وأن يكون أيضاً طبيب حاذق يشغل عشرة أنفس بعلم الطب، وشرط لهم من الجراية والمشاهرة ما لطلبة الحديث، وان توجد لديهم الأكحـــال والأشـــربة. وأُسكنوا في صُفَّة فاخرة في الإيوان الذي أُنشئ مقابل المدرسة، وهو بموضع جامع القبلانية. وكانت تلك الصفة تحت ذلك الإيوان البديع العديم النظير في العالم على [طبيب] يطبب المرضى المتعلقين بالوقف.

وأن يكــون لكل طائفة من الطوائف الأربع إمام يُصلّي بهم، وقارئ القرآن، وداعٍ يدعــو. وأن تــضاعف المُشاهرة في رمضان، فيكون للناظر عشرون رطلاً في اليوم خبزاً، وخمسة لحماً بخُضَرها وحطبها، واثنا عشر ديناراً في الــشهر، وللمُــشرِف عشرة أرطال خبزاً، أو ثلاثة لحماً، وسبعة دنانير في الشهر، وللكاتب مثل للمُشرِف، وأن يكون هناك فرّاشون وبوّابون ومُزمّلاتي وحَمّامي ومُزَيِّن وقَيِّم ومعمارِية وطباخ وخازن للآلات وغلام للطباخ وخزَنة للديــوان وغلمان له ومؤذن ونفّاط، وجعل لكل منهم جِراية ومُشاهرة. وكان رَيع وقف المدرسة كما قال السيوطي نيفاً وسبعين ألف مثقال ذهباً.

أمــا الإيــوان المنــسوب للمستنــصرية، المشتمل على بديع الصنع وغريب الاختراع، فقد أنشئ بعد المستنصرية، وأُكمل سنة ٦٣٣، وكان على التقــريب في موضع مدرسة جامع القبلانية والجامع نفسه، وكان عبارة عن صُفَّة جعلت محلاً للتطبيب والتلامذة العشر[١].

وفوق الصُّفَّة الإيوان، وفي حائط الصفة صُوِّرت صورة الفَلَك دائرة، فجعــل فيه طاقات لطاف، عددها اثنتا عشرة طاقة، لكل واحدة باب لطيف، وفــي الدائرة بازان من ذهب، في طاستين من ذهب، ووراءهما بُندُقتان من الــنحاس الأصفر لا يدركهما الناظر، فمتى مرَّت ساعة من الزمان انفتح فَما الــبازين ووقع منهما البندقتان، وعند سقوط البندقة ينفتح باب من أبواب تلك الطاقات، والباب هو من الذهب، ولكن عند انفتاحه يصير مفضضاً. وهاتان البندقتان إذا وقعتا في الطاستين ذهبتا إلى موضعهما.

---

(١) كتاب الحوادث ص١١١.

وفـــي تلـــك الدائـــرة سماء لازوردية، فمتى طلعت الشمس الحقيقية طلعـــت فـــي تلـــك الـــسماء شموس من ذهب، ودارت في الفلك مع دوران الـــشمس، وتغـــيب عند غيبتها، فإذا جاء الليل طلعت هنالك أقمار من ضوء خلفهـــا، فكلما تكاملت ساعة تكامل ذلك الضوء في دائرة القمر، ثم يبتدئ في الدائـــرة الأخـــرى إلـــى انقـــضاء الليل وطلوع الشمس، وبذلك يُعلم أوقات الصلوات[١]. وقد نظم الشعراء في ذلك، منها ما قاله أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في مدح الخليفة، وهي:

يـــا أيهـــا المنـــصور يـــا مالكـــاً   بـــرأيه صـــعب الليالـــي يهـــونْ

شَـــــــيَّدتَ لله ورضـــــــوانه   أشـــرف بنـــيان يـــروق العـــيونْ

إيـــوان حُـــسن وضـــعه مـــدهش   يحـــار في منظـــره الناظـــرونْ

صُـــــوِّر فـــــيه فَلَـــكٌ دائـــــر   والـشمس تجرى مالها من سكونْ

دائـــرةٌ مـــن لازورد حَكَـــتْ   نقطـــة تِـــبر فـــيه سِـــر مَـــصون

فـتلك في الـشكل وهـذي معـاً   كمـثل هـاء رُكـبت وسـط نـون

ويقـــال أن الذي عمل هذه الساعات هو نور الدين علي بن ثعلب الساعاتي، وتولـــى ابـــنه أحمـــد بعده خدمتها، كما نُقل ذلك في الفوائد البهية والصفدي والذهبي وغيرهم من المؤرخين.

---

(١) في الأصل: الصلاة نقلاً من الطبعة الأولى من كتاب الحوادث، وما أثبتناه من طبعتنا المحققة.

ولم تزل المدرسة على ما هي عليه إلى حادثة التاتار، وخراب بغداد، وسفك الدماء، وقتل الأنفس، ونهب الأموال، وتخريب الديار، وقتل الشيوخ والشباب والنساء والاطفال، ذلك القتل العام الذي ذهب ضحيته على ما يُروى ما يزيد على مليون وثمانمائة ألف نسمة، فنهب ما فيها من كتب وفرش من قبل الجند، حتى أن الكتب التي ألقوها في دجلة على ما يحكى كادت تعقد جسراً على دجلة، فعلوا ذلك اغاضة لأهل العلم والدين.

ولما تولى علاء الدين صاحب ولاية بغداد(١) أعاد شملها، فعادت إلى ما كانت عليه مجمع الأفاضل، ومنتدى الفضائل(٢). ثم بدخول بغداد في يد الأعاجم تفرق شمل ما كان فيها، واتخذت من قبلهم اصطبلاً لخيول جندهم، كما اتخذ مثل هذا جامع الإمام الأعظم وجامع الشيخ عبد القادر

---

(١) هو علاء الدين عطا ملك الجويني، صاحب ديوان العراق، حكم من ٦٥٧ إلى ٦٨١ هـ/ ١٢٥٨-١٢٨٢م.

(٢) ذكر صاحب الحوادث ص ٣٩٩ ، ومنه ينقل المؤلف، في حوادث سنة ٦٦٨ أن علاء الدين صاحب الديوان أمر بعمل دولاب تحت مسناة المستنصرية يقبض الماء من دجلة ويرمي إلى مزملتها، ثم يجري تحت الأرض إلى بركة عملت في صحن المدرسة، ثم يخرج منها إلى مزملة عملت تجاه إيوان الساعات خارج المدرسة، وأنه جدد تطبيق صحنها وتبنيد حيطانها.

الكيلانـــي، فاختل منذ ذلك أمرها، وانحل عقد نظامها، وكسفت شمس علمها وعرفانها، فخلت ربوعها من كل ما ألفته مدة حياتها[١].

ولما استولت الحكومة العثمانية على بغداد، امتدت يد التجاوز على عقارهـــا ووقفهـــا، بل لم يقف الأمر عند هذا الحد، لأنه امتد أيضاً إلى نفس المدرســـة، مـــع أن بـــناءها ووضعها يشهدان عليها، والكتابات القائمة على جـــدرانها تنطق بعلو شأنها ومكانها، فقد اتخذها والي بغداد أبو سعيد سليمان باشـــا الـــذي ولـــي بغداد في القرن الثاني عشر[٢] خاناً، وجعلها وقفاً على مدرسته المعروفة السليمانية، وغدت تعرف بخان الموصليين.

ثم أن المجلس العسكري استأجرها من دائرة أوقاف بغداد، وجعلها مخزناً لأدوات الجنود وأسلحتهم وملابسهم، وجعلوا يؤدون بدل إجارتها عدة ســـنوات، ثـــم قطعوا بدل الإجارة تمرداً، وأعرضوا عن أدائه قوةً، وسكتت دائـــرة الأوقـــاف عـــن المطالـــبة لأن المشير إذ ذاك رجب باشا ثنى عطفه لمحاســـب دائرة الأوقاف، ثم أن المشير المشار إليه أغفل المرحوم السلطان عبد الحميد، فأبرق إلى وزير الحربية وإلى المابَيْن الهمايوني[٣] بوجود خان

---

(١) جـــاء في آخر مخطوطة في المكتبة القادرية أنه كتبها أحدهم في (المدرسة المهجورة الأزلية في دار بغداد المحمية)، وذلك سنة ١٠٧٥هـــ/ ١٦٦٤م. كتابنا: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ج٣ ص٢١٣، ونرجح أن يكون المقصود المدرسة المستنصرية.

(٢) تقدم التعريف به غير مرة.

(٣) المابَـــين لفـــظ عربي، كان يطلق على جناح في القصر السلطاني بين جناح الحريم والإدارات الخارجية، وكان السلاطين يصرفون فيه الشؤون غير المتعلقة بالقصر، ثم أصبح يعني على سبيل الاصطلاح ما يشبه أن يكون مكتب السلطان.

هـو مـن الأمـلاك العسكرية، ويريد بيعه لتعمير دار الشفاء لأجل الجند، فـصدرت الإرادة الملكية ببيعه، فباعها إلى دائرة المكوس (الكُمرُك) بسبعة آلاف ليرة ذهباً، وذلك سنة ١٣١١ من الهجرة، وكان المبيع بهذا المبلغ نفس المدرسة فقط، أما الحمام العائد لها، وهو حمامها، ودار الشفاء الواقع جنوبي المدرسـة، وكذلك الربع الحنفي مع إيوان الوعظ، فقد كان الكل في يد دائرة المكـوس، فأخذ المشير هذا الثمن، ورم ببعضه دار الشفاء- المجيدية-الذي كـان في الأصل القصر الذي شاده مدحت باشا لنزول ناصر الدين شاه فيه حيـنما جاء لزيارة العتبات، وذلك سنة ١٢٨٦رومية و١٢٨٧ هجرية، وبنى بالباقـي فـي المحل الذي أعده لجلوسه وجلوس أتباعه وأعوانه، مع دائرة الأركـان الحـربية المُطل كل ذلك على دجلة، وكان بناءً فخماً لا يوجد في دوائـر الحكـومة مـثله، وهكذا قُضي على هذا المحل الذي هو من مفاخر الإسلام والعرب من أجل حظوظ نفسية، ودائرة الأوقاف ساكتة متعامية خشية غضب المشير، وأهل بغداد لا يدرون ما يفعلون، فتراهم بين مُداهِن للمشير، وبـين خائف منه، وبين من لا يهمه إلاَّ نفسه ومنافعه، وذو الدين يرنو إليها والعبـرة تترقـرق في محاجره، والأسى يمزق أحشاءه. وهكذا بقيت تحت تصرف الكمرك حتى مجيء نجم الدين منلا[1] والياً على العراق أول إعلان المـشروطية، فقـدَّمتُ أنا عرضحالاً طلبت فيه إحالته من مقام الولاية إلى المحكمـة الـشرعية، فحفظة الوالي في دائرة الأوراق، ثم قدمت عرضحالاً

(١) والي بغداد من ١٣٢٥ إلى ١٣٢٧هـ/١٩٠٩-١٩٠٩م.

آخـــر زمن ولاية المرحوم ناظم باشا[1]، فأحيل إلى المحكمة الشرعية، وكان القاضـــي إذ ذاك عاصم بك[2] من أهالي مغنيسيا التابعة لولاية أزمير، فكتب كـــتاباً إلى مدير أوقاف بغداد، وكان إذ ذاك المرحوم واصف بك، الذي كان محاســـب الأوقاف منذ أيام الوالي عاصم باشا[3]، يدعوه إلى أن يُرسِل وكيلاً عـــن الدائرة في هذه الدعوى، وأفهمني أن حق إقامة مثل هذه الدعوى يعود إلـــى الأوقـــاف لا لـــي، فأخذتُ الكتاب بنفسي، وأوصلته إلى مدير الوقف، فأرســـل المحامـــي إذ ذاك حمـــدي أفندي، وكان هو وكيل الأوقاف، فقامت الدعوى بينه وبين دائرة المكوس، وهكذا كنت أنا حجر أساس هذه الدعوى، ولعملي قامت، وبقيام البَيِّنة وهي خمسون شاهداً، أنا أحدهم، حكم عاصم بك بكونه وقفاً وبإرجاعها إلى الوقف[4].

ومـــن المضحك المبكي أن شهادتنا جميعاً كانت على أنها من أوقاف ســـليمان باشا على مدرسته السليمانية، مؤيدين شهادتنا بالوقفية المسجلة في المحكمة، مع أن الكتابات الموجودة على بابها الشمالي وعلى جدارها القبلي المُطِـــل علـــى دجلة تنادى بأعلى صوت أنها من بناء أبي جعفر المستنصر بـــالله، وأنهـــا المستنصرية، ولكن هكذا شاء القدر، مع علم القاضي والوالي بأنهـــا المدرسة المستنصرية، ومع علم الشهود بها أنها المستنصرية، شهدوا

---

(١) والي بغداد من ١٣٢٧ إلى ١٣٢٩هـ/ ١٩٠٩- ١٩١١م.

(٢) قاضي بغداد سنة ١٣٢٧هـ.

(٣) هو مصطفى عاصم باشا، والي بغداد من ١٣٠٤ إلى ١٣٠٧هـ/١٨٨٦- ١٨٨٩م.

(٤) أشار عبادة إلى هذه الحادثة، وأنه نفسه كان أحد شهود الإثبات في المحكمة الشرعية في بغداد. العقد اللامع ص٣٣٩.

بأنها الخان المعروف بخان الموصليين، وأنها من أوقاف سليمان باشا، وحكم القاضي كذلك أيضاً، فميَّزت دائرة الكُمرك الإعلام، فأُلقي في زوايا باب المشيخة الإسلامية حتى استيلاء الإنكليز على العراق وتشكيل الحكومة العراقية، فأقامت وزارة الأوقاف دعوى على وزارة مالية العراق، وبعد محاكمات حكم القاضي برد دعوى الأوقاف رغم قيام البَيِّنة على وقفيتها، وكان القاضي إذ ذاك نافع أفندي المعروف بالمَصرَف[١]، فميَّزت الأوقاف الحكم فنقضه مجلس التدقيقات الشرعية، أو مجلس التميز الشرعي، وأرسله إلى محكمة الشرع في سامراء. وإثر إقامة الدعوى حكمت المحكمة المذكورة بوقفيتها، وصدق الحكم تمييزاً، فوضعت الأوقاف يدها عليها في هذه السنة، ولكن من دون شك ستبقيها بيد دائرة المكوس تستغلها كما كانت تستغلها قبل غصبها.

ومما يَحزَن له كل عربي أن دائرة المالية حينما حكم القاضي برد دعوى الأوقاف وقفيتها، أرسلت أعوانها إلي بابها التاريخي فهدمت جهته، ورفعت ما عليه من الكتابة التاريخية، فأمر مفتش الأوقاف الإنكليزي المسمى كُوك برفع الكتابة المقلوعة، وأن تُحفظ في المتحف العراقي الذي كان يتولى إدارته فخرياً، بقصد ضم بعضها إلى بعض وأعادتها كتابةً كما كانت لتبقى أثراً تاريخياً، وهكذا هدم الوطنيون عَلَماً من أعلام آثارهم التاريخية جهلاً منهم، وحرصاً على أن تبقى للمكوس، ولم يدروا أن إعادتها إلى سالف مجدها، وسابق عزها، من أوجب واجباتهم، وأنهم أولى بإعادتها وإصلاح ما

---

(١) تقدم التعريف به.

تهـدم منها من أولئك الإسبان المحافظين على آثار العرب الذي يعدونهم قد سـلبوهم مجدهم وحكمهم، وتحكموا في رقابهم أعصراً اضطروهم فيها إلى الجلاء إلى قمم الجبال وأغوار الأودية، ولكن من أين لقومي أن يفهموا ؟ فلا حول ولا قوة إلاَّ بالله!.

والذي أحفظه مما قيل في رثائها أخيراً، وذلك أيام الحكومة العثمانية، الـرثاء الذي نظمه معروف أفندي الرصافي بطلب شكري أفندي الآلوسي، وهو ما نظمه على لسانها، قال[1]:

أما لزمانيَّ الماضي ارتجاع ... أما لمُشتَّت الشملِ اجتماع

زمانٌ ضَرَبتُ فيه من المعالي ... رواقاً للعلوم به اتساع

وكنتُ مشيدة الأركان حتى ... بنائي لا يخاف له انصداع

وكان لواء مجدي في البرايا ... على هام السِّماك له ارتفاع

وكم قدماً هزمتُ جيوش جهلٍ ... وعدتُ ومن مواضيِّ اليراع

وكم قد كان للأقوام حراً ... لغيث الفضل في ربعي انتجاع

فألْوَتْ بيَّ يد الحِدثان حتى ... بنائي لا يخاف له انصداع

دُمِّرتُ بالهَوان على تعدد ... ليالٍ ما لأنجُمها شُعاع

رُميتُ بها بثالثة الأثافي ... وصِرتُ بكل حادثةٍ أُراع

وضيَّعني الأُلى عرفوا بمجدي ... وبي كم قد غدا لهم انتفاع

---

(١) لم ترد في ديوانه.

وبعد أولئك العلماء صارت بعين الجهل ترمقني الرُّعاع
وبعتُ بأبخس الأثمان بيعاً على زهد كما بيع المتاع
فما بغداد وكيف نبذت عهدي (كما نبذت برايتها الصناع)
وكيف لديك ساغَ حرامَ بيعي (لحاك الله هل مثلي يُباع)
أعندك لم أكن قدراً أداني (سكاب فلا أُعار ولا أُباع)
فها أنا فيك أنشد عند بيعي (أضاعوني وأي علىَّ أضاعوا)

ومما يذكر في هذا الصدد أن الصحف الأمريكية عند صدور الحكم بِرَدّ دعوى الأوقاف فيها، وأنها ملك من الأملاك الأميرية للتصرف مدة مرور الزمان، نشرت هذا الخبر منددة بحكم القاضي، معلنة للملأ الحكم المذكور مع شهادة نفس المدرسة على أنها المدرسة المستنصرية، وذكرت بهذا الصدد مقدار أهمية حكم المحاكم العراقية، ونقلت ذلك بعض الصحف العراقية. ولاشك أن مثل هذا النقد مما يُؤسِف العراقي.

أما باني هذه المدرسة فهو الخليفة أبو جعفر المنصور بن الخليفة الظاهر بأمر الله. ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٦٢٣، ولُقب المستنصر بالله، فبسط العدل ورفع المظالم والمكوس التي كانت قبله، وأعاد ما كان من الأملاك مغصوباً إلى ذويه، وسار سيرة أبيه- رحمه الله -في العدل وفعل الخير والبر، حتى قيل أنه أعاد سنة العُمرَين -رحمهما الله ورضي عنهما- ولم يل بعد عمر بن عبد العزيز مثله، فكان مواظباً على الصلاة فرضاً ونفلاً، مكثراً من الصلات إنعاماً وتفضلاً، مُعظِّماً لأهل الدين مُنفقاً عليهم،

محـــباً لأهـــل الأدب مُقرِّباً لهم، ساعياً في نشر العلوم موسعاً على طلابها، وبعطايـــاه مـــشفقاً علـــى الأمة، يحنو عليهم حنو الأب الشفيق، جابراً كسر كسيرها، فاكّاً أسر أسيرها، محسناً إلى محسنها، متجاوزاً عن مُسيئها.

كان الدين في أيامه رفيع البنيان، ثابت الأركان، [و]كان منذ بدأ أمره محباً للعلوم متشاغلاً بها، عاكفاً على نقل الكتب وجمعها، فقد أنشأ خزانة في حـــضرته بـــدار الخلافـــة جمع فيها من أنواع العلوم على اختلافها، وتنوع أنواعها بالخطوط المنسوبة إلى أربابها، والأصول المضبوطة عند أصحابها، مـــا جاوز حد الكثرة. [و] أنشأ الربط المساجد والجوامع والمدارس والخانات للـــسابلة، وبنى دوراً للضيافة، ووقف لها الأوقاف، فقد بنى الجامع المشهور بجامـــع الخليفة، [وهو] جامع الخلفاء ذو المنارة المعروفة بمنارة جامع سوق الغزل[1]، بما اشتمل عليه، وفرشه بأحسن الفرش، وكان بناه مسجداً للصلاة لا جامعاً تقام فيه الجمعة، وبنى أيضا جامع القمرية، وهو مسجد أيضاً، بناه على رغبة محظيته قمرية خاتون في الجانب الغربي على شاطئ دجلة، ونقل إليه الفرش وقناديل الذهب والفضة والشموع، وفتح في شهر رمضان باحتفال عظـــيم حضرة الخليفة وولي عهده والوزير وأعيان الدولة. وعين فيه إماماً عـــبد الـــصمد الحنبلي ابن أبي الجيش. وكان شرط الواقف، أي الخليفة، أن يكـــون هـــذا المسجد للشافعية، ويكون إمامه شافعياً، وأن يكون في المسجد ثلاثـــون صبياً يقرأون القرآن على معيد يُحفِّظُهم، وأن يكون فيه محدثاً يقرأ حديث رسول الله في يومي الاثنين والخميس. وجعل للمسجد خزانة كتب نقل

---

(١) تقدم أنه أنشأ باب عذا الجامع ومزملته، فالجامع إذن أقدم وجوداً منه.

الخليفة -رحمه الله- إليها كتباً كثيرة. وعمر المساجد التي تهدمت في الكرخ بسبب الغرق الذي وقع سنة ٦١٤ ورتب لها الأئمة والمؤذنين- رحمه الله - وبنـــى داريـــن للـــضيافة وفتحها في شهر رمضان، وكانت إحداهما في دار الخلافـــة لأولاد الخلفاء المقيمين بدار الشجرة، والثانية في خربة ابن جردة، أي فـــي محلـــة قنبـــر علـــي، جعلها للفقراء من الهاشميين. وأمر بفتح دور للـــضيافة الموجودة قبلهما. ولمحبته لنشر العلوم بنى الشرابي -رحمه الله- المدرســـة الشرابية في سوق العجم الواقع بسوق السلطان[١]، ويوافق محلها الآن جنوبـــي ثكنة الخيالة[٢] على طريق الأعظمية مباشرة على التقريب[٣]، وهي الآن أرض بَلَقَع[٤]. كما بينت المدرسة الشرقية بواسط، مجاورة للجامع المندثر، وكان بانيها أيضاً الشرابي- رحمه الله تعالى- بناها للشافعية. وعمر

---

(١) كتاب الحوادث ص٤٤.

(٢) كانـــت هذه الثكنة تشغل البناية الواسعة التي تقابل المتوسطة الغربية اليوم، وقد شغل جزءً منها المحجر الصحي المسمى بالكرنتينة، وبعض منشآت وزارة الدفاع في عهد الدولـــة العـــراقية، وفيها تشكل فوج موسى الكاظم، أول فوج في الجيش العراقي سنة ١٩٢١.

(٣) ذكر ذلك موافقة لرأيه المسبق في أن تكون دار الخلافة في أرض وزارة الدفاع، وأن ســـوق السلطان يكون في هذه الحالة في أعلاها. وقد تقدم تعليقنا على هذا الرأي في موضعه من هذا الكتاب.

(٤) يظهـــر أنه يقصد الأرض التي شغلتها فيما بعد حديقة المعرض، ووزارة الأوقاف ، ومدرسة الغربية المتوسطة، وكلية الملكة عالية (كلية البنات فيما بعد).

الجامـع المذكـور أيضاً، ورتب لها مدرساً ومعيداً للدرس واثنين وعشرين فقيهاً[1].

[و] فـي أيامه وبأمره عمر سور بغداد الشرقية، من دار المُسَنّاة إلى بـاب البصلية، أي من عند القلعة إلى الباب الشرقي من دجلة، أي إلى عند محل البانزين الآن[2]. وفي أيامه بنيت المدرسة الشهيرة بالمدرسة المجاهدية، وهـي التي بناها دويدار الصغير مجاهد الدين للحنابلة، وكانت واقعة مقابل دار الدويدار الكبير.

ومن بنائه- رحمه الله تعالى- الرباط المُستجِد الذي شاده بمحلة دار الروم، وهي تقريباً النزيرة الواقعة شرقي قصبة الأعظمية، ونصب أبا صالح الكيلانـي حفيد الشيخ عبد القادر الجيلي شيخاً فيه. وبنى مُزَمَّلة[3] في تربة أحمـد بن حنبل رحمه الله تعالى لشرب الزوار والمترددين إليها، ورتَّب لها قيماً يقوم بمصالحها، ووضعت هناك حِباب الماء، وملئت من الجُلاّب، فنظم الشعراء في ذلك القصائد، منها قصيدة لجعفر بن مهدوية الكاتب وهي:

وقـبر أحمـد قـد طـرزت حِليـته — بحِلـية زيـنت مـنه مبانـيه
ثـم اتخـذت لـنا فـيه مُـزَمَّلة — تـدل أنـك يـوم الحـوض سـاقيه
فاسلم فَدَتكَ الرعايا يا إمام هدى — تَهدي إلى الحق من قد ضَلَّ في التيه

---

(١) كتاب الحوادث ص١٠٥.

(٢) يـريد محطـة للبانـزين كانت في مدخل محلة الطوب، مقابل الباب الرئيس لوزارة الدفاع.

(٣) المزملة: السقاية.

وبني كذلك -رحمه الله- تربة ورباطاً على شاطئ نهر عيسى بباب قَطُفتا في شارع رزق الله، ويوافق الآن جامع الست نفيسة، في البستان المعروف ببستان سُنقر الرّكابدار. وبنى أيضاً المشهد الذي على ضريحي علي الهادي والحسن العسكري بسبب احتراقه سنة ٦٤٠، إلى غير ذلك من الأعمال الخيرية، وهو في ذلك غير غافل عن شؤون الخلافة وتدبير الملك، فقد جمع من الجند ما يكفي له لرد عادية الأعداء، وكبح جماح المغول، حتى إذا ما توفي وتولى المستعصم الخلافة، وركن إلى وزيره العدو الأزرق للإسلام والمسلمين، العلقمي، تفرق ذلك الجيش بسعيه وعمله، فكان ما كان مما سجله التاريخ له عليه، لعنه الله والناس أجمعين. وكانت وفاته- رَوَّح الله روحه- بكرة الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة ٦٤٠ عن إحدى وخمسين سنة من العمر، إثر مرض أصابه في اليوم الحادي عشر من جمادى الأولى، وكان ذلك هواء، ثم أصابته بإثره الحمى، ثم اعتدى[1] ثم انتكس، فتوفي في اليوم المذكور، فكُتم موته [إلى ليلة السبت حادي عشر الشهر، ودعي له يوم الجمعة على المنابر][2] وغسله نقيب النقباء أبو طالب الحسين بن المهتدي بالله، ودفن بالدار المثمنة[3]، وكانت واقعة على شاطئ دجلة شرقي وجنوبي

---

(١) في الأصل: واعتدل، نقل هذا من كتاب الحوادث بطبعته الأولى، وما أثبتناه من طبعتنا المحققة، واعتدى يعني تعدى، وهو من استعمالات ذلك العصر.

(٢) هذا سقط من الطبعة الأولى فلم ينقله، وأثبتناه من طبعتنا.

(٣) الدار المثمنة: من قصور الخلفاء في دار الخلافة العباسية، أنشأها المسترشد بالله سنة ٥١٨ (المنتظم ج٩ ص٢٤٩- ٢٥٠) وكان موقعها تحت قصر التاج (مرآة الزمان ج ٨ ص١١٣) وربما وافق هذا الموقع اليوم مبنى غرفة تجارة بغداد أو ما حوله،=

الـــدار المـــربعة، وهـــي من أبنية المطيع لله، واقعة في دار الخلافة أي في الزندورد، وحبس للعزاء بعد دفنه ومبايعته الشهيد المستعصم بالله[١].

وكانت صورة الحادثة أنه لما فارقت روحه جسده يوم الجمعة عاشر جمـــادى الآخـــرة سنة ٦٤٠، استدعى شرف الدين إقبال الشرابي ولي عهده المستعـــصم بـــالله، من مسكنه في قصر التاج، سراً من الباب المفضي إلى الغـــرفة الـــواقعة فـــي ظهر داره، فحضر ومعه مُرشد الهندي، فَسلَّم عليه الـــشرابي بالخلافة، وأجلسه على العرش[٢]، فشاهد والده مُسَجًّى، ولم يعلم أحد بموت الخليفة إلاّ بعض الخدم، ثم حضر ابن العلقمي، وكان إذ ذاك أستاذ الدار، لأجل الاستيذان بالأذان[٣] قبل صلاة الجمعة، جرياً على العادة، فأُخبر بوفاة الخليفة، وأُمر بكتمان ذلك، ثم أُخبر الوزير بذلك أيضاً، وكان الوزير إذ ذاك ابن الناقد.

ولمـــا دخلـــت لـــيلة الـــسبت حادي عشر الشهر المذكور استدعى المستعـــصم الوزير وأستاذ الدار، فجاء الوزير محمولاً في مَحفَّة لعجزه عن السَّير، داخلاً من باب دار علاء الدين الطبرس[٤] الدويدار، الواقعة تجاه دار

=وهذه الدار هي التي نزلها هولاكو مدة احتلاله بغداد (رشيد الدين: جامع التواريخ ج ١ ص٢٩١ وقد تحرف اسمها إلى الميمنية).

(١) كتاب الحوادث ص١٨٥.

(٢) في كتاب الحوادث ص١٨٨ ومنه ينقل: سدة الخلافة.

(٣) في كتاب الحوادث: مؤذناً بالأذان.

(٤) فـــي الأصـــل: الطبرسي، نقل ذلك من طبعة الحوادث الأولى، وما أثبتناه من طبعتنا ص١٨٨.

الوزارة، فكتب الوزير عدة ألقاب لينتخب الخليفة منها ما يريده، فاختار لقب المستعصم بالله. ثم أحضر عمه حبيب وأولاد الخلفاء، وكانوا عشرة فبايعوه، وبايعــه أعمامــه، والوزيــر وأستاذ الدار. ولما أصبح يوم السبت أمر عبد اللطيف الواعظ باعلان وفاة الخليفة، ومبايعة المستعصم. ثم استُدعي إلى دار الوزارة العلماء والمدرسون والأعيان ومشايخ الربط، فدخلوا من باب العامة، ومضوا إلى بستان التاج بثياب العزاء، فبايعوا على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجـــاتهم، وكان الخليفة جالساً في شباك قبة الحمار، الذي يجلس فيه الخلفاء للمـــبايعة، وتحت الشباك كرسي له درج يرقى عليه الناس للمبايعة، والوزير جـــالس على أعلى درجة[1]، وأستاذ الدار قائم دونه بمِرقاة يأخذ البيعة على الـــناس، يلقنهم لفظ المبايعة، وكان يوم الأحد يوم مبايعة الأمراء والمماليك، والـــيوم الثالث بيعة العامة والغرباء. وفيه ذهب الوزير وأستاذ الدار وأرباب الدولة إلى باب النوبي، وجلس الوزير بباب الرواق في مَحفّته، وحوله أرباب الدولـــة، فقرأ القراء القرآن، وقُرئت الختمة، وتلا جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي فصلاً مشتملاً على عزاء وتهنئة، مستهلا إياه بقوله: ما الليل والنهار لا يعتذران، وقد عظم حادثهما، وما للشمس والقمر لا يخسفان، وقد فقد ثالثهما. وأنشد:

أيــا قمـــراً قـــد غـــاب مُحـــيّاه — فلسنا بهذي الدار نأمل رؤياه

أما البدر يخفى ليلتين فما لنا — تمـــرُّ ليالينـــا ولا نـــتراآه

---

(١) في الحوادث: على أرفع درجة، لعجزه عن القيام.

ثم أنشد قصيدة، وأنشد الشعراء بعده[١].

ولما دخل شعبان من هذه السنة قرروا نقله من الدار المثمنة إلى التربة التي أعدها له في تربة الخلفاء، الواقعة في محلة الرصافة، فأرادوا نقله ليلة الجمعة حادي عشر الشهر المذكور، فهبت ريح منعت نقله، فانشد ارتجالاً أبو الحسن علي المُخَرِّمي:

تحركت الرياح الهُوج لما ... أرادَتْ كعبة الجود ارتحالا

وقالت: مَن يُعَلِّمني سخاءً ... أهب به ويغمركم نوالا

فقلتُ لها: خليفته المُرجَّى ... أمام العصر، فانقلبت شمالا

ونقل ليلة السبت إلى الموضع الذي كان قد أعده، وبني عليه قبة، وكان نقله على الصورة الآتية:

أن حضر الزعماء ومشايخ الربط والصوفية والفقهاء والمدرسون، ما عدا مدرسي المستنصرية والنظامية والمماليك وأصحاب المشاد، في [الطريق إلى][٢] مشرعة الرصافة حسب الأمر، وأذن لمن عداهم أن يتوجهوا إلى دار الخلافة بغير تطريق[٣] ، وأن يرفع القضاة والمدرسون الطرحات، ويرفع العدول الطيالسة، وأرباب الغرر غررهم[٤]، وأصحاب المشاد مشادهم. وأن

---

(١) كتاب الحوادث ص١٩١.

(٢) في الأصل: في طريق مشرعة، نقل هذا من الطبعة الأولى، وما أثبتناه من طبعتنا.

(٣) في الأصل: بغير ذلك الطريق، نقل ذلك من الطبعة الأولى. وما أثبتناه من طبعتنا.

(٤) في الأصل: وأرباب العذر عذرهم، نقل ذلك من الطبعة الأولى. وما أثبتناه من طبعتنا.

يركب الزعماء بالأقبية البيض والسرابيش، وان يكون أرباب الدولة بقميص أبـيض وبقيار أبيض وغاشية [مد][١]، ففعلوا ذلك، وذهبوا إلى دار الوزارة، عـدا ابـن العلقمي والدويدارين، ودخلوا من باب عُلَيَّان إلى صحن السلام، (وهـو الـصحن التِـسعيني)[٢]، ثـم نزلوا إلى دجلة على الشاطئ، فأُخرج الصندوق وأنزل ليوضع في شُبّارة، فلما رأوه قبلوا الأرض، وأعولوا بالبكاء، فحـط الـصندوق في الشبارة، وجعل فيها خمسة عشر ملاحاً للجذف، ونزل فيها الشرابي وأستاذ الدار والمعمار ابن دُرَّة، ووقفوا بين يدي الصندوق، ونزل أربـاب الدولـة والأمـراء في سفن وقوفاً بين أيديهم الشموع، حتى وصلوا مـشرعة الرصـافة، فرفعوا الصندوق على رؤوسهم إلى التربة، فدفن فيها، فقرئت الربعة الشريفة، وأُهدِيَت له، ورجع الناس قبل نصف الليل[٣].

والرصافة هي المحلة الواقعة تجاه المدينة المدورة، على يسار طريق الجـسر، مـن الجهة الشرقية لبغداد، أعني: تكون الرصافة الآن هي بستان الحاجة هيبت خاتون، مع البستان العائدة إلى وقف جامع علي أفندي، وبستان داود باشا التي فيها بناية الجامعة المعروفة بجامعة آل البيت[٤]، وتربة الخلفاء توافـق الآن محل الجامعة، لأنها كانت بحذاء جامع الرصافة، فتكون التربة المذكـورة علـى هذا في ذلك المحل، وقد أخرب التربة المذكورة، ونهب ما

---

(١) سقطت من الطبعة الأولى فلم يثبتها.

(٢) ما بين قوسين للمؤلف، ولم يرد في كتاب الحوادث الذي ينقل منه.

(٣) إلى هنا انتهى ما لخصه من كتاب الحوادث.

(٤) وهـي التـي تشغل مبناها اليوم الجامعة الإسلامية في الأعظمية، عن يسار المقبرة الملكية.

فيها، ونبش قبورها، وأحرق عظامها، المغول ومن في قبلهم[١]، غيظاً على الخلفاء العباسيين، وقد التقى الطرفان بين يدي الدّيَّان، ورأى كل منهم ما يستحقه. ومن العجيب إني كنت عندما اجتمع مع شكري أفندي[٢] أسمع منه الظن أو الاعتقاد أن القبر الموجود في جامع الآصفية الذي يظنه بعض الناس أنه قبر المُحاسِبي، وبعض الشيعة يظنونه قبر الكُلَيني، بأنه قبر المستنصر بالله، لأنه على رأيه أحرى بأن يكون قبره، إذ لا يعقل أن يكون هذا قبراً لأحد هذين الشخصين، وقد غاب عن ذهنه أن الرصافة ليست هذا المحل، وإن هذا المحل هو مشرعة الحطّابين، وعنده حظائر الحطب، وهذا القبر أقرب ما يكون قبر لشخص دفن في الدار المُستجدة، لأن الدار المذكورة واقعة اتصال المستنصرية من شمالها الغربي، وكنت أناظره في ذلك فلا يقبَل[٣].

المدرسة السليمانية

هي المدرسة الواقعة تجاه المحل المُعَد للشرطة[٤]، وقِبلة جامع النعمانية، وشرقي المدرسة النجيبية، أي مدرسة أبي النجيب عبد القاهر

---

(١) كتاب الحوادث ص ٣٦٤.

(٢) يريد: السيد محمود شكري الآلوسي.

(٣) تقدم القول في هذا الرأي وقد علقنا عليه في موضعه هناك.

(٤) يريد: مديرية الشرطة العامة، وقد شغلت مبنى سراي بغداد التاريخي في العصر العثماني. وأخلي هذا المبنى في أول الثمانينات من القرن العشرين، وهو اليوم يعد من المباني التراثية التي تحتاج إلى ترميم.

الـــسهروردي، أنشأها المرحوم سليمان باشا والي بغداد[١]، وأبو الشهيد سعيد باشـــا، بناها سنة ألف ومائتين من الهجرة[٢]، وبنى فيها حُجراً لسكن الطلبة،

---

(١) تقـــدمت إشارات إلى بعض أعمال هذا الوالي، وهو الذي عرف بلقب (ببوك)، وهو لفـــظ تركي يعني الكبير، تمييزاً عن واليين يحملان اسمه، سبقه أحدهما، وتأخر عنه الآخـــر، وقـــد بدأ حياته مملوكاً لمحمد أفندي المارديني متسلم ماردين، ثم رحل إلى بغداد ملتحقاً بخدمة سميّه سليمان باشا أبي ليلة أول ولاة المماليك، وبرزت مكانته في عهـــد عمر باشا، فعينه هذا متسلماً للبصرة غير مرة، في السنوات ١١٧٧- ١١٩٠ هـــــ/١٧٦٣- ١٧٧٦م، وأثرت عنه اصلاحات مهمة فيها، كما أدى دوراً كبيراً في الـــدفاع عـــن البصرة أثناء حصار الزنديين لها، أشاد بذكره المؤرخون، وعند تسليم المدينة ، بعد صمود طويل، أرسل مخفوراً إلى شيراز ليبقى أسيراً هناك مدة احتلال الزنديين للبصرة، ونال منصب ولاية بغداد سنة ١١٩٢هـــ/١٧٨٠م، ويعد حكمه من أحـــسن عهود المماليك في العراق، إذ استطاع تقوية سلطة المماليك، ومواجهة خطر القـــبائل الثائـــرة فـــي البـــصرة، وفي أنحاء أخرى من العراق، وأخطار الوهابيين وغزواتهم، وعني بتحصين مدن عراقية عديدة، وكانت وفاته سنة ١٢١٧هـــ/١٨٠٢ م. ينظـــر الـــسويدي: تاريخ حوادث بغداد والصرة ص٥٢، وعثمان بن سند: مطالع الـــــسعود ص٧٨ و٨١-٨٧، و١٠٩، ١٤٣- ١٦٣، ٢٠٠- ٢٠٦، و٢٠٣، و٢٤٢، ٢٤٤، ٢٧٢، ٢٧٨، وياسين العمري: الدر المكنون (مخطوط) وغاية المرام ص١٨٩ وزبـــدة الآثار الجلية ص١٤٩ وتاريخ جودت ج١ ص٩٢ وثريا: سجل عثماني ج٣ ص٩١ وسليمان فائق: مرآة الزوراء ص١٥ وتاريخ المماليك الكوله مند ص٣٥

(٢) الموافـــق أولها ٤ تشرين الثاني سنة ١٧٨٥م، والذي كان على باب المدرسة، سبعة أبـــيات بالتركية، كتبت على أرضية زرقاء من الآجر المزجج، تحمل تاريخ تأسيسها وهو سنة ١٢٠٦هـــ، وهذا هو التاريخ الذي اعتمده عبادة في العقد اللامع ص١٥٠.=

ووقــف لها الوقوف، ويكفي أن جعل المستنصرية من أوقافها[1]، وجعل فيها خــزانة كتب قيمة شحنها بالكتب الخطية المعتبرة[2]، وجعل القسم القبلي فيها مسجداً عيَّن له إماماً يصلي بالطلاب والمراجعين، كما عين فيها واعظاً يعظ في كل يوم اثنين وخميس. وكان المدرس الذي عينه والواعظ هو الشيخ عبد

=ومن المؤسف جداً أن تنقض هذه الباب الأثرية الجميلة، في هذه السنة (٢٠٠٦م) بما عليها من كتابة تاريخية مهمة.

(١) فــي وقفــية الوزيــر سليمان باشا المؤرخة سنة ١٢٠٦ نقرأ أنه وقف على مدرسته الــسليمانية " خان المدرسة" ولم يسم المدرسة، وهي المستنصرية، وكان التدريس قد انقطــع عــنها، وغــدت خانــاً للتجار. وقد تقدم تفصيل هذا الوقف، وما رافقه من ملابــسات، فــي حديث المؤلف عن المدرسة المستنصرية وما آلت إليه في القرون المتأخرة. وينظر عن سائر أوقافها الأخرى: العقد اللامع ص١٥٠- ١٥١.

(٢) وصــف عــثمان بن سند خزانة هذه المدرسة بأنها كانت " مشحونة بالكتب الحديثية والفقهــية والأدبية" (مطالع السعود ص٢٤٤) وذكر أحد كتاب جريدة الزوراء أن هذه الكــتب فقــدت تماماً من المدرسة (جريدة الزوراء، ١٢ شباط ١٢٨٧ رومية) بيد أن بعــض مخطــوطاتها نقل إلى مكتبة الأوقاف العامة عند تأسيسها مما دل على وجود شــيء منها في عشرينات القرن العشرين، وقد وصفها عبادة، في تلك المدة، بأنها " فــيها أنواع الكتب العلمية المخطوطة والمطبوعة معتنى بها"، وقوله: المطبوعة، يدل علــى وجود إضافات على كتبها الأصلية الموقوفة. وكانت كتب الشيخ محمد فيضي الــزهاوي الخطــية تحــتل جانــباً من هذه الخزانة، ثم نقلت إلى مكتبة دار التربية الإســلامية فــي الكــرخ، فوضعنا لها فهرساً وصفيا بعنوان (الآثار الخطية في دار التــربية الإسلامية) نشرناه في مجلة المورد التراثية، المجلد ٦، العددان ١و٢، السنة ١٩٧٧.

الله أفـندي الـراوي المعروف في أيامه بين أقرانه بفخر المدرسين[1]، وهو صاحبه الذي طلب إليه أن يرد على ابن عبد الوهاب النجدي دعوته، فأرسل إليه الكتاب بواسطة الوالي المشار إليه، فرد عليه بعد مائة سنة حفيد ابن عبد الـوهاب، ولكـن ابـن عبد الوهاب لم يستطع أن يرد عليه، وقد طبع الرد بمصر، طبعه النجديون، واسم الكتاب هو....[2]. وكان رحمة الله يعتمد على الـشيخ المومـى إليه ويحترمه لما له من الفضل والمكانة بين أقرانه، وكان يستشيره في مهام أموره.

وقد كان الوالي المشار إليه -رحمة الله تتوالى عليه- محباً للخير، ذا ديـن، سـاهراً على الرعية، محباً لهم، مُرفِّهاً عليهم، لا يغفل عما فيه خير وصـلاح، فقـد عمَّر جامع سوق الغزل الموجود الآن مع سوقه، وعين له مدرساً وإماماً وخداماً، وعَمَّر السور من عند القلعة حتى الباب الشرقي، أي رَمَّم السور القديم، وأنشأ سور الجانب الغربي، وقد هُدِم السوران المذكوران من قبل الحكومة أيام الوالي مدحت باشا. وبتوالي السنين وامتداد الأيدي إليها بـسبب رغـبة الحكومة في قلعهما، أصبحا الآن لا أثر لهما، اللهم إلاَّ بقايا الأبـراج. وعَمَّـر سراي الحكومة- دار الإمارة- وجامع القبلانية، وجامع محمـد الفـضل، وجعل على منارة الإمام الأعظم عند الميل ذهباً تزييناً لها وتحـسيناً، وبنـى الـسوق المسمى بسوق السراجين الذي أصبح الآن سوقاً

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) بياض في الأصل. وقد سبق أن نوه بهذا الكتاب في كلامه على المدرسة المرجانية.

للـــصاغة، بناه الشابندر[١] بعد أن اعطته الحكومة إياه عوضاً عما أخذته من داره، وأدخلـــته فـــي مطبعتها. وعمر الخان الواقع قرب سوق السراجين[٢]. وعمـــر كوت الأمارة، وسوَّرها بسور. وعَمَّر على البصرة سوراً أيضاً، وسوراً علـــى قرية الزبير، وسوراً على الحلة، كل ذلك لرد عاديَة الأعراب والوهابيين. وعمـــر قنطرة دِلِّي عباس، وقنطرة على نهر نارين، وبنى على ماردين سوراً، وأنشأ بقرب الموصل قلعة حصينة، إلى غير ذلك من الأعمال[٣].

ولما كملت عمارة المدرسة المذكورة مدحه الشعراء بقصائد وأنشدوا فيها الأشعار أيضاً منها.

أنظـــر لآثـــار أفـــضال وإحـــسان	واذكر بها فضل ذي التقوى سليمان
هـو الـذي قـد بنـى للعلـم مدرسـة	يـنط عـن سمـك اعلاهـا الـسما كـان
قـد أحكمـتها يـد الاتقـان رافعـة	بنـــيانها للمعالـــي فـــوق كـــيوان

إلى أن يقول:

(١) هـــو محمود الشابندر وكان قد بنى خانه الكبير بالدنكجية وجعله سوقاً للصاغة بثلاثة فروع، تبدأ من دربونة الدنكجية وتنتهي بسوق السراي، مع أبواب من الحديد الصلب ضد السرقة. عباس بغدادي: بغداد في العشرينات ص١٣٦.

(٢) فـــي مطالع السعود " وعمر وأنشأ سوق السراجين وتمم، والخان الذي فيه قرب دار الإمارة".

(٣) كـــرر المؤلـــف هنا ما سبق أن نوه به من أعمال والي بغداد سليمان باشا الكبير في كلامه على جامع الفضل.

وكـل مـن زارهـا قد قال مفتخراً أنعــم بمدرســة الباشــا ســليمان[1]

وقد آل الأمر بهذه المدرسة أن غدت محل تدريس عبد القادر أفندي مــن أهالــي الــسليمانية[2]، وبموته تسابق في طلب وظيفة التدريس المفتي الــزهاوي الآن، وهو محمد سعيد أفندي[3]، وعبد الحليم أفندي اللحافاتي[4].

---

(١) هــذا الــتاريخ فــيه خلل، فحسابه كالآتي: أنعم: ١٦١+ بمدرسة ٧٠٦+الباشا٣٣٥ +ســليمان ١٩١= ١٢٩٤، وليس هذا بتاريخ تأسيس المدرسة. وينظر بحثنا: المدرسة السليمانية في بغداد، جريدة البلد البغدادية، في ١٨/١١/١٩٦٦.

(٢) هو الملا عبد القادر الشيخلماريني، من قرية (شيخلمارين) وإليها نسب، أقام في مدينة السليمانية مدة، ثم انتقل إلى بغداد، حيث تولى التدريس في المدرسة السليمانية، وزوج بنــته من محمد سعيد الزهاوي، فولدت له العلامة الشيخ أمجد الزهاوي، كبير علماء العراق في عهده. توفي سنة ١٣٨٧هـ/١٨٩٠م ودفن في المدرسة السليمانية نفسها. عــبد الكريم المدرس: علماؤنا ص٣٠٥- ٣٠٦ والسهروردي: لب الألباب ج١ ص ١٠٦ والدروبي: البغداديون ص٣٠٠.

(٣) أخــذ العلــم علــى والده محمد فيضي الزهاوي، وتولى تدريس المدرسة السليمانية، فالافــتاء بعده، ونال منزلة علمية كبيرة، حتى اختير عضواً في مجلس الولاية، وبعد الانقــلاب العثماني سنة ١٩٠٨ عين رئيساً لمجلس إصلاح المدارس، ووكيلاً لقاضي بغــداد، وفــي أثناء سنوات الحرب العالمية الأولى أحيل إلى التقاعد، ثم عين بعدها مديــراً لأوقــاف بغداد، فرئيساً لمجلس التمييز الشرعي، حتى وفاته سنة ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م. وتــرجم لــه المؤلــف فــي كتابه (تاريخ الأسر العلمية) ص٣٨٢-٣٨٦ والدروبي: البغداديون ج٢ ص٢٤٧- ٢٤٨.

(٤) هو عماد الدين عبد الحليم بن أحمد بن خلف الحافاتي، أو اللحافاتي، أو اللحافي، نسبة لــصناعة اللُّحف، فقيه، ولد سنة ١٢٧٦هـ/ ببغداد، وتقلد القضاء في بعض نواحي=

ولكـــون محمد سعيد أفندي صهر المتوفى عبد القادر أفندي المذكور، ووجود والده محمد فيضي أفندي الزهاوي[1] في افتاء بغداد، رُجِّح محمّد سعيد أفندي للـــتدريس، فعـــين فيه على ما هو عليه من قِلَّة البضاعة، وعين عبد الحليم أفـــندي إمامـــاً وواعظاً، أي قسموا الوظائف التي كانت في عهدة عبد القادر أفندي بينهما.

وبتعيـــين المفتي بالتدريس قضى على التدريس، وبتعيين عبد الحليم قضي على الإمامة والوعظ، وقد أضمحلت تلك الخزانة، وضاعت تلك الكتب النفيـــسة التـــي حـــرص علـــيها الباشا المشار إليه بأيدي الطلبة من الأكراد الملازمـــين لها والعرب المتطاولين عليها، وخصوصاً بعد أن أصاب المفتي

=العراق، ثم أحيل إلى التقاعد، وعهد إليه التدريس في جامع السيف في الكرخ، وجهة توقـــيت الأذان في جامع السراي، وكان مختصاً بعلم الهيئة، ورثه عن أبيه، لوه علم بالاســـطرلاب، وقد جمع خزانة كتب حافلة بالنوادر من المطبوعات والمخطوطات، أهـــديت إلى مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، وتوفي سنة ١٩٥٦م. البغداديون ص١٠٥ وعبد الله الجبوري: مكتبة الأوقاف تاريخها ونوادر مخطوطاتها ص٦٩.

(١) هو العلامة محمد فيضي بن محمد بن الملا أحمد البابانى الأصل، الشهير بالزهاوي، ولد في السليمانية سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م، وقيل ١٢١٢هــ/١٧٩٧م وأقام صحبة أبيه في قرية زهاو فنسب إليها، ثم أخذ العلم عن علماء كردستان، وقدم بغداد فعين مدرساً للمدرسة العلية، ثم أضيف إليه إفتاء الحنفية، وكان فذاً في طريقة تدريسه، فأخذ عنه كثيـــرون، ولـــه شـــعر ونثر، وتوفي سنة ١٣٠٨هــ/١٨٩٠م. ترجم له المؤلف في تـــاريخ الأســـر العلمـــية ص٣٧٨-٣٨١ والآلوسي: المسك الأذفر ص٢٤٦-٢٥٤ والحـــيدري: عـــنوان المجد ص١٤١ والسهروردي: لب الألباب ج١ ص٨٥- ٨٩، والمدرس: علماؤنا ص٥١٧- ٥٢٢، ومحمد أمين زكي: تاريخ السليمانية ص٢٥١.

المومى إليه مما كانوا يسمونه به من الجُنَّة وقِلة العقل والانزواء عن الناس[١]، فأصبحت لا عين لها ولا أثر، إلاَّ بعض كتب لا يُعتنى بها ولا يقام لها وزن، فلا حول ولا قوة إلا بالله[٢].

المدرسة النجيبية

هي المدرسة التي بناها الشيخ أبو النجيب عبد القاهر السهروردي[٣]، عم الشيخ شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله السهروردي

---

(١) وضح في كتابه تاريخ الأسر العلمية هذا الأمر فقال" ثم أنه في أخريات أيامه حصل بينه وبين المفتي منافرة سببت إنزواء المترجم في داره وتركه الدوام في مجلس الإدارة الذي هو فيه عضو طبيعي، أي ملازم، ليس لعضويته مدة محدودة، وبقي هكذا منزوياً في داره ومدرسته، الأمر الذي حمل الناس على القول فيه بأنه مجنون، مع أنه ليس كذلك، بل أنه بسبب انفعاله مما رأى ترك مراجعة الحكومة، وهذه بدورها لم تجبره على الدوام في المجلس، فتفرد لحفظ القرآن والحديث..".

(٢) استمر التدريس في هذه المدرسة إلى سنة ١٩٥٣، ثم اتخذتها جمعية رابطة العلماء مقراً لها، وخصصت شقة منها تقع على شمال الداخل اتخذت مسجداً، ثم نقض مبنى المدرسة القديم نفسه، ولبث بعض أواوينه وعقوده قائمة حتى أواسط الثمانينات من القرن العشرين، بينما تحول المبنى نفسه إلى كومة من الأنقاض، ولبثت هكذا حتى أزيلت هذه أيضاً، وأزيل الجدار الذي يفصلها عن جامع النعمانية المجاور، فاتحد المبنيان باسم جديد هو مسجد السليمانية!، ثم نقضت تلك الشقة ورواقها في هذا العام (أيار ٢٠٠٦)، والآن يجري إنشاء مبنى جديد في أرض المدرسة السالفة.

(٣) هو أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد بن عمويه البكري السهروردي، ولد في سهرورد سنة ٤٩٠، وقدم بغداد، وتفقه في المدرسة النظامية، ثم تولى التدريس=

الصوفي الواعظ، وكان أول بنائها رباطاً أسكنه جماعة من أتباعه الصوفية، ثــم انقطع فيه إلى الوعظ والتدريس فأصبحت تعرف عند أهل العلم بمدرسة أبي النجيب. وهي واقعة في محلة باب المراتب[1]، وكانت في الأصل واقعة على دجلة (أنظر ص٢٩٩ الوفيات جزء ١)، ولما توفي -رحمه الله تعالى- دفــن بها، ولا زال قبره معروفاً فيها، وهي الآن شمالي النادي العسكري[2]، وجنوبـــي المدرسة الثانوية المركزية التي كانت في الأصل المدرسة الرشدية

=فــيها من سنة ٥٤٥ إلى سنة ٥٤٧، ثم انقطع عن الناس وآثر الخلوة والزهد، حتى أنـــه لبث عدة سنين يستقي بالقربة على ظهره بالأجرة، ويتقوت بذلك ومن عنده من الصوفية، ثم رجع ودعا جماعة إلى الله تعالى واشتغل بالوعظ، ورحل إلى القدس سنة ٥٥٧ وأقـــام فـــي دمشق مدة يسيرة، ثم عاد إلى بغداد. وكانت وفاته في ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٦٣هــ، ودفن في مدرسته هذه، وقيل في رباطه، وكلاهما بمعنى واحد، حيث ذكر السبكي أنه " كانت له خربة على دجلة، فأوى إليها هو وأصحابه، واشتهر اســمه وبعــد صــيته واستقامت كراماته، وبنى تلك الخربة رباطاً وبنى إلى جانبها مدرســة" طبقات الشافعية الكبرى ج٤ ص٢٥٦وينظر في ترجمته وفيات الأعيان ج١ ص٣٧٣.

(١) لــم يقل بوقوعها في محلة باب المراتب أحد، وباب المراتب هو الباب الجنوبي لدار الخلافــة العباسية، ومحلته كانت متصلة بمحلة باب البصلية (نسبة إلى باب البصلية، وهــو الباب الشرقي) وبمحلة باب الأزج (وهي محلة باب الشيخ وراس الساقية وما يليها)، فلا صلة لها بموقع مدرسة أبي النجيب هذه.

(٢) هــو الذي عرف فيما بعد بنادي الضباط، ثم بنادي الضباط الأعوان، وقد أزيل سنة ٢٠٠٤، وهــو الــيوم ساحة خالية، أعدت لتشيد عليها مؤسسة ثقافية تعنى بالترجمة وغيرها.

العسكرية، فصل بينها وبين دجلة طريق عام، والنادي العسكري الذي هو في الأصل قسم منها والقسم الباقي هو الرباط البسطامي، الذي بناه أبو الغنائم بن المحلبان على دجلة في غربي بغداد للشيخ أبي الحسن البسطامي الصوفي المتوفى سنة أربعمائة وثلاثة وتسعين (أنظر ص١٠٤ الكامل ١٠).

وهذه المدرسة[١] أصبحت الآن مسجداً ومدرسة ذات ساحة كبيرة، فيها حُجَر للطلبة، وقبر هو قبر أبي النجيب- قدس سره- المتوفى سنة ٥٦٣، المتصل نَسَبُه بأبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد نال -رحمه الله- في حياته قبولاً ووجاهة لدى الخاص والعام، حتى أن الخليفة كان يرسله في الأمور الهامة، ويوفده إلى الملوك فيلاقي منهم اكراماً وتعظيماً. وكان من أعيان المحققين ونوابغ الواعظين، دَرَّس في النظامية، وأفتى وصَنَّف رحمه الله. وكان يلقبه عارفوه بمفتي العراقَيْن، وقدوة الفريقين، فكان يُسأل عن أقوال الصوفية من أقاصي الأقطار فيشرحها. ثم أنه في آخر أيامه خرج عن جميع ماله ووقفه، بعد أن أعطى ولده أبا محمد عبد الله نصيباً من ماله، حتى أن مما يُحكى أن الشيخ عمر حينما ورد بغداد وَرَدَها على غاية الفقر، ليس له شيء من الدنيا، فضاق صدر أبي النجيب لذلك، ولأنه لم يدع شيئاً يعطيه أيـاه، فطلب من ولده عبد الله أن يعطيه شيئاً، فامتنع فقال له: والله لتحتاجن

(١) ينظر عن هذه المدرسة جامع الأنوار، بالتركية، الورقة ٦٤ والعقد اللامع ص١٥٤-١٥٨، والبغداديون ص٣٠١، وكتابنا: مدارس بغداد في العصر العباسي ص١١٦-١٢٢.

إليه! فكان كما قال، فقد احتاج إليه فأرفده عمر، ولم يزل يواصله حتى مات رحمهم الله تعالى.

ولهذه المدرسة مُدرِّس منذ القدم، وفي المسجد إمام ومؤذن وخادم، وتتولى إدارة الجميع دائرة الأوقاف(١).

ويظن بعض الناس أن هذه المدرسة ليست مدرسة أبي النجيب، وأن القبر ليس قبره، مستدلين بما في ابن خلكان ص٢٩٩ عن أبي النجيب المذكور "وبنى رباطاً على الشط من الجانب الغربي ببغداد، وسكنه جماعة من أصحابه الصالحين" إلى أن يقول "وعاد إلى بغداد فتوفي بها يوم الجمعة وقت العصر في السابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٦٣ ودفن بُكرة في

---

(١) آخر من تولى التدريس فيها العلامة السيد إسماعيل الواعظ، ثم أوقف التدريس الديني في هذه المدرسة، وقلبتها الأوقاف إلى مدرسة متوسطة وثانوية، تقوم هي بإدارتها، ثم ألغتها، واتخذتها دائرة لمديرية أوقاف بغداد، وثبتت على بابها بالآجر المزجج كتابة بذيعة تشير إلى ذلك، ثم أنها أخلتها، فشغلتها مديرية البعثات من مديريات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ثم أخلتها هذه أيضاً، فلبثت مهجورة مدة من الزمن، وفي سنة ٢٠٠٢ أعيد تعميرها كلياً، ليشغلها بعض الأقسام العلمية التابعة لمؤسسة بيت الحكمة، التي تتخذ من مبنى المدرسة العلية القديم (قصر الملك فيصل الأول، فالمجلس النيابي في العهد الملكي) مقراً لها، وبعد أن تعرض هذا المقر إلى التدمير في نيسان سنة ٢٠٠٣، انتقلت رئاسة تلك المؤسسة لتشغل بعض أجنحة المدرسة النجيبية، ونتيجة للتغييرات المستمرة التي أصابت هذه المدرسة، فقد أضيفت بعض حجراتها إلى المدرسة الإعدادية المركزية المجاورة لها، وبضمنها الحجرة التي تضم قبر الشيخ أبي النجيب السهروردي، وحينما أعيد تعمير المبنى ليلحق بمؤسسة بيت الحكمة أعيدت تلك الحجرات إليه، وبضمنها القبر المذكور.

رباطـــه" بـــناء على ان قوله من الجانب الغربي نص على الجانب الذي فيه مديـــنة السلام وكرخها. وهو خطأ واضح يعرفه متتبع التاريخ، فإن الجانب الغربـــي يطلـــق ويـــراد به القسم الغربي من جانب الرصافة، وهو ما كان غربي، أي شمالي، المستنصرية. كما يطلق الجانب الشرقي على ما كان في شرقي جانب الرصافة من باب الأزج وغيره مما يقاربه(١). ويوضح ما نقول أن ابن الأثير قال في الجزء العاشر من الكامل في ص١٠٤ في حوادث سنة ٤٩٣ وفيها توفي أبو الحسن البسطامي الصوفي ورباطه مشهور على دجلة غربي بغداد، بناه أبو الغنائم ابن المحلبان، والرباط البسطامي معروف موقعه ومشهور، وهو أنه واقع مقابل جامع القمرية من جانب الرصافة، وان جامع القمرية واقع في الشاطئ الواقع تجاه الرباط البسطامي(٢).

---

(١) هـــذا هـــو اجـــتهاد المؤلف، وإلاّ فليس لدينا من النصوص والقرائن ما يشير إلى أن تـــسمية الجانـــب الغربي كانت تنصرف إلى القسم الغربي من الجانب الشرقي، الذي يـــسميه هنا جانب الرصافة، وفي هذه الحالة فإن ما ذكره ابن خلكان عن موقع رباط أبـــي النجـــيب لا يزيد أن يكون من الغلط المحض، القائم على سبق القلم، أما الرباط البسطامي فهو في الجانب الغربي لا محالة كما في التعليق الآتي.

(٢) اســـتدل المؤلـــف رحمـــه الله على أن الرباط البسطامي كان يقع في الجانب الشرقي بـــسبب مـــا قرأه في كتاب الحوادث ص١٩، حيث جاء في حوادث سنة ٦٢٦هـــ أن مـــسجد قمرية كان " على شاطئ دجلة المقابل للرباط البسطامي"، وكأن هذه المقابلة كانـــت مـــن جانبي دجلة، مع أن المقصود هو أنه كان يقابل مسجد قمرية من الجهة الأخرى لنهر عيسى، الآخذ من الفرات، والذي يتدفق في دجلة عند المسجد المذكور، تعزز هذا نصوص عديدة، منها ما ذكره المنذري في ترجمة الشيخ محمد بن عبد المنعم الميهنـــي، حيث قال أنه " كان شيخ رباط البسطامي بالجانب الغربي من مدينة السلام"=

المدرسة العلية

هـي المدرسـة التي بناها المرحوم والي بغداد علي باشا الشهيد[1]، كَتْخُدا سليمان باشا الذي تولى الولاية منذ سنة ١١٧٥ إلى سنة ١١٧٧. وهي واقعـة على دجلة غربي الرباط البسطامي[2]، وقد كانت روضة من رياض

=(الـتكملة لوفـيات النقلة، تحقيق بشار عواد معروف، بيروت ١٩٨٨، ج١ ص٣٦٧) فـإذا كـان مصب نهر عيسى في أسفل المسجد، وهو الراجح، كان الرباط في أرض ثانوية الكرخ للبنين اليوم.

(١) مـن ولاة المماليك في بغداد، بدأ حياته ضابطاً في جيش بغداد، وتدرج في المناصب العـسكرية ثـم الإداريـة حتى أختير والياً على بغداد وتوابعها في أول المحرم سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م، وعرف في أثناء ولايته بالحزم، وأخذه الأمور، وبخاصة الأمنية منها، بالقوة، حتى ذاعت شهرته ونال تقدير المسؤولين، فدفع ذلك كنافسيه إلى العمل من أجل التخلص منه، فدبروا مؤامرة لاغتياله، لكنها فشلت، ثم أعدوا انقلاباً عسكرياً حقيقياً انتهى بخروجه من بغداد مؤقتاً، ثم عودته إليها بعد أن قطعت له العهود بلزوم الطاعـة، إلاّ أن منافسيه، تمكنوا، هذه المرة، من القبض عليه وحبسوه بالقلعة، وفيها قـتل فـي أواسط سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م ليدفن جثمانه في باحة مدرسته العلية، وقد وصـفه بعـض معاصـريه بأنه كان سخي الطبع، سليم الأخلاق، مقبول الخصال، صـاحب إنصاف وعدل، وكل الأهلين راضون عنه، يلهجون بذكره، ولذا فقد عرف هذا الوالي، فيما بعد، بعلي باشا الشهيد. الكركوكلي: دوحة الوزراء ص ١٣٢- ١٣٨ وياسين العمري: غاية المرام ص١٤٨ وابن سند: مطالع السعود ص٣٩، ٢١١، ٢٢٥ - ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٦- ٢٤٧، ٢٣٥-٢٦٠، ٢٨٥.

(٢) تقديـر موقـع الرباط البسطامي في الجانب الشرقي للمؤلف كما تقدم. والصحيح أن المدرسة العلية كانت تقع غربي رباط الشيخ أبي النجيب السهروردي. وقد توصلنا،=

=عـــن طريق استقراء النصوص التاريخية والخططية، ومقارنة تصميم هذه المدرسة مع المدارس المؤسسة في العصر العباسي وما بعده، إلى أن المدرسة العلية لا تمت إلى عصرها الذي اكتسبت فيه اسمها بأدنى صلة، وإنما هي من حيث الفكرة والوظيفة والتخطـيط مدرسة عباسية عريقة، بنيت على الطراز الذي كانت تبنى عليه مدارس بغـداد الفخمـة فـي العـصر العباسي الأخير (القرن السابع الهجري/الثالث عشر المـيلادي). وتفـيد النصوص الخططية أن أرض المدرسة العلية وما يجاورها كانت تعـد، إبان العصر العباسي، من ضمن محلة سوق الثلاثاء، وإنه كان في هذه المحلة جـسر عتيق يصل بينها وبين مصب نهر عيسى في الجانب الغربي، أي في شريعة جامـع قمـرية حالـياً، كما تفيدنا تلك النصوص بأن رباطاً للصوفية ومدرسة بناهما الشيخ الزاهد أبي النجيب السهروردي على شاطئ دجلة، يقعان في أدنى ذلك الجسر، ولقـد بحثنا في أخبار مدارس بغداد المشيدة في العصر العباسي وما بعده بقليل، عن مدرسـة يـتفق وصفها وموقعها مع فخامة مخطط مبنى المدرسة العلية، فوجدنا أن الأمير علاء الدين علي بن علد المؤمن المعروف بالسكرجي، أخي الأمير شمس الدين الـسكرجي والـي العـراق من ٦٩٣ إلى ٦٩٤هـ/١٢٩٣- ١٢٩٤م، قد أمر ببناء مدرسة، وصفت بالفخامة والجمال، في موقع قريب جداً مما قدمنا من معالم خططية، أعني الجسر العتيق ومدرسة أبي النجيب السهروردي، قال ابن الفوطي يصف موقعها " كانـت راكبة على كرسي الجسر العتيق المحاذي لمدرسة الشيخ ضياء الدين أبي النجـيب عبد القاهر السهروردي"، وقوله أنه كانت راكبة على كرسي الجسر، يعني أنهـا كانت مشرفة على قاعدته، وأن هذا الكرسي كان محاذياً لمدرسة أبي النجيب، ومعنـى هـذا أن كرسـي الجسر العتيق والطريق المفضي إليه (وهو اليوم شريعة الميدان) كان يفصل بين المدرستين، العلائية في شماله، وأبي النجيب في جنوبه، وأن كـان كلاهمـا يطـل عليه، وبما انه ليس ثمة مبنى يشغل الأرض الواقعة إلى شمال شـريعة الميدان، سوى المدرسة العلية، ترجح لنا أن هذه المدرسة إنما بنيت علـى=

المعـــارف والعلوم، يدرس فيها كل فن من منطوق ومفهوم، أخصها الكتاب والسُّنة، وكانا هما المرغوب فيهما من بين سائر العلوم(١).

وفـــي المدرسة مُصلَّى، ومحل خاص بالتدريس، وحُجَر في الطبقتين العليا والسفلى، لمثوى الطلبة وسكَنهم، وفيها مدرس وخطيب وإمام وخدم ومؤذن، فكانت الجمعة والجماعة تقام فيها علاوة على بزوغ نور العلوم في نواحيها. وقد كانت على بابها كتابة بالحجر، وهي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـــئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾

=أســس المدرســة العلائــية الشاطئية، وعلى وفق مخططها القديم، ذلك أن مخطط المدرسة العلية حالياً، يمثل نصف مدرسة عباسية الطراز، أي أنها تمثل حوشاً أو فناءً واســعاً تحيط به ثلاثة أجنحة تقريباً، ولا وجود للجناح القبلي، وهو الرابع، وتفسيرنا لهذا الأمر أن ضرورة بناء سور لبغداد من جهة النهر في القرن التاسع للهجرة، هي التـــي أدت إلى نقض هذا الجناح، كما نقضت قصور كثيرة على دجلة، وبناء السور من آجرها على حافة النهر، واستعيض عن مسجدها الذي كان يقع في جناحها المطل علـــى النهر (كما هو في المستنصرية) بإنشاء مسجد كبير في وسط الأجنحة المتبقية، هو الذي يسميه المؤلف بمصلى المدرسة (وهذا المسجد تحتل أرضه القاعة الوسطية فـــي بيت الحكمة، على يسار الداخل إليه). تنظر التفاصيل في كتابنا: المدرسة العلية في بغداد، بغداد ١٩٨٨.

(١) نـــوه بها الآلوسي في مساجد بغداد ص٨٥ ، وعبادة في العقد اللامع ص١٤١-١٤٤ والدروبي: البغداديون ص٣٠٢ وكتابنا: معالم بغداد ص١٧١.

قـد أمر بأنشاء هذه المدرسة لتدريس العلوم الدينية، وتعليم الفنون العقلية والنقلـية، عالم الوزراء وأمير العلماء، محب العلم وأهله، لتقواه وفضله، الوزيـر الأعظـم، والأمير الأفخم، والي إيالة العراق، ومدبر أمورها على الاطـلاق، أبو المعالي والمحاسن علي باشا والي بغداد، أناله الله تعالى من الخير كل مراد، ولمّا تَشَيَّد منها البُنيان، وقامت منها الأركان، حتى أصبحت كأنها روضة من رياض الجنان، وسطعت عليها أنوار العلم والعرفان، أرخنا لها في سنة ست وسبعين ومائة وألف من الهجرة النبوية).

وعيـن مدرسـاً فيهـا........[١] ثـم بتوالـي السنين عيـن محمد فيـضـي أفـنـدي الـزهـاوي قبـل أن يلـي الإفتـاء مـدرساً لهـا، بـدلالـة المفتـي إذ ذاك أميـن أفنـدي الزّنـد[٢]، وبقيت فـي عهدتـه بعـد الافتـاء حتـى مجيء مدحت باشـا إلى بغـداد، فأمـر بـأن تُهـدم وتعمـر مدرسـة للأيـتام يعلمون فيها الدراسة والصناعة معاً، فهدمت[٣]

---

(١) بياض في الأصل. وأول من عرفنا من مدرسيها العلامة المفتي محمد أمين بن محمد صـالح الطبقجلي الحموي البغدادي المتوفى سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٨م، والعلامة عبد القـادر الماردينـي المتوفى سنة ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، ثم العلامة المفتي محمد فيضي الزهاوي المتوفى سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م.

(٢) تقدم التعريف به في مبحث مسجد الزند، أو جامع الكهية.

(٣) ذكر هذا الآلوسي في مساجده ص ٨٥ حيث قال" وهدم عمارتها وعمرها على طراز آخر" وقال الشيخ محمد صالح السهروردي أنه " استعمل فيها معول الهدم والتخريب، فغيرها تماماً إلى مدرسة الصنائع ودار للطباعة" (جريدة العراق ٥ تموز ١٩٣٠) هذا بيـنما يـؤكد مخطط المدرسة أنها ليست إلاّ المدرسة العلية نفسها بشيء يسير من=

وعمـــرت كمـــا أراد ذلـــك سنة ١٢٨٥[١]، وجعلها مدرسة للصناعة أسكنها الأيـــتام، وجعل القسم الخارجي مطبعة للحكومة، ونقل الكتب التي كانت في خزانتها إلى المدرسة السليمانية والحيدر خانة[٢]، ولم تزل كذلك حتى تأليف

=التحوير والتجديد، كما تؤكد ذلك أيضاً المعلومات التي وردت في أحد التقارير الفنية عند الكشف على بناية المدرسة، إذ جاء فيه أن التحويرات التي أجراها مدحت لم تكن تـــتجاوز هدم ثلاث حجرات، تقع في الجهة الشمالية الشرقية، وإجراء صيانة شاملة، وإضـــافة بعـــض البنايات، منها القاعة الكبرى، مع أن هذه القاعة لم تستحدث إلاّ في ثلاثينات القرن العشرين لتكون مقراً لجلسات المجلس النيابي، وقد لحقها تدمير كامل في حوادث ٢٠٠٣.

(١) تولى مدحت باشا ولاية بغداد في ١٨ محرم سنة ١٢٨٦هـــ/ أول أيار ١٨٦٩م.

(٢) حاول المؤلف هنا الإجابة عن سؤال كان يتردد عن مصير خزانة كتب هذه المدرسة، إذ كان السيد محمود شكري الآلوسي قد قال واصفاً ما قام به مدحت باشا عند تحويله المدرســـة إلـــى أخرى للصنائع " ونقل ما كان فيها من الكتب إلى محل آخر" ولكنه سكت عن تسمية هذا المحل. وقد ذكر الشيخ محمد صالح السهروردي أن مدحت باشا فرق مكتبة المدرسة الكبيرة على مكتبة مدرسة سليمان باشا (يريد المدرسة السليمانية القـــريبة مـــنها) وغيرها (جريدة العراق، ١ تموز ١٩٣٠)، ولكننا لم نعثر في أثناء اشـــتغالنا بفهرسة المخطوطات وتتبع خزائن بغداد الخطية، على مخطوط واحد يحمل اســـم المدرسة العلية، بل أننا تصفحنا معظم مخطوطات المكتبة السليمانية التي انتقلت إلـــى مكتبة الأوقاف ببغداد، علنا نجد بينها ما يحمل اسمها، فلم نعثر على بغيتنا، مما دل علـــى أن أياً من محتويات خزانة العلية لم يصل إلى زماننا هذا، وأنها فقدت في زمان مضى. وكان أحد أدباء بغداد، وهو السيد محمد آل جميل قد أشار في مقالة له نـــشرها في جريدة الزوراء البغدادية بتاريخ ١٢ شباط ١٢٨٧ رومية/١٨٨٧م، إلى=

الحكومة العراقية التي اتخذتها قصراً يسكنه الملك فيصل بعائلته، وهكذا تُبدِّل الـديار، وحـسب الارادة تجري الأقدار. وفي هذه المدرسة قبور كثير من العلمـاء الـصالحين[1]، وفـيها أيضاً قبر بانيها، عليه وعليهم رحمة أرحم الراحمين.

ومـن المَـروي أن مـدحت باشـا حينمـا أراد عمـل مـا عملـه سـأل المفتـي الزهـاوي عـن ذلك كالمُستشيـر، وليعلـم مـا يعنـي المفتـي المومـى إليـه منهـا، فأجـابـه **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُـلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ﴾** فأقدم على ما عمل[2]، وقد زال اليتامى ومدرستهم[3]،

=مـا كانـت تحفل به خزانة المدرسة العلية من كتب نفيسة يناهر عددها عدة آلاف، ونعى ما آل إليه مصيرها في زمانه.

(١) ممـن دفن فيها، عدا مؤسسها، كتخدا والي بغداد محمد أسعد أفندي النائب، وكان قد اغتـيل في محلة الميدان في ٢٧ رمضان سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م، وقد صرح عبادة بأن هذه القبور كانت تقع في فناء أرض المدرسة، أي في ساحتها المطلة على دجلة، وهي اليوم حدائق المقر المركزي لمؤسسة بيت الحكمة.

(٢) ذكر ذلك في تاريخ الأسر العلمية ص٣٨٠- ٣٨١.

(٣) اتخـذت قـوات الاحـتلال البريطانـي مدرسة الصنائع إلى مرأب ومعمل لتصليح الـسيارات، وفـي أوائـل عهد الحكومة العراقية قصراً للملك فيصل الأول، فالملك غـازي، وتحـولت من سنة ١٩٣٨ لتكون مقراً للمجلس النيابي، حتى سقوط النظام الملكـي، فمحكمـة عسكرية خاصة لمحاكمة رجال ذلك النظام، ثم غيرهم، ثم متحفاً عـسكرياً سنة ١٩٦٧، ورممت ترميماً شاملاً وحدثت، وصارت قصراً كبيراً للثقافة والفنون سنة ١٩٨٠، ثم اتخذت مقراً رئيساً لمؤسسة بيت الحكمة، وهي مؤسسة ثقافية تعنى بالتأليف والبحث والنشر، سنة ١٩٩٧.

كما ضاعت[1] بمداهنة المفتي تلك الكتب والمدرسة، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!.

المدرسة المرادية

هـي مدرسـة كبيرة محكمة البناء، واسعة الفناء، واقعة أمام جامع الحيدرخانة من شرقيه، يفصل بينهما الشارع العام، ذات حجر متعددة[2].

وقد كانت في الأصل داراً لمراد أفندي[3]، أحد رجال الحكومة العثمانية وأمرائها[4]، فلما توفي وَقَفَتها زوجته نائلة خاتون[5] وجعلتها مدرسة

---

(١) في الأصل: ضاع.

(٢) ينظر عنها مساجد الآلوسي ص٨٩، والعقد اللامع ص٢٥٢-٢٥٦، والبغداديون ص ٣١٦.

(٣) كانت هذه الدار في الأصل لوادي بن شفلح بن شلال بن نجم أمير قبيلة زبيد، وكان قد تولى حكم الحلة من ١٢٥٣ إلى ١٢٥٧هـ/١٨٣٧- ١٨٤١م، وتوفى سنة١٢٦٩ هـ/ ١٨٥٢م، (كتابنا: الأسر الحاكمة ص٢٩٦) وقد أهداها لمراد أفندي المذكور.

(٤) ويعرف بأبي كذيلة، أصله من قرية قزانية من أعمال مندلي، وعين متصرفاً للحلة من ٥ رجب إلى ذي الحجة من سنة ١٢٨٩هـ/١٨٧٢م. الأسر الحاكمة ص٢٩٧.

(٥) هي السيدة نائلة خاتون بنت عبد الرحيم آغا بن عبد الله آغا كما في العقد اللامع ص ٢٥٢، توفيت سنة ١٢٩٤هـ/١٨٧٧م، ودفنت مع زوجها مراد أفندي في بستان الوقف في طريق الأعظمية، في موضع (ثانوية الحريري للبنات) وبنيت على قبريهما قبة، وعندها سقاية، وعند توسيع الشارع العام، المسمى شارع الإمام الأعظم، نقل جثمانيهما إلى مقبرة الإمام الأعظم سنة ١٩٤٠م، حيث بنيت عليهما حجرة هناك. العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٧ ص٢٢١ والبغداديون ص٢٠٦ وهاشم=

مــشتملة على ما ذكرنا من الحُجَر، وجعلت في قِبليها مُصلًّى للعبادة، ووقفت عليها الأوقاف الجسيمة من بساتين وعقارات، وعَيَّنت فيه السيد محمد سعيد أفــندي[1] الــدوري مدرساً، ورتبت فيه إماماً وخادماً ومؤذناً وخادماً لخدمة الطلبة، وأجرت لهم الرواتب. وكذلك جعلت في المدرسة خزانة كتب جمعت فيها ما استطاعت جمعه، ورتبت لها محافظاً، وشرطت أن يكون في المدرسة عشرون طالباً للعلوم الدينية، يقيمون فيها ليلاً ونهاراً. وخصصت لكل طالب مــا يقــوم بحاجته من المعيشة والكسوة والكتب[2] وكانت الدار التي تسكنها

=الأعظمــي: تاريخ جامع الإمام الأعظم ج٢ ص٨٩ و١٩٠ ووليد الأعظمي: تاريخ الأعظمية ص٥٤٢ وأعيان الزمان وجيران النعمان ص١٠٩.

(١) هو السيد محمد سعيد بن جواد بن عبد الرحمن بن رجب الدوري الحسني، أصله من الحجاز، هاجر بعض أجداده إلى دير الزور، ثم هاجر جده إلى بلدة الدور، وولد هو فــيها ســنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م، وأتى إلى بغداد حيث أقام في التكية الخالدية يطلب العلم، وتعين إماماً في جامع السراي، ثم عين أميناً للفتوى، وخطيباً في جامع الشيخ عبد القــادر الكيلانــي، حــج ســنة ١٣١١هـ/١٨٩٣، حيث أجازه علماء المدينة المنورة ودمــشق، وتوفــي بــبغداد سنة ١٣٤١هـ/١٩٢٢م. تتلمذ عليه عبادة وترجم له. العقد اللامــع ص٢٥٥- ٢٥٦. وكان تعيينه مدرساً في مدرسة نائلة خاتون سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م. لب الألباب ج٢ ص٢٥٣.

(٢) كــان ممــا شرطته أن يعطى لعشرة طلاب من الديار الغريبة (المغتربين)، وفقيري الحال، كل واحد منهم عشرون غرشاً صحيحاً في اليوم، وأربعمائة درهم شمع للطلبة المذكورين، وإلى محافظ الكتب سبعمائة وعشرين غرشاً صحيحاً، فضلاً عن رواتب أخــرى للإمام والمؤذن وموقد الشموع والمتولي، وجعلت التولية للحاج محمد حسين جلبــي بن الحاج سعيد بن الحاج مصطفى الشيخلي، وجعلت النظارة على المتولي=

مقابلة للمدرسة من غربيها يوصل بينها وبين المدرسة طاق له بابان، باب في الدار، وباب في المدرسة، فكانت تأتي المدرسة أوقات الصلاة لتصلي جماعة فــي ذلــك الطاق مع من كان يزورها ويخدمها من النساء، وكانت تعد في رمــضان الإفطــار للطلبة والفقراء. فلما توفيت وضعت الأوقاف يدها على الــدار، وجعلــتها من جملة المستغلات، وجعلت تصرف على الطلبة معاشاً معيناً، وأنزلت العدد إلى عشرة طلبة. وكان مما كتب على بابها هذه الابيات:

دع ذكــر (نازنــدة) في وقــتها ... ومــا بنــته مــن بــناء جمــيل

وانظـر إلى مـا قـد بـنت بعـدها ... (نائلــة) الخــير بــباعٍ طــويل

وأوقفــت معــه مُــذ أوقفــت ... مدرســة لــيس لهــا مــن مثــيل

وشــــيدت أركانهـــــا حِـــسْبةً ... والله يجــزيها الجــزاء الجــزيل

فأصـــبح العلـــم مقـــيماً بهـــا ... مخــيماً لــيس يــريد الــرحيل

لِيَهْـــنِها إن ســـلكت فعلـــها ... في طرق الخيرات قصد السبيل

قـد قلــت لمــا كملــت أرخــوا ... نائلــة نلــت مــراداً جمــيل(١)

١٢٩١هـ

=لابن أخيها حبيب بن الحاج عبد الحميد بن مصطفى جلبي وذلك في ١٦ ذي الحجة سنة ١٢٩١هـ/١٨٧٤م. وقد وقفت عليها كتباً كثيرة، مخطوطة وغير مخطوطة، في ٦ ربــيع الآخــر سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م، ثم وقف عليها مدرسها السيد محمد سعيد الدوري ١٥٠ كتاباً، ضاع معظمها.

(١) وهكــذا هو الشطر في مساجد الآلوسي، وفي العقد اللامع: نائلة نالت مراد الجميل. وكلاهما لا يساوي بحساب الجمل ما مجموعه ١٢٩١.

وقد بقي مدرسها في قيد الحياة حتى سقوط بغداد في أيدي الدولة البريطانية، فتولى التدريس الشيخ أحمد أفندي بن الشيخ داود[١]، وكان إذ ذاك مدير وقف بغداد، بقصد أن يكون له، ولكن بعد ان سعى بتعمير المدرسة التي كانت قد تداعت للسقوط، وعمرت من جديد[٢]، عين فيها الشيخ قاسم أفندي الذي كان مدرس الولاية أيضاً[٣] بدلاً من المرحوم الحاج علي أفندي الخوجة[٤] مدرس حسين باشا. ولا تزال المدرسة المذكورة قائمة، والطلبة مداومون، ولكن الخزانة لَعِبت بها أيدي العبث شأن بقية الخزانات والمكتبات، فلا حول ولا قوة إلا بالله! ولا تزال المدرسة تدار من قبل دائرة الأوقاف شأن بقية المدارس والجوامع المربوطة بالأوقاف.

---

(١) هو أحمد بن الشيخ داود بن جرجيس العاني النقشبندي، من علماء بغداد، ولد سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٨م وأخذ العلم عن أبيه وغيره، وعبن مدرساً في بعض مدارس بعقوبا، وموظفاً في غيرها، ثم اختير واعظاً في بغداد، وانتخب عضواً في مجلس الولاية، وأختير بعد الحرب العالمية الأولى مديراً لأوقاف بغداد، وأختير وزيراً للأوقاف سنة ١٩٢٨- ١٩٢٩، وتوفي سنة ١٩٤٨م. علي علاء الدين الآلوسي: الدر المنتثر ص١٧٤ والسهروردي: لب الألباب ج٢ ص٣١٠- ٣١٢ والجبوري: مكتبة الأوقاف ص٤٢-٤٤.

(٢) انجزت الأوقاف تعمير هذه المدرسة في تموز سنة ١٩٢٠م، وبلغ مقدار النفقة عليها ٢٢٠٠ ربية. جريدة العراق ، العدد ٥٣، ٢ آب ١٩٢٠.

(٣) هو الشيخ قاسم القيسي، الذي تولى الإفتاء ببغداد، وكان قد تولى التدريس في عدة مدارس ببغداد، وتوفي سنة ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م. البغداديون ص١٧٣- ١٧٥.

(٤) هو علي بن عباس الخوجة، المتوفى سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م، ودفن في مقبرة الشيخ معروف الكرخي.

الفصل الثاني

[الجانب الغربي]

جامع الكاظمية

السلطان سليم العثماني (أو سليمان القانوني)

عَـدَّ المؤرخـون الكاظمـية، كما هي أيام الخلافة العباسية، إحدى محـلات بغداد مدينة السلام- المدينة المدورة التي بناها المنصور[1]- لأنها واقعـة فـوق المحلة الحربية، بينها وبين الحريم الطاهري ومقبرة أحمد بن حنـبل، ولـذلك رأينا من المناسب أن نبدأ بذكر الجوامع التي فيها كما فعلنا بالبدأ بذكر جامع الأعظمية.

إن جامع الكاظمية هو الجامع الذي وضع أساس بنائه، بقصد تعميره، الـشاه إسماعيل الصفوي[2]، فحال دون بنائه بناء الحضرة المشرفة – على

---

(١) نقـل هـذا من مساجد الآلوسي ص١١٦ ولم تكن مقابر قريش جزءً، أو محلة، من محلات المدينة "المدورة التي بناها أبو جعفر المنصور، وإنما كانت مقبرة مستقلة تقع في غربها، وخارج أسوارها، تفصلها عنها محلات أخرى كما ذكر المؤلف.

(٢) وذلك سنة ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م كما سينقله المؤلف من كتابة على المشهد نفسه. وذكر الـشيخ محمد حسين آل ياسين أن الشاه إسماعيل أصدر أمره بقلع عمارة المشهد من أساسـها وتجديـدها تجديـداً يـشمل توسيع الروضة وتبليط الأروقة بالرخام وصنع صـندوقين خشبيين يوضعان على القبرين الشريفين وتزيين الحرم وأطرافه الخارجية بالطابوق القاشاني ذي الآيات القرآنية والكتابات التاريخية، كما أمر بأن تكون المآذن أربعـاً بعد أن كانت إثنتين، وبتشييد مسجد كبير في الجهة الشمالية للحرم متصل به، وبعـض الإصـلاحات الثانوية الأخرى، وقد بدأ العمل لتنفيذ هذه الأوامر، فتم تشييد هـيكل الحـرم وروضـته وأروقته، وهو الهيكل القائم اليوم، والقبتين والصندوقين والمـسجد، وبلغت المآذن الكبيرة الأربع ارتفاعاً يعلو على الحرم بمقدار ذراع، وقد استمر العمل في مدة حكمه، ومدة حكم خلفه طهماسب الأول سنة ٩٣٦هـ/١٥٢٩م=

ساكنيها تحية الله ورضوانه- فلما استولى المرحوم السلطان سليمان القانوني العثماني على بغداد سنة اثنين وأربعين وتسعمائة[1]، أمر ببنائه، فبُني على أحكم صورة، فجاء جامعاً رحب المُصلَّى، ذا أعمدة كثيرة، متقناً رصين البناء، فسيح الأرجاء، وهو واقع شمالي الحضرة المطهرة. كما أن السلطان المشار إليه أكمل أيضاً الحضرة المشار إليها، وهي عبارة عن مشهد مشتمل على جثمان الإمام موسى الكاظم بن الصادق، والإمام محمد الجواد، رضوان الله عليهما وعلى آبائهما وذرياتهما الطّيبين الطاهرين.

وفوق المشهد قبة معقودة بالآجر والجص، ومغشى سطحها بالذهب الوهاج، كما أن داخلها مغشى بالكاشاني البديع النفيس والمرايا. وهذا العمل هو من عمل الإيرانيين الراغبين في فعل الخيرات والمبرات، وتشييد القبور والبناء عليها عندهم من الخيرات، خصوصاً إذا كان على قبور الأئمة. وقد تولى الحاج عبد الهادي الأستربادي الوكالة في تعمير هذه الحضرة عن بعض الأكابر الإيرانيين، كما عمر أيضاً الحضرة العسكرية في سر من رأى، على ساكنيها رضوان الله وتحاياه.

=تاريخ المشهد الكاظمي، بغداد ١٩٦٨، ص٥٥- ٥٧. ورسم الرحالة نصوح السلاحي مطراقي زاده الذي صحب حملة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤١هـ/ ١٥٣٤م بريشته ضريحي الإمامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد، ويظهر كل ضريح منهما مستقل عن الآخر، في حجرة لها نوافذ، أو كوى في أعلاها، وتعلوه قبة مستدقة الرأس، خضراء اللون، يظهر أنها مزججة بالآجر الملون، وتستند إلى رقبة بالمادة واللون نفسه.

(١) كذا في الأصل، والصحيح سنة إحدى وأربعين وتسعمائة.

ومن المعلوم أن هذه الحضرة هي ملجأ الشيعة في أيام معينة ومواسم، يحجون إليها ويزوروون أربابها متبركين بصندوقيهما، ويطوفون حول الصندوق بقصد التبرك آلافاً مؤلفة، وهذه الحضرة والمشهد أول من بناها....[١]

وقد أصابها الغرق فغرقت سنة ٦١٤ و سنة ٦٤٦ و سنة ٦٥٤[٢]، كما أنها احترقت أيضاً. وهذه الحضرة كانت تسمى مقابر قريش، كما كانت تسمى أيضاً مقبرة الشونيزي، لأن أول من دفن فيها رجل يسمى الشونيزي[٣]، فلما توفي جعفر بن المنصور أبي جعفر، والد المرحومة زبيدة،

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) كتاب الحوادث ص٢٧٣ و٣٣٣.

(٣) كانت ثمة مقبرتان بهذا الاسم في بغداد ترتقيان إلى عصر سبق تأسيسها، الأولى هي مقبرة الشونيزي الصغير، وهي مقابر قريش نفسها، والأخرى هي المقبرة التي دفن فيها الجنيد، وتقع قرب مقبرة باب الدير، التي عرفت بمقبرة معروف الكرخي، وقد نسي اسم الأولى، لغلبة اسم مقابر قريش عليها. ثم سميت بالمشهد الكاظمي لشهرة دفينها الإمام موسى الكاظم (ع)، أما الأخرى فلبثت تعرف بالمقبرة الشونيزية مطلقاً، ثم عرفت بمقبرة الجنيد لشهرة دفينها. وقد فسر الخطيب البغدادي هاتين التسميتين بأنهما نسبا إلى رجلين أخوين يقال لكل واحد منهما الشونيزي" فدفن كل واحد منهما في إحدى هاتين المقبرتين، ونسبت المقبرة إليه (تاريخ بغداد ج١ ص١١). ونعتقد أن هذا الرأي لا يعدو أن يكون تأولاً، والمعقول أن المنطقتين عرفا بهذا الاسم نسبة إلى ما كان ينمو في أرضهما من نبات، وهو الشونيز، الذي هو الحبة السوداء. ولم يشر المؤرخون إلى العصر الذي نشأت فيه تلك المقبرة، ولكن عثر الفعلة الذين كانوا يحفرون لأسس العمارات التي أصبحت تحيط بالمشهد الكاظمي على رمم قد حفظت=

وذلــك سنة ١٥٠ هجرية، دفن فيها، وجعلت على قبره قبة، فلما توفى الإمام موســى الكــاظم عليه رحمة الله ورضوانه، وذلك في ٢٥ رجب سنة ١٨٣ هجــرية، دفــن خــارج القبة على يسارها الى الشرق[١]، ثم دفن بعده أولاد الحــارث بن عبد المطلب، ثم الأمين، ثم أمه زبيدة، رحمهم الله تعالى، فبني علــى قبــر الإمــام موســى ومحمد الأمين مشهداً علقت فيه قناديل الذهب والفضة، وفرش بأنواع الفرش، ووضعت فيه أنواع الآلات التي لا تحد، فلما كانت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة حدثت فتنة بين الشيعة والسنة، أعني بين أهــل الكــرخ -وكانت محلة من عند المنطقة، فذاهباً إلى الجنوب والجنوب الــشرقي، أي إلــى بستان طعمة البرانية[٢]- وأهل محلة القلاّئين وهم الذين يقلــون الــسمك، وهي المحلة التي يوافق موقعها الآن.....[٣] وكان ذلك في

=فــي نــواويس من فخار، على وفق طريقة الدفن التي شاعت في العراق في العصر الفرثــي، أي في القرون الثلاثة التي سبقت الميلاد، والقرون الثلاثة التي تلته، مما أكد على كثرة السكن في هذه البقعة في تلك القرون الغابرة.

(١) الذي في وفيات الأعيان(ج٤ ص٣٩٥) أنه " دفن في مقابر الشونيزية خارج القبة".

(٢) كانت هذه البستان تطل من أحد جوانبها بشاطئ دجلة، وتخترقها سكة حديد الترامواي القديم، وهي اليوم بين ساحة الطلائع وجسر الصرافية.

(٣) بــياض فــي الأصل. ولا يستطاع تحديد محلة القلائين بأكثر مما وصفه ياقوت (ج٤ ص٢٥٥) حــيث عــدها من حدود الكرخ في ذلك العصر، قال يصف الكرخ " محلة وحــدها مفــردة في وسط الخراب وحولها محال، إلاّ أنها غير مختلطة، فبين شرقيها والقــبلة محلة باب البصرة، وبينهما نحو شوط فرس، وفي جنوبيها المحلة المعروفة بنهر القلائين، وبينهما أقل ما بينها وبين باب البصرة، وعن يسار قبلتها محلة تعرف بــباب المحــول.. وفــي قبلتها نهر الصراة، وفي شرقيها نصب (؟) بغداد ومحال=

زمن القائم بأمر الله[1]، وسرى الخلاف إلى جميع السُّنة والشيعة الذين هم في الجانـــب الغربـــي من مدينة السلام، فوقع القتال بينهم، حتى منع السُّنة أهل الكـــرخ من حمل الماء من دجلة إلى بيوتهم، لأن أهل مشرعة الكرخ، وهي محلـــة الرَّملة، من السنة، وكذلك محلة باب البصرة الذين هم سنة أقرب إلى دجلة من الكرخ، وليس من ماء إلاَّ من دجلة، لأن نهر عيسى الذي كان يمكن الاستقاء منه قد انفتح بثقه، فآل الأمر إلى دوام القتال حتى ثالث ربيع الأول الذي قتل فيه رجل هاشمي من السنة، فحملوه وطافوا به سائر محال السنة ثم دفـــنوه بمقبرة ابن حنبل، فلما فرغوا من دفنه، قصدوا المشهد الكاظمي، فَسُدَّ بابـــه، فنقبوا السور، ثم فتح البوّاب الباب، فدخلوا ونهبوا ما في المشهد من الأثاث والقناديل، ونهبوا أيضاً ما في بقية التُرب والدور المجاورة للمشهد، ثم في الغد أحرقوا المشهد والتُرب، فاحترق ضريح الإمام موسى وحفيده محمد بن علي، والقبتان اللتان عليهما، وكانتا من الساج، واحترق قبر جعفر، وقبر الأمين محمد، وقبر أمه زبيدة، ثم أرادوا نقل جثة الإمام موسى إلى مقبرة بن حنـــبل، فمـــنع باقي السنة ونقيب العباسيين وبقية الهاشميين من ذلك، وحال الهـــدم أيـــضاً دون مقـــصودهم. كما أن الشيعة من أهل الكرخ قتلوا مدرس الحنفـــية أبـــا سعيد السرخسي، وأحرقوا دور الفقهاء، وخان الفقهاء الحنفية،

=كثيـــرة"، وهذه المحال قد خربت منذ أزمان بعيدة، فلم يعد ممكناً للخططي التعرف على أماكنها اليوم.

(١) ولي الخلافة من ٤٢٢ إلى ٤٦٧هـــ/ ١٠٣١- ١٠٧٥م.

وسرت الفتنة إلى الجانب الشرقي فوقع القتال فيه، كما يحكي ذلك ابن الأثير في كامله، فراجعه إذا شئت الاستزادة. (أنظر ج٩ ص٢١٤) بولاق[١].

ولا يــزال القــسم الغربي من المشهد الكاظهي في القسم الواقع على يمــين الحــضرة الموســوية من الصحن يعرف عند العموم من الكاظميين وغيرهم بصحن قريش، لأنه في الأصل كان مقبرة قريش المشتملة على قبر جعفر وأبناء الحارث والأمين وأمه، وموضع قبر الأمين وجعفر وأمه هو في الرواق الواقع بين الصحن المذكور والقبر المُشَرَّف رحمة الله عليهم أجمعين، وسيأتي كلامنا على زبيدة المعروفة عند العامة، والواقعة قرب قبر معروف الكرخي، حينما نذكر جامع معروف وتلك التربة أن شاء الله تعالى.

وبعد هذه الكارثة عمره البويهيون حتى القرن السابع[٢]، فتهدم بسبب توالــي كارثــة الفيضان، فعمره ابن العلقمي. ثم لما استولى الشاه إسماعيل الــصفوي علــى بغــداد سنة ٩١٤ نقض ما كان معموراً، وأعاد البناء على صــورة بديعــة، فقد غَشَّى جدران المشهد بالذهب الخالص داخلاً وخارجاً،

---

(١) وج٩ ص٢٨ من طبعة القاهرة سنة ١٣٤٨هـــ.

(٢) يظهر أنه نقل هذا ، مع اصلاح يقتضيه السياق الزمني، من تعليق الشيخ محمد بهجة الأثــري علــى هــامش النسخة المطبوعة من مساجد بغداد ص١١٧، حيث جاء فيه "وعمر في القرن السابع الهجري، عمره البويهيون فيما أظن".قلنا: وهذه العمارة هي التي قام بها معز الدولة البويهي سنة ٣٣٦هـــ، وقد وضع على القبرين ضريحين من خــشب الــساج، وفــوقهما قبتان من الساج أيضاً، وأدير عليهما حائط كالسور. ابن خلكان: وفيات الأعيان ج١ ص١٥٨.

وعلـــق علـــى الجدران الداخلية، كما وضع على القبرين، التحف والنفائس، وكتب على الجدران ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر بإنشاء هذه العمارة الشريفة سلطان سلاطين العالم، ظل الله على جميع بني آدم، ناصر دين جده الأحمدي، رافـــع أعـــلام الطـــريق المحمدي، أبو المصطفى الشاه إســـماعيل بن الشاه حيدر بن جنيد الصفوي الموسوي، خلد الله تعالى ألوية الدين المبين بملكه وسلطانه، وأيده لهـــدم قـــواعد أهل الضلال بحجته وبرهانه، وحرر ذلك سادس شهر ربيع الثاني سنة ست وعشرين وتسعمائة الهلالية.

وهـــذا هـــو تـــاريخ ما أحاط بالقبر من القبة والمشهد، أما ما أحاط بالمـــشهد مـــن الأروقة والصُّفف[١] والجامع فهو من إنشاء وإكمال المرحوم الـــسلطان ســـليمان خان القانوني حينما ورد بغداد فاتحاً واستولى عليها سنة ٩٤١، فإنه بعد زيارة الحضرة المشرفة، ورأى تعمير الشاه إسماعيل ناقصاً، أمـــر بأكمـــال تلك العمارة، فبنى الأروقة التي ذكرناها، وبنى الجامع الذي ســـنذكره فـــيما بعد. ثم أن ولده السلطان سليم خان[٢] -عليه الرحمة- عند

---

(١) جمع صُفّة.

(٢) هو السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان، تولى السلطنة من ٩٧٤ إلى ٩٨٢هـ/ ١٥٦٦-١٥٧٤م.

مجيــئه بغداد، وزيارته المشهد المُشرَّف، أمر ببناء منارة عند الجامع، فبُنِيت المـــنارة الـــواقعة بين الركن الشمالي والشرقي، وهي أول منارة شيدت في المــشهد المذكـــور، وقـــد وضع عند باب درجها السفلي صخرة كتب فيها بحروف بارزة أبياتاً بالتركية تدل بنايته أياها وهي ما يأتي[1]:

همــت كــاظم وجــواد قلــوب | بومـــنارة قـــيا مـــنه إقـــدام
بخــت سلطان سـليم ديـن بـرود | أول مــلاذ جهــان وقطــب أنــام
مظهــر عــدل ومظهــر إحــسان | ماحـــي كفــر وحامـــي إســلام[2]
قلــدى امــداد أمــر عالــي أيلــه | ويــردى حــق بــو مــناره إتمــام
فضلي اخلاص أيله ديدى تاريخ | اولــدى بــوجا نفــر مــناره تمــام

وبنـــى سليم المشار إليه مشهداً على قبر إبراهيم وجعفر ولدي الإمام موســى الكـــاظم، الكائنين في وسط الصحن الشرقي قرب جامع الإمام أبي يوســـف رحمة الله عليهم. ثم جدده الفريق سليم [باشا]سنة ١٢٦٤، وشاد قبة عليه، فأرخ ذلك عبد الباقي أفندي العمري بأبيات بيت التاريخ منها قوله (شاد سليم مرقد الفرقدين ١٢٦٤)[3].

---

(١) لما تزل هذه الكتابة مكتوبة بخط بارز على قطعة من الرخام موضوعة فوق باب سلم المئذنة، في زاوية الإيوان المعروف بـــ(طارمة باب المرا).

(٢) في مساجد الآلوسي: ماحي كفر حامىء إسلام، من دون واف العطف. وما نقله المؤلف يطابق ما هو موجود على الرخامة التذكارية التي سينوه بها.

(٣) تنظر القصيدة في ديوان العمري ص٣٢٦.

ولمـــا قُــتل نـــادر شاه، وتولى حكومة إيران محمد شاه القاجاري[١] رئـــيس العائلـــة المالكة القاجارية، عَمَّر في أوائل المائة الثالثة [عشر][٢]، ما تهدم من الصحن، وابتاع دوراً مجاورة للصحن من الجنوب الغربي عند باب القـــبلة مما يقارب الجلوخانة، وبنى ثلاث منائر مشابهة لمنائر السلطان سليم خـــان، وبنى أربع منائر صغاراً، أقام في كل ركن من أركان المشهد واحدة، [و] غَـــشَّى ذروة الجمـــيع بالـــذهب الخالص، وغشى القبتين المقامتين على ضـــريح الإمام موسى ومحمد الجواد بالذهب الخالص. ولما تولى فتح علي شاه بعده زَيَّن حَرَم الضريحين بالمرايا. ثم قام بعض الايرانيين فغشى بعض الإيـــوانات بالـــذهب، وبنى الصُّفتَين الشرقية والغربية. وفي أُخريات المائة الثالـــثة [عـــشر][٣] طلب الأمير فرهاد ميرزا[٤]- وكان أحد وزراء الحكومة الفارســـية -مـــن الحكومة العثمانية الاذن له بالبناء في الحضرة الموسوية،

---

(١) تولـــى الحكـــم فعلياً سنة ١١٩٣هـــ/١٧٧٩م وتولاه رسمياً سنة ١٢١٠هـــ/١٧٩٥م، واغتـــيل سنة ١٢١١هـــ/١٧٩٦م، وهو لم يعقب نادرشاه، لأن هذا أغتيل سنة ١١٦٠ هـــ/١٧٤٧م.

(٢) زيـــادة يقتـــضيها السياق. وقد بدأ العمل في هذه العمارة في سنة ١٢٠٧هـــ. تاريخ المشهد الكاظمي ص٩٢.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) هـــو فـــرهاد ميرزا بن عباس ميرزا بن فتح علي شاه القاجاري، ولي حكومة إقليم فارس، ثم حكومة إقليم كردستان الإيرانية، وتوفي سنة ١٣٠٥هـــ/١٨٨٧م.

فأذنت له، فأناب عنه الحاج عبد الهادي الأسترابادي[1] كما أجملنا ذلك قبلاً، فبنـــى ســـور الحضرة، وجدد ما تخلخل من سور المشهد- الحضرة- وزيَّن الجمـــيع بالحجـــر الكاشـــاني الملون، كما زين الإيوانات المحيطة بالصحن، وفرش الصحن- الساحة- بالمرمر، وحفر السراديب التي في الصحن لأجل أن تكـــون عميقة فتستوعب الكثير من الأموات، لأن الشيعة يدفنون موتاهم فـــيها. وكتب على السور المحيط بالصحن سورة العاديات والضحى والقدر والحاقة وبعض الأحاديث المعزوة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام في حق أهـــل البيت رضوان الله عليهم، مثل قوله عليه السلام (مَثَل أهل بيتي كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تَخَلَّف عنها غرق)[2] وكتب في الجبهة تاريخ هذه العمارة وهو:

---

(١)مـــن وجـــوه الكاظمية وكبار تجارها، ولد سنة ١٢٢١هـــ/ ١٨٠٦م وعرف بأعماله الخيـــرية النافعة، ومنها قيامه بالإشراف على هذا التعمير الكبير، وتوفي سنة ١٣١٦ هـــ/١٨٩٨م.

(٢) ومن هذه الأعمال أيضاً، عدا ما ذكره المؤلف، تأسيس قاعدتين ضخمتين على سطح الطابق الثاني من الصحن، فوق البابين الرئيسين، في جانبي الشرق والجنوب، لنصب ساعتين كبيرتين عليهما، وقد نصبتا بالفعل بعد حين، امتدح الشعراء هذه العمارة في بدايـــتها وإتمامها بشعر كثير تجده في تاريخ المشهد الكاظمي ص١١٩-١٣٥. وثمة تفاصيل أخرى، عن هذه العمارة وتعميرات أخرى لحقت بالمشهد، أثبتها عبادة: العقد اللامع ص٤٢٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

(قد وقع الفراغ من هذا الصحن بأمر من قصد بعمله وجه المنان، وبلوغ غرفات الجنان، الجناب المستطاب الأشرف، الأمير معتمد الدولة فرهاد ميرزا أدامه الله تعالى، وأعز جلاله وأقباله، بجاه محمد وآله الطاهرين، سنة ثمان وتسعين بعد المائة والألف من الهجرة النبوية المقدسة على صاحبها الألف التحية والثناء).

[جامع الإمام أبي يوسف][1]

ويتصل بالصحن من الشرق الجنوبي تربة الإمام أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة وفيها قبره، وعند القبر في غربيه مصلى جامعه، وفي شمالي القبر والمصلى رحبة الجامع، ومدرسة واقعة في غربي الرحبة -الصحن- وفيها جنينة صغيرة فيها نُخَيلات. وفي الرحبة باب يؤدي إلى دار يسكنها سادن قبر الإمام المشار إليه، وهو إمام المسجد أيضاً. وعلى القبر قبة كبيرة مزينة بالكاشاني[2]. وهذا الجامع تقام فيه الجمعة والجماعة

---

(١) العنوان، بين معقوفين، يقتضيه المقام.

(٢) نوه عبادة بهذا الجامع فقال أنه " مسجد صغير متصل بصحن الإمام موسى الكاظم، كان على مرقده الشريف بناء قديم ماثل للخراب والانهدام، فبناه الوزير عمر باشا سنة ١١٩١هـ/١٧٧٧م، بأمر من السلطان محمد خان، وعمره، وأتقن بناءه، وكان محل الصلاة إيوان كبير ذا قبة معقودة بالحجارة، قائمة على أربعة جدر، وبجنبه قبر الإمام المشار إليه، وفي سنة ١٣٣٤هـ/١٩١٥ سقط المصلى المذكور، وتركت=

ولكــن من قبل زوار السُّنة والمترددين وبعض العرب المجاورين للكاظمية. وإدارة هــذا الجامع من فرش وتعمير وترميم وإعطاء رواتب الموظفين فيه وفــي المشهد الكاظمي من سادن إلى خادم إلى غير ذلك كلها من قبل دائرة الاوقاف.

وأبو يوسف- رحمه الله- شهرته تغني عن تعريفه، فهو أحد تلامذة الإمام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- وله الفضل في نشر مذهب أبي حنيفة. وكان مجتهداً في مذهب أبي حنيفة لذلك تراه قد خالفه في بعض الأحكام كما هــو ظاهــر للمتتبع لأقواله وأقوال الإمام. وكان على جانب عظيم من العلم والــتقوى، ولاه هارون الرشيد الخليفة المشهور- رحمه الله تعالى- القضاء فــي بغــداد، أي جعلَه قاضي القضاة، فولِيَه حتى توفاه الله سنة مائة وأثنتين وثمانين للهجرة، وأن اردت التفصيل فعليك بوفيات الأعيان(١).

=الــصلاة فيه، فغدت تقام في الجامع الكبير المعروف بجامع السنة، إلى سنة ١٣٤٠ هـــ/١٩٢١، فقــد أعــادت بناءه دائرة الأوقاف، وجعلت الرواق الذي تهدم مسجداً للصلاة، وفي فناء المسجد روضة زاهية وبركة ماء يتوضأ منها المصلون.. ومدرسة لطلــبة العلوم تأسست سنة ١٣٢٤هـ/١٩٠٦م. العقد اللامع ص٤٣٤. ورسم الرحالة مطراقــي زاده ضريح الإمام أبي يوسف سنة ٩٤١هـ/١٥٣٨م، فبدا شبيهاً بكل من قبتــي الإمامــين موسى الكاظم وحفيده الجواد، فهو في حجرة لها باب ونافذتان، أو كــوتان، من أعلاها، تعلوها قبة زرقاء مزخرفة مستدقة الرأس، تستند إلى رقبة من الآجــر، غيــر مزينة بشيء، بينما تستند الرقبة إلى حنيات غطيت بطبقة من الآجر المزجج بلون القبة نفسها.

(١) ج٦ ص٢٧٦- ٢٧٧.

كما أن إدارة الجامع المعروف بجامع السلطان سليم وجرايته هي من قبل دائرة الأوقاف ببغداد ولهذا الجامع إمام وخطيب، لأنه جامع تقام فيه الجمعة والجماعة، كما له خادم ومؤذن وقارئ قرآن يوم الجمعة.

مسجد المَنطِقَة

إذا خرج المرء من بغداد، متوجهاً لزيارة الإمام موسى الكاظم رضي الله عنه- وسار قدر ميل، رأى على شماله مقبرة في وسطها سور دائر فيه قباب، ذلك هو المسجد المعروف بالمَنْطَقَة.

والمَنطَقَة مسجد من المساجد القديمة المعروفة ببغداد منذ العهد العباسي، وهو واقع في المحلة المعروفة بالعتيقة، والتي هي في الأصل القرية المعروفة بسُونايا[1]، يتبرك به الشيعة منذ ذلك التاريخ حتى اليوم (انظر

---

(١) سونايا من الأسماء الآرامية التي كانت شائعة في العراق في عصر ما قبل الإسلام، وكانت مركزاً مسيحياً مهماً، فقد أنشأ فيه بعض الأحبار ديراً سمي بدير مارفثيون، نسبة إلى ناسك من نساك العراق عاش في القرن الخامس للميلاد، واستشهد في ٢٥ تشرين الأول سنة ٤٤٦ م (أدي شير: تاريخ كلدو وآثور ج٢ ص١٢٧)، وحينما أنشأ الخليفة المنصور مدينته المدورة سنة ١٤٥ أمر من كان يسكن هذا الدير أن يخليه فأخلاه بعضهم، ولكنه لبث مركزاً مسيحياً في تلك الأنحاء، وعرف موضعه بالعتيقة، تمييزاً له عن المواضع المستجدة حول مدينة أبي جعفر عصر ذاك. ويذكر ماري بن سليمان في أخبار الجاثليق سبر يشوع الثاني المتوفى سنة ٨٣٩م أنه " نزل بالدير الكبير، وأحب تجديد بناء دير مارفثيون في العتيقة، وكان بناؤه في أيام الفرس قبل بناء بغداد.. وجدد بناء بيت الشهداء والأروقة، وعمل موضعاً يسكنه، ونصب فيه أسكولاً (= مدرسة)، وجمع المعلمين فيه، وصار مقام الفطرك فيه (فطاركة كرسي=

مراصــــد الاطلاع والمعجم)[1] كون أن الإمام علياً -كرم الله وجهه ورضي عـــنه- بعد فراغه من وقعة النهروان ورجوعه، نزل هذا الموضع، وصلى بأصـــحابه عـــند ديـــر راهب كان قريباً منه، ولذلك اتخذوا مصلاه مسجداً للتبـــرك، ولا تـــزال الـــشيعة تعده مباركاً وتتبرك به، وتدفن موتاها حوله. ومسجد المنطقة هذا هو غير مسجد براثا لأن مسجد براثا، كما سيأتي بيانه، مسجد واقع في محلة براثا الواقعة في قبلة الكرخ، ومسجد المنطَقة كما ذكرنا والعتـــيقة هـــي بـــين محلة طاق الحراني ومحلة باب الشعير (انظر المعجم والمراصد)، وعلى هذا الفرق واضح. فمن ظنَّ أن مسجد المنْطَقة هو مسجد بـــراثا فقـــد أخطأ. وهذا المسجد الآن واقع في وسط البرية ليس حوله ساكن تحـــيط بـــه قبور الأموات، ويأوي إليه مشيعو الجنائز عند ارادة دفن ميت.

=المـــشرق مـــن كتاب المجدل، روما ١٨٩٩، ص٦٩) وظل هذا الدير معموراً حتى منتصف القرن السادس للهجرة (الثاني عشر للميلاد)، إذ وردت آخر اشارة إليه باسم (بيعة مارفثيون) في حوادث سنة ٥٣٣هـــ/ ١١٣٨م (أخبار فطاركة كرسي المشرق ص١٥٧)، وكـــان ممـــا أنشئ في هذا الموضع مسجد وردت أول أخباره في القرن الخـــامس للهجـــرة، وكان يحظى باحترام خاص، إذ ذكر الخطيب البغدادي أن " في السوق العتيقة مسجد تغشاه [الشيعة] وتزوره وتعظمه، وتزعم أن أمير المؤمنين علي بـــن ابـــي طالـــب صلى في ذلك الموضع" (تاريخ بغداد ج١ ص٨٨). يجعل ياقوت الحمـــوي موضع هذا المسجد، الذي صلى علي (ع) في موضعه، في قرية براثا التي كانـــت قائمة قبل بناء بغداد (معجم البلدان، مادة براثا)، ويروي ياقوت أيضاً أن علياً اســـتحم فـــي قرية براثا، أو كما قيل في المحلة العتيقة. وبراثا قرية كانت على نهر كرخايا في طرف الكرخ، أما سونايا فكانت على مصب نهر الصراة.

(١) مراصد الاطلاع ج١ ص١٧٢ وينظر معجم البلدان ج١ ص ٢٦٠.

وكان قبل هذا متهدماً فبناه الحاج عبد الهادي الأسترابادي[١]، وهكذا ليس فيه أنيس ولا جليس، ولا تقام فيه صلاة ولا عبادة، ولكن الشيعة تحترمه، وتزعم أن المهدي المنتظر يصلي فيه إذا ظهر. وتوجد بين يدي بابه بئر تسقى منها لبناء القبور، عندها صخرة اصطوانية طولها تقريباً قدر ذراعين في عرض ذراع، يزعمون أن الإمام لما وصل الى هذا المكان عطش هو وأصحابه، ولم يكن ماء، لأن دجلة إذ ذاك كانت بعيدة عنهم، فحفروا لأجل الماء بئراً، فاعترضتهم هذه الصخرة فعجزوا عن قلعها، فأخبروا أمير المؤمنين علياً بذلك فاقتلعها بيده، وكان في الدير الواقع عند هذه الأرض راهب ينظر إلى ذلك، فلما رأى هذا نزل من ديره، وقال: لا يقلع مثل هذا إلا نبي أو وصي! وأسلم على يده، إلى غير ذلك. وبعضهم يعتقد في هذه الصخرة غير هذا ويزعم غير ذلك أيضاً. ويقولون أن سبب تسمية المسجد بالمِنْطَقَة أن الإمام بعد أن فرغ من صلاته تَمَنْطَقَ بسيفه، وقيل غير ذلك.

وقد أنشأ والي بغداد نجيب باشا فيها سقاية سنة ١٢٦١[٢] وكتب عليها من نظم العمري هذه الأبيات[٣]:

أجرى محمدٌ نجيب الوزرا	حوضاً لساقي الحوض يحكي الكوثرا
يروي حديثاً للشفاء مسلسلاً	ما كان والله حديثاً مفترى
لكل صادٍ سلسبيلٌ عَيْنُه	من نقطة الباء لقد تفجّرا

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) يوافق أولها ١٠ كانون الثاني ١٨٤٥م.

(٣) مساجد الآلوسي ص١٣٧.

ياسائلاً عما جرى أنظر ترى   تاريخه: هذا أرق ما جرى

١٢٦١

وقد اندثرت هذه، فلا عين لها ولا أثر. ولكن شُيِّد في هذه الأيام بموضعها سقايةً يضع فيها أهل الخير الماء في بعض الأوقات(١).

مسجد بُراثا

لا يوجد الآن مسجد يسمى بهذا الاسم اللهم إلاَّ المنطقة الذي يُطلق عليه هذا الاسم وقد ذكرته هنا للمناسبة. إن المتتبع لمواقع الأماكن والبقاع إذا نظر الى خارطة بغداد منذ سنة ثلثمائة فصاعداً، يرى أن الكرخ -أي كرخ بغداد- واقع فوق المنطَقَة من غربها وجنوبها حتى يصل محلة القلائين الموافقة الآن للأرض المعروفة......(٢) الواقعة قرب......(٣). وإذا كانت محلة براثى هي في جنوبي الكرخ فتكون مقاربة للموقع الذي فيه الأماكن المعدة لتعمير القطار، وعليه يكون مسجد براثى في تلك الجهة من دون شك. وبراثى بضم أوله كحُبارَى. قال في مجمع البحرين: بُراثى بالضم محلة بجانب بغداد، ومسجد براثى معروف هناك، وهو مسجد صلى فيه أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه لما رجع من قتال أهل النهروان. وقال في

(١) كان ثمة بئر في هذا الجامع ردم عند إيصال الماء إليه بالأنابيب، ثم أعيد حفر هذه البئر سنة ١٩٩٩م، وقد عثر فيها على قطع من الآجر ترقى إلى العهود الإسلامية، وتقع عند أسفل جدار الجامع قرب مئذنته الشرقية تماماً.

(٢) بياض في الأصل. وينظر تعليقنا عن هذه المحلة في مبحث جامع الكاظمية المتقدم.

(٣) بياض في الأصل.

مناقب بغداد لابن الجوزي الذي نشره الأثري بهجة في هذه الأيام(١) وكان في براثى مسجد يجتمع فيه قوم من الشيعة وربما ذكروا الصحابة، فأمر الراضي بالله بكبسه عليهم فأخذوا وعوقبوا وحُبسوا، وهدم المسجد وعفى أثره، ووصل بالمقبرة التي تليه، ومكث خراباً إلى سنة ٣٢٨ فأمر الأمير بجكم بإعادة بنائه، فبنى بالآجر والحصى، وسُقِّف بالساج المنقوش، ووسع فيه، وكتب في صدره اسم الراضي بالله. ثم أمر المتقي بالله بنصب منبر فيه، واقيمت الجمعة فيه سنة ٣٢٩ ومازالت تقام حتى بطلت بعد ٤٥٠. ونقل ياقوت أنه شاهد بقايا حيطانه سنة ٦٣٦ وقال: وقد خربت واستعملت في الأبنية(٢).

مسجد الجعيفر

في منتهى الجانب الغربي من جهة الغرب محلة الجعيفر، قام فيها رجل يبيع البوارى معمم يسمى الشيخ حسن، يظهر من الصلاح، فَرَغَّب جماعته الشيعة على بناء مسجد للصلاة وإقامة عزاء الحسين فيه، فجمعوا شيئاً وأعانهم غيرهم من طائفتهم فشادوا مسجداً. وهو واقع على يسار الذاهب إلى الكاظمية قُبيل طَرَف البلدة بخمسين خطوة، تأوى إليه الشيعة أوقات الصلاة صبحاً وظهراً ومغرباً لا غير، ويقيمون فيه العزاء والوعظ.

---

(١) مناقب بغداد، حققه الشيخ محمد بهجة الأثري، بغداد، مطبعة دار السلام ١٣٤٢، ص ٢١.

(٢) معجم البلدان ج١ ص٥٣٢.

وهو مسجد صغير مفروش بالحُصر- البواري- ومُسقَّف بالخشب، في بابه بعض قطع من الكاشاني إيذاناً بأنه مسجد، وليس هناك ادارة، لأنه لا إمام ذا راتب ولا مؤذن من قبل الطائفة[١].

ومحلـــة الجعيفـر هـذه مـع ما فوقهـا مـن البساتيـن هـي محلــة باب البصرة، وإن باب الكاظم[٢] الذي هو من عند مسجد الجعيفر إلى شــرقي كَرْد طعمة[٣] بقليل هي محلة الرَّملة[٤]، وفوقها محلة الخُلد أي قصر

---

(١) نوه به السيد محمد خلوصي الناصري فقال" هذا المسجد كان على الشارع العام الممتد إلــى قــصبة الكاظمية، في محلة الجعيفر، وهو حادث، وخاص بجماعة الشيعة، وقد أنــشئ مــن خيــراتهم" (تكملة مساجد بغداد، ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٧٥). وذكر يونس السامرائي أن الأوقاف جددت هذا الجامع سنة ١٣٧٦ هـــ/١٩٥٦م. تاريخ مساجد بغداد الحديثة ص٢٩٠.

(٢)هــو الــباب الــشمالي من أبواب سور بغداد الغربية، وكان موقعه في ساحة الطلائع الحالية، قريباً من شاطئ دجلة.

(٣) سبق أن أشار إلى بستان طعمة البرانية، فهذا الكرد إذن كان لسقي تلك البستان.

(٤) قــال ياقــوت في وصفه هذه المحلة" الرملة محلة خربت، نحو شاطئ دجلة مقابل الكرخ ببغداد"(معجم البلدان ج٢ ص٢١٨)، وقال في كتابه (المشترك لفظاً والمختلف صقعاً) أن الرملة " محلة كانت ببغداد في مشرعة الكرخ إلى دجلة، ثم خربت، وهي في الجانب الغربي" (ص٢١٠) وقال ابن عبد الحق" قطيعة عيسى بن علي بن عبد الله ببغداد، وأظنها المحلة التي يقال لها الرملة بالجانب الغربي، عامرة الآن، لأن الكنيسة التــي كانت بها لليهود كان اسمها قطيعة عيسى، والظاهر أنها منسوبة إلى موضعها" (مراصــد الاطــلاع ص١١١٠). فهذه الأوصاف تدل على أن الرملة كانت تقع في شمال نهر عيسى، وبما أن مصبه كان عند جامع قمرية، قرب ثانوية الكرخ للبنين،=

الخُلد[١] أضيفت إليه لقربها منه، وآثاره[٢] الآن قريبة من كَرْد العيوازية في وسط دجلة. فانظر تقلب الزمان!

مسجد ثُريّا

هــو مــسجد واقع شرقي مسجد الجعيفر بقدر مائة وخمسين خطوة، علـى يمين المنحدر إلى البلد. وهو في الأصل دار لامرأة تدعى ثُريّا كانت تسكنها، فلمـا قاربـت المـوت تقـربت إلى الله بهـا فوقفتهـا علـى أن تكـون مسجداً لله[٣]، فقـام المسلمـون مـن أهـل تلك المحلـة، وهـي

=فتكون هذه المحلة قد شغلت أرض محلة الجعيفر الحالية وبعضاً من محلات أخرى في شمال ذلك الجامع، وهو ما ينطبق على تحديد المؤلف تماماً.

(١) كـان قصر الخلد يقع عند مصب نهر الصراة، الذي يقع عليه مشهد المنطقة، المسمى قـديماً بمـشهد العتيقة، فيكون موقع هذا القصر في مقتربات جسر الصرافية الحديدي الحالي.

(٢) كانت تظهر في الجهة الشرقية من دجلة، قريباً من دار الحاج أمين المميز في بستان الـصرافية، بقايا أبنية محكمة مبنية بالآجر والنورة، فلعلها هي التي يقصدها المؤلف هنا.

(٣) لـم يذكره الآلوسي، وسكت عنه عبادة، وقال السيد محمد خلوصي الناصري أن هذا المسجد" محل صغير، محاط بجدار، فيه بئر للوضوء والطهارة، أما مصارف عمارة المسجد فكانت من تركة ثريا، وبوصية منها، وهي إحدى النساء الطاهرات في المحلة المذكـورة، وكـان ممـن وقف على تعميره المرحوم الحاج محمد بن مصطفى آغا الـشهير بابن فطايم، وحاج خميس من سكنة محلة التكارتة، وفيه إمام ومؤذن وخادم" (تكملـة مساجد بغداد، ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٧٥) وذكر=

محلـــــة....[1] باعماره وجعله مسجداً، وعَمّروه بإقامة الصلوات، لأنهم في مُــنقطعٍ عــن المساجد، بعيدين عنها. ولما احتلت الحكومة البريطانية بغداد، وأدخلــت أغلــب المساجد اليتيمة التي لا وَقفَ لها، أدخلته في عِداد الجوامع التــي هــي تحــت ادارتها، وجعلت تصرف [على][2] ما يحتاجه من جراية لإمامــه ومؤذنه وما يقتضي لمائه ونوره وغير ذلك، ثم في الأيام الاخيرة[3] جَمَــع لــه المسلمون مالاً وهدموه عن آخره وبنوه بناءً محكماً، فجاء مسجداً رحــب الــساحة واسع المُصلَّى، علِيَّ الأركان، له صُفَّة مستطيلة واقعة أمام المُــصلَّى، وقد جُعلت مراحيضه كما كانت قبلاً خارجة عنه، بين يديه واقعة بيــنه وبــين الــشارع العــام الــذي فيه مَحجَّة حديد الكاظمية وبغداد[أي]

=محمــد صـــالح السهروردي عن هذا المسجد أنه" مسجد جامع حسن الأبنية، يشتمل علــى مــصلى شــتوي، وطارمة، وبعض الحجر، وساحته صغيرة، وفيه مزملات للوضـــوء، أنشأته ثريا بنت معروف من خالص مالها سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م" استند في ذلك إلى نص مكتوب على رخامة وضعت في مدخل باب المسجد"(بغية الواجد في الجوامــع والمــساجد ، ضمن كتابنا المذكور ص٩٥- ٩٦). قلنا: يظهر أن وصف السهروردي هذا جاء بعد تعميره الذي سيذكره المؤلف فيما يأتي.

(١) بــياض فــي الأصــل. ويقــع هذا المسجد في نهاية محلة التكارتة، بالقرب من محلة الجعيفر.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) ذكر أنه ألف كتابه هذا بعد الحرب العالمية الأولى.

تـــراموای[1]، وهو عامر بإقامة الجماعة في الأوقات الخمسة، ويقرأ الواعظ فيه في شهر رمضان[2].

جامع السِّت نفيسة

هــو جامــع واقع في الشارع العام[3]، على محجة حديد الكاظمية، وعلـــى يمـــين المُـــتوجه من مسجد ثُريّا إلى مسجد حبيب العجمي، تقام فيه الجمعة والجماعة في الأوقات الخمسة. وهو من آثار بيت القِشطَيني، العائلة المشهورة[4]، فقد شادته هذه العائلة، وبنت فيه حجراً للتدريس، وخزانة للكتب

---

(١) يقـصد سـكة حديد الترامواي الذي أنشأها والي بغداد مدحت باشا سنة ١٨٦٩هـ/ ١٢٨٧م.

(٢) نقــض هذا المسجد عند نقض محلته، وأعيد بناؤه مع ما أعيد إنشاؤه من هذه المحلة، فـــي اواسط عقد التسعينات من القرن العشرين، وهو اليوم أكبر سعة، واجمل عمارة، وله مئذنة جديدة عالية.

(٣) رقم ١١١ شارع ١٣ محلة ٢١٢.

(٤) آل القشطيني أسرة بغدادية نسبت إلى قرية (قشطين) من أعمال حلب، وسكنت الكرخ منذ سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م واشتغل رجالها في مجال التجارة، فأثروا، ونمت ثروتهم وعــرفوا بالوجاهة وأعمال الخير والخدمة العامة فضلاً عن تذوق عدداً منه الأدب، وتــشجيعهم إيــاه، ومن أبرز رجالاتهم الحاج عمر القشطيني(توفي سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م) الذي كانت له مكانة مؤثرة لدى والي بغداد سليمان باشا الكبير، وابنه الحاج عبد الله (توفي سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م)وكان مقرباً من والي بغداد داود باشا، ومنهم الحــاج حبــيب جلبـــي بن الحاج محمد أمين جلبي القشطيني (توفي سنة ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، والحاج أحمد جلبي بن الحاج ياسيــن جلبـــي القشطيني (تــوفـــي سنـــة=

وقفت فيها الكتب الغالية، وجعلتها لتدريس فقه الإمام الشافعي رحمه الله كما يظهر من تلك الكتب الموقوفة التي معظمها كان في الفقه الشافعي، وقد رأيتُ كثيراً منها بعيني[١].

وموقع هذا الجامع موافق موقع الرباط المُستجِد الذي أمرت ببنائه هاجر خاتون والدة الخليفة الشهيد المستعصم بالله المتوفاة سنة ٦٤٦، فإنها بنت في محلة شارع ابن رزق الله- وهي محلة واقعة شمالي قَطُفتا على شاطئ نهر عيسى الشرقي- تربة لها، وأمرت ببناء رباط بجنبها يسمى الرباط المُستجد، فبني أيضاً، وفتح سنة ٦٥٠ باحتفال مهيب حضره ابن العلقمي وأرباب الدولة مع الخليفة، وعملت فيه دعوة، وخلع الخليفة على كل من قام بأمر عمارته، كما حفظ ذلك التاريخ[٢].

ولما كان المسجد الصغير الواقع في سوق حمادة قرب دار بيت المدلل العتيق، في رأس الطريق السالك الى الشيخ معروف، المعروف[٣]

=١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) والحاج محمود جلبي القشطيني (توفي سنة ١٣٣١هـ/١٩١٤م)وغيرهم (الدروبي: البغدادون ص٥٣- ٥٦). ولم يذكر المؤلف أي من هؤلاء شاد هذا المسجد، وذكر عبادة " قالوا : نُسب إلى السيدة نفيسة، ولم أعلم كيفية النسبة" العقد اللامع ص٤٨٣.

(١) انفرد المؤلف بالإشارة إلى وجود خزانة كتب في هذا المسجد.

(٢) كتاب الحوادث ص٣٠٤- ٣٠٥.

(٣) في الأصل: المسمى والمعروف.

بمسجد السبع قناطر[1]، هو عند قنطرة الشوك الواقعة على نهر عيسى، كان الشاطئ الشرقي لنهر عيسى في محلة شارع ابن رزق الله يوافق موقع هذا الجامع وما قاربه من الدرب المعروف بدربونة البستان، وبقية البيوت القريبة منه. وهذه البستان التي تضاف إليها الدربونة هي البستان التي كانت تعرف في ذلك الزمان ببستان دار سُوسيان[2] أو بستان سنقر المقتفوي، وكانت عند دار سُوسيان وهي الدار التي أنشأها المستعصم على نهر عيسى بجوار شارع رزق الله وقنطرة الشوك والتي دفن فيها ابنته، وقد أصبح موضع هذه البستان محلة الآن، وتعرف تلك الدور والبيوت بدربونة البستان. وقد وقف المستعصم دار سوسيان والبستان وما معها من الحجر وغيرها وجعلها رباطاً للصوفية، وجعل عبد الصمد إمام مسجد قمرية شيخاً للرباط المذكور، وجعل ابنه إماماً في مسجد قمرية، وذلك سنة ٦٥٢ هجرية[3]. وقد توفيت كما ذكرنا ودفنت في تربتها هذه، ودفن بباب تربتها على يمين الداخل إقبال الشرابي رحمه الله تعالى. واليوم لا تربة ولا رباط ولا قبور ولا عين ولا أثر. ويقول البعض أن تكية العيدروسى هي دار سوسيان.

---

(١) كان هذا المسجد يقع في سوق حمادة، وقد نقض، ونقلت جهة الإمامة إلى قرية معسكر التاجي.

(٢) منسوبة إلى الأمير مظفر الدين أبي الفتح سوسيان بن أيلدغدي بن آق طغان، ويعرف بابن شملة التركماني الخوزستاني صاحب تستر، والمتوفى في الحديثة سنة ٥٩٦، قال ابن الفوطي في ترجمته "وجاء سوسيان فسكن على نهر عيسى في الموضع المعروف به الآن". تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق١ ص١٠١.

(٣) كتاب الحوادث ص٢٨٨- ٢٨٩.

ويوجد في هذا الجامع قبور وهي قبر الشخ موسى الجبوري، والسيد عــبد الغفور المشهداني(١)، خليفتي الشيخ خالد النقشبندي المجددي، وبحذائهم قبــر الشيخ داود العاني بن منلا سليمان بن جرجيس(٢)، وكان من خلفاء عبد الغفــور المــشهداني في النقشبندية، وهو في الأصل من سلالة (لِيفي) بكسر الــلام، رجــل معروف في عنة، ودفن معهم محمد سعيد بن داود المذكور، رحمهم الله ورحمنا معهم، إنه أرحم الراحمين. والجامع المذكور الآن مشتمل علـــى مــصلى واسع، فيه حجرة للإعتكاف والخلوة، وأمام المصلى صفة، وشمالي الصفة حجرة فيها القبور المذكورة. وبين يدي الصفة ساحة مستطيلة ضــيقة فــي شرقها المراحيض، وفوقها حجرتان كان يسكنها من يعد نفسه للــتدريس والإفادة. وله خطيب وأمام ومؤذن وخادم، وإدارته من قبل دائرة الأوقاف منذ القديم(٣).

جامع خضر الياس

تجــاه جامــع الست نفيسة درب يؤدي إلى دجلة، متى سلَكَه الإنسان ووصــل إلـــى الطريق الذي كان قديماً هو الطريق المسلوك الى الكاظمية،

---

(١) تقدم التعريف بهما.

(٢) من أفاضل بغداد، تولى التدريس في مدرسة الطبقجلي في بغداد، وغالب تدريسه في الــنخو والفقه، وله شعر، توفي سنة ١٢٩٩هــ/١٨٨١م. الآلوسي: المسك الأذفر ص ٩٣.

(٣) أعادت بناءه الأوقاف سنة ١٣٨١هــ/١٩٦١م، وأنشئت فيه مئذنة صماء لا سلم فيها. وما زال هذا الجامع عامراً.

أعنـــي قبل فتح الشارع الذي مُدَّت به محجة الحديد أيام مدحت باشا، بل أنه كان الطريق القديم والشارع العام المؤدي إلى محلة باب البصرة حتى مدينة الـسلام أيام الخلافة العباسية، رأى على دجلة، على بعد عشرة أمتار عن فم الدرب الذي نزل فيه، جامعاً، ذلك هو جامع خضر الياس(١). وقد عرف بهذا الاســم لوقوعه في هذه المحلة المسماة محلة خضر الياس. وهذه المحلة هي المحلة المعروفة قديماً بمحلة قصر عيسى، لأن قصر عيسى هو القصر الذي التهمته دجلة ولم تبق منه إلا بقايا المسناة المعروفة بسِن خضر الياس، عليها دور بــيت الخوجة، والمقبرة التي كانت منذ القدم مقبرة أيضاً. وهذه المقبرة جعلت مقبرة آخر أيام الدولة العباسية، وهي بالقرب من جامع فخر الدولة ابن المطلــب الــذي بــناه في قصر ابن المأمون في هذه المحلة على دجلة، أيام

---

(١) ذكر الأثري في فوائته على مساجد الآلوسي، مادة (جامع خضر الياس) ص١٤٥ أنه" كــان قــديماً مدرسة العلامة الشيخ محمد أمين السويدي" ويعني المدرسة التي أشار إليها الآلوسي في ص١٣٣ باسم مدرسة السويدي. وهذه المدرسة سيشير إليها المؤلف أيضاً باسمها هذا فيما يأتي، فواضح أنه يفرق بين جامعين باسم واحد، وإذ ذكر بعض التفاصيل عن مدرسة السويدي، فإننا لا نعلم ما قصده بجامع خضر الياس هذا، وكان الرحالة التركي أوليا جلبي قد ذكر أن تكية البكتاشية الكائنة بغربي بغداد عرفت أيضاً بتكــية الخــضر، وتكــية البكتاشية، أو تكية الخضر هذه، وقد جرفها دجلة كما ذكر المؤلــف فضلاً عن المصادر الأخرى، فهل يقصد أنها هي جامع خضر الياس هذا، علــى أنـــه سيذكر أن تكية تعرف بتكية باب الكاظم، في أعلى الجعيفر، كانت تنطبق صــفتها على تكية البكتاشية هذه، وواضح أن ثمة لبساً قد داخل هوية هذه المواضع، بسبب تقادم العهد بها، وانعدام الوثائق والنصوص.

المستـضـيء[1]، وقد جرفته دجلة كما جرفت غيره وبقى منه كمفْحَص قطاة كان يقيم فيه الحاج محمد بن سرحان، وكان يعرف بمسجد ابن سرحان، وهذا جرفته دجلة أيضاً سنة ١٣٢٠.

وكـان بجوار هذا الجامع الرباط الذي بناه عضد الدين المبارك بن رئـيس الرؤسـاء، وهـو بجـنب داره أيضاً،[2] وكانت بقاياه سنة ١٣٠٠ هجـرية[3]. قائمة، وتعرف تلك الحجرة الباقية بمقام خضر الياس، وقد جرفته دجلة أيضاً، وكان أسفل دور بيت الخواجة في شمالها. وقد شاهد هذه الأماكن كثيـر مـن الـشيوخ الذين لا يزالون في قيد الحياة، وهم الذين قصُّوا علينا مواقعها وما أصابها.

أمـا الجامع المعروف بجامع خضر الياس، وهو ما ذكرناه لك، فإنه من أنشاء المرحوم داود باشا، بناه وبنى عنده دكاكين جعلها وقفاً عليه- كما فعل بمسجد رأس الجسر- وأعطاه لمحمد سعيد السويدي[4] ليدرس فيه، وقد

---

(١) تقدم التعريف بهذه المواضع.

(٢) هـو أبو الحسن محمد بن المظفر بن علي بن المسلمة ابن رئيس الرؤساء، ولد سنة ٤٤٨ وتوفي سنة ٥٤٢هـ. الكامل ج٩ ص١٨. ولم نعلم وجه استدلاله على موضع هذا الرباط.

(٣) أولها ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٨٢م.

(٤) هو الشيخ محمد سعيد بن أحمد بن عبد الله السويدي، ولد سنة ١١٨٠هـ وأخذ العلم عـن والـده، وأجلـة علماء عصره، وحدث، وبرع في الفنون كلها، وله شعر، قال الآلوسـي في ترجمته" درس مدة مديدة في مدرسة جامع داود باشا في جانب الكرخ قرب مقام سيدنا الخضر عليه السلام". المسك الأذفر ص١٤٦- ١٤٧.

بناه على أنقاض جامع قديم، وقد شرط له في وقفيته بعض جِرايات للمدرس والإمام والخطيب والخادم والمؤذن. وهو واقع بين الطريق العام ودجلة، ذو ساحة واسعة، ومصلى مستطيل مسقف بالخشب[(١)].

كانـــت فيه مدرسة في الطبقة العليا في غربيه ذات ثلاث حجرات، فـــسعى يوســـف أفندي السويدي[(٢)] عند أمين عالي باشا أعيان[(٣)] في هدمها فهدمها بحجة أنه يعيدها مجدداً، لأنها -والحق كذلك- متداعية للسقوط، ولكن لـــم يُعدها، بل اكتفى بإعادة حجرة على يمين الداخل إلى الجامع كانت معدة لخـــزن لوازم الجامع وأدواته، فجعلها مدرسة، لأنه لو أعادها فات الغرض الحقيقي الذي هدمت لأجله المدرسة، وهو جعل قصره الذي على دجلة بارزاً

---

(١) يظهـــر أن شيئاً من الإهمال أصاب هذا الجامع بعد ذلك، وأن والي بغداد تقي الدين باشـــا (١٢٨٤- ١٢٨٥هـــ/١٨٦٧- ١٨٦٨م) عمره، فقد ذكر الشيخ محمد صالح السهروردي أن الشيخ محمد طه الشيرواني" نزل في الكرخ قرب جامع خضر الياس، فشرع بإقامة الختمة النقشية (النقشبندية) في المسجد المذكور، فاجتمع عليه خلق كثير، وسلكوا عليه، حتى أن الوالي(وهو تقي الدين باشا المذكور) ليحضر حلقته، واعتقد به اعتقاداً عظيماً، فعمر الجامع المذكور ووجه تدريسه إليه" (لب الألباب ج٢ ص٢٤٠).

(٢) هو يوسف بن نعمان بن محمد سعيد السويدي البغدادي، ولد سنة ١٢٧٠هـــ/١٨٥٤م وكـــان مـــن أشـــد المتحمسين للقضية العربية، اعتقل ونفي في زمن الدولة العثمانية بـــسببها، ثـــم عـــاد إلى العراق بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، فكان من المنادين بالثورة والمقاومة، وطلبه البريطانيون، فاضطر إلى مغادرة بغداد، إلى دمشق، وعاد إلـــى بغـــداد بعـــد تولي الأمير فيصل عرش العراق، حيث أختير عضواً في مجلس الأعيان، فرئيساً له، وتوفي سنة ١٩٢٩م. السهروردي: لب الألباب ج٢ ص٢٠٤.

(٣) وكان يومذاك وزيراً للأوقاف.

لا يعوق نظر الناظر منه إلى الجسر وجهته شيء. وأنا الآن مدرس مدرسته عيـــنت فيها بعد والدي رحمه الله تعالى. وإدارة هذا الجامع، وجراية من فيه من الموظفين، تؤدى من قبل دائرة الأوقاف، ومن أوقاف المرحوم داود باشا.

مسجد التكارتة

إذا ســـار الإنسان من جامع خضر الياس مُغَرِّباً، وجاوز ما يسمونه سِن خضر الياس قدر ثلاثين خطوة، رأى على يساره مسجداً، ذلك هو مسجد التكارتة نسبته لأهل تكريت الساكنين عنده[١].

وهو عبارة عن مصلى صغير، وصُفَّته بين يدي المصلى لا غير، وتقام فيه الصلوات الخمس جماعة من قبل المجاورين والقاعدين في المقهى الواقع غربيه. وفيه إمام وخادم، وكان إمامه الشيخ محمد الدوري[٢]، أما الآن فإمامه عبد الرحمن ابن الإمام السابق، وادارته من قبل دائرة الاوقاف. ليس فيه كتابة ولا أي شيء، ولا يعرف مؤسسه ولا بانيه. وموقعه غربي مسجد

---

(١) كان هذا المسجد يقع على شاطئ دجلة، وهوفي الأصل دار للحاج حنيش، ولما توفي لـــم يكـــن له عقب يرثه، فجعل أهل محلته داره مسجداً، بعد تغييرات أشرف عليها الحاج رميض التكريتي، وكان افتتاح المسجد سنة ١٢٩٣هـــ/١٨٧٦م.

(٢) هو الشيخ محمد بن معروف بن ملا مهدي الطائي الدوري المتوفى سنة ١٣٣٧هـــ/١٩١٨م.

محمـــد السرحان[١] بأذرع، يفصل بينهما الطريق العام[٢]. أعني أنه واقع في محلة قصر عيسى قرب المحل الذي كان يسمى جامع ابن المطلب[٣] والمقبرة التي عنده.

التكية التي بباب الكاظم

فاتـــنا أن نذكـــر التكية الواقعة فوق محلة الجعيفر على دجلة، أسفل المحـــل الذي اشتراه ميخائيل بشارة النصراني، من أهالي تلكيف، من طعمة صـــاحب البستان المعروفه باسمه، الممتدة من المنطقة حتى بستان اليُوقْلَمَه جي[٤]. نعم فاتنا أن نذكرها بعد ذكر المنطقة لوقوعها شرقيها، لهذا رأينا أن نتعرض لها قبل أن نذهب بعيداً عنها.

هذه التكية أو البنية المعروفة عند أهل الجانب الغربي بالتكية، وبتكية العيدروســـي، هي عبارة عن بناية أسفل منها بستان صغير واقع في شرقها،

---

(١) ذكـــر محمد خلوصي الناصري أن أمام مسجد التكارتة" مسجد صغير يقيم فيه الشيخ محمد سرحان، فخربه حفر دجلة، ولم يبق له أثر". تكملة مساجد بغداد، ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٧٩.

(٢) جـــدد مـــسجد الـــتكارتة سنة ١٣٦٠هـ/١٩٥٠م، ثم نقض، مع ما نقض من محلته، وأعيد إنشاؤه مجدداً على نحو أكثر سعة، وأفخم عمارة، وانشئت له مئذنة جديدة على طراز جميل، وذلك عند إعادة إنشاء تلك المحلة في تسعينات القرن العشرين.

(٣) هو جامع فخر الدولة الحسن بن المطلب، وكان يقع في محلة قصر عيسى المطلة على نهر عيسى. كتاب الحوادث ص٢٦٣.

(٤) تقدم التعريف ببستان طعمة، وأما بستان اليوقلمه جي، فهي بستان كبيرة كانت تجاور محلة الجعيفر من جهة الشرق، ومحلها اليوم ساحة الطلائع.

وكانـــت ملجأ الدراويش، وكان يقيم فيها شيخ ينسب نفسه إلى العيدروسي[1]، يقـــيم فـــيه الذكر على أصول أرباب الطرق، ويضرب بالدف، وله تلامذة،

---

(١) وصـــف المؤلف لهذه التكية يدل على أنها ليست تكية العيدروسي، التي تقع في محلة ســـوق الجديد، وإنما تكية البكتاشية القديمة الدائرة، وكانت هذه التكية في أصلها رباط للـصوفية عـــرف بـــرباط الأخلاطية نسبة إلى مؤسسته سلجوقى خاتون الأخلاطية، زوجـــة الخليفة الناصر لدين الله العباسي، المتوفاة سنة ٥٨٤هـ/١١٨٨م، بنت قليج أرسلان السلجوقي، وكان رباطها هذا قد ضم خزانة كتب جليلة وقفها الخليفة الناصر، وظلت هذه التكية تعرف بتكية قلج أرسلان، لتلف الكتابة التي تشير إلى اسم ابنته، و قد لبثت عمارة هذا الرباط عامرة بعد انقضاء عصر الدولة العباسية وحتى أول عهد الدولـــة العثمانـــية في العراق، إذ اتخذه الجنود الينكجرية (الإنكشارية) تكية لطريقتهم الـــصوفية المعروفة بالبكتاشية، ونتيجة لتغيير دجلة مجراه فقد جرف شاطئ المحلة، فكـــان ممـــا أودى بـــه هذه التكية وذلك في منتصف القرن الثالث عشر (١٩م)، وقد كشفت أعمال الحفر لأسس الجسر الحديث الذي شيد هناك، عن أن التكية كانت تقوم على أسس مسناة ضخمة بنيت بقطع من الآجر عليه اسم الملك نبوخذنصر، من الدولة البابلية الثانية. وثبت الرحالة نيبور سنة ١٧٦٦م موقعها على شاطئ دجلة، مقابل باب المعظـــم من الجهة الأخرى من النهر، ولما كان ثمة مقام قد أنشئ على هذه المسناة نسب لـــ(خضر الياس) عرفت هذه التكية بمسجد خضر الياس أيضاً، وهو غير جامع خضر الياس الآتي. عبادة: العقد اللامع ص٤٨١-٤٨٢، ومحمد خلوصي الناصري: تكملـــة مـــساجد بغداد، ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٨٣- ٨٦، وكتابـــنا: الأصـــول التاريخية لمحلات بغداد ص١٠٣- ١٠٤. ويظهر أن هذه التكية نسبت إلى العيدروسي في حين من الدهر، بسبب أن الحاج عبد الله العيدروسي وقف أرضـــاً تـــسمى البكتاشـــية في هور عقرقوف على تكية العيدروسي التي في سوق=

ويمسك هو وتلامذته الحيات، وكانت وفاته بلسعة حية ذكر، لسعه عند أبهامه، فلم يكد يضع قدمه من الكلك الذي فيه الحية على الأرض، حتى وقع الى الأرض ميتاً. ذكر لي ذلك والدي عليه الرحمة، وهو الثقة العدّل.

وقد امتدت يد دجلة إليها وإلى البستان، فالتقطتهما، وموقعها الآن في نصف نهر دجلة تقريباً، وقد أدركنا آثارها التي جعل النقابون ينقبون عن أحجارها، ولقد ورد في أسسها بين ثنايا الأحجار دنانير الذهب، فكان هذا من جملة العوامل على محوها من الوجود. وكان العثور على هذه الدنانير أيام ظهور الدفين المعتصمي[1] في شرقها وغربي جامع ابن المطلب، ذلك الدفين الذي بسببه أثرى كثير من الفقراء الذين اشتهروا بالمعتصم، كالسيد صالح

=الجديد، فذهب من ذهب إلى أن هذه هي تكية العيدروسي نفسها. كتابنا: معالم بغداد ص٣٧١- ٣٧٢.

(١) هو الكنز المعروف بكنز خضر الياس، وكان يتكون من نحو ثلاثة آلاف قطعة ذهبية، فضلاً عن سبيكة ذهبية كبيرة، وضعت في آنية من فخار، قد خبئت في مسناة خضر الياس، وقد عثر عليه، بطريق الصدفة، صالح بن خلف المشهداني، حينما كان يضرب بـ(مرديه) تلك المسناة، في فجر يوم السبت ١٤ شعبان ١٣١٧هـ/١٨ كانون الأول ١٨٩٩م، وقد عرف هو بالمعتصم نسبة لما قيل أن تلك الدنانير الذهبية كانت تحمل اسم الخليفة المعتصم بالله، وقد حاز هو قسماً من تلك الدنانير، بينما حصل آخرون من أهل محلته قسماً منها، وصادرت السلطة العثمانية سائر الكنز وبعثت به إلى استانبول حيث مازال معروضاً في المتحف الإسلامي هناك. ينظر ناصر النقشبندي: كنز خضر الياس، مجلة سومر، المجلد ١٠، بغداد ١٩٥٤، ص ١٨٠- ١٩٦، والعزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٨ ص١٣٦، وأنور الناصري: سوق الجديد ج١ ق١ ص٢٦٥ وق٢ ص٧٧.

المشهداني، وآخر من محلة الجعيفر، وبعض الأفراد من السامرائيين.
والوضع الذي فيه هذه التكية هو ما يقال له الرملة، أي محلة الرملة الواقعة على شاطئ دجلة قبالة الكرخ، ولذلك كانت مشرعته.

وهذه التكية نظراً للآجر الذي استخرج منها، ولما كان ينقل عن جدرانها، حَرِيَّة بأن تكون تربة زوجة الناصر لدين الله سلجوقة خاتون التي كان يحبها حباً جماً، كما يحكى لنا ذلك التاريخ، أو الرباط الذي بناه الناصر لدين الله قرب التربة وجعله وقفاً عليها، لأنهما بنيا في الرملة على شاطئ دجلة[١]، والله اعلم.

جامع قُمرية

هو من المساجد القديمة الواقعة في الجانب الغربي من بغداد، على ساحل دجلة تجاه النادي العسكري، وهو في الأصل الرباط البسطامي[٢] ورباط [أبي][٣] النجيب السهروردي رحمهما الله تعالى. وهذا الرباطان هما على ساحل دجلة في الجانب الغربي من الطرف الشرقي[٤]، وهو أول مساجد بغداد وأصَّحا قبلة، فإن المصلّي فيه لا يحتاج الى أي إنحراف عن محرابه لتَطلّب القبلة، لأن قبلته مستقيمة، ويؤذن فيه ظهراً وعصراً على الشاخص

---

(١) قال ابن الأثير " وبنى الخليفة [الناصر] على قبرها تربة في الجانب الغربي، وإلى جانب التربة رباطه المشهور بالرملة" (الكامل ج٩ ص١٩٨).

(٢) تقدم أن الرباط البسطامي كان على شاطئ دجلة من الجانب الغربي لا الشرقي.

(٣) الزيادة من مصادر ترجمته.

(٤) سبق أن ذكرنا أن وجود قسم غربي من شرقي بغداد، رأي انفرد به المؤلف.

الموضـــوع فــيه، فترى المؤذن في الظهر متى رأى نور الشمس وصل الى جـــذر الحـــائط الغربي وتقلص الظل عن الأرض أذَّن للصلاة صيفاً وشتاءً، وعند العصر يؤذن له.

وهذا المسجد عبارة عن مصلى واسع كبير، تظله قباب ست رفــيعة الـــسمك، معقودة على جدرانه السميكة، والسواري المبنية من الآجر والجص بسمك عريض، أعني أن السارية تكون قاعدتها قدر إثنى عشر متراً مربعاً لأنها ثلاثة في أربعة تقريباً. وفيه منافذ من جهة القبلة على حديقة من أوقافـــه، وأخرى من جهة الشمال على صحنه. وله ثلاثة **أبواب: بابان في شماليه، وباب في غربيه**[1].

وفـــي الـــركن الـــشرقي من المصلى مئذنة مبنية بالآجر والجص، والظاهـــر أنهـــا من الأبنية التي أُجريت أخيراً من قبل عائشة خاتون[2] بنت

---

(١) يـــشغل مـــصلى الجامـــع مساحة ضلعاها ٣١×١٧،٥م، ويتوسط مدخله باب بعرض مترين، وباب آخر في جهته الشمالية الغربية بعرض متر ونصف، بينما تقف المئذنة بلـــصق جـــدار المؤخرة الشرقي في موضع وسط منه. كاظم الجنابي: مسجد قمرية تخطيطه وعمرانه، مجلة سومر، العدد١و٢، مجلد ٢٨ السنة ١٩٧٢.

(٢) ترقى هذه المئذنة إلى عصر تأسيس المسجد، وتتميز ببدانة مفرطة في القسم الأسفل مـــنها، مـــع رشاقة ظاهرة في قسمها العلوي، الذي يعلو شرفتها. وتتميز قمتها بزينة تـــتألف من رصف قطع من الآجر المزجج على نحو متقاطع يشبه أن يكون زخرفة هندسية. ويبلغ ارتفاعها ١١،٧٠م. ويمكن الصعود إليها عن طريق سلم حلزوني يدور في باطنها.

أحمد باشا البوشناق[١] فاتح همدان. وبين يدي المصلى صفة بطوله وعرض ثلاثة أمتار. وعلى يمين المصلى المذكور مصلى صغير يسمى مصلى الشافعية، بنته صاحبة الخيرات زوجة العسافي، ووقفت على المسجد دارها الواقعة في محلة سوق حمادة. وفي المصلى الكبير منبر.

وقد كان في الأصل مسجداً كما يحكي لنا ذلك التاريخ، فقد ذكر في تاج العروس في مادة ق م ر أن مسجد قُمْرِيَّة بضم القاف وسكون الميم، ونُسب بعض أهل العلم إلى هذا المسجد. وقال غيره: أن المستنصر بالله العباسي أمر ببناء مسجد في الجانب الغربي(أسماه قمرية باسم إحدى حظاياه، وهي قمرية خاتون السلجوقية التي رغبت بأن تبني مسجداً للشافعية)[٢]، فبني وتكامل بناؤه في شعبان[٣]، وكان في الجانب الغربي على

---

(١) كرر المؤلف خلطه بين والي بغداد أحمد باشا بن حسن باشا، وهو فاتح همدان، وأبو عائشة خاتون الآتي ذكرها، وبين والي بغداد أحمد باشا البوشناق.

(٢) نقل هذا من مساجد الآلوسي المطبوع، ص١١٤ وليس في المخطوط هذا النص، والصحيح أن قمرية هو اسم الربوة التي أنشئ عليها المسجد، وقد ورد ذكرها في منتصف القرن الخامس للهجرة، أي قبل بنائه بأكثر من قرن ونصف القرن.

(٣) كتاب الحوادث ص١٩. ويفهم مما ورد في كتاب منتخب المختار للتقي الفاسي، تحقيق عباس العزاوي، بغداد ١٩٣٨، ص٢٤٩ أن الذي بدأ بإنشائه الخليفة الناصر لدين الله، ثم أتمه المستنصر. وقد نوه بهذا الجامع الآلوسي: مساجد بغداد ص١١٤ وعبادة: العقد اللامع ص٤٨٣-٤٨٦، كما حظي بدراسات حديثة، منها بحثنا: مسجد قمرية في العصور العباسية، مجلة التربية الإسلامية العدد٣، السنة ٨، شباط ١٩٦٦، وكاظم الجنابي: مسجد قمرية تخطيطه وعمرانه، مجلة سومر، العدد١و٢، مجلد ٢٨ السنة ١٩٧٢، وجابر خليل إبراهيم: مجلة بين النهرين ج١ السنة ١٩٧٣، ص٨٩-

شـــاطئ دجلـــة قـــبالة الـــرباط البـــسطامي[١]، ولما كمل بناؤه نُقلت الفرش (الثمينة)[٢] والآلات وقناديل الذهب والفضة والشموع وغير ذلك، وفتح في شهر رمضان، وأثبت فيه ثلاثون صبياً يتلقون القرآن، ورتب فيه إماماً وملقناً للـصبيان القــرآن الشيخ عبد الصمد بن أحمد بن أبي الجيش الحنبلي، بأمر المستنصر بالله، فإنه -كما يحكى[٣]- قيل للشيخ حينما وقع الاختيار عليه: إن هــذا الموضـــع رسم بأن يكون إمامه شافعياً، فإن رأيت الإنتقال عن مذهب الإمام أحمد، فقال: ما وجدت في مذهبه ما يوجب انتقالي عنه. فأنبئ ذلك الى الخليفة، فقال: يجب تعيينه[٤]. ورتب أيضاً معه معيد يحفظهم التلاقين، ورتب الـشيخ حسن ابن الزبيدي مُحَدِّثاً يُقرأ عليه الحديث النبوي في كل يوم اثنين وخمـــيس، ورُتِّب أيضاً قارئ للحديث، وجعل في المسجد خزانة كتب حمل إليها كتب كثيرة. وكانت مفروشاته الزلالي الغالية الثمن، حتى أن مما يحكى أنـــه فرش فيه زُلّية في وسطها جامات[٥]، كتب فيها (المُلك لله) ، فرأى ذلك الرجل الصالح إسماعيل بن عبد الرحمن الزبيدي، وذلك أيام المستعصم بالله

=١٠٢، وشريف يوسف: جامع قمرية، مجلة الرسالة الإسلامية، العدد ٩٧ السنة ٩، ١٩٧٦، وأنور عبد الحميد الناصري: سوق الجديد ج١ القسم ٣، ص٢٠٦- ٢٣٨.

(١) يفصل بينه وبين هذا الرباط مصب نهر عيسى كما تقدم في بعض تعاليقنا السابقة.

(٢) ليست في كتاب الحوادث ومنه ينقل المؤلف.

(٣) هذا الخبر ورد في حاشية النسخة الخطية لكتاب الحوادث، ومنه ينقل المؤلف، وأثبتناه في طبعتنا ص٢٠.

(٤) في طبعتنا: فقال: نحن نغير.

(٥) جمع جام، وهي هنا: الزجاج أو البلور.

سنة ٦٤١، فذهب إلى ابن مُقبِل وكان قاضي القضاة، وطلب منه رفعها، فقال له: إن أمر هذا المسجد مردود الى وكيل الخليفة شمس الدين أحمد بن الناقد، فمـــضى إليه، وقال له في ذلك، فلم يلتفت إليه، فخرج من فوره ومضى إلى الخلـــيفة، وكان رحمه الله في ناحية الصالحية[١] بنهر عيسى يتصيد، فوصل ليلاً فقام يقرأ القرآن، وكان –عليه الرحمة– كثير التلاوة للقرآن المجيد، فلما ســـمع الخلـــيفة صوته أنفذ إليه من سأله عن حاله، فذكر ما جاء إليه، فأمر الخليفة الوكيل بإزالتها، وأنكر على الوكيل الحال.

ولما وقعت الزيادة في دجلة سنة ٦٥٣ وغرقت بغداد إلاّ أقلها، وزاد الفـــرات أيـــضاً والتقـــى مع دجلة في قوسان[٢]، ووقع بعض مُسنّاة المسجد المذكور[٣]. ثم في غرق بغداد الذي وقع سنة ٦٥٤ في الزيادة العظمى سقط نصف مُسناتها، فعمل سكْرٌ من خشب وأحطاب الطرفاء، ولم يزل ذلك السكر باقياً الى ما بعد واقعة هُلاكو وولاية الصاحب علاء الدين عطا ملك الجُوَيني ســـنة ٦٦٨، فإنـــه في هذه السنة أمر بعمارة المسناة المذكورة[٤]. ثم بتوالي السنين جرت عليه عمارات، منها عمارة عائشة خاتون بنت أحمد باشا فاتح

---

(١) نقـــل هـــذا مـــن كـــتاب الحـــوادث المطـــبوع ص٢١٦، وهي في أصله المخطوط (الصالحين)، وقوله ناحية يدل على أنها ليست من محال بغداد، وأيضاً فإن قوله بعدها " لأجل الصيد" إنما يدل على أن هذا الموضع كان خارج البلد وهو بعيد عنه، إذ يقول بعدها أيضاً" فوصل إليها ليلاً".

(٢) كورة كبيرة ونهر عليه مدن وقرى بين النعمانية وواسط. معجم البلدان ج٤ ص٤١٣.

(٣) كتاب الحوادث ص٣٢١.

(٤) كتاب الحوادث ص٥٠٥.

همذان، وزوجة عمر باشا الذي تولى ولاية بغداد سنة ١١٧٧ هجرية، فإنه – كما تدل عليه الأبيات المحررة على الباب الشمالي– كان قد هوى، فجددت بناءه المشار إليها سنة ١١٧٩، وهاك تلك الأبيات التي هي من كما يظهر منها نظم ضعيف ركيك. قال ناظمها:

قد بَنَتْ هذا البناء المحكم العالي الرصين — عائشة خانم ذات الدُّرّ أم المؤمنين
زوجة المنصور مولانا إمام المسلمين — عمر الباشا أبو الخطاب ذو الرأي المتين
وابنه المرحوم مولانا أبي المد الوزير — أحمد الأفعال والأعمال ذي العقل الكبير
جددت ذا الجامع الخاوي بتكرار السنين — وبَنَته ببناءٍ لم يكن في السالفين
خلَّد الله لها الحُكمَ علينا بسرورٍ وهناء — وحَباها كل خيرٍ بالرَّفاهِ والسنين
وبدار الخُلد أعلا قدرها فوق النساء — جاعلاً منزلها قرب نساء المرسلين
زال عنا الجَور، والتُّقى أنشد في تاريخه: — فات بالجنة باني بيت رب العالمين
١١٧٠[١]

وكُتِب على جدار المحل المعد للوضوء الواقع تجاه الحُجرات الواقعة على يمين مُصلّى الشافعية الأبيات التالية:

وعائشةُ الخيرِ قد عَمَّرت — مكانَ الوضوءِ فضاهى قصوراً
وأجْرَتْ به من نَميرِ المياه — زُلالاً يروي العِطاش دُهوراً
بمتجَرِ إيمانهم أرخوا — (سَقاهم ربهم شراباً طهوراً)[٢]

١٢٣

(١) التاريخ لا يستقيم وحساب الشطر.

(٢) الشطر جزء من الآية الكريمة ٢١ من سورة الإنسان.

ثم اختلّ البناء حتى مال إلى الإمام فتداركه المرحوم سعيد باشا[1] بن المرحوم سليمان باشا الكبير والي ولاية بغداد وذلك سنة ١٢٣٠ وعمره فأعاده الى أحسن مما كان عليه، فأزره داخلاً وخارجاً بالرخام، وطلاه داخلاً وخارجاً بالجص[2]. ولما تم ذلك نُظمت في ذلك الأشعار، فمن ذلك ما كُتب على محراب المصلى كتاريخ لذلك، الأبيات الآتية:

جوامعُ ذكرِ الله بالخيرِ أُسِّسَتْ	ولا زال بانيها يبوءُ بنعمةِ
فيا مسجداً من بعد ما عرصاته	تعفَّت على طول المدى فاقشعرتِ
وصارت حضيضاً يحجل الطير فوقها	وأركانه أقوت وبالذكر هُدَّتِ
بناه وزيرُ العدل ثم أجاده	برصفٍ له الأهرام دانت فذُلَّتِ
وزيرٌ بأعباء الخلافة قائمٌ	تراه سليمان الوزير الخليفةِ
حباه سعيد أسعد الله نصره	وأسعدنا فيه بأحسن سيرةِ
إلى أن أتم الصنع قلتُ مؤرخاً:	سعيدٌ مقيماً جامع القمريةِ

١٢٣٠

وهو الآن جامع عامر بالعبادة، تقام فيه الجمعة والأعياد، كما تصلى فيه الأوقات الخمسة جماعة، وله خطيب وإمام ومؤذن هو خادم أيضاً[3].

---

(١) والي بغداد من ١٢٢٨ إلى ١٢٣٢هـ/ ١٨١٣- ١٨١٦م.

(٢) هذه التفاصيل انفرد بها المؤلف، وفي العقد اللامع ص٤٨٥ أنه " عمر رصيفه المطل على دجلة". وذكر أن وقف عليه أرضاً كانت ملكاً لأبيه سليمان باشا، فلما توفي انتقلت بالإرث إليه وإلى أخوته سارة خاتون، وصادق بك، وصالح بك، فباعوا أسهمهم فيها إليه، فوقفها هذا على الجامع المذكور.

(٣) هذا ما كان في عهده، أما الآلوسي فذكر : وفيه خطيب وإمام وجملة من الخدم.

ويـــدار مـــن قبل متولّيه حضرة ذي الفضيلة الأعلم رئيس مجلس الترقيات الـــشرعية، أي مجلس التمييز الشرعي ببغداد، عبد الملك أفندي الشواف[١]، كمـــا تدار أوقافه من قبله أيضاً. ويعد الجامع المذكور من الأوقاف الملحقة، وكان خطيبه منذ سنة ١٢٦٠ حتى سنة ١٣٢٠ عبد السلام أفندي المشهور

---

(١) ولـــد ببغداد سنة ١٢٨٨هـــ/١٨٧١م، وأخذ العلم على أيدي علماء بغداد، وفي بعض مدارســـها الرشـــدية، وعـــين مدرساً في المدرسة القادرية، ثم مفتياً في البصرة حتى احـــتلال البـــريطانيين لها ، إذ لزم بيته، ثم عين عضواً في مجلس التمييز الشرعي، فرئيساً له، وكان يتولى أوقاف جامع قمرية، فضلاً عن وقف مسجد راس الجسر هذا. تـــاريخ الأســـر العلمية ص٢٥٣ والسهروردي: لب الألباب ج٢ ص٢٤٥ والدروبي: البغداديون ص٣٩.

بالـــشواف[١]، وهو ليس من الشواف بل ابن أختهم، ثم بعده ولده عزّت، وقد بقى أياماً، فوُجِّهت لولده مصطفى تدار من قبل وكيلٍ عنه[٢].

وقد رَوَت الكتب التاريخية أن باب بشير[٣] زوجة الخليفة المستعصم بَـــنَتْ بجواره داراً لتقرئة القرآن أسمتها دار القرآن. ويغلب على الظن أنها كانت بموضع المدرسة العُمَرِيَّة لقول التاريخ أنها كانت على شاطئ دجلة[٤].

---

(١) هو عبد السلام بن الحاج سُعَيِّد (بالتصغير) الكُبَيسي البغدادي، أصله من أهالي نجد، وعرف بالشواف لأن أمه أخت عبد الرزاق الشواف المتوفى سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م. ولـــد في الكرخ سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٨م، وأخذ العلم على علماء مدينته، منهم الشيخ صـــفاء الدين عيسى البندنيجي، الذي أجازه إجازة عامة، فنصب مدرساً في المدرسة القادريـــة، وفـــي مدرســـة جامع السيف، وخطيباً في جامع قمرية، وكانت وفاته سنة ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م. ترجم له المؤلف في تاريخ الأسر العلمية ص٢٥٨ وله ترجمة في المـــسك الأذفر ص٢٠٦ ولب الألباب ج١ ص١٠٠ والبغداديون ص١١٤، ومن أواخر مـــن درس في جامع قمرية الملا نعمان بن الحاج خلف، وكان إماماً في مسجد الشواف أيضاً، وتوفي سنة ١٩٤٩م.

(٢) قال المؤلف في تاريخ الأسر العلمية ص٢٦٣ " إن سبب بقاء جامع القمرية، وحفظه مـــن الانهيار والدثور، ووجود أوقافه التي هي تحت يد المتولي الآن، يرجع إليه" أي إلى الشيخ عبد السلام المعروف بالشواف رحمه الله تعالى.

(٣) جرت العادة أن تعرف نساء الخلفاء بأسماء من كان يقف عند أبواب قصورهن، من الخدم، تنزهاً عن التصريح بأسمائهن، وبشير هذا كان خادماً لسيدته، يقف على بابها، فعرفت بباب بشير. وقد توفيت سنة ٦٥٢هـــ.

(٤) نقل هذا من كتاب الحوادث ص٣١٩ وليس في أصل الخبر ما يدل على موقع هذه الدار بأكثر من أنها كانت على شاطئ دجلة. وأنها افتتحت في سلخ شعبان سنة ٦٥٢هـــ.

وبـــنت بالقـــرب مـــن دار القرآن، المدرسة البشيرية التي جعلها وقفاً على المـــذاهب الأربعـــة، وقد فتحت باحتفال عظيم حضره الخليفة وأولاده فمن دونهـــم[١]، وبَنَت بجنبها تُربةً لها، وقد دُفنت هي وولدها أبو نصر محمد في التربة المذكورة، والظاهر أن القبرين الموجودين في المسجد الصغير بظهر الكُـــودي[٢] المعـــروف بمـــسجد أولاد الكاظم، الذي كان يقيم فيه محمد بن سَرحان[٣]، هما قبراهما لأن المحل قريب من محل هو قريب من دار القرآن

---

(١) شرع ببناء هذه المدرسة في ٦٤٩هـــ، وافتتحت في ثالث عشري جمادى الآخرة سنة ٦٥٣هـــــ. ولا دلـــيل علـــى أنها كانت قريبة لدار القرآن البشيرية، وغاية ما ذكره صـــاحب الحوادث أنها كانت " تجاه قَطُفتا"، كتاب الحوادث ص٣٢٣- ٣٢٤، وقَطُفتا هـــذه كانـــت محلة تقع بين محلة القرية الغربية (محلة السيف حالياً) ومقبرة معروف الكرخي، والظاهر أنها كانت أقرب إلى هذه المقبرة، بدليل ما ذكره صاحب الحوادث مـــن أن الناس خرجوا إلى مقبرة معروف واجتمعوا في باب المدرسة البشيرية (ص ٥٠٥)، ومعنى هذا أنها كانت في أدنى جسر الشهداء الحالي، لا في أعلاه.

(٢) الكودي، بكاف فارسية، ساحة واسعة كانت قبالة جامع قمرية، اتخذتها الحكومة، في عهـــد العثمانيـــين، مثابة توضع فيها البضائع، ثم اتخذت ملعباً رياضياً. وكانت تشغل قطعة الأرض المرقمة ٢٥/٧ ذات التسلسل ٤٧٠.

(٣) نـــوه بهـــذا المسجد محمد خلوصي الناصري في تكملته على مساجد بغداد للآلوسي (نشرناه ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٨٨) فقال أنه يقع "في محلة ســـوق الجديـــد، بالقـــرب من جامع القمرية، بينهما بضع خطوات، كان خربة فجدد تعميـــره بإعانـــة مـــن أرباب الخير والمبرات، وكان يصلي فيه، الشيخ الحاج محمد ســـرحان الآنـــف الذكر، واليوم يصلون فيه الجماعات، إلاّ وقت الصبح، وفي داخله حجرة قبور أولاد الكاظم، تزار". وكان قد ذكر أن محمد السرحان هذا كان يقيم في=

خصص وإن لم يُرْوَ عن أحد أن أولاد الكاظم، الطيب والطاهر، دُفنا هنا،والله أعلم(١).

مسجد حبيب العجمي

هـو مـسجد قريب من جامع قمرية، واقع فوقه عند مركز محطة محجـة [أي] تـراموايـ الكاظمـية، متصلاً بمدرسة المعلمين، فيه مصلى مستطيل، وصفته بين يديه، وفي شمال المصلى تربة فيها قبر حبيب العجمي رحمـه الله تعالى، وبمحاذاتها حجرة فيها قبور، وله إمام، ومؤذن هو خادم أيـضاً(٢). وهـذا الوضع الذي ذكرته هو حسب البناء الموجود الذي هو من

=مسجد التكارتة ص٧٩. وقد عرف هذا المسجد أيضاً بمسجد الصافي، باسم خادمه وساكنه الرجل المنقطع (صافي) الذي أقام فيه مدة طويلة حتى نسب إليه.

(١) زعـم بعض الناس أن هذين القبرين هما لمصطفى ومرتضى ولدي الكاظم (ع)، وقد ذكـر أنـور الناصري أنه لما أريد توسيع مستشفى الكرخ، كتبت الجهات المعنية في المستـشفى إلـى المراجع الدينية في النجف تستفتيها بشأن القبرين في هذا المسجد، فحضر موفد منها ولم يتثبت أن القبرين لولدي الكاظم، وقد أخبرنا بعض أهل المحلة أنَّ القبرين ما زالا قائمين حتى اليوم. سوق الجديد ج١ ق١ ص٤٠٨.

(٢) أشار إلى قبر ينسب إلى حبيب العجمي في الجانب الغربي من بغداد الرحالة مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي، عند نزوله في بغداد سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان الورقة ٤١) وذكر عبادة أن هذا المسجد كان خربة، فعمره والي بغداد داود باشا(العقد اللامع ص٤٨٨)، وفي وقفية داود باشا المؤرخة في ٧ رجب سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م، أنه وقف عقارات عدة فـي سوق المصبغة، منها دكان خباز، ودكان، و(كارخانه) ودكان آخر ملاصق له،=

آثـــار زوجـــة[١] رشيد باشا الزهاوي[٢]، التي أجبرت زوجها على إشادة هذا المـــسجد، لما رأت من خلله وتداعيه، وكان بناؤه سنة ١٣٢٠ هجرية[٣] أيام ولايـــة نامق باشا صِهر بيت الآلوسي، حتى أنه أراد -عفى الله عنا وعنه- ادخـــال القطعـــة مـــن الأرض الـــواقعة بين المسجد والقشْلة، المسماة بقشْلة الدَميرخانة[٤] التي أصبحت الآن مدرسة المعلمين، بعد ادخال تلك القطعة فيها وبـــنائها مـــن قبل الفريق الأول حسين ناظم[٥] باشا، على أن تكون مدرسة للضباط الصغار (كُوجُك ضابِطان)[٦]. أما هو قبل هذا، فمسجد مشتمل على

ملاصـــق له،= =وجعل التولية إلى متولي مدرسة الحيدرخانة. وممن شهد على هذه الوقفـــية محمـــد أفندي بن سلمان الإمام في المسجد المذكور، ولعله أول إمام فيه بعد تعميره إياه. معالم بغداد ص١٥٥.

(١) هـــي السيدة أمينة بنت الشيخ عثمان سراج الدين النقشبندي، توفيت سنة ١٣٢١هـــ/١٩٠٣م ودفـــنت في حجرة مجاورة لحجرة قبر حبيب العجمي، بينها وبين مبنى دار التربية الإسلامية، كما هو مثبت في شاهد قبرها هناك، وقد اندثر الآن. وقد دفن إلى جوارها زوجها رشيد باشا سنة ١٣٢٩هـــ/١٩١١م.

(٢) هو رشيد باشا بن محمد فيضي الزهاوي، المتوفى سنة ١٣٢٩هـــ/١٩١١م.

(٣) ويوافق أولها ١٠ نيسان ١٩٠٢م، وذكر عبادة أن تاريخ تعميره على يد رشيد باشا هو سنة ١٣١٦هـــ/١٨٩٨م. العقد اللامع ص٤٨٩.

(٤) القشلة هي الثُكنة، والدَميرخانه، من التركية: ومعناها معمل الحدادة.

(٥) والي بغداد من ١٣٢٨- ١٣٢٩هـــ/١٩١٠- ١٩١١م.

(٦) وهـــم مـــا يُسمَّون بضباط الصف. وهذه المدرسة هي التي أنشئت في أرضها ثانوية الكرخ للبنين.

المصلى والحجرة المشتملة على القبر والصفة[1]، وكان متماثلاً إلى الانهدام، ولكـــن راتب إمامه، الذي كان بعين الزمان خادماً ومؤذناً وكل شيء، يُؤدَّى من قبل الأوقاف، وقد غدا الآن مفروشاً بالفرش.

وحبيب العجمي هذا الذي يروى أن القبر له، يقال أنه من ملوك فارس، أخذ عـــن الحـــسن البصري الطريقة، وانتهت إليه الرئاسة بعد الحسن البصري، وعـــنه أخذ داود الطائي ابن نصير. كان –رحمه الله– كثير الخوف من الله تعالـــى، يبكي الليل كله، ولا يشغل عن طاعة ربه وذكره. وكانت وفاته في القـــرن الثـــانـــي، حـــوالـــي مائـــة وأربعيـــن. قيل: إن وفاته في البصرة، وقبره هنـــاك[2]. وقـــال آخـــرون: إنـــه تـــوفـــي ببغـــداد ودفـــن بالجانب

---

(١) تقـــع حجـــرة القبـــر على يسار الداخل إلى المسجد، ويبلغ ارتفاع الحجرة نحو ثلاثة أمـــتار، وهـــي مربعة، في كل جدار منها إيوان، وتعلو الحجرة ثمانية حنيات، لتستند علـــيها قبة على هيئة نصف كرة، وهي تخلو من الزينات الآجرية، وفيها نافذة تقابل الباب تطل على حجرة محاذية فيها ثلاثة قبور، سيرد الكلام على أصحابها فيما يأتي، وقـــد انهـــارت هذه الحجرة الثانية منذ زمن، وبقيت القبور في العراء، وهي دارسة، وزال ما كان عليها من شواهد تذكارية. وثمة نافذة أخرى في الجدار الذي يلي الباب مـــن يسراه. أما المصلى فيقع مقابل حجرة القبر على يمين الداخل إلى المسجد، وقد زرتـــه، والسيد زين النقشبندي، في ١٧ نيسان ٢٠٠٦، فوجدنا أن الأوقاف قد نقضت هـــذا المـــصلى تمهيداً لإنشاء مصلى له جديد، ولم ندر ما سيأول إليه أمر القبة التي تكتنف القبر. أما قبر حبيب العجمي، فقد وضع عليه صندوق قديم من الخشب.

(٢) شـــاهد ابن بطوطة قبره في البصرة سنة ٧٢٧هـــ، تحفة النظار ج١ ص١١٧. وما زال قبره معروفاً مزاراً في قرية الدريهيمية في البصرة، وعلى الرغم من هذه البينة القـــوية أدعى بعضهم أن والده (الآثاري الكبير) كتب بحثاً يويد فيه أن دفين المسجد=

الغـــربـــي منهـــا، ومـــرقـــده هنـــاك[1]، وممـــن قـــال ذلك صـــاحـــب

=هـــو حبـــيب العجمي نفسه، وأنه بحث عنه ولم يعثر عليه!، أنور الناصري: سوق الجديـــد ج١ ق٣ ص١١٨، وفاته أن وفاة حبيب العجمي سبقت تأسيس مدينة السلام بخمس سنوات كاملة.

(١) وأول إشارة إلى وجود قبر ينسب إليه في بغداد وردت في قائمة بأسماء مراقد أولياء بغـــداد، ترقـــى إلى القرن الحادي عشر للهجرة (١٧م) كما نوه به الرحالة مصطفى الـــصديقي الدمـــشقي فـــي زيارتـــه لبغداد سنة ١١٣٩هـــ/١٧٢٦م، ورجح الدكتور مصطفى جواد أن يكون صاحب هذا القبر هو أبو القائم عمر بن مسعود البزاز، فإنه" بنـــى لنفـــسه رباطـــاً أسكنه جماعة من الفقراء، وكان له زاوية قريبة منه .. ودفن بـــرباطه" وأن هذه الزاوية كانت " إلى جانب مسجد بالجانب الغربي قريباً من جامع العقبة". (دليل خارطة بغداد المفصل ص٢٩٩) و"محلة العقبة هي المحلة الواقعة وراء نهـــر عيـــسى" وقوله " وراء" لا تفيد أنها تقع على هذا النهر رأساً، بينما يقع مسجد حبيب العجمي في موضع يقدر أنه على نهر عيسى، لأنه يجاور جامع قمرية، وجامع قمـــرية كـــان يقـــع على مصب هذا النهر، ومن معالم العقبة وجود قبر الشيخ بشار الـــزاهد، ومسجد بشار، حيث يقع اليوم، بعيد نسبياً من مسجد حبيب العجمي، وذهب أنور الناصري (سوق الجديد ج١ ق٣ ص١٢٠) إلى أنه قبر الخليفة المستضيء بأمر الله، الـــذي ذكـــر المؤرخـــون أنه كان "على شاطئ دجلة، بقصر بني المأمون" (ابن الكازرونـــي: مختـــصر التاريخ ص٢٣٩) وبما أن هذا القصر كان عند جسر لبغداد، المتصل من جهته الأخرى بشريعة الميدان، ومن جهته الغربية قريباً من مكان مسجد حبيب العجمي، وأن قبر المستضيء كان بجوار جامع فخر الدولة، الذي تقدم أنه كان يقع في محلة قصر عيسى المطلة على نهر عيسى، فإن مثل هذا الترجيح يكون أقرب إلى الاحتمال، ويمكن أن نضيف هنا أن الرحالة التركي مطراقي زاده الذي زار بغداد ســـنة ٩٤١هـــ/١٥٣٨م ورسم صورة لها بريشته، رسم مسجداً بمئذنة، يجاوره قبر=

روضـــة الناظرين[١]. وله مناقب وكرامات مشهورة، ومن كلامه رحمه الله (من سعادةِ المرءِ أنْ تموت معه ذنُوبُه إذا مات).

وكـــان هـــذا المسجـــد مَحَط رجـــال رواد العلـــوم ، فقـــد كـــان عمـــي المـــرحـــوم الـــسيـــد عـــبـــد اللطـــيف أفـــنـــدي الـــراوي[٢] مـــدرس الحـــضـــرة القـــادريــــة يُـــدرِّس فيـــه صبـــاحـــاً وعصراً وليلاً قبل أن يكـــون مدرساً للقادرية، ولما صار مدرساً فيها كان يُدرِّس فيه عصراً وبعد العشاء، ثم بعد وفاته خلفه غلام الرسول أفندي البِشاوري[٣]، وكان من آيات

=علـــيه ميل، أي قبة مخروطية من الطراز السلجوقي، الذي شاع في أواخر العصر العباسي، في موقع يطابق مسجد حبيب العجمي وما يقرب منه من مواضع، ومع ذلك فـــإن هـــوية صـــاحب هـــذا القبر تبقى رهينة الترجيح إلى حين العثور على أدلة أو نصوص جديدة.

(١) هـــو (روضــــة الناظـــرين وخلاصة مناقب الصالحين) تأليف محمد بن عبد الله بن المبارك بن محمد بن خزام الواسطي الرفاعي البغدادي.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) هـــو غلام رسول الهندي، عالم فاضل من أهل الهند، وفد إلى بغداد سنة ١٣١٣هـــ/ ١٨٩٥م، وتولـــى التدريس في المدرسة العمرية في الكرخ، حيث أقام هناك، ثم عين مدرســـاً في مدرسة مندلي الدينية مدة من الزمن، وعاد بعدها إلى بغداد حيث استمر في التدريس، وتخرج على يديه علماء كان لهم شأن في توجيه الحياة الثقافية، وتوفي ســـنة ١٣٣٠هـــــ/١٩١١م. وصـــفه السيد محمد سعيد الراوي بقوله" العالم الفاضل المـــنقطع النظير رحمه الله تعالى" . تاريخ الأسر العلمية في بغداد ص٢٥٣، ومساجد بغـــداد فـــي كتابات الأجداد ص ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٦، وهاشم الأعظمي: تاريخ الإمام الأعظم، بغداد ١٩٦٧، ج٢ ص٢٧٩، وإبراهيم الدروبي: البغداديون ص١٣٩.

الله فـــي المعقول، فجعل يُدَرِّس فيه صُبحاً وبعد العصر[1]، رحمة الله عليهم أجمعين.

تكية زين العابدين

هي البنْيَة المشتملة على حجرة، بقربها حجرة أخرى، فيها قبر، وبين يـــدي تلك الحجرة صفة، [و]أمام تلك الصفة حديقة صغيرة، فيها شجرة من الـــتوت وبعـــض النـــباتات، وكـــان يأوي إليها شذاذ الأعاجم ممن يسمونهم (قلندرية)[2] وبعض الفقراء. ولما بنى نائب السلطنة عم ناصر الدين شاه ملك العجـــم وشـــاههم داره المعروفة بدار بيت الإيلجي[3]، والتي اشتراها أخيراً الـــسيد جعفر السيد هاشم الخَرسان[4]، أدخل تلك التكية في داره، ولكنه جعل

---

(١) ذكـــر الدروبـــي أنه كان للشيخ غلام رسول مجلس في جامع حبيب العجمي يحضره أكابـــر الطلاب، منهم العلامة عبد الوهاب النائب، والعلامة عباس القصاب، والعلامة الـــسيد يوســـف العطـــا، والعلامة سعيد النقشبندي، والعلامة السيد أحمد السيد ياسين الكيلاني، وطاهر جلبي الراضي، وغيرهم. البغداديون ص١٣٧.

(٢) القلـــندرية اســـم لطريقة صوفية متحللة من آداب الشريعة الإسلامية، وجدت بعض الانتشار بعد احتلال المغول للمشرق الإسلامي.

(٣) إيلجي: فارسية- تركية، وتعني السفير، أو المندوب فوق العادة.

(٤) هـــو الـــسيد جعفر بن محمد بن سلطان من الأسرة المعروفة بآل الأحول، أحد كبار تجار بغداد، ولد سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م، وتوفي سنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م، وقد انتقل إلـــى هذه الدار التي يشير إليها المؤلف في سنة ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، وكان قبل ذلك يـــسكن في دار أنشأها في سوق العطارين (الشورجة) ببغداد. وهو والد السيد ضياء جعفـــر، الوزيـــر في العهد الملكي في العراق. كتابنا: ضياء جعفر، سيرة ومذكرات، بغداد ٢٠٠١، ص٦-٧.

لهـا بابـاً لـزيارة القبر المذكور، وهو عند العامة معروف بقبر علي زين العابـدين. كمـا أن ذلـك الباب أيضاً صَيَّره مَسلَكاً للمار من الباب الكبرى الـشرقية الى جهة الغرب، لأن الطريق العام كان من هناك، وحيث أنه بنى الـدار، ولأجـل ان تكـون على دجلة غَصَب الطريق فوقعت شكايات من الأهالـي عند والي بغداد نامق باشا الكبير[1]، فأفهمهم أنه[2] ضيف الحكومة العثمانية، وان الحكومة لا ترى التعرض له في ذلك، ففهم هذا الأمر، فجعل هـذا الـباب كـيلا ينقطع الطريق، وأذن للناس بالمرور من وسط داره في الجانـب الغربـي قرب مسجد معروف الكرخي[3]، رحمه الله وقدس سره. وموضـع مسجد معروف هو شرقي المُسنّاة (الرصيف) الواقعة تحت الدار المذكورة، وكان معروفاً عند عامة الكرخيين بأنه مدرس زين العابدين، وبهذه الحجـة جعلت المعارف زمن الحكومة العثمانية تؤجِّر المشرعة التي هناك، والتـي يعبر عنها بمدرسة زين العابدين باعتبار أنها من الأوقاف المندرسة، التـي يعـود أمرها إذ ذاك الى المعارف. وأخيراً أخذها الحاج محمود جلبي

(١) تولـى بغداد مرتين، الأولى من ١٢٦٧ إلى ١٢٦٨هـ/١٨٥٠- ١٨٥١م، والأخرى من ١٢٧٨- ١٢٨٤هـ/١٨٦١- ١٨٦٧م.

(٢) الضمير هنا عائد إلى نائب السلطنة، وليس إلى السيد جعفر.

(٣) يقـصد المـسجد الذي كان مصلى الشيخ معروف الكرخي، ويقع على ضفة دجلة، وليس المسجد الذي أقيم عند قبره، والمعروف بجامع الشيخ معروف. وتقدير المؤلف بأنه يقع في بيت الإيلجي، مجاوراً لإعدادية الكرخ للبنات، صحيح، أو ممكن في أقل تقدير، لأن مسناة هذا المسجد كانت تقع، بحسب كتاب الحوادث ص٣٢٠، على شاطئ مسجد قمرية.

التكريتي بن الحاج أحمد، الذي كان رئيس البلدية أيام ولاية المشير أحمد فيضي باشا[1]، بالإجارتين، وعمَّرها مقهى ولا تزال قائمة تحت تصرف ورثته[2].

ومسجد معروف هذا مسجد كان يأوي إليه في حياته ومحله في المحلة المعروفة بالقُرَيَّة[3]، وكان منذ القدم واقعاً على دجلة قرب الدار التي ملكها الفخر علي بن عيسى، وقد سقطت مُسنّاته في الغرق الذي وقع بسبب التقاء ماء الفرات ودجلة سنة ٦٥٣، وبقي خراباً حتى استيلاء التاتار على بغداد، وولاية المرحوم الصاحب علاء الدين عطا ملك بن محمد الجويني، فعمره خاله ضياء سنة ٦٦٤، ولكنه لم يكمله فكمله صاحب الممالك رحمه الله تعالى شمس الدين أخو الصاحب علاء الدين، تولى ذلك نيابة عنه بهاء الدين علي بن الفخر عيسى الإربلي الذي كان منشئاً في ديوان بغداد سنة ٦٧٨[4].

ثم بتوالي النكبات والتخريبات التي أجراها الأعاجم في الجانب الغربي أيام الصفوية وغيرهم من نادر شاه[5] وأضرابه، نقض المسجد والدار وغيرهما

---

(١) تولى بغداد وكالة من ١٣٢٠ إلى ١٣٢٢هـ/١٩٠٢- ١٩٠٤م.

(٢) هو المقهى الذي كان معروفاً بمقهى الشط، وقد أنشئ سنة ١٣٣٥هـ/١٩١٦م.

(٣) بهذا التحديد تكون القرية قرب جامع قمرية، وليست تحت جسر الشهداء الحالي كما قدر من قبل.

(٤) هذا الخبر بتمامه من كتاب الحوادث ص٣٢١ وص٤٤٥.

(٥) حاصر نادر شاه الجانب الغربي من بغداد سنة ١١٤٥هـ/١٧٣٢م وسنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م وسنة ١١٥٦هـ/١٧٤٣م، ولم يستطع، في كل مرة، أن يقتحم هذا الجانب، بسبب مقاومة أهله، فلا علاقة له بما أصاب هذا المسجد من تخريب.

لأجل أخشابهما، ثم نقضت الأحجار للاستفادة منها من قبل الناس، ولوجود القبر عُمِّر القبر من بعض الإيرانيين العارفين به على الصورة التي ذكرنا، فبقي على ما هو عليه، حتى استولى عليه نائب السلطنة. ولا يزال القبر حتى الآن قائماً، ولكنه وسط الدار خلف القطعة المقتطعة من دار علي المذكور، والتي جعلت داراً، [و]هي حتى الآن تحت تملك ورثة أسد خان[1]، وهكذا شأن الدنيا، فقد أصبح المسجد في الماء لاعين له ولا أثر! وعُمِّر شيء يقال أنه المدرسة المنسوبة إلى علي بن الفخر عيسى باعتبارها مدرسة زين العابدين، أو مسجد معروف، وشيد في موضع الدار دار ولا عجب.

إن تسعد الأرض أو تشقى فلا عجبٌ فللزمان تصاريفٌ أرانيها

مسجد الشيخ بَشّار

هو مسجد صغير[2] واقع فوق بيت

---

(١) تنتسب أسرة الحاج أسد خان من جهة الأب إلى الحاج محمد حسين الصدر الأعظم الإيراني في عهد فتح علي شاه القاجاري، ومن جهة الأم إلى أسرة الشاهات القاجارية، وللأسرة صلة رحم بعائلة آغا خان المعروفة بالهند، وقد ورث داره هذه ابنه حميد خان، النائب في المجلس النيابي، المتوفى سنة ١٩٤٣م. جعفر خياط: فصول من تاريخ العراق القريب، بيروت ١٩٧١، ص١١٨.

(٢) كان هذا المسجد كبيراً، وسعته الأوقاف سنة ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م إلاّ أنه هدم بسبب فتح شارع موسى الكاظم، ثم أنشأه مرة أخرى سنة ١٣٥١هـ السيد صالح السيد مصطفى الجوتة كما أثبت ذلك في كتابة عليه، نقلها السيد رؤوف الشيخلي. المعجم=

الإيلْجـــــي[١]، أعني أن المار في الشارع العام الآن الواقع فوق دار السيد جعفــر، عند ركنها الغربي، يرى درباً صاعداً إلى الدور العليا، فإذا سار في ذلــك الدرب قدر عشرين خطوة رأى على يمينه مسجداً صغيراً فيه مصلى، [و]علــى يسار المصلى قبر يسمونه قبر الشيخ بشار، ولا يعلم من هو بشار هــذا، وقد تتبعت الآثار عنه فلم أقف عليه. نعم سمعت من المرحوم خضر أفــندي العاني بن يوسف المعروف بكركور بأن الشيخ بشار هذا كان رجلاً من الفقراء، وكان يضرب الدفوف، فتوفي في الطاعون[٢] ودُفن في داره هذه التــي اتخــذت بعــده مسجداً. وكان في جواره رجل يعمل الجِرَك ويسمى الجِرْكَجــي- والجِــرَك نــوع من الخبز يشوى في الفرن وهو معروف عند العــراقيين- فمد يده الى هذه الدار وأدخلها مع القبر في داره تجاوزاً[٣]، فقام رجــل يسمى محمد آغا ابن فطايِم وهو في الأصل من بقايا الينيجرية، الجند المعــروف فــيما مضى. واشتكى على هذا الرجل الشيعي، وبعد المراجعات

=الجغرافــي ص٢٤٥. ويقــع المــسجد اليوم على يسار الشارع المؤدي من ساحة الــشهداء إلى شارع الإمام موسى الكاظم، وقد ثبتت على بابه رخامة تشير إلى سنة تعميره سنة ١٣١٠، وهي منقولة من الجامع القديم.

(١) الإيلجي، لفظة فارسية- تركية، تعني السفير أو المندوب فوق العادة.

(٢) يظهــر أنه يريد الطاعون الجارف الذي داهم بغداد في آخر سني حكم داود باشا سنة ١٢٤٦هــ/١٨٣١م.

(٣) نوه عبادة به، وإن من يصرح باسمه، أو مهنته، فقال" ادعى ملكيته أحد الخائنين في الدين، والزائغين عن الصراط المستقيم، وجعله بيتاً يسكن فيه". وهذه التفاصيل انفرد بها المؤلف.

والمحاكمـــات، أثـــبت ذلـــك فحكم على ذلك الرجل بلزوم رفع يده عن هذا المحـــل، ونفذ ذلك اجراءً، فبنى هذا المحل مسجداً كما كان قبل ذلك، وأخرج منه دكاناً ليكون مستغلاً[1]، وعين فيه إمام، وهو مؤذن أيضاً، ذلك هو الملا محمد صالح خال إسماعيل بن خليل أغا أحد كولات[2] داود باشا رحمه الله، فحصل هذا يؤذن ويصلى فيه. وكان المارون والعابرون وبعض المجاورين من السنة يصلون معه جماعة، وكان مع هذا يدرس فيه الصبيان القرآن، وله راتـــب للإمامة يتقاضاه من البلدية الثالثة، أعني بلدية جانب الكرخ، خصص له ذلك الراتب أيام المرحوم الحاج حسن باشا[3] حتى توفي الإمام المذكور.

وكـــان مكتوباً على باب المسجد بعد أن عمره محمد أغا المذكور رحمه الله تعالى الأبيات الآتية:

ذا مـــسجد رب التقـــى أنقـــذه	**مـــن امـــرئ خـــان وبالحـــق غـــدر**
أســـسه بيـــتاً لـــه مـــذ درســـت	**أطلالـــة وقـــد خفـــى مـــنه الأثـــر**
[فـــلاح ســـر الـــشيخ بـــشار لـــنا	**حـــين اســـتبان قـــبره إلى البـــشر**
معـــه قـــبر قـــد حـــوى خـــير فتـــى	**بين الملا بالـدين والـزهد اشتهر][4].**

---

(١) قال عبادة " وليس له وقف البتة".

(٢) جمع عربي للفظ كوله التركي، ويعني مملوك.

(٣) هو والي بغداد الحاج حسن رفيق باشا ١٣٠٩- ١٣١٤هـ/١٨٩١- ١٨٩٦م.

(٤) هـــذان البيـــتان حـــذفهما مهذب كتاب مساجد بغداد للآلوسي، ومنه نقل المؤلف فيما يظهـــر، وهمـــا موجودان في الأصل المخطوط، وفي العقد اللامع ص٥٠٠، ويشير أولهما إلى أن كرامة صاحب القبر هي التي أدت إلى رد دعوى من استولى عليه.

فالـــسعد مـــذ تم لـــنا بـــناؤه   أرَّخـــه وقـــال: بـــالله ظهـــر

١٣١٠[1]

وقـــد تتبعت كتب التاريخ فعثرت في الجزء الثاني عشر في الصفحة ٦٧ مـــنه[2] علـــى أن علي بن محمد بن بشار المحدث الزاهد ذو الكرامات الظاهـــرة دفن في محلة العقبة قريباً من النجمي[3] ومحلة العقبة هي المحلة الواقعة وراء نهر عيسى[4] وهي محلة القبر[5].

---

(١) إن مجموع حساب الجمل لقوله: بالله ظهر، هو ١٣٠٩.

(٢) لم يذكر من أي كتاب أراد، وهو تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

(٣) جاء في تاريخ بغداد للخطيب، الموضع الذي يشير إليه، ما يأتي" مات أبو الحسن بن بشار الزاهد يوم الجمعة لسبع خلون من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وثلثمائة، قلت: ودفن بالعقبة قريباً من التحمي (كذا والصواب: النجمي)، وقبره إلى الآن ظاهر معروف يتبرك الناس بزيارته". وقال ابن الجوزي (المنتظم ج٦ ص١٩٨)" ودفن يوم الخمـــيس بمـــشرعة الساج من الجانب الغربي ببغداد، وقبره اليوم ظاهر يتبرك به". فـــتكون مـــشرعة الـــساج هذه هي شريعة بيت النواب (قرب ثانوية الكرخ للبنات)، وتكون محلة النجمي المذكورة هي محلة الشيخ بشار وما حولها. وينظر دليل خارطة بغداد المفصل ص١٧٢.

(٤) يـــؤيد هذا ما ذكره الخطيب في ترجمة حمزة الدهقان المتوفى سنة ٣٤٧هـــ " سكن العقبة وراء نهر عيسى ابن علي قريباً من دجلة" (تاريخ بغداد ج٨ ص١٨٣).

(٥) عند هدم مسجد بشار هذا، وضع رفاته في كيس من القماش ودفن في بقعة من حديقة صـــغيرة جانبية في مسجد الشيخ صندل مؤقتا، ثم أعيد هذا الرفات ليدفن في موضع تحـــت سلم مسجده الصغير بعد أن أعادت بناءه الأوقاف، ورفعت عليه دكة صغيرة وضـــع عليها برقع من القماش الأخضر. صادق الجميلي: تعليقـــات وملاحظـــات=

مسجد رأس الجسر

عـند رأس الجسر من الجانب الغربي مسجد واقع فوق الجسر، وهو عبارة عن مصلى صغير، بين يدي المصلى صفة بقدره، في غربها قبر، له ساحة صغيرة، وعلى يسار الصفة حجرة في الطبقة العليا، تحتها حجرة بقدرها.

وهو في الأصل مسجد صغير يتيم(١)، بعثره الزمان، وكان محراب قبلته قد وُضِع مُنحرفاً عن القبلة إلى الغرب انحرافاً فاحشاً، فأقدم المرحوم داود باشا على تجديده(٢)، وعمر بجواره دكاكين جعلها وقفاً عليه، وعمر فيه الحجرتين

=على كتاب سوق الجديد، جريدة العراق، العدد ٤٦٩٨، حزيران ١٩٩١م، أعيد نشره في كتاب سوق الجديد، ج١، ق٤، ص٢٢٥. وكان بعض الكتاب قد ذهب إلى أن هذا الرفات نقل إلى مقبرة الشيخ معروف الكرخي حيث دفن هناك.

(١) لا يعلمُ تاريخ هذا المسجد قبل أن يجدده داود باشا في عهد ولايته، وذكر عبادة أنه كان، قبل تجديد داود" خربة لقدمه" (العقد اللامع ص٥١٤)، ووصفه بعد تجديده بأن مصلاه صغير، وسقفه مغطى بالخشب والحصير والقصب، وقدامه طارمة. وقال الآلوسي(مساجد بغداد ص١٢٥) " قديم العهد، فيه مصلى صغير وفناء مثله وحجر". وقد وقفنا على ذكر لرجل يدعى ملا ياسين بن عصاف، كان إماماً في مسجد سر جسر (سر، تركية بمعنى رأس)، بوصفه شاهداً على وقفية مؤرخة في سنة ١١١٧ هـ/١٧٠٥م.

(٢) في العقد اللامع أن" هذا المسجد من منشآت آل الشواف"، والظاهر إن نسبة المسجد إلى هذه الأسرة جاءت بسبب الوقف الذي وقفه عليه طه بن عبد الرزاق بن محمد الشواف، وهو يتألف من ثلاثة دكاكين متصلات بالمسجد، يعطى من خلتها للإمام والخادم، وأن التولية تكون للواقف، ثم إلى ذريته من الذكور، ثم من النساء. وكان=

المذكورتين على أن تكون مدرسة، وجعل المدرس الشيخ عبد العزيز أفندي الشواف[١] بن الملا محمد الشواف، وأودع إليه الأوقاف المذكورة؛ وكان للشيخ عبد العزيز المذكور وجاهة لدى الوزير المشار إليه لأنه كان وإياه يدرسان على السيد صبغة الله افندي الزيارتي[٢].

ولما تم بناء المسجد المذكور أرّخه السيد عمر بن رمضان[٣] بأبيات كتبت على دار المصلى بالكاشاني من جهة الخارج، وكانت كما يلي:

=المسجد يقع في الجهة المقابلة لنهاية سوق السيف القديم الزائل، قرب ساحة الشهداء حالياً (أنور الناصري: سوق الجديد ج١ ق٤ ص٢٢٥)، وقد أزيل تماماً وأدخلت أرضه في ساحة الشهداء، ثم شيد جامع كبير في محلة اليرموك، إحدى ضواحي بغداد الغربية، باسم جامع الشواف.

(١) ولد ببغداد وأخذ العلم على يد الشيخ عبد الله الراوي وغيره، ثم تتلمذ على يد الشيخ صبغة الله الزيارتي، وتوفي سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٦م. ترجم له المؤلف في كتابه (تاريخ الأسر العلمية) ص٢٤٣- ٢٤٤.

(٢) هو العلامة عبد الرحيم بن ملا مصطفى الملقب بصبغة الله الزيارتي أو الزياري، نسبة إلى قرية (زيارة) القريبة من مركز قضاء شقلاوة في محافظة أربيل، درس في بغداد، وفي البصرة وتتلمذ عليه يده كثيرون، ينظر عنه ابن سند: مطالع السعود ص ٣٨١، ٣٩٥.

(٣) هو عمر رمضان بن محمد بن علي بن درويش الهيتي، أديب، شاعر، له اطلاع على اللغة وإن لم يؤلف بها، ومراسلات أدبية مع معاصريه من الأدباء والشعراء، وكانت له معرفة بوقائع العرب، خطاطاً مجوداً، عيّنه والي بغداد داود باشا (١٢٣٢- ١٢٤٦ هـ/ ١٨١٦- ١٨٣٠م) وكيلاً عنه في مدينة هيت على الفرات. توفي سنة ١٢٥٥ هـ/١٨٣٦م. نعمان خير الالوسي: حديقة الورود (مخطوط) ومحمود شكري=

ذا مسجدٌ قد شكى ضيقاً فوَسَّعه داود مَن ينصف المشكو والشاكي

وكان مُنحرِفاً محرابُ قِبلتَهِ قدماً فسوَّاه عن علمٍ وادراكِ

مذ تم بنيانه نادى مؤرخه داود شيد هذا المسجد الزاكي

١٢٤٢

وبقيت توليته يتوارثها آل الشواف، فإنها بعد وفاة عبد العزيز صارت إلى أخيه المرحوم عبد الرزاق أفندي الشواف(١)، ثم منه إلى ولده مفتي البصرة المرحوم طه افندي الشواف(٢)، ثم منه إلى ولده رئيس مجلس التمييز عبد الملك أفندي الشواف(٣) وهي بيده الآن.

=الالوسي: المسك الاذفر ١٩٥-١٩٧ والعزاوي: تاريخ الادب العربي في العراق ٢/ ٥١، ٣١٥، وتاريخ العراق بين احتلالين ٦٧/٦ ومحمد بهجة الأثري: مبحث في مجلة المعرض (بغداد س٢ م٢ ص٤١و ٩٦) ومجلة النور (بغداد س ١ ج ١ ص ٢١ ، ١٩١٤) والبصير: نهضة العراق الأدبية ١١٧ والدروبي: البغداديون ٢٦٢.

(١) ولد حوالي سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م وأخذ العلوم على أيدي علماء أسرته، ثم اشتغل بالأدب حتى عد من أدباء عصره، وتولى الخطابة في جامع قمرية، وتوفي سنة ١٢٦٨هـ/١٨٥١م. تاريخ الأسر العلمية ص٢٤٥.

(٢) ولد سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م، وتخرج على أيدي علماء بغداد، وعين مدرساً في (الرزازة) وفي (الرمادي) ثم مدرساً ومفتياً في قضاء سامراء، فالرمادي ثانية، ثم عين مفتياً في البصرة حتى وفاته سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م. تاريخ الأسر العلمية ص ٢٤٩- ٢٥١ والدروبي: البغداديون ص٣٨.

(٣) تقدم التعريف به.

وقد لعبت الحوادث بهذا المسجد، فإنه بعد وقوع احتلال الحكومة البريطانية بغداد وسَّعَت الطريق الواقع في شرقيه، فمالت عليه، وأخذت قسماً منه فادخلته في الطريق المذكور، كما أنه بسبب ارتفاع الطريق أوجبت الحالة دفن الجامع ليساوي الطريق، فدفن حتى انعدمت الحجرة السفلى، ورفع سقف المسجد، وبني غرفة مطلة على الجسر يصعد إليها بدرج من الجامع، فوق سقف الدكان المقابل للجسر، وبنى على الطريق دكاكين للاستغلال.

أما القبر فقد أصبح في الطريق نصفه، أعني أن رأس القبر غدا تحت الطريق، وقد عُقد عليه طاق، والنصف الباقي في المسجد وعليه شباك من الطريق، وتسمي العامة هذا قبر بنات الحسن، والشيعة تحترمه بهذا الاعتبار ولا تعرف صاحبه أيضاً، وتوقد عليه الشموع تقرباً، وتجلله بالسواد أيام عاشورا، أعني تضع الخام المصبوغ حول الشباك المطل على القبر من الطريق، وتنصب على جنبتيه الرايات السود، وإذا سُئلوا عن صاحب هذا القبر قالوا: قبر بنات الحسن. والظاهر أنه قبر أحد العلماء الصالحين[1]،

---

(١) واضح من هذا أن مسجد رأس الجسر، هو نفسه المسجد الذي عرف بمسجد بنات الحسن، بينما يفهم مما ذكره السيد أنور الناصري(سوق الجديد ج١ ق١ ص٥٦) أنهما مسجدان، ونقل عن عبد اللطيف الشواف أن المسجد سمي بنات الحسن للتمويه والتعمية، ولم يكن فيه سوى قبر واحد، هو لمصطفى الشواف، أحد أجداد العائلة. وقد هدم هذا المسجد مع منشآت عديدة أخرى، وأصبح موقعه ضمن الساحة الواقعة أمام عمارة وقف داود باشا، التي شغلتها مديرية التقاعد العامة، المخصصة لوقوف السيارات. جواد الظاهر: محلة الفلاحات، بغداد ٢٠٠٥، ص٢١٩.

ولخوف نَبْش الأعاجم له أيام استيلائهم على بغداد أطلق عليه هذا الاسم، قبر بـنات الحـسن، ليسلم من شرهم، وتلقى ذلك العامة فبقي معروفاً به. وغير خفي أن المسجد المذكور واقع فوق مشرعة الروايا لأن الجسر منصوب بينها وبين مشرعة الحطابين[1].

مسجد السِّيف

هو المسجد القديم المُطِل على مشرعة الروايا[2]، وكان موجوداً منذ العصر السادس، أي انه واقع شرقي الجسر في الجانب الغربي على مشرعة بـاب الـسِّيف. وهـو قديم العهد، وقد شاهده ابن جبير[3]. ثم لما تبعثر تقدم

---

(١) ذكرنا من قبل أن مشرعة الروايا كانت قريبة من مدينة السلام التي أسسها أبو جعفر المنـصور، في أرض العطيفية الحالية، فلا صلة لهذا الجسر إذن بجسر بغداد الوحيد في العصر العثماني، وهو الذي كان يقع في مكان جسر الشهداء الحالي.

(٢) ينظر ما تقدم عن موقع هذه المشرعة.

(٣) لـم ندر ما قصد بهذه العبارة، فإن ابن جبير ذكر أنه نزل بمحلة القرية، في موضع منها سماه بالمربعة، وهي واقعة على ضفة دجلة، ومع أنه نوه بمساجد ومشاهد عدة، لكـنه لم يشر إلى مسجد بهذا الاسم مطلقاً. ورأى محمد مهدي العلوي أن جامع باب السيف إن هو إلاّ مسجد معروف الكرخي (مجلة لغة العرب، السنة ٩، ص٢٩٩) مع أن النصوص التاريخية تشير إلى قرب هذا المسجد الشديد من جامع قمرية، فليس هو إذن. وذهـب آخرون إلى أنه المدرسة البشيرية (محمد الأمين السهروردي في مجلة المرشـد البغدادية، السنة ١٩٢٠، ص٢٢٩)، وإذ كنا نعلم أن موقع هذه المدرسة في غيـر هـذا المكان(ينظر ما تقدم)، فمن الممكن أن تكون دار القرآن البشيرية، التي تشير النصوص إلى موقعها على شاطئ دجلة.

المــرحوم داود باشا الى تجديده فجدده وبناه، فكان مشتملاً على مُصلَّى على يمــين الداخل، بين يديه صُفَّة، في شرقها درج يصعد فيها إلى المدرسة التي بــناها علــى الركن الشمالي للمسجد، [وهي] مطلة على دجلة، مرتكزة على اســطوانة في الطريق عقد عليها طاق من المسجد. وفي وسط الدرج غرفة صــغيرة للإمــام، تحتها غرفة مثلها للخادم. وله ساحة صغيرة، وعلى يمين الباب للداخل سقاية فيها سقّاء لسقي الناس. وهذا المسجد واقع على المشرعة، وعلــى شماله السيف الذي جعله داود باشا من أوقافه. ولما فرغ من تعمير المــسجد أرَّخه الشيخ صالح التميمي بأبيات، وهي مكتوبة على بابه، وهاك تلك الابيات:

كــم شــادَ داود بــوادي الهــدى	بيــتاً سمــت بالفــضل أركانــه
وكـــم بنـــى لله مـــن شـــاهقٍ	يجــزي علــى الطاعــة سـلطانه
فعــج إلى الكــرخ تــرى مــسجداً	قـــد أورقـــت بالعفـــو أفـــنانه
بالــصلوات الخمــس قُوْ واســتَعِنْ	علـــى تُقـــى أُسِّـــس بنـــيانه[1]

والسَّيف الذي جعله من أوقافه مع السوق الواقع بين يدي الجامع، بما اشتمل عليه من مقاهي وخانات حتى رأس الجسر، هو محل واسع واقع كما قلــنا على شمال المسجد، مطل على دجلة، وله أبواب ثلاثة: غربي وشرقي وآخر على دجلة، في وسطه، أعده لخزن الأطعمة وبيعها وارسالها منه إلى

---

(١) لا يحمل هذا الشطر تاريخاً.

الخـــارج بواســطة الــسفن[1]. ولمـــا فرغ من عمارته أرخه أيضاً التميمي المذكور، وكان آية في حسن التاريخ، وقد حرر هذا التاريخ على بابه الغربي وهو:

أُقـــسم بـــالله الـــذي زُيِّـــنَتْ   سمـــاؤه بالخُـــنَّسِ الكُـــنَّسِ
إن الـــذي شَـــيَّد هـــذا البِـــنا   ذو هِمَّـــةٍ بالفَلَـــك الأطلـــسِ

---

(١) السِّيف لغة: ساحل البحر، واصطلاحاً: السوق الشاطئية التي يرتادها التجار لشراء ما تــرد به السفن، وإليه نسبت هذه المحلة فعرفت بمحلة السيف، أو محلة باب السيف، وكانــت فــي العصر العباسي تعرف بمحلة القرية، فقد ذكر ياقوت أن هذه المحلة "كبيــرة جــداً كالمديــنة من الجانب الغربي من بغداد، مقابل مشرعة سوق المدرسة النظامــية" (معجم البلدان، مادة القرية) وقد تقدم أن مشرعة هذه المدرسة كانت توافق شــريعة المصبغة، قرب خان الباجه جي، في نهاية سوق الهرج. وكان مبنى السيف هــذا يــتألف من صفين من الدكاكين، تطل على سوق معقود يعلوه صف من القباب المنخفــضة المعقــودة بالآجــر والجص، يبلغ عددها ست عشر قبة، فعلى يمينه ٤ دكاكين، يليها باب ينفذ إلى باحة خارجية، يليها ١٢ دكاناً، فباب آخر، يليه ٤ دكاكين، وأما من جهة اليمين، القريبة من النهر، فثمة ٤ دكاكين، يليها باب نافذ إلى النهر، فــ ١٢ دكانـــاً، ثم باب آخر نافذ إلى النهر، يليه ٧ دكاكين، وينفذ السوق كله، من آخره، علـــى زقاق، أو شريعة، نافذة إلى دجلة، وتتصل بمحلات الكرخ. ويقوم السيف على مـــسناة محكمة عالية، وله ظلة، أو طارمة، مكشوفة، تطل على دجلة رأساً، قد لبث عامــراً حتـــى عهد الاحتلال البريطاني، حيث اتخذته سلطة الاحتلال مخزناً للوازم السيارات، ومنها كمية كبيرة من البنزين، فشبت النار فيه فأحرقت جميع ما فيه، وفي سنة ١٣٤٠هــ/١٩٢١م عمرته دائرة الأوقاف وجددت ما عليه من كتابات. وقد نقض هــذا الــسوق تمامـــاً في أواسط الستينات من القرن العشرين، وشيدت على قسم من أرضه عمارة كبيرة باسم داود باشا، وهي التي تشغلها اليوم مديرية التقاعد العامة.

داود ذو الأيدي ومن علمه | ما حَلَّ في شخصٍ سوى هرمس
فقل لمن جد على مكسبٍ | من ناطقٍ فيه ومن أخرسِ
أوفِ إذا كِلْتَ ومن بعد ذا | أرِّخ: وبالميزان لا تبخس

١٢٤٠

كما حرر أيضاً على بابه الشرقي الأبيات الآتية:

دع هرمسي مصر وبانيها | ولا تقل ذا من عجيب الزمان
وعج إلى دجلة من كرخها | تجد بناء دونه الفرقدان
شيده داود عن حكمة | تخفى وسر العدل منه أبان
لكي إذا باع به واشترى | ذو سعة يخشى مكين مكان
وفي الاقاليم جرى أرخوا: | من يخسر الميزان حُكماً يهان

١٢٣٦

وكتب على السقاية بالكاشاني فوق الشباك المطل على السوق الأبيات الآتية:

أرى كل مكرمة في الورى | إلى غير داود لا تُنسَبُ
حبى الكرخ في بركة سَيْبُها | إذا نضب البحر لا ينضب
وما يبتغي الناس في صيِّبٍ | ونائل راحته صيِّبُ
إذا ذقتَ من مائها فاستعن | بآخر ري به يعذب
وأرِّخ وناد بورادها | هنيئاً مريئاً لمن يشرب

١٢٣١

وفي السِّيف قبور لبعض الصالحين، منهم الإمام أبو الحسن الأشعري علــيه الــرحمة[1]، وهو معروف عند مجاوريه من أهل محلة السِّيف الشيعة بأنه قبر بابا زنكو، وكان قبل بناء داود باشا للسيف مزبلة تلقى عليه الزبالة وخرَق الحَيض، فلما بنى السِّيف سَوَّر على القبر وجعله داخل حجرة، وبجنب الحجــرة صفة لصلاة المصلين. وهذا القبر منذ القدم معروف عند أهل العلم أنه قبره. وقد ذكره ابن جبير وقال: أنه بقرب مشرعة الروايا، وبقربه مسجد

---

(١) دفن أبو الحسن الأشعري في مشرعة الروايا من الجانب الغربي، ولم يكن هذا المكان مــشرعة الــروايا، التي تقدم بيان موقعها من قبل، وإنما كان جزءً من محلة القرية الغــربية، وكــل مــا فــي الأمر، أنه كان ثمة قبر خال من الكتابات التي تبين هوية صاحبه. وإذ قرأ بعضهم أن الإمام أبي الحسن الأشعري "دفن في مشرعة الروايا، في تــربة إلــى جانبها مسجد، وبالقرب منه حمام، وهو عن يسار المار في السوق إلى دجلـــة"، تــصور أن هذا الجسر هو جسر بغداد القائم في العصر العثماني، في موقع جسر الشهداء الحالي، فأمر بكتابة عبارة تقول " هذا مرقد الإمام ومرشد الإسلام، أبي الحــسن علي الأشعري، صاحب المذهب، نور الله ضريحه، جدد سنة ١٣١٠". وجاء فــي دلــيل خارطـــة بغــداد (ص١٩٣) أن هذه الكتابة" غلط قبيح، فقبر أبي الحسن الأشعري كان بمشرعة الروايا على دجلة، أي بين الكاظمية والمنطقة، وقد زال وعفا، أو اســتولت عليه دجلة كما استولت على تلك المحلات والمواضع". قلنا: إن أحداً من الرحالين والسياح، فضلاً عن المؤرخين، لم يزر هذا القبر، ولم يشر إليه، فالظاهر أن نــسبته هذه جاءت متأخرة، ونحن نشك في تاريخ التجديد هذا، وربما وضع في عهد متأخر عنه، لا سيما وأن خبر تجديد داود باشا للجامع خلا من إشارة إلى وجود مثل هذا القبر، ولم يشر إليه محمود شكري الآلوسي في حديثه عن ذلك التجديد. وأول من أشار إليه عبادة في العقد اللامع ص٥٢٠.

وحمـــام. ولا يزال الحمام، وهو حمام رأس الجسر، قريباً منه. وهذا المسجد أيضاً قريباً منه، والتاريخ يعيد نفسه!.

جامع الحنّان

جامـــع الحـــنّان، هو جامع واقع في دربٍ صاعد من السوق الذي عند الجـــسر، قرب الدار العائدة إلى عبد الحميد بك الشاوي(١). وهو من الجوامع القديمة العهد، من بناء الرجل المدعو عبد الحنّان(٢)، وبه الجامع كان يعرف، وقـــد تعـــرض له محمود أفندي الآلوسي رحمه الله في كتاباته، وذكره عبد الفتاح أخو عبد السلام الشهير بالشواف في كتابه حديقة الورود في أبي الثناء

(١) يشغل هذا الجامع قطعة الأرض المرقمة ٢٢/ ١٢ ذات التسلسل ٣٥٣.

(٢) لا تعـــرف ترجمة عبد الحنان هذا، ولكن الجامع كان موجوداً باسمه قبل سنة ١١٩٧ هـــــ/١٧٨٢م بدلالـــة أنه ورد اسم خبيه سلمان أفندي شاهداً على وقفية سليمان باشا الكبيـــر علـــى مدرســـته فـــي ذلك العام، وثمة تمليك لكتاب (اللآلي السنية في شرح الآجـــرومية) باســـم مـــلا سلمان الخطيب بجامع الحنان ولد اسماعيل الموصلي سنة ١٢٠٢هـــــ/١٧٧٨م محفـــوظ في المكتبة القادرية ببغداد (الآثار الخطية في المكتبة القادريـــة ببغداد ج٣ ص٢٧٠)، وشهادة لإمامه الملا جواد على وقفية صادق بك بن سليمان باشا المؤرخة في سنة ١٢٣٣هـــ/١٨١٧م (معالم بغداد ص١٥٨)، وقد صدر فـــرمان ســـلطاني في سنة ١٢٥٧هـــ/١٨٤١م أنيطت بموجبه مهمة الخطابة في هذا الجامع لإسماعيلِ بن عبد الرحمن. ومن أشهر واعظي هذا الجامع السيد محمد سعيد المصطفى الخليل المتوفى سنة ١٣٥٢هـــ/١٩٣٣م.

محمـــود، فإن الآلوسي رحمه الله بعد أن أخرجه خاله من المدرسة العمرية، ذهب إلى جامع عبد الحنان لأجل أن يدرس فيه[1].

وهذا الجامع رحب الفناء، واسع المصلى، عُقدت عليه قباب ست، وبين يـــدي المصلى صفة بطوله، وعلى شمال المصلى رواق عند حديقة صغيرة، وفوق بابه الخارجي غرفة يسكنها المؤذن الذي هو خادم أيضاً. وعلى ركن المـــصلى الصيفي منارة بيضاء، أي مجردة من التزويق بالكاشاني[2]. وفيه خطـــيب وإمام ومؤذن وخادم، وجراياتهم مع إدارة الجامع من دائرة أوقاف بغـــداد. وقد تتبعته فلم أعثر على كتابة أو شيء فيه يدل على تاريخ بنائه أو اسم بانيه.

مسجد علاوي الجص

هو مسجد صغير واقع قرب العلاوي التي تباع فيها الجص، الواقعة قرب رأس الجسر غربي جامع الحنان.

---

(١) ذكـــر فـــي تاريخ الأسر العلمية ص١٨٥ أنه انتقل بعد المدرسة العمرية "التي كانت مدرسة لعبد الفتاح أفندي الراوي" إلى جامع الست نفيسة.

(٢) وصـــفه الآلوســـي بأنه" من الجوامع القديمة العهد، واسع الساحة، رحب الفناء، كبير المـــصلى، رصين البناء" (مساجد بغداد ص١١٣) ونوه به عباس بن رجب البغدادي بقوله" هو مسجد جمعة، وفيه مئذنة" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٥٧)، وذكر عـــبادة اســـمه فحـــسب (العقـــد اللامع ص٥١٣) وانفرد المؤلف بهذه التفاصيل عن عمارتـــه. وقد نقض هذا الجامع لتدخل مساحة من أرضه في ساحة الشهداء، ثم شيد على ما تبقى من أرضه جامع جديد، بهيئة جديدة، ومئذنة، سنة ١٣٦٥هـــ/١٩٤٦م.

والمسجد واقع على يمين الذاهب الى زيارة معروف، أو علاوي التمن- الارز- وهي في طول ثلاثين ذراعاً في مثلها عرضاً. وهو في الأصل دار امرأة اسمها....[1]، وقفتها على أن تكون مسجداً لله تعالى، وجعلت له دكاكين وقفاً عليه، فلما توفيت -رحمة الله عليها- تولى أمر تدبيره رجل يسمى عبد القادر، ثم تداعى بناؤه فعمره ورممه عبد القادر المذكور.

وقد كتب على جداره هذه الأبيات:

عاد ذا المسجد كالبيت المُقدَّس عام أمن بعد ما قد كان مُدَرَّس
وبعبد القادر الندب الذي شاد أركان بانيه تَهندَس
رغبة في الأجر قد عمره دام للتوفيق للخيرات مَغْرَس
وعماد الدين فيه قد غدا ساطعاً يبدو إذا ما الليل أغلس
وبه فجر الهدى ينشق عن فلك النُسك إذا الصبح تنفس
ولسان الحق قد أرخه مسجد للزُّهد بالتقوى تأسس
١٢٥٣

وفي هذا المسجد إمام وراتبه يدفع من دكاكينه، وقد رُبط بعد الاحتلال بالأوقاف العامة، فغدا راتبه يدفع من ادارة الأوقاف، وهو المؤذن

(١)(بياض في الأصل. وليس فيما كتب عن هذا المسجد إشارة إلى هذه المنشئة الواقفة. ينظر الآلوسي: مساجد بغداد ص١٣٠.

والخادم وكل شيء، ولكن الأذان والخدمة يقوم بها المسلمون تقرباً إليه تعالى.

مسجد عَلاوي النُّورة

هو مسجد قريب من الجسر، صغير[١]، أنشأه عبد الله بك الشاوي[٢] سنة ١١٧٥ كما يحكي ذلك تاريخه المكتوب على جداره. وهو

---

(١) قال عبادة " إنما سمي مسجد علاوي النورة حيث أن أنابير (جمع أنبار، ويسمى بالعامية: عنبار، أي مخزن الحبوب ونحوها) النورة والجص تقع مقابل المسجد المذكور" (العقد اللامع ص٤٩٨).

(٢) هو عبد الله بك بن نصيف بن شاوي، أمير قبيلة العبيد في القرن الثاني عشر للهجرة (١٨ م)، و{اس أسرة آل الشاوي العربية التي تمت بنسبها إلى فخذ البو شاهر من قبيلة العبيد، وصفه المؤرخون بأنه كان بعيد النظر ذكياً غيوراً عربياً قحاً شجاعاً صنديداً ديناً زاهداً، وقد منحه ولاة بغداد لقب (أمير) بصفة رسمية، ثم ولاه سليمان باشا أبو ليلة منصب (باب العرب) أي أنه جعله وسيلة الحكومة للإتصال بالعشائر العربية آنذاك، وقد قتله غيلة والي بغداد عمر باشا سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م، وكان هذا المسجد يقع أمام داره، وثمة مسجد آخر أنشأه في الحلة. ينظر عبد الرحمن السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص٨٧ والكركوكلي: دوحة الوزراء ص١٤١- ١٤٢ والعمري: زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية ص٢٣٣ وعثمان بن سند: مطالع السعود ص٨٦، والراوي: تاريخ الأسر العلمية ص٣٤٧ والسهروردي: لب الألباب ج ٢ ص١٧٧- ١٧٨. وأقول: ولم يكن هذا المسجد من إنشائه، وإنما هو جدده، أو أعاد بناءه، بدلالة أن إبراهيم البتيم، من وجوه الكرخ، إمين الفتوى، وقف جانباً من أملاكه على هذا المسجد بموجب وقفيته المؤرخة في ١٤ جمادى الأولى سنة ١١١٧هـ/ ١٧٠٥م.

عبارة عن مصلى عقدت عليه قبة من الآجر والجص، وساحة صغيرة، وفيه بعض الحجر، ومدرسة للتدريس لكنه لا تدريس فيه، وإن كانت الصلوات تقام فيه. أما الأبيات التي على جداره فهي ما يلي:

عمَّر ذا المسجد مع ... مدرسة فهيا التقى قد دُرِسا
الشهم عبد الله رب الندا ... ومن رقى السبع العُلى دائساً
فياله من مسجد نوره ... أزال عنا الحالك الحندسا
قد جاء فرداً حي تاريخه: ... على تقي الرحمن[1] قد أُسّسا
١١٧٥[2]

وكان يدرس في هذه المدرسة الشيخ أحمد السويدي[3]، ويدرس فيها

---

(١) في الأصل: الرحمان.

(٢) هذا تاريخ الشطر بحساب الجمل، بقصر ألف (الرحمن)، ويزيد واحداً بمده، مع إضافة واحد، أشير إليه بلفظ (فرداً) فيكون المجموع ١١٧٧، وفي العقد اللامع ص ٤٩٨ ومساجد الآلوسي ص١٣١ كتب التاريخ رقماً وهو ١١٧٧.

(٣) هو أحمد بن عبد الله السويدي، من علماء بغداد الكبار في عصره، ولد سنة ١١٥٣ هـ/١٧٤٠م، وله من المؤلفات (الصاعقة المحرقة في الرد على أهل الزندقة) و(شرح بانت سعاد) و(حاشية على الأزهرية) في النحو، و(رسالة في علم التصوف) ورسائل في الأدب، وتوفي سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م. تاريخ الأسر العلمية ص١٥٩ والآلوسي: المسك الأذفر ص٦٨- ٧٠ والبغدادي: هدية العارفين ج١ ص١٨٢ وكاظم الدجيلي: مجلة لغة العرب ج٣ (بغداد ١٩١٣) ص٣٨٢ وعبادة: العقد اللامع ص٥٠٧.

عليه رواد العلم من جملتهم سليمان بك الشاوي، رحمه الله[1].

مسجد ابن غنّام

هو مسجد صغير، لطيف الوضع، واقع فوق مسجد الشيخ بشار على يسار الطريق للمار إلى محطة سكة حديد الكاظمية. وهو عبارة عن مُصلًّى صغير مستطيل، بين يديه وعلى يسار الساحة المتوسطة حجرتان، فيه نخلة على يمين الداخل إليه عند البئر، وهو من آثار المرحوم الشيخ سليمان الغنام[2]، شيخ قبيلة عقيل، وكانت له وجاهة عند والي بغداد داود باشا، فعلي رضا باشا، فنجيب باشا، وكان عندهم شيخ الباب، أي يكون تقديم رؤساء

---

(١) هو أكبر أنجال عبد الله بك الشاوي، تولى إمارة العبيد بعد أبيه، ولد ترجيحاً في العقد الرابع من القرن الثاني عشر للهجرة، ونشأ ببغداد، ودرس على يد أساتذة كبار، حتى صار يعد من العلماء المبرزين والشعراء المجودين، وألف تصانيف أدبية ونحوية مهمة، منها (نظم قطر الندى وبل الصدى) لابن هشام، و(سكب الأدب على لامية العرب)، وله أشعار متفرقة لم تجمع في ديوان، مدح بعض الولاة ولكنه لم يتكسب بشعره، ثار على والي بغداد عمر باشا إثر اغتيال الأخير لأبيه، ولبث خارجاً على الحكومة حتى مقتل عمر باشا نفسه، وكان له دور مهم في القضاء على الأزمة السياسية في بغداد التي نجمت عن محاولة (عجم محمد) الوصول إلى الحكم سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م. ثم أغتاله بعض أبناء عشيرته سنة ١٢٠٩هـ-١٧٩٤م. السويدي: تاريخ حوادث بغداد والبصرة ص٨٤ والعمري: زبدة الآثار الجلية ص ١٧٥ والكركوكلي: دوحة الوزراء ص١٤٢ و١٩٤ و١٩٨ وابن سند: مطالع السعود ص٨٦ و١١٢ و١٥٥ و١٦٥ و١٦٩ و٢٠٤- ٢٠٧ والسهروردي: لب الألباب ص ١٧٨-١٨١ والراوي: تاريخ الأسر العلمية ص٣٥٣

(٢) تقدم التعريف به.

العرب والتفاهم معهم بواسطته، فهو المخاطَب من قبل الحكومة، وكان يجير علـــى الحكومة، حتى أن من الأمثلة المعروفة والمشهورة على ألسنة عموم العـــراقيين (إذا ضامك الضيَّم اعبر التختة)! ولما كَمُل بناؤه نظم عبد الغفار الأخـــرس أبياتاً لتكون تاريخاً لعمارته، وقد كتبت على جداره، وهاك بعضها وهو المقصود:

أجـلُّ مكـانٍ في الأنـام تـشيدا ... تَـرى رُكَّعـاً لله فـيه وسُــجَّدا

بَــناه ابــن غــنام لطاعــة ربــه ... هـو اليوم بانيه سيحظى به غدا

باحــسانه الفـرد اسـتقام مـؤرخاً ... سليمان في الإسلام أثر مسجدا

١٢٥٣

وكـــان رحمـــه الله مـــن عشيرة...(١) فهجـــم عليـــه رجـــل مـــن

---

(١) بياض في الأصل. والقصيدة في ديوانه، وبيت التاريخ فيها هو:

(مـــات ابن غنام فأرخته ... في الخلد قد راح سليمان) ١٢٥٩ وقد برز دور الحاج سليمان ابن غنام في أثناء حصار على رضا باشا اللاز لبغداد سنة ١٢٤٧هـ/١٨٣١م. سليمان فائق بك: مرآة الزوراء، ص٨٣-٨٩، و٩٧- ٩٩، و١١٠. وذكر الدروبي أنـــه كـــان له مجلس في بغداد، وأنه كان " من أعيان الكرخ البارزين ومن رجالاتهم المعـــروفين" وقـــال" وللحاج سليمان الغنام المذكور خدمات جليلة في ميادين الخدمة العامـــة، ومـــساع مـــشكورة في الأوساط العراقية، كما كان رجلاً محترماً نبيلاً طيباً عارفـــاً بأحكام العرف والعادة والتقاليد، ولذا كان يحكم في حسم النزاع والمشاكل بين أفراد العشائر، وقد لعل دوراً هاماً في عهد الوزير داود باشا والوزير علي رضا باشا اللاز حتى صار في هذا الدور من أعيان بغداد، ونال ثقة الحكام والرؤساء كما نال=

عقـيـل مـن...[١] اسـمه...[٢] سنة ١٢٥٨ فقتله[٣]، وقد رثاه عبد الغفار الأخرس الشاعر المشهور بأبيات تشتمل على تاريخ الحادثة، منها.......[٤].

=ثقـة الشعب" (البغداديون ص٦٣) أما مسجده هذا فقد نوه به الآلوسي (مساجد ص ١٣١) فذكر أنه " مسجد لطيف الوضع، متقن الإنشاء، واقع في محلة الشيخ بشار، فيه مـصلى صغير، وفناء مثله، وحجر، وله إمام وخادم، وقد أشرف على السقوط سنة ١٢٥٣ فعمـره صاحب الخيرات والمبرات الشيخ سلمان الشهير بابن غنام العقيلي". ومثله ما ذكره السيد محمد رؤوف الشيخلي(المعجم الجغرافي ص٢٣٥) فالمسجد إذن لم يكن من إنشائه كما ذكر المؤلف، على أنه عين له من الأوقاف المرصدة ما يكفيه، وجعـل التولية بيد ولده المعتصم بالله الشيخ عبيد الله الغنام، ومن بعده لأخيه إبراهيم الغنام، ثم لأولادهما الأرشد فالأرشد، بحسب وقفيته المؤرخة في رمضان سنة ١٢٥٨ هـ/١٨٤٢م. والآن لا متولي له، وتديره الأوقاف، وقد زرته، والسيد زين النقشبندي، فـي ٢٠ نيـسان ٢٠٠٦، فـوجدته قد اتخذته بعض الأسر مسكناً لها، وغيَّرت من معالمـه، فلا صلاة فيه، وقد علمت أنه كان فيه محراب وقبر أزيلا هما أيضاً، وهذا المسجد مجاور للدار رقم ٥١ في الزقاق ١٤ من محلة ٢١٢.

(١) بياض في الأصل. ويناسب أن يكون (من قبيلة القصيمات العقيليين) بحسب ما ذكره سليمان فائق: مرآة الزوراء ص١١٠.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) توفـي قتيلاً بتدبير والي بغداد نجيب باشا سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م، ودفن في مقبرة الـشيخ معروف الكرخي. سليمان فائق: تاريخ المماليك الكوله مند في بغداد، ترجمة نجيب الأرمنازي، بغداد ١٩٦١، ص٧٤، والدروبي: البغداديون ص٦٣.

(٤) بياض في الأصل.

مسجد بيت الشواف

هو مسجد صغير واقع قرب بيت الشواف[١]، أعني انك إذا سرت من محطـــة ســكة حديـــد الكاظمية صاعداً إلى بيت الشواف، ثم جاوزت البيت المذكور ذاهباً إلى سوق جامع الشيخ صندل، رأيت في الطريق المنعكس من الـــدرب الـــذي فـــيه بيت الشواف إلى الشمال، مسجداً على يمينك صغيراً، مـــشتملاً على مصلى وصفة عريضة بين يديه، وعلى يمين الباب حجرتان. ذلك هو مسجد بيت الشواف، وهو واقع في محلة الشيخ صندل.

وهـــذا المـــسجد كان في الأصل مسجداً معروفاً بمسجد الملا عبد الفتاح[٢]، وكان يقيم ويدرس فيه رجل من العباد الزهاد يسمى الشيخ عبد الرحمن الملا بكـــر، وكـــان من علماء الشافعية[٣]، وقد كان الأسلاف يلقبون هذا المسجد

---

(١) قال المؤلف في كتابه الآخر(تاريخ الأسر العلمية) ص٢٤٧ أن " بيت الشواف هم في الصل من أهالي دير الزور، ورد جدهم الأعلى فاستوطن الكبيسات- الكبيسة-" وذكر أنهم " يدعون من قيس". وذكر عباس العزاوي (عشائر العراق ج٤ ص٢٤٧) أن آل الـــشواف هـــم من عشيرة (الصيالة= السيالة) إحدى عشائر قيس، وإن هذه العشيرة تنتشر في نواحي حران وعانة، ومن الأولى انحدر آل الشواف، وإن منهم جماعة في كبيسة.

(٢) انفرد المؤلف بالكلام على هذا المسجد، ونوه به في كتابه (تاريخ الأسر العلمية) ص ٢٤٣ فقال" المسجد الواقع في محلة الشيخ صندل، المعروف الآن بمسجد عبد السلام الشواف، الذي كان يعرف بمسجد الملا عبد الفتاح".

(٣) تـــرجم لـــه في تاريخ الأسر العلمية ص٢٦٩ وخلاصة ما ذكره أنه كان أحد علماء بغـــداد، نبغ في فقه الشافعية، وعرف بالورع والتقوى، وقال" وكان يدرس في مسجد خالـــه عـــبد الفـــتاح المـــشهور بمسجد بيت الشواف الآن، حتى أتاه أجله به فـــي=

بالأزهـــر الـــصغير لكثرة تردد طلاب العلوم إليه. والملا عبد الفتاح هذا هو غير عبد الفتاح[(١)] أخي عبد السلام الذي أقام بهذا المسجد أيام حياته[(٢)]، وكان يدرس فيه بعد ذلك السيد الشيخ محمد الراوي آل حسين لطيف[(٣)]، ثم أقام فيه الـــسيد محمد بن عبد الله الراوي يدرس، ثم جعل الشيخ عبد السلام الشهير بالشواف يصلي فيه ويدرس، وجعل نفسه كالمتولي عليه، بيده الدار الموقوفة علـــيه يؤجرها ويأخذ بدل اجارتها ويقوم بإنارته وبعض لوازمه. وفيه قبور بعـــض العلمـــاء منهم الشيخ عبد العزيز الشواف المتوفى في الطاعون سنة ١٢٤٦[(٤)].

=الطاعــون كبير سنة ١٢٤٢، ودفن في المسجد الذي استخرجه من داره قبالة مسجد بيت الشواف". فالشيخ عبد الرحمن هنا هو مؤسس المسجد لا عبد الفتاح المذكور.

(١) ترجم له في تاريخ الأسر العلمية ص٢٦٤، وقال" هو غير عبد الفتاح صاحب المسجد المعروف بمسجد عبد السلام، ومسجد بيت الشواف، ومسجد عبد الفتاح". وقد ولد سنة ١٢٣٦هـ/١٨٢٠م، وأظهر نبوغاً واضحاً في الفقه والشعر والأدب، وألف كتاباً مهماً سـماه (حديقـة الورود في ترجمة الشبخ أبي الثناء شهاب الدبن محمود)، توفي سنة ١٢٦٩هـــ/١٨٥٢م، وقيل سنة ١٢٦٣هـ/١٨٤٦م. وينظر هدية العارفين ج١ ص ٥٩٥ وإيضاح المكنون ص٣٩٩ وعباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء ص١١ و٥٠ و ٥٤ و٧٨ وغير ذلك.

(٢) تقم التعريف به.

(٣) ولــد ســنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م، وأخذ العلم على أيدي علماء أسرته، وغيرهم، حتى طار صيته بما بلغه من علم وفضل، وكانت وفاته سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م. وقد انفرد المؤلف بالترجمة له في كتابه تاريخ الأسر العلمية ص٦٤.

(٤) بوافق أولها ٢٢ حزيران سنة ١٨٣٠م.

وقـــد قارب الفناء فقام جماعة من المسلمين وجمعوا له مبلغاً جددوا منه ما تهـدم، ثـــم قام كاظم باشا صهر السلطان عبد الحميد وصاحب القصر الفخم الـــذي هو الآن مسكن المعتمد السامي البريطاني[١] بتعمير فيه أيضاً، وبنى غرفتين فوق الغرف التحتية، وهو الآن مسجد يتيم لا قيم عليه ولا مدبر، إلاّ ما تجود به أكف أهل الخير. أما بيت عبد السلام فإنهم لقاء أخذهم أجرة الدار يخرجون مصباحاً (فانوساً) في الليل يوضح فيه للإنارة وقت العشاء لاغير، وتلك الدار هي الدار المقابلة لدارهم[٢].

جامع الشيخ صندل

هو جامع كبير ذو ساحة واسعة، على يمين الداخل إليه درج يرتقى فـــيها الى غرفة هي المدرسة، وعند الدرج بعض حجر لسكنى الخادم وحرز لـــوازمات الجامـــع، وفـــي شـــمالي الساحة حجر أخرى لإقامة طلاب العلم والغـــرباء، وعلـــى يسار الداخل من الباب المصلى المعقود عليه ست قباب قائمـــة على أعمدة الرخام، وهو مصلى واسع، وعلى شمال المحراب شباك داخل في أساس الجدار القبلي، موضوع على قبر يقال هو قبر الشيخ صندل، وقـــد أدخل في أسس الجدار بعد أن كان داخل المصلى قبل أن يجدد الجامع،

---

(١) وهذا القصر هو الذي صار مقراً للسفارة البريطانية في بغداد.

(٢) انقطعت الصلاة في هذا المسجد الآن، فاتخذته إحدى الأسر مسكناً لها!

بسبب توسعة الطريق عند تجديده. وعلى الركن الشمالي للمصلى منارة بيضاء، في قمتها وحوضها بعض قطع من الكاشاني[١].

وهو من الجوامع القديمة العهد، واقع على الجادة المعروفة بجادة علاوي الطعام، في منتهى السوق المعروف به بالنسبة للذاهب الى زيارة قبر المعروف الكرخي أو مقبرته[٢]. تقام فيه الأعياد والجمع والجماعات في الأوقات الخمسة، وفيه مدرس وخطيب وإمام ومؤذن وخادم وقاريء دور في يوم الجمعة. وهو مفروش بأحسن الفرش، وهذا الوصف هو وصفه بعد تعميره سنة ١٣٠٩[٣] أيام ولاية المرحوم الحاج حسن باشا، الذي كتب إلى عظمة المرحوم السلطان عبد الحميد خان مسترحماً اصدار إرادته بتعميره من الأوقاف العامة، لأنه اشرف على المحو بسبب الخراب الذي حل به، فصدرت الإرادة السنية بتعميره من الأوقاف المذكورة، فاهتم بتعميره الوالي المشار إليه، وأناب عنه مشرفاً على التعمير المذكور المرحوم والدي عليه رحمة الله الواسعة، وجعل من قبل الاوقاف مأموراً على التعمير المرحوم عبد الرحمن المعروف بأبو جارخ، فشيدت أركانه، وقام بنيانه على الوصف الذي ذكرناه آنفاً، وجُعل بين يدي المصلى رواق عقد عليه أيضاً قباب على

---

(١) نقض هذا الجامع وأعيد بناؤه على هيئة جديدة وذلك سنة ١٣٧١هـ/١٩٥١م، كما أزيلت مئذنته الأثرية التي يشير إليها المؤلف وشيدت له مئذنة جديدة. وما زال عامراً إلى اليوم. وله مستغلات استخرجت منه ينظر عنها فردوس صالح رسول: دراسة إحصائية بالعقارات الموقوفة، وزارة الأوقاف ١٩٩٠، ص٢٦.

(٢) بعد شق شارع حيفا الحديث، أصبح الجامع يطل على هذا الشارع مباشرة.

(٣) ويوافق أولها ٧ آب ١٨٩١م

سواري (دنك)، وكمل سنة ١٣١١ هجرية. ولما فرغ من تعميره جرى رسم افتتاحه باحتفال عظيم حضره الوالي والمشير والأمراء والأشراف والأعيان والعلماء، ودعي للحضرة السلطانية، وتليت القصيدة المنظومة لتكون تاريخاً لـــه، وكانت قد كتبت على قطعة مرمر لتوضع فوق الباب الخارجي، وهذه هي القصيدة:

إن كـان هـارون بنـى شـامخاً ... في جانب الكرخ وركن مشيد
فـإن سـلطان الـورى قـد بنـى ... في سـوحه هـذا البناء الفريد
قـد كـان قـدماً مسجداً جامعـاً ... محاسـناً في كـل يـوم تـزيد
يذكـــر فـــيه الله ســـبحانه ... ويــبذل العلـم بــه للمـــريد
فكـم حـوى مـن عابـد خاشـع ... فيما مضى وكم حوى من رشيد
فهـــدَّ هـــذا الدهـــر أركانـــه ... ومـا رأى في عـصره مـن يعـيد
فـــشاده القـــرم إمـــام الهـــدى ... خلـــيفة الله الملـــيك الـــسعيد
بـــشرى لـــنا قـــد شـــاده أرخـــوا: ... فخر الملوك الصيد عبد الحميد

١٣١١

وقبل أن يجدد هذا الجامع كان بيد نعمان افندي الآلوسي، هو وأوقافه التـــي هي علوة في فم السوق، وعلوة تحت منارته، وغير ذلك من الأوقاف. وقـــد كان قديماً بيد عمه عبد الرحمن افندي الآلوسي المعروف بالأفندي(١)،

---

(١) ولـــد ســـنة ١٢٢٤هـــ/١٨٠٩م، وأخذ العلم عن شقيقه أبي الثناء الآلوسي، وكانت له خبرة بالتفسير والحديث والفقه ومشركة في العلوم النقلية، وصرف غالب عمره في=

وضـــع يده عليه أيام افتاء السيد محمود افندي أخيه[1]، فجعل يعظ فيه، وكان واعظاً جيداً، ويخطب ويصلي فيه، وكان يدبر أمره، ويتولى وقفه، فلما انتقل إلى رحمة الله ولم تكن له ذرية، وكان أكبر أولاد أخيه في بغداد نعمان خير الــدين أفــندي الآلوسي[2]، وضع يده عليه بعنوان التدريس والتولية، وجعل يعِظ، وكان الجامع سائراً الى الخراب لأن غِلَّة وقفه كان يعيش فيها الأفندي،

=التعليم والإرشاد، قال الشيخ محمد بهجة الأثري" جلس في جامع الشيخ صندل أكبر جامــع فــي الكرخ للوعظ والتدريس وخطب فيه إلى وفاته". توفي سنة ١٢٨٤هــ/ ١٨٦٦م. أعلام العراق ص١٢.

(١) تقدم التعريف به.

(٢)هــو نعمان بن محمود بن عبد الله بن محمود الالوسي البغدادي، خير الدين، ولد سنة ١٢٥٢هـــ/١٨٣٦م، وأخــذ علــومه على والده المفسر والمؤرخ أبي الثناء محمود الالوســي، وتأثر به. تولى في شبابه القضاء في بلاد متعددة، ثم قصد مكة للحج سنة ١٢٩٥هــ/ ١٨٧٨م ماراً بالقاهرة حيث طبع تفسير والده (روح المعاني)، وقام برحلة اخــرى الــى القسطنطينية اجتمع في أثنائها الى علماء الشام والاناضول، وعين بأمر الــسلطان عبد الحميد الثاني رئيساً لمدرسي بغداد، فوفر له منصبه هذا فرصة للبحث والــتدريس والقــراءة. توفي سنة ١٣١٧هــ/١٨٩٩م.ترك مؤلفات عديدة في العقائد والــردود والمــواعظ واللغة والأدب والسير. حديقة الورود، الورقة ٣٣، الالوسي: المــسك الأذفــر ١١٠-١١٦، والأثــري: اعلام العراق ٥٧-٦٧، والبغدادي: هدية العارفــين ٤٩٦/٢، ومحمــد ســعيد الــراوي: تاريخ الأسر العلمية ٢٢٠-٢٢٣، وسركيس: معجم المطبوعات ٧-٨، وعباس العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ٨/ ١٣٤، والزركلــي: الاعلام ٩/٩، وكحالة: معجم المؤلفين ١٠٧/١٣-١٠٨ والاثري: مجلة لغة العرب ٣٤٣/٤-٣٤٦، ٣٩٩-٤٠٢، والدروبي: البغداديون ٢٦٣.

ولو تُرِكت للجامع فإنها لا تكفي لمحافظة بقائه، فتضرَّع المسلمون إلى الوالي المشار إليه في بنائه، ففعل ما فعل وبنى، ووضعت الأوقاف يدها على وقفه، وخصصت للمدرس راتباً مائة وخمسين قرشاً صحيحاً وراتباً للخطيب والإمام وسائر الموظفين، بعد فرشه بالزلالي والطنافس والحُصُر ودهن أعمدته الرخامية بالأصباغ. وهذا الجامع كما ذكرنا من الجوامع القديمة. وقد ذكر بعض الشيوخ قصة له تكاد تكون كتاريخ له، وللشيخ صندل الدفين فيه(١). قالوا: كان يوجد في هذه المحلة في العصر الثامن رجل من التجار المُثْرِين، وكان من أهل الصلاح والتقوى، وعنده عبد اسم صندل، وكان أيضاً من أهل العبادة قائماً بخدمة مولاه، فحج السيد سنة وبقي العبد في خدمة ربة البيت، فصادف أن طبخت السيدة طعاماً كان زوجها يحبه فذكرته عند صبها لصندل منه، متمنية حضور زوجها لينال منه ما يحب، فقال لها صندل: ضعي في صحن ما تحبين منه، فاني أوصله له! فضحكت من قوله، فألح عليها فلم تفعل، فأخذ الصحن الذي أعطته إياه وذهب. ثم أنها فقدت الصحن، أما الزوج الذي كان في مكة ذلك اليوم فقد رأى وهو يتوضأ عند زمزم خيالاً لصندل قدم له صحناً فيه طعاماً هو يحبه وتركه وذهب. فنظر

---

(١) هو أبو اليُمن عماد الدين صندل بن عبد الله المقتفوي، كان عبداً أسود، سامعاً للحديث راوياً له، تقلب في المناصب حتى صار عميد الجيوش ببغداد، وولي النظر بديوان واسط، في أيام المستنجد بالله، وعاد إلى بغداد في أول ولاية المستضيء فولاه أستاذية دار الخلافة العباسية، ثم عزل سنة ٥٧١هـ، وتزهد وانقطع في هذا الموضع الذي جعله مدفناً له، وتوفي سنة ٥٩٣هـ. ابن الفوطي: تلخيص مجمع الآداب ج٤ ق٢ ص٧٣٨- ٧٣٩، ودليل خارطة بغداد ص١٩٦.

إلى الصحن فرآه انه من صحونه لأنه قد كتب اسمه على كل صحن، وآنيته من الصفر التي في بيته، فأكل الطعام وحفظ الصحن، فلما ورد بغداد قص على زوجته ما رأى فأخبرته الحكاية بحذافيرها، فأعتق صندل احتراماً له، فتوفى في ذلك الأسبوع صندل، فجهزه ودفنه وأنشأ على قبره حجرة، وبنى هذا الجامع ووقف له الأوقاف.

قصة نقصها كما سمعناها، والعهدة على رواتها من حيث الصحة والكذب. أما جواز وقوع ذلك فأمر ظاهر لدى المسلمين، لأن كرامات الأولياء لا مجال لانكارها في الدين. ويظن البعض أن صندلاً هذا هو أحد السادات العلويين، وهو أبو القاسم الحسين الجمال الملقب صندلاً، واسمه القاسم بن أبي الحسين على قتيل اللصوص بن عبد الله الثالث بن علي بن عبيد الله الثاني بن علي الصالح بن أبي علي عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين. وعبيد الله الأعرج هذا هو الذي وفد على السفاح فأقطعه ضيعة في المدائن، وأجرى له كل سنة ثمانين ألف دينار. وكان قد وفد على أبي مسلم الخراساني بخراسان فأجرى له أرزاقاً كثيرة، وعظمه أهل خراسان. فقال له سليمان بن كثير الخُزاعي: إنا قد غلطنا في أمركم، هَلُمَّ ندع إلى نصرتكم، فظن أنه دسيسة عليه، فأخبر بهذا أبا مسلم، فقتل سليمان بن كثير، وقال لعبيد الله: إن نيسابور لا تحملك، فخرج منها إلى ضيعته بذي إيران وقيل هي ذي أمان، فتوفي فيها، عن سبع وثلاثين سنة، وقيل ستة وأربعين سنة. وقال صاحب رشف الضَّرَب في علم النسب: إن القاسم الملقب صندلاً توفي ودفن في مسجده بالكرخ.

وأعقــاب صــندل كانــوا يقــيمون في الكرخ، منهم أثير الدولة أبو منــصور محمــد بــن الحسين بن محمد بن الحسين صندل، كما يحكي ذلك صاحب عمدة الطالب، وهذا هو أرجح القولين عندي لنص التاريخ عليه، أما تلك فحكاية ليس لها مستند والله أعلم بالحقيقة.

مسجد الخُنَيني

هــو مسجد واقع في الدرب الواقع أمام دار الحاج عبد الله بن صالح الخُنَينــي، نسبة لآل خُنَين، بيت من بيوت نجد وأكابرها، على يسار الدرب، وهــو واقــع في محلة سوق الجديد(١)، وكان في الأصل مسجداً أيضاً، ولكن الدهــر أنــاخ علــيه بكلكلــه فدهوره وبعثره، فتداركه الشيخ الحاج عبد الله المذكــور، فجــدد عمارتــه سنة ١٢٩٢ هجرية(٢) كما تنطق بذلك الأبيات المكتوبة على جداره(٣).

وهــو عــبارة عن مصلى في قِبلي المسجد، بين يديه صفة، وعلى يسار الصفة درج يرتقى فيها إلى سطحه، [و] في وسط الدرج حجرة يسكنها إمــام المــسجد، وكان يقيم فيها بعض الغرباء من طلاب العلم الذين يتولون الصلاة إماماً، وكان الشيخ المذكور وبعض أهالي نجد يصلونهم من الزكاة أو الصدقة أو غير ذلك، ويكاد النجديون جميعهم يصلون في هذا المسجد ومسجد

---

(١) يقــع قريباً من جامع الشيخ صندل. وما زال عامراً، وقد جدده، تجديداً شاملاً، سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م أحد أحفادُ مؤسسه عبد الله المذكور.

(٢) يوافق أولها ٧ شباط ١٨٧٥م.

(٣) مساجد الآلوسي ص١٢٤ والعقد اللامع ص٤٩٧.

آل عطا وجامع آل عطا، لأن أئمة هذه المساجد لم يكن لهم راتب، والصلاة خلف ذي الراتب عند الحنابلة غير صحيحة، لذلك يقصد النجديون الحنابلة في الصلاة هذه المساجد. أما الأبيات المذكورة فهي:

وفَّقَكَ الله أبا صالحٍ　　لكلِّ ما فيه يُقام الهدى
ودُمتَ عبد الله في نعمةٍ　　طيّبة تُرغِم أنف العِدا
بَنَيتَ بالكرخ لنا مسجداً　　ما حَلَّه المُجرِمُ إلاَّ اهتدى!
للعِلم والزُّهدِ حوى مَعشَراً　　لله فيه رُكَّعاً سُجَّدا!
بالجُودِ قد تَمَّ فأرِّخ به:　　على التُقى أسستَه مسجدا

١٢٩٢

وقد رُبط بدائرة الأوقاف بعد الاحتلال، فجعلت هذه للإمام والمؤذن الذي خادم أيضاً رواتب[١]، وقامت بإسالة الماء إليه، ووضع مزملة فيه، ونَوَّرته بالكهرباء. وفيه الآن إمام ومؤذن هو خادم أيضاً.

مسجد عدوان

هو مسجد كبير الفناء فيه نُخَيلات، وهو واقع على يسار الذاهب إلى مقبرة معروف الكرخي، وسط الطريق والسوق الواقع بين سوق عطا وجامع الشيخ موسى الجبوري، برأس محلة الفحامة، وكانوا يسمونه جامع الحَشَّاشة

---

(١) من أوقافه دار واحدة واقعة في محلة جامع عطا، وقفتها الحاجة حسنة بنت حاج حسين، بتاريخ ٢٩ شعبان سنة ١٢٩٨هـ/١٨٨٠م. العقد اللامع ص٤٩٧.

(باعـــة الحشيش)[1]. وهو عبارة عن مصلى على يمين الداخل إليه، وصفته بين يدي المصلى وحجرة على شمال الصفة يقيم فيها الإمام. وكان محمد بن الـــشيخ أبـــو السِّعد يقيم فيها لملاقاة طالبي الرُّقى والتمائم، وخلفه فيها ولده علي. وعند الباب على يسار الداخل إلى المسجد حجرة يقيم فيها أحمد بن أبو الـــسِّعد الذي هو إمام المسجد. وله إمام ومؤذن وخادم وجراياتهم مع ما يلزم المسجد تؤدي من قبل دائرة الوقف لارتباطه بها.

جامع الشيخ موسى

فـــي محلـــة المشاهدة المسماة قديماً محلة الدير[2]، قريباً من منتهى الـــبلدة، على يسار الخارج من البلدة إلى مقبرة معروف جامع، يعرف بجامع

---

(١) ســكت عنه الآلوسي، وأشار عبادة إلى اسمه ولم يزد، واستدركه الأثري في فوائته علـــى مساجد الآلوسي، فقال" مسجد عدوان مسجد كبير الفناء في المشاهدة من محال الكـــرخ الغربية". ونوه به محمد خلوصي الناصري باسم مسجد الحشاشة فقال " هذا المسجد في محلة جامع عطاء، يباع فيه الحشايش فسمي بذلك، ولم أقف على مؤسسه، وقد أقام فيه المرحوم العلامة غلام رسول الهندي مقداراً من الزمن يدرس فيه، رحمه الله" (تكملة مساجد بغداد، ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٨٠). وقد نقـض هذا المسجد ونقلت جهة الإمامة إلى مسجد مقبرة الكرخ الحديثة في الحصوة (يـــونس الـــسامرائي: مساجد بغداد الحديثة ص٢٩٣) وثمة دار سكنى موقوفة عليه (فردوس صالح: دراسة إحصائية بالعقارات الموقوفة، ص٢٧).

(٢) عرفت مقبرة الشيخ معروف الكرخي، في المراحل المتقدمة من تاريخها في العصر العباسي بمقبرة باب الدير ينظر مادة (جامع معروف الكرخي) الآتية.

الشيخ موسى الجبوري رحمه الله تعالى[1]. وهذا الجامع هو من الجوامع القديمة التي لا تعرف بناؤها، لعب به الدهر وحوادثه، فجدده الشيخ موسى المذكور سنة ١٢٤٤.

وهو مسجد واسع كبير، ذو رحبة واسعة، وعلى يسار المار إلى مصلاه دكة للصلاة عليها في الصف صباحاً وليلاً. وله مصلى واسع فيه

---

(١) هو الشيخ موسى بن حمد بن حمود بن عبد الله بن عبطان بن رمضان بن عبد الله، من فخذ ألبو عميرة، من أفخاذ قبيلة الجبور، الجبوري نسباً ولقباً، النقشبندي طريقة، (المتوفى سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) من خلفاء الشيخ خالد النقشبندي مجدد الطريقة النقشبندية في العراق، ومن صلحاء عصره (الحيدري: عنوان المجد ص١٣٤ وابن البيطار: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر) وكان قد أنشأ هذا المسجد من ماله الخاص، وسكنه بعد بنائه، وقام بتعليم القرآن الكريم ودرسه في خلال سكنه فيه، ووقف عليه أوقافاً منها " كورة وأرض الموحي، وكرود الصخر الخراب في التاجي من الجانب الغربي بطريق موسى الكاظم، والدكاكين الخربة الواقعة في محلة المشاهدة في الجانب الغربي، المحدودة بملك سيد عليوا وسيد حمور أولاد نجم الدين العاني، ومدرسة الواقف الشيخ موسى، وبالطريق العام، وبالطريق الخاص" في وقفيته المؤرخة سنة ١٢٤٨. ودفن في جامع الست نفيسة في الكرخ، ومنه نقل رفاته سنة ١٩٥٤م إلى الجامع الذي جدده، وهو جامع موسى الجبوري، وهو يحمل اسمه إلى اليوم، ويقع القبر في حجرة على يسار المصلى، منفصلة عنه، لا قبة عليها، ويعرف هذا جامع أيضاً بجامع المشاهدة، نسبة إلى أسرة السيد نجم الدين المشهداني العاني المذكورة، وهي التي تولت أوقافه جيلاً بعد جيل، وكانت من أوائل الأسر التي نزحت من موطنها الأول في عانة على الفرات إلى هذا الموضع من بغداد الغربية، فعرفت بمحلة المشاهدة، وآخر من تولى أوقافه من هذه الأسرة عبد الله بن يونس الذي سينوه المؤلف به فيما يأتي، ثم آلت التولية من بعده إلى آل الملا حويش.

خوخة[1] كان يعتكف فيها الشيخ المذكور ويختلي للعبادة، وبين يدي المُصلَّى صُفَّة أقصر من المصلى لاقتطاع قسم منها وجعله حُجَراً. عقد سقفها بالآجر والجص، وكان فيه شابان يدرسان الجادة معروفان بنجم وأحمد، أخوين شقيقين، ولَدَي عبد الله اليونس العاني بائع العِبي[2]. وهو جامع تقام فيه

---

(١) الخوخة لغة: التجويف، والمخوخ: المجوف، فيظهر أنه كان في هذا المصلى في طوره الأول دخلة في جدار اختاره الشيخ معتكفاً له.

(٢) هو السيد يونس بن حسين بن عليوي بن زامل بن محمد بن حسن بن يونس بن نجم الدين بن محمد بن ضياء الدين المشهداني، وولداه نجم الدين وأحمد اللذان يشير إليهما المؤلف، صارا من العلماء البارزين، ولد نجم الدين سنة ١٢٨٣هـ/١٨٦٤م، وولد أخوه أحمد حمدي سنة ١٢٨٦هـ/١٨٦٧م، وترعرعا في كنف أبيهما في داره في محلة جامع عطا، وأخذا العم على علماء عصرهما، ومنهم غلام رسول الهندي والشيخ عباس القصاب، ويوسف العطا، وعبد السلام الشواف، وعبد الوهاب النائب وغيرهم، وقد نبغا في التفسير والحديث، فضلاً عن الفقه واللغة، وصارا ينوبان في الدرس عن الشيخ غلام رسول الهندي، الذي لازماه مدة طويلة، وتوليا التدريس حسبة لله تعالى في جامع الشيخ موسى الجبوري، وعرضت عليهما مناصب علمية وشرعية فأبياها تورعاً، وعنيا بالكتب، فجمعا خزانة كتب حفلت بنفائس المخطوطات، وأخذ العلم عنهما علماء كبار، منهم نجم الدين الواعظ، وعبد العزيز الشواف، وعارف الوسواسي، ومنير القاضي، وغيرهم. وسماهما الدروبي بالعالميَن الفاضلين (البغداديون ص٦٤)، وتوفي نجم الدين سنة ١٣٣٠هـ/١٩١١م، بينما توفي أحمد حمدي سنة ١٣٣٣هـ/١٩١٣م، ودفنا في قبرين متجاورين دارسين بلصق قبة الشيخ معروف الكرخي من شرقيها. صادق الجميلي (بتوقيع أبي عبد الرحمن): الشيخان الأخوان نجم الدين وأحمد حمدي، ولدا عبد الله اليونس العاني المشهداني، مجلة التربية الإسلامية ، العدد١٠، السنة ٣٤، كانون الأول ١٩٩٩، ص٤٤-٤٥.

الأعـياد والجمـع والجماعة في الصلوات الخمس، وقد كتب على جداره ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّمَـا يَعْمُـرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَـامَ الـصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾

قد عمر هذا المسجد الشيخ موسى الجبوري بن الحاج حمـد بـن (السيد)[١] عبد الله من خالص ماله الحلال بعـدما وصـل من وقوعه إلى الزوال جزاه الله تعالى جـنان النعـيم وأناله المقام العالي عند الرب العظيم وذلك سنة أربع وتسعين ومائتين وألف[٢].

والـشيخ موسى هذا هو أحد خلفاء الشيخ خالد النقشبندي رحمه الله وقـدس سـره، فقـد خلَّـف فـي بغداد الشيخ المذكور، والسيد عبد الغفور المـشهداني، والـسيد صـبغة الله أفندى الحيدري مفتي بغداد، وتوفي الشيخ المذكـور فـي الهيـضة أيـام ولاية علي باشا اللاز، وافتاء السيد محمود الالوسـي[٣] رحمهم الله تعالى ورحمنا معهم. [و]هو ثابت، ولم يكن حياً أيام

---

(١) كلمة السيد لا وجود لها في الرخامة التي يشير إليها المؤلف.

(٢) في نص الرخامة كتب العدد رقماً لا كتابة.

(٣) حدث الطاعون الذي توفي فيه الشيخ موسى الجبوري في أواخر سنة ١٢٤٦هـ تولى علـي رضـا باشا اللاز بغداد في ٨ ربيع الأول سنة ١٢٤٧هـ(١٨٣١م)، وأسند=

نجيب باشا فمن بعده، فضلاً عن سنة ١٢٩٤، وعلى هذا فان هذا التاريخ هو تاريخ كتابة هذه الكتابة لا تاريخ البناء فليحفظ[١].

جامع معروف الكرخي

هـو الجامـع القائم الآن وسط مقبرة معروف الكرخي[٢]، المعروفة قـديما بمقبـرة الدَّير[٣]. لا الجامع الذي كان معروفاً به قديماً، والواقع على دجلـة، فقـد بيَّنا موقع ذلك[٤]. وهذا الجامع قائم فوق الجامع الأصلي القديم

=الافـتاء إلـى السيد محمود أبي الثناء الآلوسي في سنة ١٢٤٩هـ/١٨٣٣م. عباس العزاوي: ذكرى أبي الثناء، بغداد ١٩٥٨، ص٤٨.

(١) جـددت وزارة الأوقـاف هذا الجامع سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، وما زال عامراً. وقد زرتـه، والـسيد زين النقشبندي، في ٢٠ نيسان ٢٠٠٦، وهو يحمل الرقم ٥٩/١٣١ بحـسب التـرقيم القـديم. واسـتخرج منه دكان ودار سكن. فردوس صالح: دراسة إحصائية بالعقارات الموقوفة، وزارة الأوقاف ١٩٩٠، ص٢٦.

(٢) ينظر مرتضى آل نظمي: جامع الأنوار، بالتركية، الورقة ٤٤ ومساجد الآلوسي ص ١١٩ والعقد اللامع ص٤٤٩-٤٥٣ ومعالم بغداد ص١٦١- ١٦٢.

(٣) هو دير اكليليشوع (أي إكليل يسوع) وسمي أيضاً دير الجاثليق، أو الدير الجديد، لأن الجاثلـيق طيمثاوس الأول (توفي سنة ٨٢٣م/٢٠٨هـ) رمم ما تهدم منه، أو ليتميز عـن الديـر العتيق، أي دير مارفثيون (عند مشهد المنطقة)، وقد دفن الشيخ الزاهد معروف الكرخي قريباً من هذا الدير فصار قبره فيما بعد مقبرة اخذت بالاتساع حتى أضحت من كبريات مقابر بغداد، وسميت بمقبرة باب الدير لمجاورتها ذلك الدير. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ج٢ ص٥٥٥ وينظر: معجم البلدان ج٢ ص٥٠٢.

(٤) يقصد مسجد معروف الكائن في مشرعة الساج، وقد تقدم.

الذي كان قد شُيِّد سنة اثنتي عشرة وستمائة[١]، والذي هو الآن كالمطمور أو المُطَبَّق تحت الجامع الحالي القائم على وجه الأرض التي عليه، بسبب ارتفاع القـبور حـوله[٢]. أما الجامع الأصلي فقد كان بناؤه كما ذكرنا، وفيه مئذنة بُنـيت بتاريخه أيضاً[٣]. وقد قاوم الحوادث والعاديات وحفظ نفسه من الغرق

---

(١) أنـشأه الخلـيفة الناصر لدين الله العباسي (٥٧٥- ٦٢٢هـ/١١٨٠- ١٢٢٥م) سنة ٦١٢هـ/١٢١٥م وكـان ذلـك بمناسـبة دفن ابن الخليفة الملك المعظم بقرب قبر معروف، وعلى مسافة يسيرة من قبر جدته السيدة زمرد خاتون، في تلك السنة. ينظر ابن الأثير: الكامل ج٩ ص٣٠٩.

(٢) إن تخطـيط المطمور(السرداب) الذي تحت مستوى أرضية جامع معروف لا يشبه، فـي وظيفته وشكله، عمارته التي فوق مستوى تلك الأرض، كما أن مستوى أرضية المـئذنة وارتفاعها يدلان على أنها بنيت بمستوى الجامع الحالي، فمن البعيد أن يكون ذلـك الـسرداب جامـع معـروف في عصر من العصور، بيد أنه كان مألوفاً بناء المطامير تحت المباني العامة، ومنها المساجد، ويفهم مما أورده ابن الجوزي أن هذا السرداب شيد سنة ٤٦٠ في ضمن أعمال بناء تربة معروف نفسها، قال في حوادث تلـك السنة "وعقد مشهده آزاجاً بالجص والآجر" والآزاج جمع أزج، وهو البيت يبنى طولاً، وهو السرداب نفسه.

(٣)هـي أقدم مئذنة بغدادية دُوِّن عليها تاريخ إنشائها، وهو سنة ٦١٢ للهجرة (١٢١٥م) وتقـع ، بحـسب تصميم الجامع الأصلي، على يمين الداخل إلى مصلاه، وهي مبنية بالآجر والجص، ويبلغ محيطها ٧،٤٢ متراً، أما بابها فنافذ إلى المصلى، ولها حوض تحمله عدة صفوف من المتدليات على هيئة عقود، وفي أحدها تاريخ الإنشاء المذكور. وتـزين قمـة المئذنة وهي مستدقة نسبياً قطع صغيرة من الآجر المزجج تؤلف بينها خطـوطاً مـتقاطعة، وهـذا الرصـف بالمـربعات نجـد مثله في قمة مئذنة مسجد الحظائر(جامع الخفافين) المشيد سنة ٥٩٨هـ/١٢٠٢م.

المتوالـــي فـــي العصر السابع والثامن، ولما علت المقابر المحيطة به حتى ســـامتت ســـطحه، وذلك في العصر الثاني عشر، بني الجامع الموجود على جدرانـــه الأصـــلية حضرة المرحوم والي بغداد إذ ذاك علي باشا الذي تولى ولاية بغداد سنة سبع بعد الألف والمائة حتى سنة عشر[(١)]، ثم عاد إليها سنة خمس عشرة[(٢)]، وجدّد منارته في الموضع التي كانت فيه سابقتها، وأعاد من تلـــك الـــنقوش والريازة الموجودة في المنارة السابقة قسماً جعله كالطوق أو المنطقة تحت الحوض مع حَجَر التاريخ الذي كان في السابق، فجعله في أحد الطـــوق التي تحت حوضها، وشاد على جميع المُصلَّى قبة كبيرة، ووقف له نهراً في الدُجَيل.

وكانت تولية الجامع إذ ذاك، وإن شئت قبل خدمته، بيد الشيخ أحمد بن سُوَيْد الذي هو خال الشيخ عبد الله المعروف بالسُّوَيدي، وكان هذا الشيخ مـــن مـــشائخ الطـــرق منزوياً في هذا الجامع، وقد كان نكح أخته حسين بن مرعي الدوري والد الشيخ عبد الله السويدي فتوفي عنها وعن ولدها عبد الله المذكور، فكفله خاله الشيخ أحمد المزبور وساقه على تحصيل العلوم، فدرس

---

(١) ينظر عنه مرتضى آل نظمي: كلشن خلفا ص٣٠٣.

(٢) انفرد المؤلف بالإشارة إلى تعمير علي باشا هذا. والذي في المصادر التي نوهنا بها أن الجامع شهد تعميرات مختلفة في عهد الوالي أحمد باشا سنة ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م، والوالـــي عبد الرحمن باشا سنة ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م، والوالي عمر باشا سنة ١١٠٠ هـــ/١٦٨٨م، والوالي حسن رفيق سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، والأوقاف العراقية سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، وآخر تعمير له جرى سنة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، وهو تعمير شامل ضاعف مساحته مرات عدة، وأضيفت إليه مرافق عديدة، ومئذنة عالية جديدة.

عند الشيخ المنلا نوح الحديثي أول مدرس في المدرسة العمرية، وعند الشيخ حسين الراوي بن الحاج عمر الساهُوكي الذي اخترع لقب السُّوَيدي للشيخ عبد الله المذكور في مكاتباته، كما يحكي ذلك الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله المذكور في كتابه حديقة الزوراء[1]، والشيخ المذكور في رحلته[2]، والسيد محمود أفندي الآلوسي في مجموعته الوسطى.

وهذا الجامع القائم الآن عبارة عن رحبة مستطيلة ممتدة من الباب الخارجي إلى باب المصلى، مصفوفة على جانبيها قبور بعض المأمورين ومن له وجاهة على طول الزمن، ومُصلًّى واسع معقودة عليه قبة كبيرة، وعلى يسار المحراب حجرة فيها صندوق خشب رمزاً لموضع القبر[3]، لأنه في محاذاته وتجاه باب الحجرة باب في الارض يدخل فيها الانسان إلى درج

---

(١) لم يرد هذا الخبر في حديقة الزوراء، وإنما أشير إلى حسين الراوي عرضاً في بعض صفحاته.

(٢) يقصد كتاب (النفحة المسكية في الرحلة المكية) للشيخ عبد الله السويدي، بتحقيقنا، ابو ظبي ٢٠٠٣، وقد ورد هذا الخبر في ص٦٧.

(٣) يقع القبر ، بحسب عمارته الأصلية، في الركن الذي على يسار المحراب، أي في الطرف الجنوبي من المصلى، وله باب عليه، تعلوه نافذة، ونافذة أخرى مطلة على المحراب، وتعلو الحجرة قبتان، الواحدة فوق الأخرى، فمن الداخل توجد قبة واطئة قديمة غير مزينة بشيء من الزخارف، أما القبة الخارجية فهي حديثة عالية، بناها الوالي حسن رفيق باشا سنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م، ويبلغ محيطها الخارجي ١٧ متراً، وهي مزينة بزخارف نباتية ملونة بالآجر المزجج، أما القبر فكائن وسط الحجرة، وكان يحيط به قفص من الخشب، ويوجد أمامه محراب صغير.

يعلو اثنتي عشرة درجة عندها بئر الجامع الأصلي(١)، وهذه الدرج هي درج الجامع إلى سطحه(٢).

وهو جامع تقام فيه الأعياد والجمع والصلوات الخمس، وله خطيب وإمامـــان للحنفية والشافعية وسادن للقبر ومؤذن وخادم وأباريق، وجراياتهم مـــن أوقـــاف المرحوم داود باشا أي في دائرة الأوقاف(٣). وكان قد آل إلى الخراب في العصر الرابع عشر، أعني سنة خمس وثلثمائة وألف(٤)، فتداركه المرحوم والي بغداد الحاج حسن باشا(٥)، فرمه وأصلحه وزخرف المصلى، وكـــتب حـــول القبة آية الكرسي بخط عديم النظير، وهو خط مملوكه ياور، وكـــان مـــن الخطاطين المُضاهِين لحافظ عثمان الخطاط المشهور(٦)، وعلّق

---

(١) يوجد هذا البئر في حجرة تحت مصلى الجامع.

(٢) وهـــذا على أفتراض أن أرض الجامع الأصلية هي أرض سردابه التي تحت مستوى أرضه الحالية، وهي التي يسميها سطحه.

(٣) ومـــن أوقـــاف هذا الجامع القديمة ما وقفه الحاج عبد النبي بن حسن الجصاني سنة ١٠١١، وهـــو خمسة دكاكين في سوق المنادي (قرب المدرسة المرجانية) في بغداد، ومـــا وقفته عايشة بنت الحاج درويش سنة ١١٥٠هـــ وهو ربع مزرعة بازوت سيار فـــي قـــرية ســـميكة من أعمال دجيل" على إطعام الفقراء في جامع الشيخ معروف الكرخي".

(٤) يوافق أولها ١٨٨٧م.

(٥) هو والي بغداد حسن رفيق باشا (١٣٠٩- ١٣١٤هـــ/١٨٩١- ١٨٩٦م)، وقد عمره ســـنة ١٣١٢هـــــ/١٨٩٤م، علـــى ما أثبت في كتابة جميلة تتوسط قبة المصلي من الداخل، وأبيات بالتركية على رخامة فوق باب المصلى.

(٦) تقدم التعريف به.

علـــى المحـــراب قطعـــة بخطــــه أيـــضاً، هي آية (كلما دخل عليها زكريا المحراب). وبنى على قبر معروف قبة، وجدد الباب الخارجي ووضع فوقه مرمرة كتب فيها ما يأتي:..........[1].

والــشيخ معـــروف الكرخـــي -رحمه الله وقَدَّس سره- من الزهاد المـــشهورين، والعـــباد المعروفين، لازم علي بن موسى الرضا، وعنه أخذ، وهـــو من شيوخ السَّرِي السَّقَطي والجُنَيد، وله كلام منه "من علامة مَقت الله للعـــبد ان يراه مشتغلاً بما لا يعنيه من أمر نفسه" وقال "طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور، وارتجاء رحمة من لا يُطاع جهلٌ وحُمق". وكان وفاته -رحمة الله عليه- سنة أربع ومائتين هجرية على أحد الأقوال[2] أما أصله ومنشأه وما فعل مع معلمه وكيفية إسلامه وإسلام أبويه فهو مذكور في كتب التراجم (أنظر وفيات الأعيان)[3]

---

(١) بـــياض في الأصل. وهذه الكتابة تتضمن من ستة أبيات بالتركية، وبيت التاريخ هو (اشته ديدي تاريخ تام- معروف كرخي كنبدي) وتاريخها ١٣١٢.

(٢) وفي أقوال أخرى أنه توفي سنة ٢٠٠، وقيل سنة ٢٠١هـــ.

(٣) ج٢ ص١٣٦. وتنظـــر تـــرجمته أيـــضاً في الخطيب: تاريخ بغداد ج١٣ ص١٩٩ والسلمي: طبقات الصوفية ص٨٥ وأبو نعيم: حلية الأولياء ج٨ ص٣٦٢ والقشيري: الرســـالة القشيرية ص١٢ وابن الجوزي: صفوة الصفوة ج٢ ص٧٩ وكتابه: مناقب معـــروف الكرخي وأخباره، تحقيق عبد الله الجبوري، بيروت ١٩٨٥. وقد جدد هذا الجامـــع مرات عدة، منها سنة ١٤٠٥هـــ/١٩٨٥م، وقد شمل التجديد المدخل الرئيس للمرقد والجامع، وتمت صيانة القبة من الداخل والخارج، وأرضية المصلى، وغيرها، ثـــم وســـع سنة ٢٠٠٠ توسيعاً شاملاً، وأضيفت إليه أجنحة جديدة، وقباب عالية على طراز غير مألوف، ومئذنة مثلها، وأروقة عديدة، ومساحات واسعة حوله، وغير ذلك.

مسجد الجنيد البغدادي

هـو مسجد قديم العهد، غربي جامع الشيخ معروف الكرخي وبقربه، فـي وسـط البـرية. وهـو عبارة عن مصلى صغير، وحجرة كبيرة خلف المـصلى، وساحة بين يدي المُصلَّى مملوءة بالمقابر. وفي هذه المقبرة قبور جماعـة مـن الـصالحين كجنيد البغدادي وسَرِي السَّقَطي، وهذان معروف قبراهما، وجعفر الخُلْدي ورويم وسمنون ومحمود الجاجرمي وغيرهم. وهي المقبرة المعروفة بالمقبرة الشونيزية، الواقعة وراء محلة التوثة، قبالة قنطرة الشوك، قرب نهر عيسى من شرقيه، وغربي نهر القلائين.

وكان بناؤه سنة....[١] ثم وهى بناؤه سنة ١٢٦٩[٢] كما يحكى ذلك الكـتابة الموجـودة فيه على حجر مرمر، فأعاد بناءه رشيد باشا الكُوزْلْكلي والي بغداد إذ ذاك[٣]، وقد نظم ذلك بعضهم وبيت التاريخ هو:

عام ألف ومائتين وتسع بعد ستين قد أتَمَّ العمارة.

وقبر الجُنَيد وسَرِي السَّقَطي في الحجرة الواقعة على شمال المصلى في قبة صغيرة، وأول من دُفن فيها السَّرِي[٤]، وهو خال جُنيد البغدادي قدس

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) يوافق أولها ١٥ تشرين الأول ١٨٥٢م.

(٣) تولى بغداد من ١٢٦٨ إلى ١٢٧٣هـ/ ١٨٥١- ١٨٥٦م.

(٤) هـو أبـو الحسن سَري بن المغلس السَّقَطي، من كبار متصوفة بغداد، صحب الشيخ معـروف الكرخـي، وقـيل: كـان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. ينظر ابـن=

الله ســرهما. وجُنَـيد هذا هو ممن تفقه على أبي ثَوْر، وكان يُفتي في حلقة درســه، وعــرف بعد ذلك بمفتي الثقلين، ثم صحب خاله السَّرِي والحارث المُحاسِــبي وغيرهما من أكابر الصوفية والزهاد، حتى أن النَّوبة انتهت إليه في حياته (انظر وفيات الأعيان[1]. والمسجد والقبران على ما وصفنا قائمة، وعلــى القبــرين صندوقان من الخشب. وللمسجد إمام هو خادمه وهو سادن القبرين، وله جرِاية من أوقاف داود باشا، وتقوم الأوقاف بما يحتاجه المسجد من ترميم وتنوير[2]، وقد قامت الآن في جنوبي المسجد بنايات لشركة القطار الانكليزية لأجل تعمير القطر والمحركات لها.

مسجد زبيدة

كــان فــي غربــي التــربة الموجودة فوق جامع معروف الكرخي المعــروفة بتــربة زبيدة مسجد، وكان يعرف بمسجد زبيدة، ولم يكن إذ ذاك مــسجداً قائماً يُصلِّي فيه أحد، إنما كانت هنالك آثارٌ له، وقد شاهَدَ تلك الآثار بعــض الشيوخ الذين أدركتهم مثل السيد ظاهر التكريتي، وخضر أفندي بن يوســف العانــي المعــروف بكــركور، والذي تولى القضاء زمن الحكومة العثمانية، وقصّا ذلك مراراً وقالا: إن بابه كانت مواجهة لتربة زبيدة، والآثار

=خلكــان: وفيات الأعيان ج١ ص٢٠٠ والخطيب: تاريخ بغداد ج٩ ص١٨٧، ودفن في مقبرة الشونيزي، وهي مقبرة الشيخ جنيد اليوم، قريباً من قبره.

(١) ج١ ص٢٧٤. وينظر أيضاً: تاريخ بغداد ج٧ ص٢٤١ وصفوة الصفوة ج٢ ص٢٣٥ وحلية الأولياء ج١٠ ص٢٥٥.

(٢) جددت وزارة الأوقاف هذا المسجد ووسعته سنة ١٣٩٨هـ/١٩٧٧م.

التـــي رأياها هي الباب الخارجي المشتمل على دكتين في جانبيه تحت طاقه، شأن أغلب الجوامع الموجودة الآن، ويظهر من آثار سوره الداثر الذي اقتلعه المـــرحوم ســـليمان باشا الكبير زمن ولايته على بغداد، ولأجل تعمير سور بغـــداد الغربية، وقد قلع الباب بعد ذلك النقّابون طلاّب الأحجار حتى لم يبق لـــذلك المـــسجد من أثر[1]. وعندي أن هذا البناء الذي يرون أنه كان مسجداً

---

(١)هـــي مدرســـة زمرد خاتون، المعروفة بمدرسة الأصحاب، من أهم مدارس الشافعية ببغداد في العصر العباسي، أنشأتها السيدة زمرد خاتون المتوفاة سنة ٥٩٩، أم الناصر لـــدين الله وزوجة المستضيء، وافتتحتها سنة ٥٨٩، في موقع مجاور لتربتها قرب قبر معروف الكرخي، التي عرفت في القرون المتأخرة بتربة، أو قبة، السيدة زبيدة، ومـــن عـــرفت المدرسة بمسجد زبيدة، وألحقت بها دوراً خاصة بالمدرسين والفقهاء والقـــومة (الإداريين)، ورتبت فيها مدرساً من أفاضل العلماء هو محمد بن أبي علي النوقانـــي، وأجـــرت للجمـــيع الرواتب الحسنة، حتى صارت هذه المدرسة تعد بعد النظامية والمستنصرية، واستمر التدريس فيها قائماً في العصر العباسي، وما تلاه من عصور المغول والجلائريين، بل بقي بنيانها ماثلاً حتى العصر العثماني. ينظر كتابنا: مـــدارس بغداد في العصر العباسي ص١٢٣-١٣١. وقد جدد هذه المدرسة، أو أعاد بـــناءها والـــي بغداد حسن باشا سنة ١١٣٩هـــ/١٧٢٦م، فكانت على ما وصفها عبد الـــرحمن السويدي" مدرسة لطيفة، ذات حجر منيفة، وأجرى بها الماء لأبناء السبيل، فغدت جنة الدنيا بلا نظير ولا مثيل، وعين فيها المدرسين، ورسم لهم موظفاً يأخذونه فـــي كل السنين، ووظف لطلبة العلم الساكنين هناك كل يوم مطبوخاً يطبخ لهم غدوة وعشية، وعين لهم بعض الدراهم الجزئية، وهذه المدرسة في بغداد مشهورة باللطافة، معـــروفة بالحـــسن أتـــم عـــرافة، لطيب هواها، وحسن مأواها، حيث كانت في البر المطلـــق، وبكـــنفها نهر مسعود يتدفق" (حديقة الزوراء ص١٦٩- ١٧٠) قلنا: ونهر مـــسعود هـــو نهر المسعودي الذي كان يجرى من وراء البساتين التي تحيط سور=

ليس بمسجد، بل أنه الرباط الذي بنته زمرد خاتون أم الناصر لدين الله بجنب تـربتها التـي دُفنت فيها سنة ٥٩٩، ودفن معها ولي عهد الناصر، وهو أبو الحـسن علـي الملقب بالملك المعظم بعد ذلك كما في الكامل لابن الاثير [١]، ويـؤيد ذلك أن زبيدة بنت جعفر أم الامين وزوج هارون قد دفنت في مقابر قريش بقرب ولدها، ومقابر قريش هي الكاظمية لا مقبرة الدير. وإذن فما هو موجـود الآن مـن التـربة المعروفة بتربة زبيدة هو تربة زمرد خاتون أم الناصـر لدين الله. ويعتقد هذا الرأي وجود القبة التي هي مخروطية الشكل كالمـيل المُـضاهية لقـبة السهروردي لأن عصر بناء القبتين واحد، والفن المعمـاري فـي ذلـك التاريخ كان على هذا الشكل وبهذه المنزلة. وقد كان [الـسيد محمـود] شكري أفندي الآلوسي يذهب إلى أن هذه التربة هي تربة زبيدة بنت جعفر، مُستدِلاً بأن قبتها مثل قبة عمر السهروردي، وانه سمع من الناس انه كانت داخل التربة كتابة بالكاشاني مشتملة على تاريخ العمارة، وقد اقـتلعه من اقتلعه، ويقول من نَقَل له ذلك أنه ادرك وجود تلك الكتابة، وانه حفظ منها شيئاً، وهو:

=بغداد الغربية، ويمر فموقع هذه المدرسة إذن كان في أرض السكك المتصلة بمحطة قطـار غربي بغداد، بإزاء قبر السيدة زمرد المذكورة. وقد نقض والي بغداد سليمان باشـا الكبيـر هذه المدرسة من أسسها واستعمل آجرها، ومواد بناءها، في بناء سور بغداد الغربية سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م على ما يذكر المؤلف هنا. مساجد الآلوسي ص ١٢٥ والعقد اللامع ص٤٥٥.

(١) ج٩ ص٢٦١.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾

هــذا مـــرقد ام جعفـــر زبـــيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم وهي أم الأمين محمد بن هارون الرشيد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكانت وفاتها سنة ست عشرة ومائتين في جمادي الاولى وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين[١].

وإن القـــارئ يرى أن الحدوث والوضع بادٍ على هذه المقالة والكتابة إذا صَحَّت، لأن الكاشاني لم يكن معروفاً زمن وفاة زبيدة رحمها الله، كما أن طَرْز الكتابة يدل على الحدوث لأن تعريفها بذكر نسبها كافٍ، فضلاً عن انه لـــم يعهد مثل ذلك في القبور المنسوبة للأعاظم. وإن طَرْز عمارة التربة بما اشتملت عليه من الحفر والنقش البديع وقيام المِيل عليها المضاهي للميل القائم فـــوق تربة الشيخ عمر السهروردي يدلان دلالة واضحة ويناديان بأن التربة

(١) وكـــان الرحالة نيبور قد نقل نصاً على قطعة كبيرة من المرمر كتبه حسن باشا المذكور، بمناســـبة وفاة زوجته عائشة خانم، جاء فيها "هذا قبر المرحومة المغفورة الموفقة للخيرات الجاريـــة، ست زبيدة بنت جعفر بن المنصور الدوانيقي وزوجة هارون الرشيد أحد خلفاء بني العباس توفيت سنة مائتين وست عشر" (رحلة نيبور، ترجمة محمود الأمين ص٣٨).

هي تربة زمرد خاتون، لأن الفن المعماري في ذلك الزمن حتى نهاية العصر الثامن كان على هذه الصورة[1] (انظر بناء مدرسة مرجان).

وقـــد سقط بعض شُرفات المِيل المعقود فوق القبر، فقام كاظم باشا[2] بتـــرميم المـِـيل وإعـــادة بعض الأحجار الساقطة من جدار التربة وشرفاته، وعمـــل للتربة باباً وبيَّضها، أي طلاها بالجص داخلها وخارجها، ورفع من القبـــر مـــا أظهـــره، وقـــد كان مساوياً للارض، يستدل عليه بظهور الآجر المفـــروش علـــيه، فعل ذلك بادعاء أنه قبر سلجوقة خاتون السلجوقية زوجة الخلـــيفة الناصـــر لـــدين الله. أمـــا تـــربة زبيدة وما فعلت من أفعال الخير والمعروف، خصوصاً في طريق الحاج وفي مكة، فقد كفلتهما كتب التاريخ، خـــصوصاً كتاب الألقاب لابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن[3] وغير ذلك من الخطيب البغدادي وأمثاله المؤرخين، رحمة الله عليهم أجمعين[4].

---

(١) أيـــد الدكـــتور مـــصطفى جواد هذا الرأي وعززه بنصوص وقرائن عديدة في بحثه المعـــنون (العمـــارات الإسلاميـــة العتيقـــة)، مجلـــة سومـــر، ج٣ (بغداد ١٩٤٧) ص٣٨- ٥٩.

(٢) صهر السلطان عبد الحميد الثاني وقد تقدت الإشارة إليه.

(٣) يقع في جزء واحد، وهو من كتبه الضائعة، وورد ذكره في الوفيات لابن خلكان ج٢ ص١٨١ و٣١٤ و٥١٠ وج٣ ص٢٧٤ وج٤ ص٣٢١ وج٥ ص٤٠٤ وج٦ ص١٩٩.

(٤) ينظر مصطفى جواد: سيدات البلاط العباسي ١٨١.

مسجد النبي يوشع

هــو مسجد صغير مُشاد بالقرب من قبر يقال انه قبر النبي يُوشَع(١)، أحــد أنبــياء بني إسرائيل، لا أنه النبي يُوشَع ابن نُون خليفة موسى عليهما الــسلام، لأن ذلك مدفون في فلسطين قرب نابلس في جبل إفرابيم، وقيل هو فـــي المَعَــرَّة. وإن اليهود تزوره في مواسم مخصوصة، وقد قاموا بعد إذن الحكــومة بتعمير سور المسجد، ولكن لم يُعَيِّنوا المسجد بحجة أنهم سيبنونه، ولمـــا أخذتــه الحكومة منهم بعد أن سمحت لهم بإبقاء من يشاؤون إبقاءه في خدمـــة الضريح وبتعميره بسبب تجاسرهم على دفن موتاهم هناك، حتى أنهم دفنوا عند القبر، بينه وبين قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل، أحد أحبارهم، وهو

---

(١) مــسجد صغير فيه قبر من يزعم أنه النبي يوشع، وعليه قبة صغيرة، وهو قريب من مــسجد الجنيد البغدادي، وذكر الشيخ محمد صالح السهروردي في أن نسبة القبر إلى النبي يوشع " لايرتكز إلى قول قائل، ولا يعضده دليل، وإنما هي من مفتريات اليهود، قصد الاستيلاء عليه وجعله مقبرة لهم.. وعلى كل فإن الدفين المعروف بالنبي يوشع هــو تاج الدين بن بهاء الدين بن برآن يوشع، وكان قد توفي سنة ٧٨٦هــ ودفن في مقبــرة باب الكناس". بغية الواجد، ضمن كتابنا: مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص ١٢٥- ١٢٦. وأول مــن زار هذا القبر الرحالة التركي نصوح المطراقي زاده سنة ٩٤١هـــــ/١٥٣٤م، (رحلــة الطراقـــي زاده، بتحقيقنا، ص٩٠)، ثم تلاه سيدي علي التركي سنة ٩٦١هــ/١٥٥٣م (مرآة الممالك، استانبول ١٣١٣، ص١٥)، وممن زاره أيــضاً الرحالة مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي عند نزوله في بغداد سنة ١١٣٩هـــــ/١٧٢٦م (كــشط الــصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من الــبلدان، الــورقة ٤٣)، ويفهم مما ذكره أنه كانت توجد فيها تكية، سماها (الحضرة اليوشعية).

عــبد الله الـــياهو[1]، فقام المسلمون وكادوا يفتكون باليهود، فصدرت الارادة السلطانية من المرحوم عبد الحميد[2] بنبشه وإخراجه، فنُبش وأُخرِج ودفن في مقابر اليهود في الجانب الشرقي من بغداد، بعد أن تغير فانتفخ وأنتن، وذلك ســنة ١٣٠٥ هجرية[3]. وقد مُنع اليهود منذ ذلك التاريخ من زيارة هذا القبر والتردد عليه، حتى أيام إعلان المشروطية. أما القبر المذكور فهو في حجرة صغيرة في قبلة المسجد وبجنبه قبر آخر هو قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل، وقد أوصى بأن يدفن هنا، وموضع هذا القبر هو قطيعة أم جعفر الواقعة بنهر القلائـــين، وهي غير القطيعة الواقعة بالقرب من مقابر قريش (انظر المعجم والخطيب والكامل).

وهــذا المــسجد فـــي الأصل هو بقايا الجامع الذي شُيِّد سنة ٣٨٠ وصُـــلِّيت فـــيه الجمعـــة، وهو الجامع الذي شيد بأمر الرسول عليه الصلاة والـــسلام للمـــرأة التي رأته في المنام، وأخبرها بموتها عصر يومها فقصت رؤياهـــا وماتت عند العصر، فقام بتعميره الشريف أبو أحمد الموسوي والد

---

(١)هـــو الحاخام عبد الله إبراهام سوميخ، وكان قد أوصى أن يدفن في مقبرة النبي يوشع لقدسيتها عنده، وكان اليهود قبل هذا يدفنون موتاهم بمقبرتهم الخاصة التي أزيلت سنة ١٩٦٠وشغلت أرضها ساحة وكراج النهضة.

(٢) يريد: السلطان عبد الحميد الثاني.

(٣) كذا في الأصل، وفي مساجد الآلوسي ص١٣٢، وفي عبادة أنها سنة ١٣٠٥ رومية، وتقابل سنة ١٣٠٧هـــ/١٨٨٩م، وهي ضمن سني ولاية مصطفى عاصم باشا(١٣٠٤ – ١٣٠٧هـــ/١٨٨٦– ١٨٨٩م)، الذي جرت في أيامه هذه الحادثة. ينظر العزاوي: تاريخ العراق بين احتلالين ج٨ ص٩٤.

الرضـــى الموســوي...[١] وسبب دفن عبد الله هنا قوله حينما سُئل عن دفنه بقــرب أبيه "قد صح عندي أن بباب التبن نبياً ولئن أُدفن في جوار نبي خير مــن أن أُدفــن في جوار أبي". وهذا الموضع يقال له: باب التبن، كما يقال لمقبــرة جنــيد المقبــرة الــشونيزية. وكما يطلق هذان الأسمان على هذين الموضعين يطلقان أيضاً على مقابر قريش، فيقال لها مقبرة الشونيزية ومقبرة باب التبن، وعلى هذا فالمراد بباب التبن وبالقطيعة هي القطيعة الثانية الواقعة عند باب التبن هذا لا القطيعة الواقعة عند مقابر قريش فليُحفَظ[٢].

---

(١) بــياض في الأصل. والخبر بتمامه في تاريخ بغداد ج١ ص١١٠ والمنتظم ج٧ ص ١٤٩.

(٢) قــال ياقــوت في مادة قطيعة أم جعفر أنها" محلة ببغداد عند باب التبن، وهو المشهد الــذي فــيه مــشهد موسى بن جعفر" ونقل عن الخطيب قوله" قطيعة أم جعفر بنهر القلايين، ولعلها اثنتان" وقد اختار المؤلف أن يكون قبر عبد الله بن أحمد بن حنبل يقع فــي القطــيعة الأخيرة. ومحلة نهر القلائين كانت في جنوب شرقي الكرخ، على ما تقــدم، وهو الكرخ القديم بحدوده المعروفة في العصر العباسي، وليس الكرخ الحالي الــذي اســتقرت حدوده في القرون المتأخرة. والشونيزية الواردة في هذا النص هي الــشونيزي الــصغير، وهي مقابر قريش، لا الشونيزي الكبير التي هي مقبرة الشيخ الجنــيد، ومقبرة باب التبن حيث دفن عبد الله بن أحمد بن حنبل، كانت تقع قريبة من مقابــر قريش، حتى أن مشهد موسى الكاظم (ع) نفسه، عرف بمشهد باب التبن لأنه كان يقع في شرقيه.

جامع عَطا

هــو جامــع على يمين الصاعد من سوق الجديد إلى مقبرة معروف الكرخي، في الطريق المعروف بطريق قهاوي عقيل[١].

وهــو جامع منخفض عن الطريق بعمق قامة، مشتمل على مصلى، في قبلته وبين يدي المصلى صفة وصفة أخرى على يمين هذه الصفة، ممتدة إلـى الشمال. وفيه بعض حجر، وهو من أبنية القشطينيين كما هو المسموع مـن بعض الشيوخ، وله أوقاف وقفوها عليه، وجعلوا التولية -حسبما يقال- لوالد الحاج خضر العطا[٢]، ووقفوا فيه خزانة كتب لطلاب العلوم، كما وقفوا

---

(١) قهاوي (= مقاهي) عقيل، منسوبة إلى عشائر عقيل (عكيل) التي نزحت من نجد إلى العـراق في القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م)، وعرف الجانب الغربي منها باسمها، فقـيل (صـوب عكيل). وهي أربعة قهاوي متجاورة يرتادها أفراد عشيرة عكيل في جانـب الكـرخ حـيث يـسكنون ابتداءً من سوق حمادة باتجاه (خانات الأباعر) إلى (العـنازية) إلـى (الشيخ معروف)، ثم منطقة سوق الجديد، (ينظر: عباس بغدادي: بغـداد فـي العـشرينات، بغداد٢٠٠٠، ص٩٥) ويقع هذا الطريق اليوم على يمين المتوجه من شارع حيفا إلى جسر باب المعظم.

(٢) آل عطـا، أسرة انحدرت من بلدة (عانة) على الفرات، جمعت بين التجارة والثقافة، وكانـت دورهـا قريبة من الجامع، وإليها نسبت المحلة المحيطة بها، فعرفت بمحطة عطـا. وقـال محمـد خلوصـي الناصري " لعل المؤسس له أحد رجال بيت عطاء المـشهور"، (مـساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٨١)، وقال الدروبي أنهم" شيدوا مـسجداً جامعاً في محلة من محلات الكرخ سميت بمحلة عطا" (البغداديون ص٤٦) وقد انفرد المؤلف هنا بهذه الرواية عن تأسيس أسرة القشطينيين للجامع.

كتباً في فقه الإمام الشافعي في جامع الست نفيسة. وليس فيه من الكتابات ما يُستَدل منها على تاريخ بنائه أو بانيه.

وهو جامع تقام فيه الأعياد والجمع والجماعة في الأوقات الخمسة، ولـــه إمام وخطيب ومؤذن هو خادم. وكان الموظفون يتقاضون رواتبهم من بـــيت عطا ثم قطعوها عنهم، فأخذت الأوقاف على عاتقها كَفالة هذا الجامع، ولكن بعد أن ذهبت أوقافه أيادي سبأ(١). وقد سمعتُ من أفواه بعض الشيوخ أن الأمـــلاك المنـــسوبة إلى بيت عطا الموجودة الآن، والتي لم تمتد إليها يد البـــيع، هـــي من أوقاف هذا الجامع وقد أصبحت أملاكاً بفضل المتأخرين، والعهدة على ناقل هذا القول.

وهـــذا الجامـــع مبني في موضع مسجد العَقَبَة القديم الذي كان أيام الخلافة العباسية، إذ هذه المحلة هي محلة العَقَبة كما هو معروف(٢).

جامع الملا محمد أمين

هو مسجد وسط واقع برأس الدرب الموصل إلى مسجد المدني فسكة حديد الكاظمية، [أي] تراموى، وعلى يمين السالك إلى باب الكاظم من طريق العـــلاوي، ويقع في محلة سوق حمادة، وهو في الأصل مسجد كان يقيم فيه

---

(١) جدد هذا الجامع سنة ١٩٤١ ثم أعادت الأوقاف تجديده الأوقاف سنة ١٣٩٣هـ/ ١٩٧١م، بحسب ما كتب من نص بارز على لوحة من الجبس ثبتت فوق بابه.

(٢) يظهـــر ممـــا تقـــدم في هذا الكتاب أن محلة العقبة كانت " وراء نهر عيسى" أي في جنوب جامع قمرية، حيث كان مصب هذا النهر، وأن جامع بشار كان من معالمها، لا في شماله حيث يقع جامع عطا.

المـــنلا محمد أمين لتقرئة الصبيان القرآن فنُسب إليه، وقد درس عليه الكثير ذلك، منهم أسلافنا عليهم وعليه رحمة الله، وكان من الصالحين يصوم الدهر حتى قبضه الله، وقد جاوز الثمانين من العمر(١).

وكـــان مـــسجداً يتـــيماً يُدار من قبل أهل الخير، ثم في آخر الأيام خُـــصّص لإمامـــه، وهـــو ابن محمد أمين المذكور راتب من البلدية، وبعد انسحاب الحكومة العثمانية وقيام الحكومة بعدها رُبط بدائرة الأوقاف، فعينت له خادماً ومؤذناً براتب، وقامت بإنارته ووضع مُزمّلة ماء فيه جارية، ثم في

---

(١) أشـــار إليه الأثري في فوائته ص١٤٥، وسماه محمد خلوصي الناصري بمسجد حاج أمين، وقال أن " موقع هذا المسجد في محلة سوق حمادة، ومشهور بهذا الاسم، إمامه مـــلا محمـــد ســـعيد يدرس القرآن الكريم، وأذكر أن الحكومة بزمن ولاية ناظم باشا عهـــدت إلـــي بترميم وتبييض خزانة الطلاب، فأجرت (أو أجريت) ذلك، وهو الآن عامـــر بالمـــصلين" (مـــساجد بغـــداد فـــي كتابات الأجداد ص٧٨). وحدد الدروبي (الـــبغداديون ص٣١٨) تـــاريخ إنشائه في سنة ١٢٨٥هـــ/ ١٨٦٧م، وأشار إلى أن مؤسسه الحاج أمين جعل فيه مدرسة علمية، وخصص لطلابها المخصصات اللازمة مـــن أســـباب العـــيش ومواصلة الدرس، كما خصص للوازم المسجد ما يقتضي من المـــستغلات، وجعل لهذه المدرسة مكتبة تضم نوادر الكتب من شتى الفنون، وقد بقي الـــتدريس فـــيها قائمـــاً إلـــى سنة ١٣٥٠هـــ/١٩٣١م بوفاة آخر مدرسيها الشيخ طه الـــشيرواني، ثم ألغيت جهة التدريس من قبل مديرية الأوقاف، وبقي المسجد مقتصراً علـــى الـــصلوات والجمع والأعياد. ثم جددته رئاسة ديوان الأوقاف سنة ١٣٨٧هـــ/ ١٩٦٧م، كمـــا هـــو مثبت على كتابة بالآجر المزجج فوق بابه، ويسمى اليوم بجامع الشيخ طه، على ما سيأتي في تعليق آت، وقد ثبتت بذلك لوحة على يسار بابه.

أيـــام وزارة الـــسيد إبـــراهيم أفـــندي الحـــيدري[١] للأوقاف أقدم الشيخ طه الإربيلي[٢] على سلب الإمامة من الإمام وان يكون هو الإمام، لأنه هو الذي يُـــصلّي في الجامع إماماً، ولأن الأمام الراتب قد ترك الدوام، ولما تحقق أن ترك الإمام للدوام كان بناء على طلب الشيخ منه أن يصلي اماماً، وهو أيضاً كـــان يحتـــرم الشيخ المذكور فأذن له في الصلاة إماماً، وجعل يصلي خلفه، وحضر حلقة الذكر معه، وهو (الختم)[٣]، لأنه نقشبندي، فلما تحقق ذلك عند الـــسيد المـــشار إليه أوصى بان تُعمل مضبطة يطلب فيها اقامة الجمعة في الجامع المذكور، فأنفذها واستحصل الإرادة الملكية بالإذن بالصلاة، وخصص للشيخ راتباً للخطابة بعد أن عينه خطيباً، فأصبح منذ ذلك التاريخ جامعاً فيه خطيب وإمام ومؤذن هو خادم. وجراياتهم مع ما يحتاجه الجامع المذكور من دائرة الأوقاف.

---

(١)هـــو الـــسيد إبـــراهيم بـــن صبغة الله بن عاصم الحيدري، ولد في أربيل، وتقلب في المناصب القضائية في أنحاء عدة من الدولة العثمانية، ونال تقدير السلطان عبد الحميد الثانـــي فقـــربه وعيـــنه (رئيس المصاحبين)، وبعد وفاة السلطان محمد رشاد. ولاه الـــسلطان وحيد الدين، وهو آخر السلاطين العثمانيين، منصب (شيخ الإسلام)، ولما تألفت الحكومة العراقية قدم إلى بغداد حيث ولي وزارة الأوقاف، ثم عين عضواً في مجلس الأعيان، حتى وفاته سنة ١٣٤٩هـ/١٩٣١م. تاريخ الأسر العلمية ص١٢٦.

(٢) هـــو العلامـــة الشيخ طه بن حسن بك الشرواني الإربلي، المتوفى سنة ١٣٥٠هـ/١٩٣٠م. تنظـــر تـــرجمته في لب الألباب ج٢ ص٢٤١، وإليه نسب الجامع، فسمي جامع الشيخ طه، لطول المدة التي قضاها في إمامته.

(٣) ضرب من الأذكار بحسب تقاليد الطريقة النقشبندية.

وهــو عــبارة عن مُصلّى على يمين الداخل ذي سقف من الحُصُر والأخــشاب بين يديه صُفَّة بطوله، وفيه بعض حجر يجلس فيها الشيخ الآن، ويوضـــع فـــي الباقي لوازماته[1]، وعليه فهو جامع تقام فيه الجمع والأعياد والجماعة في الأوقات الخمسة.

مسجد سوق حمادة

هــو مسجد صغير واقع في محلة سوق حمادة في منتهاها من جهة الغرب، وفي منتهى السوق عند مقاهي السوق المذكور، ويعرف هذا المسجد بمــسجد مــنلا سلمان الجبوري[2]، والد محمد سعيد أفندي الجبوري[3] الذي

---

(١) كذا، يريد: لوازمه.

(٢) وبهذا الاسم ذكره محمد خلوصي الناصري، فقال" جامع ملا سلمان: هذا الجامع قديم، فــيه منبر، واقع في محلة سوق حمادة، وقد اشتهر بجامع ملا سلمان الجبوري، لأنه كان خطيباً فيه، ولا يعلم مؤسسه" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٧٧). وسليمان هذا هو ابن الحاج دهش بن محمود بن رغلة التميمي، وكان قد ولد سنة ١٢٩٦هــ/ ١٨٧٨م وتعــين إمامــاً في مسجد حمام شامي سنة ١٣٣٦هــ/ ١٩١٧م وتوفي سنة ١٣٣٨هـــ/١٩١٩م وســيذكر المؤلف أنه منلا سلمان الدهش ابن بنت الحاج أحمد المــدلل التميمــي، ويفهــم مما أورده المؤلف فيما يأتي من حديثه على مسجد علي الجبوري أنه كان في استانبول مرة، أرسل منها مبلغاً من المال لتعمير ذلك الجامع.

(٣) من علماء بغداد، ولد سنة ١٢٧٠هــ/١٨٥٣م، تولى الإمامة في الجيش العثماني، ثم عــين مدرساً في الشطرة، وقاض في الحي، ومدرساً في سامراء، ثم في مدرسة أبي النجــيب الــسهروردي، فمدرســة الــشيخ صندل، وتوفي سنة ١٣٥١هــ/١٩٣٢م. السهروردي: لب الألباب ج٢ ص٢٦٣.

صار مدرساً للمدرسة النجيبية ثم للشيخ صندل، وشقيق عبد الله المختار مختار محلة سوق حمادة. وكان حينما كان طالب علم يقيم فيه ويصلي إماماً، فنُسب إليه. ومنلا سلمان هذا صار إماماً في العسكر ثم صار مفتي الآلاي، ونُفي من الموصل إلى استانبول حينما نفي عمر باشا والي الموصل منها[(١)]، بدعوى أنه خطب له على منبر الموصل وذلك سنة ١٣١٢ هجرية[(٢)].

وهذا المسجد واقع على يمين الذاهب إلى باب الكاظم من طريق سوق حمادة، خلف مقهى تعود إليه، ليس فيه على الطريق إلاّ بابه. وهو مسجد ذو مصلى صغير، وصفة بين يدي المصلى، وساحة كبيرة بالنظر له، فيها نُخَيلات. وكان يُدَرَّس فيه القرآن للصبيان، ومن جملة من درس فيه الصبيان القرآن المنلا نجم أفندي مدرس المدرسة العادلية، فقد درس هو وأبوه الصبيان القرآن حينما كان جذعاً[(٣)] وقبل ان يكون مدرساً. وكان من المساجد اليتيمة يتولاه إمام المحلة عبد الفتاح بن عبد الكريم فيصلي فيه اماماً بعد منلا سلمان، ويأخذ بَدَل اجارة المقهى العائد له، ثم صار يتقاضى راتباً من البلدية، وبعد الاحتلال رُبط بالأوقاف فجعلت الأوقاف تقوم براتب إمامه وجميع لوازمه، ووضعت يدها على المقهى وعَمَّرته بعد أن قارب الخراب. وهو الآن مسجد عامر تقام فيه الجماعة في الأوقات الخمسة.

---

(١) إن والي الموصل في هذه السنة هو عزيز باشا، وقد تولاها من ١٣١١ إلى ١٣١٣ هـ/ ١٨٩٣- ١٨٩٥م.

(٢) يوافق أولها ٥ تموز ١٨٩٤م.

(٣) الجذع هنا: الصغير.

مسجد الشيخ علي

هو مسجد صغير، واقع في الدرب النافذ من عند مسجد المنلا سلمان إلـى البـرية[1]، علـى يمين المار في الدرب المذكور. وهو مسجد صغير مشتمل على مصلى صغير، وصُفَّة بين يدي المصلى، وساحة متوسطة فيها نُخَـيلات، وعلى يسار الصفة والمصلى حجرة صغيرة فيها قبر الشيخ علي المنسوب إليه هذا المسجد. والشيخ علي هذا هو- كما ينقل عن الشيوخ الذين أدركـوا زمـنه واجـتمعوا به- هو من الزهاد العُبّاد[2]، وكان من القائمين

---

(١) رقمه ٢، من الزقاق ٨٦، محلة ٢١٠، منطقة الشيخ معروف.

(٢)هـو الـشيخ علي الجبوري، من صلحاء عشيرة الجبور، التي سكن بعضها في كرخ بغداد منذ القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م)، وكان هذا المسجد داراً لسكناه، ثم تحول إلى مسجد، وقد دفن هو في مسجده هذا سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م. وللشيخ محمد صالح الـسهروردي رأي فـي هذا الدفين مفاده أنه الشيخ علي بن عساكر بن المرحب بن العـوام البطائجي المتوفى سنة ٥٧٢هـ، ولا صحة لذلك لأن البطائحي دفن في باب حـرب (ابـن الجوزي: المنتظم ج١٠ ص٢٦٧) كما أن نسبة القبر إلى الشيخ علي الجـبوري معلـومة تماماً، فهو معاصر لشيوخ قريبي عهد من المؤلف الذين أدركوا زمـنه، ومـا زال أهـل محلـته يعرفونه بمسجد علي الجبوري حتى اليوم. وذكر الـسهروردي أنه عثر في هذا المسجد سنة ١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م، على رخامة قديمة كتب عليها هذان البيتان:

وما أهل الحياة لنا بأهل ولا دار الفتـى لـنا بـدار

ومـا أموالـنا إلاّ عـوار فـيأخذها المعـير مـن المعـار

والمقيمين في هذا المسجد. وإن مما يحكى عنه أنه جيء إليه يوماً فرؤي أنه قد جمع الأباريق إليه، وجعل يذكر الله، فسمع لذكر الله دوي في ذلك المحل، وأدرك أن الأباريـــق تذكر الله معه، هكذا يُنقل ويحكى عنه وعن حاله، والله أعلم بحاله رحمه الله تعالى(١).

وقد خرب هذا المسجد فهدمه برمته بقصد بنائه محمود ابن عم عبد الكـــريم أفـــندي الشهير بالزنكي، وكان حينما أقدم على ذلك، في عقله خلل، فبنى منه قدر قامة وبقي خراباً، حتى جاء المنلا سلمان الجبوري، فأرسل من اســـتانبول مبلغاً إلى عبد الرحمن جلبي المدلل لبناء المسجد والقبر، فشادهما وأكملهمـــا وذلك أيام الحكومة العثمانية. ولما زالت الحكومة المذكورة ألحق المـــسجد المذكور بالأوقاف، وعين له إمام له راتب وخادم ومؤذن، وجعلت الأوقاف تقوم برواتبهم ولوازم المسجد، وهو الآن مسجد تقام فيه الجماعة في الأوقات الخمسة(٢).

---

(١) كان قبره يقع في حجرة منفصلة عن يسار مصلى المسجد، منفصلة عنه، تعلوه قبة قد زججت من الخارج باللون الأزرق المخضر، وفوق القبر نفسه قفص من خشب، ولما زرت، والـــسيد زيـــن النقشبندي، هذا المسجد في ٢٠ نيسان٢٠٠٦، وجدنا القبر قد أزيـــل، وقد علمنا أن رفات الشيخ علي الجبوري قد رفع من مدفنه، ونقل إلى مقبرة الـــشيخ معـــروف، كما أزيل القفص، وحول المكان ليكون مصلى للنساء، وذلك في مطلـــع هـــذه السنة. وليس في الحجرة وقبتها من آثار الزينة شيء، ولكن يوجد فيها محراب صغير.

(٢) جددتـــه وزارة الأوقـــاف ســـنة ١٣٩٩هـــ/١٩٧٩م على ما كتب على لوحة بالآجر المزجج فوق مدخله، وأجريت على مصلاه توسعة جديدة في مطلع سنة ٢٠٠٦م.

مسجد المَدَني

هو مسجد صغير، واقع في محلة سوق حَمادة، في الدرب النافذ إلى الشارع العام، أي طريق مَحَجَّة حديد الكاظمية، للسالك من جامع المنلا محمد أمـــين، علـــى يسار الدرب، مقابل دار المنلا عباس أفندي أمين فتوى بغداد ومدرس سامرّا.

وهو مسجد ذو مصلى صغير، وصفة بين يديه، وحجرة صغيرة في شرقي الصفة وساحته صغيرة مستطيلة. وهو مسجد يتيم يقوم به أهل الخير، وكـــان لإمامه راتب من صندوق البلدية أيام الحكومة العثمانية، فلما انسحبت الحكـــومة المذكورة وخلفتها الحكومة الإنكليزية، ربطته كما ربطت المساجد الأخرى بالأوقاف، وعَيَّنَت لإمامه وخادمه راتباً في دائرة الوقف، وجعلت له مُـــزَمَّلة مـــاء، وقامت بجميع لوازمه، فهو الآن مربوط بالأوقاف، وتقام فيه الجماعة في الصلوات الخمس(١).

---

(١) ذكره محمد خلوصي الناصري بقوله أنه يقع " داخل محلة سوق حمادة، وكان يقطنه رجـــل مشهور بالمدني، فسمي به، ولا أثر لمؤسسه. وكان المرحوم المبرور العلامة عباس أفندي آل السيد محمد القصاب يصلي فيه"(مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص ٧٧) وقـــد جدد هذا المسجد سنة ١٣٥٤هـــ/١٩٣٥م وأعيد تجديده سنة ١٣٨٥هـــ/ ١٩٦٥م.

مسجد حمام شامي

هــو مسجد صغير، واقع قبالة حمام شامي، الواقع في محلة الفحامة قــرب محلــة الفلاحــات. وهو مسجد صغير، لا يعرف مؤسسه ولا بانيه، ويظهر أنه بني ليتدارك المصلون من مراجعي الحمام صلاتهم فيه[1].

وهــو مسجد صغير، ذو مصلى على يسار الداخل إليه، وبين يديه صفة، وبمقابلة الباب دكّة للصلاة في الصيف، وعلى يمين الداخل في مقابل الصفة حجرة، وكان قد مال إلى الخراب، فأصلحه مفتي بغداد السابق محمد سعيد أفندي الزهاوي[2]. وكان له إمام يتقاضى راتبه من دائرة بلدية الجانب الكرخــي أيام الحكومة العثمانية، فلما انسحبت الحكومة المشار إليها ربطته

---

(١) ورد ذكــر هــذا المــسجد سنة ١٢٣٤هــ في وقفية الحاج محمود بن الحاج محمد قاهرية، فإنه وقف البستان الواقعة في الجانب الغربي من بغداد، وشرط أن يخرج من غلــتها مائــة غرش في كل سنة تصرف على لوازم " الجامع المقابل لحمام شامي". وقــال الأثري في فوائت مساجد الآلوسي" مسجد حمام شامي في الفحامة، لا يعرف واقفه" (ص١٤٥)، وسماه محمد خلوصي الناصري بمسجد الفحامة، وقال" موضع هذا المسجد في محلة الفحامة، بالقرب من حمام شامي، كان يصلي فيه ملا بندر، ولم أقف علــى مؤســسه" (مــساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٨٢). وقد نقض هذا المسجد ونقلــت جهة الإمامة إلى مسجد شامان بن زهير في سامراء. وحمام شامي هذا كان مــن الحمامــات القديمــة في بغداد، يرقى إلى القرن العاشر للهجرة (١٦م)، يقع في عــلاوي الــشيخ صندل في الطريق المؤدي إلى الفحامة، من ناحية محلة الفلاحات، نقــض، والمــسجد المنسوب إليه، في سنة ١٩٦٩. وينظر عنه جواد الظاهر: محلة الفلاحات، ص٢١٤- ٢١٥.

(٢) تقدم التعريف به.

الحكومة، المتمثلة بالأوقاف، وجعلت جراية إمامه وما يقتضي له من اللوازم مـن دائرة الأوقاف، وأسالت له الماء، وعملت فيه مُزَمَّلة. وهو الآن مسجد لطيف تقام فيه الجماعة في الأوقات الخمسة، وله خادم يقوم بتنظيفه في سائر الأوقات، وإمامه منلا سلمان الدهش ابن بنت الحاج أحمد المدلل التميمي.

مسجد السيد إبراهيم

هـو مـسجد صغير واقع فوق السِّيف، في الطريق النافذ من السيف ومـسجده إلـى عـلاوي الحلة، على يسار المار قُبَيل الشارع العام بضع خطوات[1].

---

(١) نـوه بـه الأثري في فوائت مساجد الآلوسي ص١٤٥ فقال" مسجد السيد إبراهيم في محلة علاوي الحلة شرقي الكرخ"، وذكر الشيخ يونس السامرائي أن هذا المسجد يقع في " منطقة علاوي الحلة، قرب علوة السمك، وهو قديم البناء، وقد جددته الأوقاف". مـساجد بغـداد الحديثة ص٢٨٩. ولعله المسجد المسمى بمسجد علاوي الحلة، الذي أشار إليه السيد محمد خلوصي الناصري بقوله أنه" مسجد صغير على الشارع الممتد إلـى علاوي الحلة، فيه إمام يقيم الصلوات، ويقرأ القرآن، وعنده تلامذة يعلمهم، ولم أقـف على المؤسس له، ولا على تاريخه" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٨٩)، وكـان الحاج محمد بن حمزة بن غزيلة قد وقف دكاكين في علاوي الحلة وفي سوق الشيخ صندل على مسجد في علاوي الحلة، في وقفيته المؤرخة في ٧ جمادى الآخرة سـنة ١١٧٠هـ/١٧٥٦م، فلعلـه هذا المسجد. ولجامع علاوي الحلة سبعة دكاكين اسـتخرجت منه ووقفت عليه (فردوس صالح: دراسة إحصائية بالعقارات الموقوفة، ص٢٧).

وهو ذو مُصلّى صغير واقع على يمين الداخل إليه، وصُفَّة بين يدي المُـصلّى عند الباب. يأوي إليه للصلاة فيه المارة من أهل السُّنَّة، ومن يقيم هـناك فـي العلاوي من السُّنة. وله إمام مقيم فيه، وقد كان راتب الإمام من البلدية أيام الحكومة العثمانية، شأن المساجد، فأصبح الآن مربوطا بالأوقاف العامة، تؤدّى جراية إمامه ولوازماته منها. وهو الآن مسجد تقام فيه الصلاة جماعة ظهراً وعصراً فقط، لأنه أحاط به الشيعة، وهؤلاء لا يُصلّون جماعةً إلاّ خلـف المجتهد، أو وكيله. وللمجتهد وكيل يُصلّي الآن في مسجد السِّيف فمُريد الجماعة يذهب إلى هناك.

المدرسة العُمرية

الـتاريخ يُعيد نفسه، والدهر دوّار! قد شاد المرحوم والي بغداد عمر باشـا السلحدار - صاحب السلاح- الذي تولى ولاية بغداد سنة ألف وثمانية وثمانـين، ثـم عُزِل منها سنة ١٠٩٣، ثم عاد إليها بعد سـنتين، وبقي سبع سنين[1]، المدرسة الواقعة شرقي جامع القمرية، وذلك سنة ست وتسعين بعد

---

(١) تولـى عمر باشا بغداد ثلاث مرات، الأولى من ٣٠ رمضان ١٠٨٨ إلى ١ جمادى الأولى سنة ١٠٩٢هـ/١٦٧٧- ١٦٨١م، والثانية من ١شوال ١٠٩٥ إلى ٣ ذي القعدة ١٠٩٨/ ١٦٨٣-١٦٨٦م، والثالـثة مـن ١٠٩٩ إلى ١١٠١هـ/١٦٨٧- ١٦٨٩م، فيكون إنشاؤه للمدرسة في أثناء ولايته الثانية.

الألف[1]، المسماة بالمدرسة العمرية نسبة إليه، وعين بعد كمالها مدرساً فيها الشيخ المنلا نوح الحديثي[2].

وكانت مدرسة لطيفة الوضع، حسنة البناء، محكمة الأرجاء، ذات حجرة للدرس، وحُجَر متعددة لاقامة التلامذة. وكان المنلا نوح المذكور أول مدرس فيها كما حكى ذلك السيد محمود أفندي الآلوسي في مجموعته الوسطى. وهي واقعة على شاطئ دجلة، يفصل بينها وبين دجلة الطريق المؤدي إلى جامع القمرية[3]. وقد كانت محط رحال طلاب العلوم، فقد درس فيها، كما قال الشيخ عبد الرحمن السُّويدي[4]، والده الشيخ عبد الله السويدي، والشيخ حسين أفندي الراوي، وأقام فيها منقطعاً إلى العلم محمود أفندي

---

(١) يوافق أولها ٨ كانون الأول سنة ١٦٨٤م.

(٢) هو الشيخ نوح الحديثي الحنفي، أصله من بلدة حديثة على الفرات، وإليها نسب، نبه في العلم حتى أنشأ له والي بغداد هذه المدرسة ليتولى التدريس فيها، وصفه السويد ي بقوله" كان نوح المذكور من العلماء العاملين والنسك الصالحين". وقد تتلمذ السويدي على ابن أخيه الشيخ حسين نوح، الذي سماه " شيخنا العالم النحرير، والجهبذ الشهير، تذكرة السلف، وعمدة الخلف". وذكر الآلوسي (مساجد بغداد ص١٣٤) أن عمر باشا" ابتناها لرجل من الأفاضل اسمه الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ محمود من أهل ما وراء النهر"، والذي في النفحة المسكية في الرحلة المكية، بتحقيقنا، ص٦٤، أن أول من درس فيها هو نوح المذكور، أما عبد الرحمن بن الشيخ محمود فإنه كان شيخ الكتاب الذي تعلم فيه الشيخ عبد الله السويدي القرآن والتجويد والكتابة.

(٣) تشغل قطعة الأرض ذات التسلسل ٤٦٠.

(٤) لم يرد هذا النص في عبد الرحمن السويدي: حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، وإنما ورد لدى أبيه عبد الله السويدي: النفحة المسكية في الرحلة المكية ص٦٤-٦٥.

الآلوسي[١]، كما تحكي ذلك مقاماته، ثم المنلا سلمان، وكان من الزهاد المنقطعين، درس عليه عبد السلام أفندي الشواف[٢].

وكانت مشتملة على خزانة كتب، وحديقة لطيفة، ثم بتوالي السنين أصبحت قفراً خراباً تنعى بها البوم[٣]. وتفصيل ما عراها هو أنها بعد أن شُيِّد بنيانها، وقامت أركانها، وجعل المنلا نوح ينشر العلم فيها، كما حكى ذلك السويدي عبد الرحمن[٤]، قصدها طلاب العلوم، ثم بموت منلا نوح تولى التدريس فيها الشيخ حسين الراوي أيام حسن باشا الكبير ثم عراها الخراب لعدم وجود من يقوم بها بعد قتل الشيخ حسين المذكور[٥]، ثم أصلحها الحاج محمد الراوي، وجعل يُدرِّس فيها حتى أيام ولده فخر المدرسين الشيخ عبد الله أفندي الراوي[٦] صاحب سليمان باشا الكبير، فجدد تعميرها المرحوم سليمان باشا المشار إليه، فمدحه الشيخ المذكور بقصيدة على فعله هذا، وكان بيت التاريخ الذي هو:

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) يوافق هذا ما ذكره الآلوسي إذ قال" كانت في هذه المدرسة حديقة مشتبكة الأغصان، وخزانة كتب يعجز عن وصفها لسان التحرير، وهي اليوم خراب، ولا مدرس ولا طلاب، ولا تقرير ولا كتاب". وينظر: الدروبي: البغداديون ص٣١٢.

(٤) ذكرنا أن عبد الله السويدي هو الذي أشار إليه في رحلته، وليس ابنه عبد الرحمن.

(٥) قتل رحمه الله على يد ثلة من الأعراب وهو في طريقه إلى بلدته راوة، فنقل إليها ودفن في شعبتها، وهي إحدى أقدم محلاتها. تاريخ الأسر العلمية ص٥٣.

(٦) تقدم التعريف بهما.

يروي حديثاً بها الراوي فأرِّخها   أَعَدْتَ للدرسِ داراً يا سليمان

١٢٠٧

وكـان الوضع الأخير لها، وهو ما ذكرناه من اشتمالها على خزانة كـتب وغُـرف على النحو الذي ذكرنا، هو من بناء سليمان باشا المذكور. وكانـت بيد الراويين حتى حلَّت البَلِيَّة العظمى والمصيبة الكبرى، وهي بَلِيَّة الطاعون مع غرق بغداد[١]، فهدمت المدرسة، وذهبت مكتبتها نهباً مُقَسَّماً بين الآلوسـي والطـبقجه لـي، لأنهمـا يَمتّان إلى بيت الراوي بأواصر النِّسبة والمصاهرة والقرابة، فأصبح الكل

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا   أنـيس ولم يـسمر بمكـة سـامر

ثم صارت محلاً للزبالات والقاذورات، حتى سنة ١٣٢٠ هجرية[٢]، فجمـع عبد القادر اغا، ضابط البحرية هنا ومأمور الميناء، إعانة من محبي العلم وأهل الخير بقصد إحيائها واعادتها إلى سابق عزها، وقام بعمارتها[٣]،

---

(١) يشير إلى الطاعون والغرق اللذين داهما بغداد سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠-١٨٣١م.

(٢) ذكـر عباس بن رجب البغدادي، وقد كتابه (تكملة مساجد بغداد) سنة ١٩١٤ أن هذه المدرسة " منذ زمن يسير أهملت عن التدريس" ، مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص ٥٧.

(٣) ينظر أنور الناصري: سوق الجديد ج١ ق٣ ص١٧٥- ١٨٤.

ولكنه عَمَّر معها طاقاً غربي بابها[1] بحجة أنه محل للمدرس، وأن المدرسة للطــلاب، ثــم أتخذ الطاق وغرفة دائرة رسمية له، واستحوذ على المدرسة فجعلهــا مخــزناً للدائرة ومحلاً لجلوسه عصراً وليلاً، ولكنه كتب على بابها حفراً في حجر من المرمر:

(وفق ببناء مدرسة العمرية الحاج عبد القادر البحرية).

فــشمّرتُ عن ساعد الجد، وبمراجعتي المتوالية للحكومة رُفِعت يده عــنها، فــسعى بقصد ألاّ أكون مدرسها، لأني طلبتُ ذلك بتعيين العالم غلام رســول الهــندي[2] رحمــه الله تعالى مدرساً فيها، فسكت لما له من الفضل والعلم. وبعد وفاته صِرتُ مدرسها أيام ولاية والي بغداد جمال بك المشهور بالــسفّاح[3]، قائد الحملة المصرية في الحرب العظمى، وهكذا بقيت مدرسها حتــى ســنة اثنتين وأربعين بعد الثلثمائة والف[4]، التي قررت فيها الأوقاف العامــة فــتح مــدارس أولــية لتدريس الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة،

---

(١) يقــصد بابها القريب من مئذنة جامع قمرية، وكان هذا الطاق عبارة عن غرفة أقيمت علــى عقدين محكمين يستندان على جدارين على طرفي الزقاق النافذ إلى باب جامع قمرية، وعلى ركيزة عريضة من الآجر تتوسط ذلك الزقاق.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) والي بغداد من ١٣٢٩ إلى ١٣٣٠هـ/ ١٩١١- ١٩١٢م.

(٤) يوافق أولها ١٤ آب سنة ١٩٢٣م

وخصصتها على أن تكون إحدى هذه المدارس. فهي الآن مدرسة أولية فيها معلمان يعلمان الأولاد القراءة والكتابة والحساب[١].

وموضـــع هذه المدرسة هو موضع دار القرآن[٢] التي عمرتها (باب بشير) والدة أبي نصر محمد ابن الخليفة المستعصم، التي بنت أيضاً المدرسة البشيرية في مقابلة قَطُفتا- وهي في موضع الكُودي[٣]، والدور الواقعة فوق المـــسجد الـــصغير المعـــروف بمسجد أولاد الكاظم الواقع فوق الكُودي[٤]- وجعلـــت، علـــيها الـــرحمة، هـــذه المدرســـة وقفـــاً على المذاهب الأربعة كالمستنـــصرية، ووقفـــت علـــيها الوقـــوف، وفتحت باحتفال عظيم حضره المستعـــصم وأولاده والوزير العلقمي وأرباب المناصب والمدرسون ومشائخ الـــرُّبُط، وبُنـــيت في جنب هذه المدرسة قبة لتكون مرقد لها، وقد دُفنت هي وولـــدها أبو نصر المذكور تحت القبة. والقبران الموجودان في هذا المسجد همـــا قبراهما رحمة الله عليهما. هذا هو الظاهر لانه لم يرو في التاريخ أن

---

(١) ثـــم استعادتها الأوقاف مجدداً واتخذت سنة ١٩٣١- ١٩٣٢م مدرسة ابتدائية، ثم أنها أغلقـــت ووزع طلبتها على المدارس الإبتدائية في الكرخ، وفي سنة ١٩٣٤ صارت نادي الأمل، ثم بعد ذلك غصت غرفها بصناديق الشاي وأكياس السكر ومواد غذائية أخـــرى العائـــدة لمـــتعهد أرزاق الجيش ياسين القنطرجي، ثم أهملت ولم تعد تصلح لشيء، ثم أنها نقضت، وضمت أرضها إلى ساحات ثانوية الكرخ للبنين.

(٢) تقدم الكلام على هذه المدرسة وقد علقنا عليها هناك.

(٣) تقدم التعريف به.

(٤) تقدم التعريف بهذه المواضع.

أحــداً مــن أولاد الكــاظم دفــن في هذه المحلة أبداً. وقد روى لنا دفن هذه الصالحة مع ولدها فيها، وإذن فالقبران الموجودان هما قبراهما.

مدرسة السُّوَيدي

هي دار واقعة في محلة سوق الجديد بناها المرحوم محمد أمين أفندي الــسُّوَيدي(١) صــاحب كتاب (الصارِم الحديد في الرد على ابن أبي الحديد) و(كــتاب التوضيح والتبيين في شرح العقد الثمين) فاتخذها محلاً يُدرِّس فيه، فغــدت روضـــة من رياض العلوم، أغصان أشجارها مُفَتَّحة أنوار وأزهار الأدب فيها مبعث الأنوار.

وهــذه المدرســـة عبارة عن الدار التي وَرِثها من أبيه، فغدت محل إقامته وإقامة ذويه. وكان روّاد العلوم يقصدونه في هذه المشرعة، ويرجعون مــنه بحقائــب من العلوم مُترعة. وهي دار ذات طبقتين عليا وسفلى، وكان

(١) هــو الشيخ العلامة محمد أمين بن علي بن محمد سعيد بن عبد الله السويدي العباسي الدوري، ولد سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م، وأخذ العلم عن والده علي السويدي وغيره من علمــاء بغــداد، ونال إجازات عديدة، وتولى التدريس في مدارس بغداد، ومنها هذه المدرســة التي اختص بها حتى آخر سني حياته، وانصرف خلال ذلك إلى التأليف، فكــتب مؤلفات مهمة في التاريخ والأنساب والمواعظ والمواقيت والعقائد والتصوف والــردود وغيــر ذلك، وتوفي في بلدة (بريدة) في نجد، أثناء عودته من إداء مناسك الحــج في سنة ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م، فدفن فيها. تنظر ترجمته في المسك الأذفر ص ١٤٩ والــدر المنتثــر ص٩٠ ومجلة لغة العرب المجلد٢، ص٤٣٥ والعقد اللامع ص ٥٠٢-٥٠٤، وبحثــنا: أبــو الفوز محمد أمين السويدي، عالم بغداد ومؤرخها وأديبها، مجلة المورد، المجلد٢، العدد٣، ص٥٤- ٦٠.

يجلس للدرس في الغرفة العليا ذات الرَّوْشَن، المطلة على الطريق، والمنتهية إلـــى دار جاره اتصالها بها بواسطة الطاق. وكانت قد أشرفت على الزوال، فجــدد عمارتها الشيخ المذكور، فلما فرغ منها، نظم فيها بعض شعراء ذلك الــوقت الأبــيات مــنها مــا كـــان مكــتوباً على جدار محل الدرس، وهي الشاهَنـــشِين[1]، الأبيات الآتية وكانت باقية على الجدار أيام تَمَلُّك منلا عمر الجبوري لها وسكناه فيها وهي:

يا ابن عليٍّ حِزتَ علم الورى … وفقت بالفضل على العالمين
جَـددت داراً للتقى مخلصاً … كي نبذل الدرس إلى الطالبين
داراً بها العلم وبث التقى … والفضلُ فيها يا له مستبين
قَد أُزلِفتْ للدرس حقاً كما … أُزلفت الجنة للمتقين
تقول للخائفِ: كُنْ آمناً … فإنك اليوم لدينا مكين
قُل للذي استفتح أبوابها: … إنا فتحنا لك فتحاً مبين
في عصرها كعبة ربي غدت … في جنة ذات قرارٍ معين
مُذ حَلَّ فيها العلم أرختها: … بُشرى لدارِ الدرس فيها أمين
١٢٣٩ هجرية

---

(١) الشاهنـــشين، فارسية، مركبة من شاه وتعني ملك، ونشين، اسم مصدر من نشيدن أي الجلــوس، فــيكون معــناها مجلس ملكي، ويقصد بها ببغداد قسم من علية بارز إلى الطريق، يشرف الجالس فيه عليه، وتحرف اسمها في الأزمان المتأخرة إلى شناشيل. داود جلبي: كلمات فارسية مستعملة في عامية الموصل ص١٢٥.

فأصبحت بعد ذلك الدثور والخراب، داراً رصينة البناء، واسعة الفناء، يخطر في ساحتها ربّات خدور العبارات، وتميس في رحابها بديع هاتيك المعاني وبليغ هاتيك الاشارات، كُسيت من ملابس العلوم ثياباً أنيقة، ثم لما ذهب صاحبها إلى الحج بقيت مهجورة، وبموته ماتت، لأنه ذهب عقيماً لم يخلف أحداً، وكانت وفاته ١٢٤٦ هجرية، وقد دخلت في جملة الموروث للوارث، فبيعت كما بيع باقي الأثاث، وهذا هو شأن الدنيا! وقد ملكها المنلا عمر بن فارس الجبوري شراءً، وبعد مائة سنة تقريباً هُدِمت تلك الغرفة باقتسام ورثة المنلا عمر الدار، وبناء كل منهم ما أصابه.

سقاية خَلَف اغا

هي سقاية واقعة عند بستان خَلَف آغا المعروف الآن ببستان الحاج محمد الأرضروملي، عند الخندق، أعني عند الركن الواقع على طريق علاوي الحلة بقرب البلد، وقد أصبح محلها الآن قهوة يتصرف فيها إبراهيم الأرْضَرُوملي[1].

---

(١) كانت بستان الأرضروملي تحتل مساحة من الأرض تقع على يمين الطريق النافذ من باب الحلة، أحد أبواب سور بغداد الغربية الذي أنشأه سليمان باشا الكبير، وموقع الباب في آخر علاوي الحلة اليوم، إلى الطريق المؤدية إلى الحلة. والبستان محدودة بين ذلك السور من جهة، وبين نهر المسعودي من جهة أخرى. وقد قسمت هذه البستان الغناء فيما بعد إلى قطع سكنية عديدة، أنشئت عليها دور ومنشآت عديدة، بما يشبه أن يكون محلة قائمة بذاتها. وذكر الآلوسي أن هذه السقاية كانت تقع" خارج سور جانب الكرخ، أنشأها خلف آغا في جنب حديقة له هناك، يبرد فيها الماء=

وهذه السقاية أنشأها خلف آغا[١] صاحب البستان سنة ١٢٧٧[٢] في جنب بستانه، ووضع فيها حِباباً لتبريد الماء الذي يوضع فيها من الساقية الجارية من دجلة لسقي البستان المذكورة، فكان يشرب منها أبناء السبيل. وخلف آغا هذا كان ضابط الدَرَك أو ما يُعبَّر عنه الآن بمدير الشرطة، وهو في الأصل من المُهتدين إلى الدين الإسلامي. وكان قد كُتب على هذه السقاية أبياتٌ تشير إلى بانيها وتاريخ بنائها. وأهم ذلك بيت التاريخ وهو[٣]:

ياحبّذا سَيْبٌ سبيل وِرْدِه ساغَ فأرَّخت شراباً عَذِبا

١٢٧٧

أما الآن -فكما قلنا- أُلحِقت السقاية المذكورة بأملاك الأرْضَرُوملِي، ومُحيت وبنى في موضعها مقهى، وعليه فلا سقاية ولا ساقي، والله هو الباقي!

=العذب لشرب أبناء السبيل" (مساجد بغداد ص٥١٣). واكتفى عبادة بذكر الأبيات التالية، التي تتضمن بيت التاريخ، دون تعيين موقعها.

(١) كان خلف آغا قائممقاماً في الحلة في عهد والي بغداد نامق باشا الكبير. كتابنا: تاريخ مشاريع مياه الشرب القديمة في بغداد ص١٤٠- ١٤١.

(٢) يوافق أولها ٢٠ تموز ١٨٦٠م.

(٣) هذه قصيدة من تسعة أبيات، أوردها كاملة الآلوسي : مساجد بغداد ص٥١٣ وعبادة: العقد اللامع ص٥١٣

سقاية علي رضا باشا[1]

هـذه السقاية لا وجود لها في عالم الوجود الآن، ولكن يروي عنها الـرّاعون لها والواقفون عليها، وسَجَّل لها ديوان العمري بعض الآثار، وهي القصيدة التي نظمها في وصف ناعورتها ووصفها وبيان تاريخ بنائها.

وهـذه السقاية كانت في جانب الكرخ، بناها سنة ١٢٤٨ هجرية[2]، وجعلها وقفاً -كما يقال- على مقام ذي النون عليه السلام، وقد عَمَّر مثلها في الموصل أيضاً، وعَمَّر مثلها عند جامع الشيخ عبد القادر الجيلي، ولكن جعل الـذي يسقيها كَرداً، أما الذي يسقى هذه السقاية ويسيل إليها الماء فناعورة. وهاك ما قاله عبد الباقي في ذلك[3]:

---

(١) والي بغداد من ١٢٤٧ إلى ١٢٥٨هـ/١٨٣١- ١٨٤٢م.

(٢) أولها ٣١ أيار ١٨٣٢م.

(٣) ديـوان العمـري ص٢٤٥، وفيه أبيات لم ترد هنا، وجاء في مقدمة القصيدة " وقال مـؤرخاً للناعورة التي أنشأها حضرة الوزير علي رضا باشا في نينوى تحت حضرة نبـي الله يـونس علـيه السلام"، وفي مساجد الآلوسي ص١٣٦ أن "هذه السقاية في الكـرخ، أنـشأها والي بغداد علي رضا باشا سنة ١٢٤٨ وجعلها وقفاً على مقام ذي الـنون عليه السلام". وذكر القُرشي في ترجمة عبد الجبار بن علي الخواري، (وهو مـن أهل القرن السادس للهجرة) أنه" ورد بغداد.. وبنى بأمر أمير الحاج مدرسة عند قبر يونس عليه السلام" (الجواهر المضية ج١ ص٢٩٥) وفي كتاب أعلام الأخيار من فقهـاء مـذهب النعمان المختار، لمحمود بن سليمان الكفوي، المتوفى سنة ٩٩٠هـ/١٥٨٢م أنه" كان مدرساً ببغداد بالمدرسة التي بناها أمير الحاج خليفي عند قبر يونس علـيه السلام" (مخطوط في المكتبة القادرية، الورقة ١٧٣). قلنا: إن القبر المنسوب إلى النبي يونس هذا، هو الذي سماه البغداديون بقبر ذي النون، وهي كنية هذا النبي=

بـدرُ الـوزارةِ في الخـضراء مُـتَّقِدٌ ... له على (ابن كمال) في الكَمالِ يدُ
روحٌ قـد انتعـشت أهـلُ العراقِ بـه ... وهكـذا الـروح فـيها يُـنعَش الجـسدُ
أجرى لذي النون عينَ السلسبيل فما ... نهـر المجـرة إلاّ عـندها ثمـدُ
وقد أدارت على قُطب العُلى يده ... (ناعـورةً) ينقـضي في دَورهـا الأمـدُ
لا تُـدرِك العين أطـرافاً لهـا ابـداً ... فالـرأس مـع ذنـب بالـدور متحدُ
مِـن الـبُطون ظهـور في تقلـبها ... مِـن غـير فاصـلةٍ يـبدو فيفـتقدُ
لهـا الـدِلاء بـروج وهـي مـنطقة ... أو سـبحة بـدراري الأفـق تنتـضدُ
تُـسَبِّح الله في سِـرٍّ وفي علـنٍ ... ومـا لتـسبيحها حـصرٌ ولا عـددُ
فـيهم تـصلى بمحـراب القلـيب ومـا ... تخـر راكعـة إلاّ وقـد سـجدوا
دارت سماحاً ومن عين الجلال على ... أعـضادها فيـزول الكـرب والكمـدُ
صـريرها الـسائرات الـسبع أوقفهـا ... فكـادت التـسعة الأفـلاك تـرتعدُ
وكـل دلـوٍ لـه نَـوْءٌ يـسِحّ حـياً ... اذا اسـتهل بـودق أخـصب الـبلدُ
في غـربها سَـرَطان الأوْجِ مُغتَـرِبٌ ... نـاءٍ عـن الأهـل صِفر الكَـفِّ منفـردُ
سَـمِي حضرة ساقي الحوض سلسلها ... كمـا تسلـسل في موضـونة زردُ
فزمـزم المـاء مـن أنـبوبها وصـفا ... وِرْداً لمـن جـاء مـن راووقهـا يَـرِدُ
وفي ذراع العلـى أومـت مـؤرخةً ... لـصاحب الحـوت بئـراً قعـر الأسـد[1]
١٢٥٥

=الواردة في القرآن الكريم، فاختلطت هوية صاحب القبر، بالشيخ الصالح ذي النون المـصري، وليس به، لأن هذا توفي بمصر، ودفن في القرافة الصغرى سنة ٢٤٥ هـ، كما نسب القبر أيضاً إلى الشيخ داود الظاهري المتوفى سنة ٢٧٠ على ما سيأتي بيانه في هذا الكتاب.

(١) قعر البئر: نزل إليها حتى قعرها

تكية العَيْدَروسي

إذا سار الإنسان من سوق الجديد إلى قهاوي عقيل، ووصل إلى دار المـنلا محمد أمين السُوَيدي المعروفة بمدرسة السويدي(١)، رأى تجاه الدار دربـاً نازلاً إذا سار فيه الانسان خطوات رأى على يساره درباً صاعداً، فإذا سـار فـيه قدر خمسين خطوة، رأى على يساره باباً على جبهتها قطع من الكاشـانـي هـي علامـة علـى أن المحـل مـن المعاهـد الدينية، تلك هي التكية المعـروفة بالتكيـة العيـدروسيـة، أو تكيـة العيـدروسـي(٢)،

---

(١) ينظر عنها ما تقدم.

(٢) مـا تـزال هـذه التكية معروفة باسمها هذا، وتقع على يسار الزقاق المرقم ٣٥ من المحلة ٢١٢، وهي تكية قديمة، كانت في الأصل داراً لأبي الفتوح بهاء الدين باعلوي الـسيد عـبد الله العيدروسي المدني البغدادي القادري البدري السهروردي، نسبة إلى الطـرق الصوفية التي انتسب إليها، ولد في تريم باليمن، وأكف بصره وهو صغير، وقدم بغداد، وأسس فيها الطريقة العيدروسية، وله مؤلفات عدة في التصوف والسلوك، وتوفـي ببغداد في ١٧ رمضان سنة ١١٧٧هـ/١٧٦٣م، ودفن في تكيته هذه، ينظر ياسـين العمـري: الدر المكنون، الورقة ٦٠٩ : التكايا والطرق، الورقة ٣٥- ٤٠، وتـاريخ العـراق بين احتلالين ج٦ ص٣٩ وديوان العشاري، بتحقيقنا والحاج وليد الأعظمي، بغداد ١٩٧٧، ص٢٨١. وكان الرحالة مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي، قد ذكر في رحلته (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من البلدان الورقة ٥٢) أنه زار دار عبد الله العيدروس هذا في أثناء نزوله في بغداد سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م. ولم يشر الآلوسي إلى هذه التكية، ولكن عبادة وصفها وصفاً مقتـضباً. العقد اللامع ص٤٨٩، والمهم أنه أشار إلى أن الشيخ عبد الله العيدروسي الـبغدادي قـد وقـف " الأراضي الواقعة في هور عقرقوف، والتي تعرف بأرض=

وكـــان الذكر يقام فيها[1]، والشيخ الذي هجاه عبد الغفار الأخرس بقوله:

=البكتاشية" على لوازم هذه التكية، وأنه جعل التولية له ومن بعده لولده الشيخ حبيب، والـــشيخ أبي الفتح موسى، والناظر السيد عبد الله بن السيد عبد الكريم ثم لأولادهما، وذلـــك في سنة ١٢٢٣هـــ/١٨٠٨م. هذا مع أنه سبق أن أشار إلى تكية باسم (التكية التـــي بـــباب الكاظم) سماها تكية العيدروسي، وأنها فوق محلة الجعيفر، وأنها دثرت بجـــرف دجلـــة لها، ووصفه هذا ينطبق على تكية البكتاشية القديمة التي جرفتها مياه دجلـــة فعلاً، لكنه لا ينطبق على تكية العيدروسي التي في سوق الجديد، فهذه قائمة، ولـــم تندثر، فهما تكيتان إذن، بيد أن عبادة ذكر، وتؤيده الوثائق التي اطلعنا عليها في وزارة الأوقـــاف سابقاً، أن عبد الله العيدروسي، وهو غير عليد الله العيدروسي الأول لاخـــتلاف تاريخـــيها، وقـــف " الأراضـــي الواقعة في هور عقرقوف، والتي تعرف بأراضـــي البكتاشـــية"(العقـــد اللامـــع ص٤٩٠) فمن المفهوم أن توقف هذه الأرض المعـــروفة بالبكتاشـــية علـــى التكية البكتاشية، لكن من غير المفهوم وقفها على تكية العيدروسي التي في سوق الجديد، إذا لا توجد صلة بينها وبين الطريقة البكتاشية من قريب أو بعيد. وقد أشكل الأمر علينا في تعليقنا على عبارة عبادة، لما فيها من لبس، فتـــصورنا أن التكيتين واحدة، وليس الأمر كذلك كما نبين الآن، ويبقى في حاجة إلى مزيد من النصوص التي توضح ذلك الأمر.

(١) تـــشكل التكية مستطيلاً، في وسطه فناء صغير، وفي يساره حجرة يدخل إليها برواق أو طارمة، وعن يمين هذا الرواق حجرة تشبه أن تكون سرداباً، بعمق مترين تقريباً، وبمـــساحة ٤×٥م، ينزل إليها بسلم، كان يختلي فيها السيد عبد الله حبيب العيدروسي للعبادة، وقد دفنت هذه الحجرة وأغلقت بجدار، وعن يسار الرواق حجرة مقابلة، فيها ثلاثـــة قـــبور للـــسادة حبيب بن محمد العيدروسي، وصفاء وقاسم ولديه، وفي صدر الـــرواق بـــاب ينفذ منه إلى حجرة عن يمين بابها قبر السيد عبد الله بن السيد حبيب العيدروســـي المتوفى سنة ١٢١٧هـــ، وأربعة من بناته. وفي التكية بئر قديمة، كان=

تقـول العَيْدَروسي كـان يُحيـي		من الأمـوات مـن قـد ماتَ دهـرا
أكـان شـقـقتَ للـباري شـريكاً		فـيملك دونـه نفعـاً وضـرا؟!

إلى آخر ما قال في هجائه الذي بسببه كما يرويه المُطّلِعون أنه حضر حلقة الذكر وكان ثَمِلاً مخموراً، فأخرجه الشيخ من الحلقة، فتأثر فهجاه بهذه القصيدة. وهذه التكية حسبما يظهر هي من آثار وبقايا البستان الواقعة على نهر عيسى المعروفة ببستان....(١)

ويغلب على الظن ان محل هذه التكية هو تربة....(٢)

منصور بن عمار

إذا توجه الإنسان إلى جامع معروف الكرخي وتربته، فوصل إلى الطريق النازل من مقبرة جُنيد البغدادي - قُدِّس سرُّه- إلى الشرق، فسار فيه مُغرباً إلى مقبرة جنيد- المقبرة الشونيزية- رأى على يساره، قُبَيل قبر داود الظاهري رحمه الله- وهو أحد [أصحاب] المذاهب المقلَّدين الذين اندرس اجتهادهم في الشرق باندراس مُقلِّديه- المعروف عند العامة بأنه قبر داود

=الناس يتبركون بمائها، وقد جدد السيد حبيب بن محمد نجيب العيدروسي هذه التكية سنة ١٣٨١هـ/١٩٦١م، كما أثبت ذلك في لوحة رخامية عليها.

(١) بياض في الأصل.

(٢) بياض في الأصل. وقد ساق المؤلف، بعد هذا مبحثاً بعنوان (تكية أو تربة زين العابدين ومدرسته) كرر فيه جانباً مما سبق أن أدرجه من قبل، تحت العنوان نفسه، بحرفه، فلم نر وجهاً لاثباته هنا.

الطائي، وهو خطأ، والذي أشاع هذا هو داود السعدي[1] لأنه وضع يده عليه بسبب بِيورلْدي[2] عنده ناطقٌ بتولية أبيه سعدي[3] على أوقاف داود الطائي[4]. وداود الطائي رحمه الله تعالى مدفون في الكوفة لا في بغداد كما

---

(١) توفي سنة ١٢٩٧هـ/١٨٧٩م.

(٢) لفظة تركية بمعنى الأمر الذي يصدر عن وال.

(٣) توفي سنة ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م.

(٤) إن نسبة قبر له في بغداد هي نسبة قديمة، ولم تكن لداود السعدي، كما ذكر المؤلف رحمه الله، فقد صرح بها السائح الهروي المتوفى سنة ٦١١هـ، إذ قال أن قبره يقع في " جبانة دار السلام"(الإشارات إلى معرفة الزيارات ص٧٤) كما نوه بها نصوح السلاحي مطراقي زاده سنة ٩٤١هـ/١٥٣٨م (رحلة المطراقي زاده ص٩٣) ، وسيدي علي التركي سنة ٩٦١هـ/١٥٥٣م (مرآة الممالك ص١٥)، وذكر عبادة أن " قبره ضمن محل القطار، وبين البنكلات، لا يرى للناظر" يريد بالمحل محطة قطار غربي بغداد. ووضح أوقافه بأنها " أرض واسعة بقرب مرقده، فيها مطبخة للطابق (كورة لشَي الطابوق) ودور في الجانب الغربي من بغداد". (العقد اللامع ص٤٦٥).
وكان عبد الفتاح بن حسين متولي أوقاف الشيخ معروف الكرخي قد أقام الدعوى على السيد سعدي أفندي بن محمد أفندي متولي أوقاف الشيخ داود الطائي، مدعياً بأن قطعة الأرض الواقعة قرب الإمام الشيخ داود المشار إليه، المحدودة من جهة بنهر المسعودي القديم، ومن جهة بطريق منصور بن عمار، ومن جهة بطريق الشيخ جنيد البغدادي، ومن جهة بجوبة الفراشية، هي من أوقاف الشيخ معروف، وقد رد المدعى عليه بأن الأرض المذكورة هي من أوقاف داود الطائي، وكانت تحت إدارة المتولين منذ نحو خمسين سنة، وقد حكمت المحكمة بثبوت كون الأرض المذكورة من أوقاف الشيخ داود الطائي، وصدر بذلك إعلام شرعي مؤرخ في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٣٨هـ.

هو معلوم معروف عند عموم العارفين(١). أقول: رأى ذلك الانسان قبراً قبيل [قبر] داود الظاهري في قبة متداعية إلى الزوال، ذلك القبر هو قبر منصور بـــن عمار رحمه الله تعالى الواعظ المشهور(٢)، الذي له الخدمات الجُلّى في تـــوبة الكثيـــر من المُسرِفين على أنفسهم وصلاح حال الكثيرين من العُصاة الآبقين.

[قبر داود الظاهري](٣)

فـــوق قبر منصور بن عمار إلى غربيه، للصاعد إلى قبر جُنيد، قبة على يسار الطريق، فيها قبر الورع الزاهد داود الظاهري إمام الظاهرية. وقد أخـــذ العلم عن أبي ثور واسحاق بن راهَوَيه، وكان من المتعصبين للشافعي رحمهما الله تعالى. وكانت ولادته في الكوفة سنة مائتين واثنتين، وقيل: سنة إحـــدى ومائتـــين، وتوفـــي ســـنة سبعين ومائتين، ودُفن في مَنزِله، وقيل:

---

(١) الذي في ترجمة داود الطائي أنه وفد إلى بغداد في أيام المهدي العباسي، ثم عاد إلى الكوفة وفيها كانت وفاته، تنظر ترجمته في الخطيب: تاريخ بغداد ج٨ ص٣٤٧ وابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢ ص٢٥٩.

(٢) كـــان معاصراً لليث بن سعد المتوفى سنة ١٧٥، وقد تردد عليه (ابن خلكان: وفيات الأعـــيان ج٤ ص١٢٧ و١٣٠)، ولم نقف على نص يحدد مكان وفاته ودفنه. وأشار إلى قبره هذا الرحالة مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي، عند نزوله في بغداد سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٦م (كشط الصدا وغسل الران في زيارة العراق وما والاها من الـــبلدان الورقة٣٣) كما أشير إلى قبره في هذا المكان من بغداد الغربية في الإعلام الشرعي المؤرخ في سنة ١٢٣٨هـــ، وقد تقدم.

(٣) هذا العنوان يقتضيه السياق.

بالـــشونيزية، والصحيح نظراً لما هو المأثور المشاهد القول الأول[١]. وحول القبة مقابر. والقبة عبارة عن الحجرة التي فيها القبر، فيها باب إلى الشمال، وشباك من غربيها[٢].

[قبر الحريفيشي][٣]

وفوق قبر منصور من جهة الشمال الغربي، واقعاً على يمين السالك إلى قبر الجنيد، قبر هو قبر الحريفيشي، أو الحر النفيس[٤]، الرجل الصالح.

---

(١) الخطيب: تاريخ بغداد ج٨ ص٣٦٩ و ابن خلكان: وفيات الأعيان ج٢ ص٢٥٥.

(٢) وصف عبادة هذه القبة بأنها معقودة بالحجارة والجص، منفردة، وهو يزار" وذكر أن من الناس من يدعو قبره ذا النون، وهذا ليس ذو النون المصري بكل تأكيد. لأن هذا توفي بمصر، ودفن في القرافة الصغرى سنة ٢٤٥هـ. ينظر العقد اللامع ص٤٦٦.

(٣) هذا العنوان يقتضيه السياق.

(٤) كذا في الأصل، ولعل الصواب (الدر النفيس)، وهو عنوان كتاب من تأليف شعيب بن عـــبد الله بن سعيد بن عبد الكافي، أبو مدين، المعروف بالحريفشي، وقد لاحظ عبادة وجـــود رخامة صغيرة عند قبره حرر عليها اسمه (العقد اللامع ص٤٦٢)، ولكنه لم يذكـــر نـــص هذا الاسم، وشعيب هذا كان صوفياً، له فضلاً عن كتاب الدر النفيس، كـــتاب آخـــر في المواعظ اسمه (الروض الفائق في المواعظ والرقائق)، وكتاب في التراجم سماه (تتمة الروضة النضرة في خصائص العشرة)، والوارد في ترجمته أنه كان مصرياً مكياً، (ينظر كشف الظنون ٩١٩ وكحالة: معجم المؤلفين ج٤ ص٢٠٣) ويحتمل إنه وفد إلى بغداد فتوفي فيها. وذكر الشيخ عباس بن رجب البغدادي أن" قبره معلوم يزار ويتبرك به رحمه الله تعالى" (مساجد بغداد في كتابات الأجداد ص٥٥).

وهـــو قبر مُجَرَّد عن كل مظهر الآن. وبقربه بناية كانت الحكومة العثمانـــية أعـــدتها لـــسكنى الشرطة المحافظين للطريق، يفصل بين البناية المذكـــورة والقبـــر الطـــريق. وقد كانت على القبر قبة فانهدمت فلم يبق إلاّ جدرانها، ولكن الجدران الآن ذهبت أيضاً والحريفيشي هذا هو....(١).

---

(١) بياض في الأصل.

فهرس المحتويات

KHAIER AZZAD

FEE TARIKH MASAJID WA JAWAMI BAGHDAD

By
Muhammed Saeed Arrawi

Edited
With Preface and Notes
By
Imad Abdul Salam Rauf

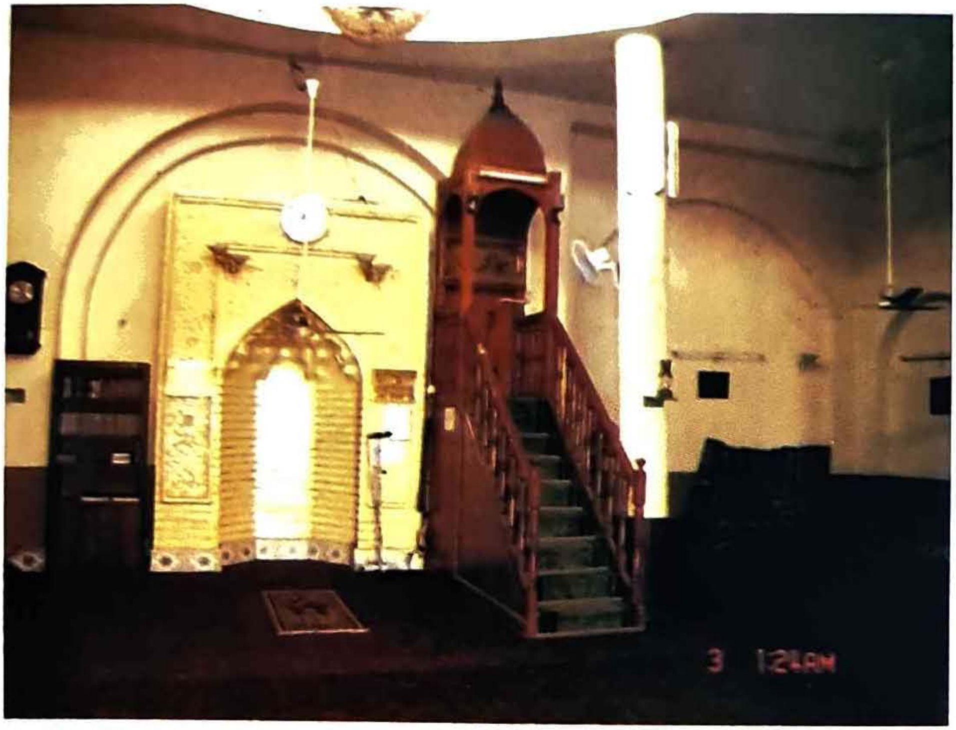
طبع هيئة إدارة واستثمار أموال الوقف السني/ المطبعة



منارة جامع آل جميل



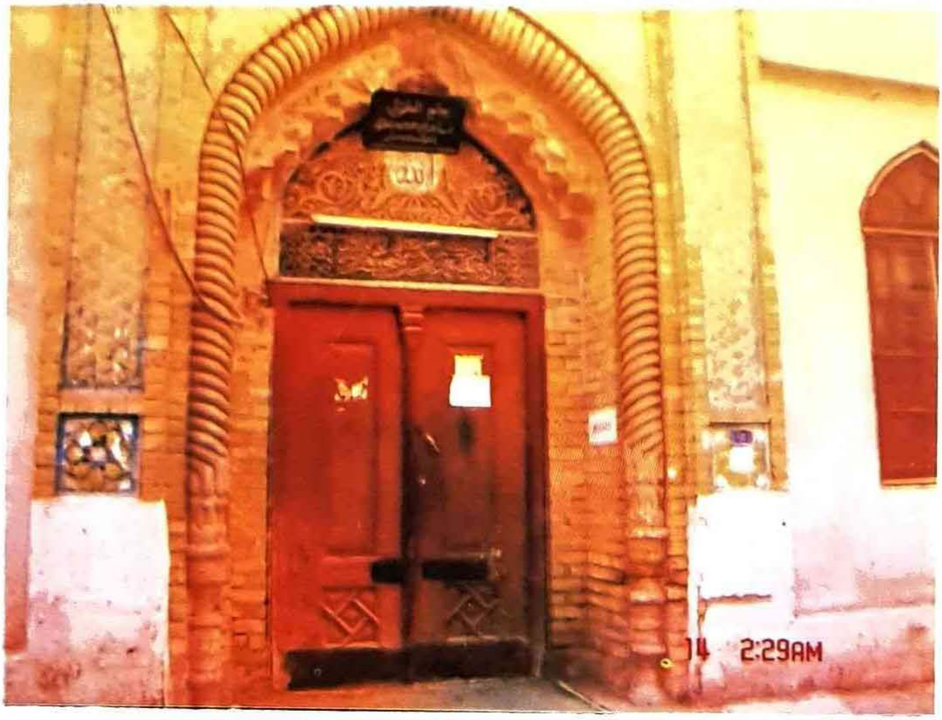
رواق جامع الجبوري



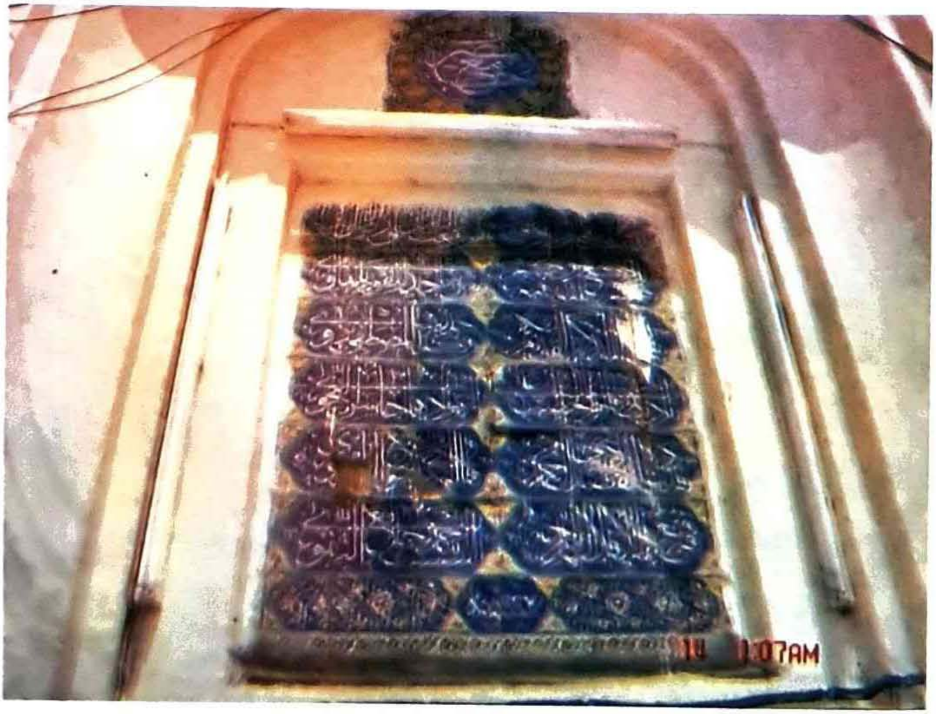
منبر محراب الفضل



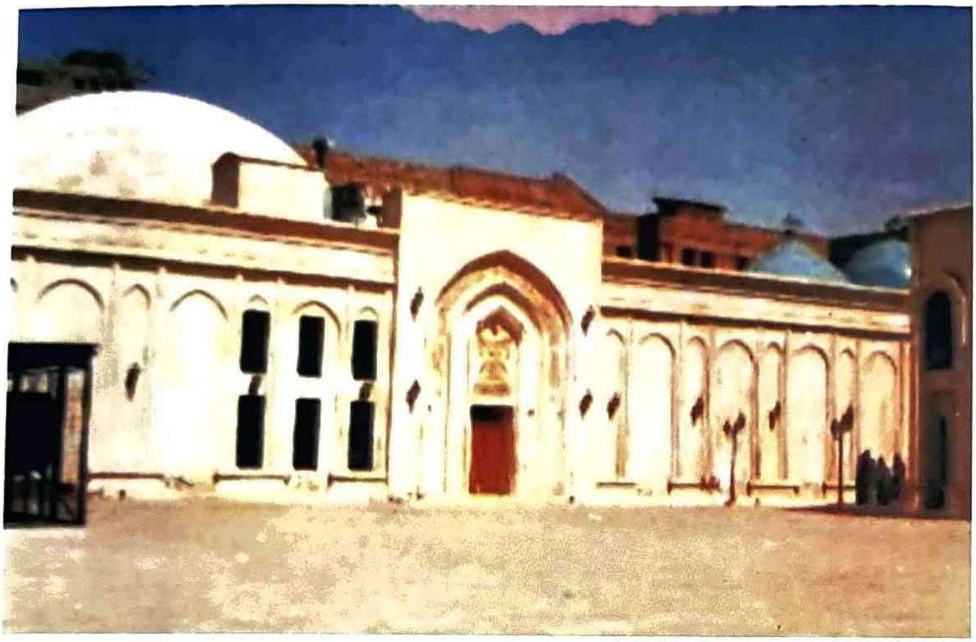
جامع الست نفيسة



مدخل جامع العاقولي



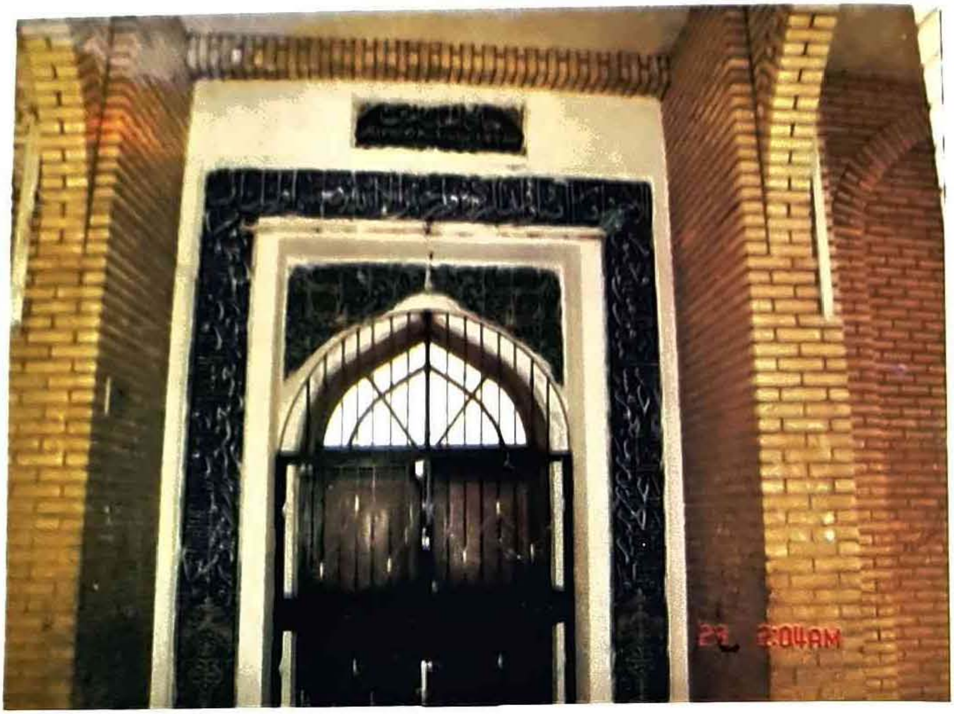
مدخل جامع المصرف والأبيات تشير الى تأريخ الجامع



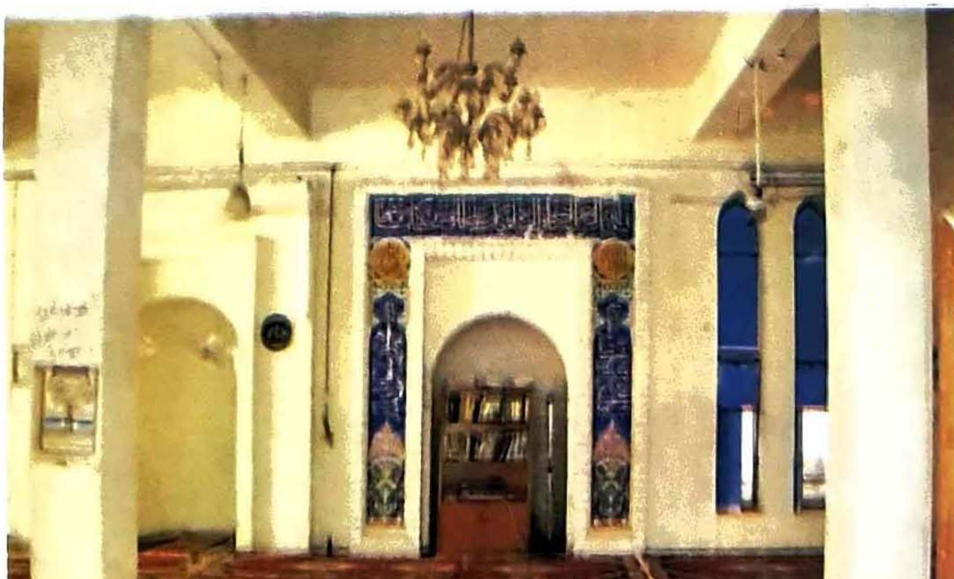
باحة جامع السيد سلطان علي



محراب جامع باب الأغا



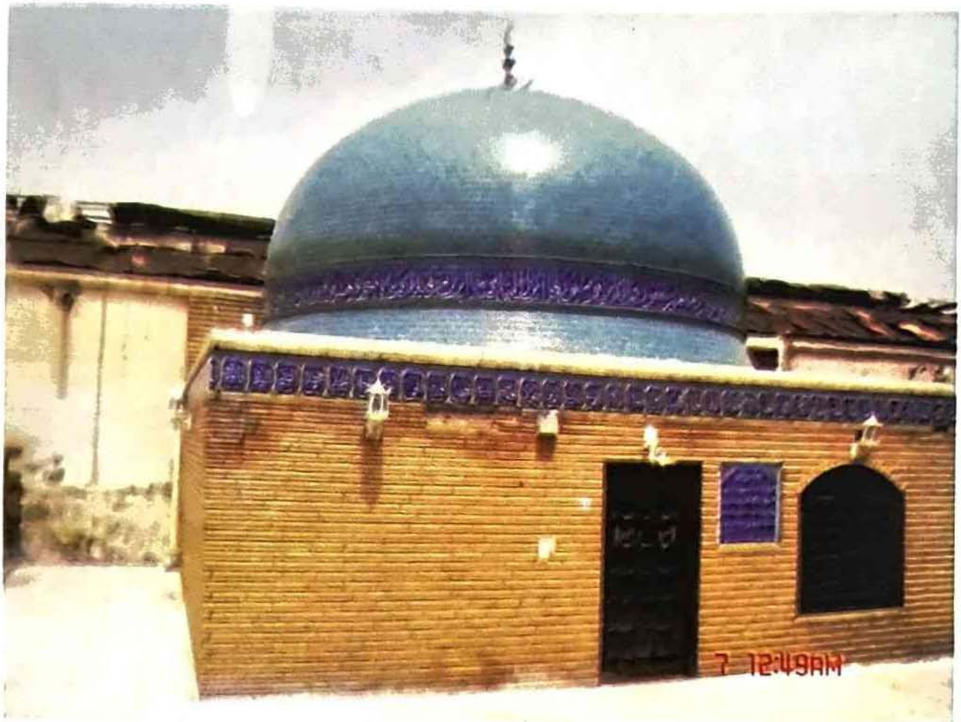
مدخل جامع الحاج أمين



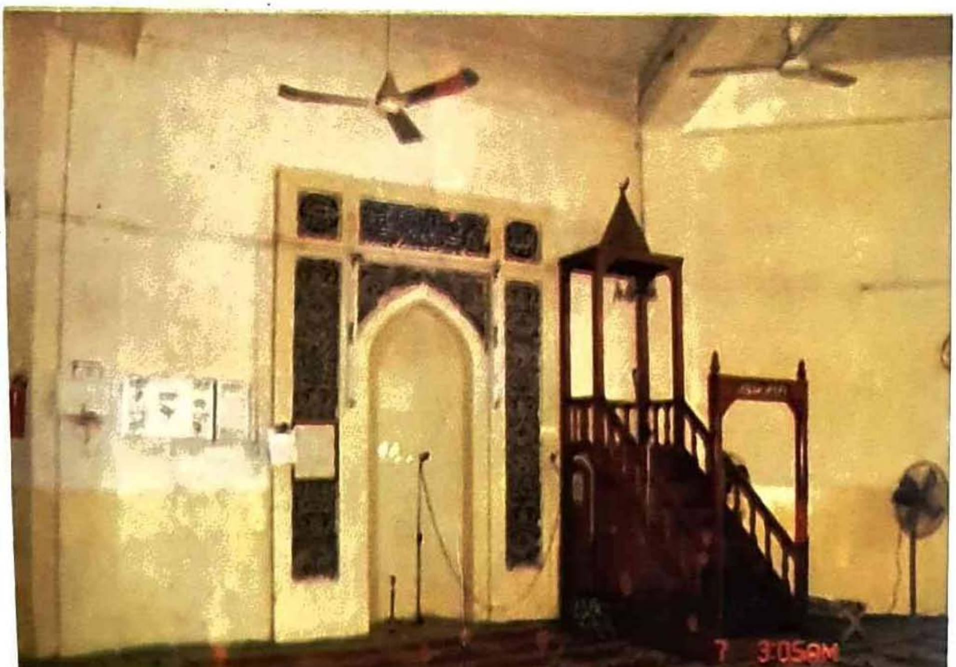
جزء من حرمم جامع عبد الكريم الجيلي



منارة جامع سراج الدين



قبة ضريح سراج الدين



منبر ومحراب جامع كنعان



مدخل جامع الشيخ معروف